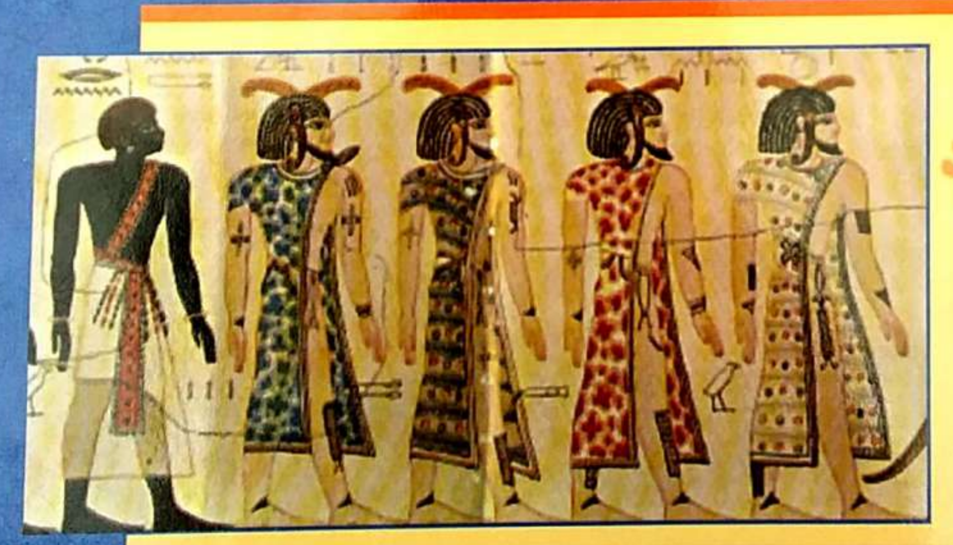
منشورات
المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية
سلسلة الدراسات التاريخية [139]

الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم

من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية



أ. د. محمد علي عيسى
أستاذ الآثار والحضارات القديمة
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة طرابلس



2012

الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم
من خلال المصادر الأثرية
والأنثروبولوجية واللغوية

عيسى، أ. د. محمد علي
الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية
أ. د. محمد علي عيسى
المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2012
414 ص: 17 X 24 سم: - (سلسلة الدراسات التاريخية؛ 139)

المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية
هاتف: **3331782 - 4446987 - 4446988 21 00218**
ص.ب. **5070** فاكس: **3331616 21 00218**
Website: **www.libsc.org**
البريد الالكتروني: **www.libyanjihad@libsc.org**
طرابلس ـ ليبيا

الطبعة الثانية
2012
رقم الإيداع: 647/ 2012/ دار الكتب الوطنية ـ بنغازي
ردمك: 978-9959-23-272-4
ISBN: 978-9959-23-272-4

دار الكتب الوطنية ـ بنغازي
هاتف: **9090509 - 9096379 - 9097074**

منشورات
المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية
سلسلة الدراسات التاريخية [139]

الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم

من خلال المصادر الأثرية
والأنثروبولوجية واللغوية

أ. د. محمد علي عيسى
أستاذ الآثار والحضارات القديمة
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة طرابلس



2012

المحتويات

الفصل الأول
سكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية

الفصل الثاني
سكان المغرب القديم من خلال المصادر الأنثروبولوجية (علم الإنسان)

الفصل الثالث

سكان المغرب القديم من خلال المصادر اللغوية

الملاحق

الفهارس

مقدمة الطبعة الثانية

أ. د. محمد علي عيسى
أستاذ الآثار والحضارات القديمة ـ جامعة طرابلس
باحث متعاون بالمركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية
رئيس قسم الآثار بالأكاديمية الليبية للدراسات العليا
طرابلس في 3/9/2012م

صدرت الطبعة الأولى من كتاب **الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية**، عام 2009 بطرابلس عن دار الأصالة والمعاصرة، وقد نفدت تلك الطبعة في خلال عامين، وبالتالي رأيتُ إعادة طبعه من جديد مع بعض الإضافات والتنقيح الطفيف من طرفي، وذلك بما استجدت من نتائج دراسات ميدانية وعلى رأسها الكتابات والنقوش التي تم اكتشافها في مناطق ظفار بسلطنة عُمان، والتي أشار إليها الباحث علي أحمد الشحري من كتابيه : ظفار كتاباتها ونقوشها القديمة، ولغة عاد، والتي كانت متطابقة تمام التطابق مع تلك النقوش والكتابات التي ظهرت في منطقة المغرب القديم والصحراء الكبرى منذ أقدم العصور. هذه النقوش والكتابات تحفزنا للقيام بدراسات ميدانية

مقارنـة، وذلـك للتوصل إلى سبب هـذه العلاقـة الوطيدة. إن تفسـير هذه العلاقـة لن يتم إلا مـن خلال إجراء حفريات أثرية وتحاليل معملية، وذلك من خلال مجسات للتنقيب الأثري في مواقع كشف / إكتشاف هذه النقوش سـواءً في ظفـار، أو في منطقة المغـرب القديم، للتعرف علـى تاريخها من خلال دراسة اللقى التي يتم العثور عليها في تلك المجسات. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن أخذ عينات من النقوش والمواد العضوية المعاصرة لها، المكتشـفة ضمن تلك المجسات وإرسالها إلى المراكز البحثية العلمية المتخصصة بالخارج، وذلك لفحصها للتعرف على كمية الكربون 14 المشع منها، وبالتالي التعرف على تاريخ كتابتها بكل دقة.

لـم تكن تلـك الإضافات والتنقيحات الطفيفة مـن طرفي فقط، بل كان الفضل الـكبير في بعض الملاحظات الأخرى للصديق الدكتور عبدالحميد المنصـوري، الـذي تفضـل مشـكوراً بعد القـراءة الدقيقـة للكتـاب بتدوين ملاحظاتـه الصائبة التي تناولت أحياناً الأسـلوب، وحينـاً آخر إضافة بعض العبـارات الناقصة التي سـقطت بسـبب الطباعـة الرديئة للكتـاب في طبعته الأولـى، وأحيانـاً أخـرى تصويبـات في اللغـة العربية، وقد شـكرتُ له هذا الاهتمام الكبير من خلال اهتمامه بقراءته الجادة والمتمعنة للكتاب.

وأودُّ في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل للجنة الإدارة في المركز الليبـي للمحفوظات والدراسـات التاريخية، وعلى رأسـها الأسـتاذ الدكتور محمـد الجـراري مدير عام المركز، لتشـجيعهم المنقطع النظير للدراسـات التاريخية عامة، وللدراسـات السكانية ومنها الدراسات التي تتناول الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم خاصة، وبالتالي أوصت هذه اللجنة بإعادة طباعـة هـذا الكتاب ضمـن مطبوعات هـذا المركز العريق ضمـن إصداراته المتنوعة كطبعة ثانية للكتاب.

مقدمة

لقد ارتبطت مناطق شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد ما بين النهرين فيما بينها بمجموعة من العلاقات، التي جعلت منها وحدة واحدة. وأدى هذا الأمر بالمختصين إلى تسميتها بما تعارف عليه خطأ باسم المجموعات السامية. ومما لا شك فيه أن إطلاق هذا الاسم على تلك المجموعات جاء بسبب الأصل العربي المشترك. وعليه فإن اللغة التي كان يتحدث بها سكان هذه المناطق، جاءت أصلاً وخلال أزمنة تاريخية متعاقبة من مناطق الصحراء العربية. وقد تمكن العلماء في العصر الحديث من رصد العديد من الهجرات التي خرجت من شبه الجزيرة العربية في اتجاهات مختلفة، وكان للجفاف الذي حل بهذه المنطقة مع نهاية العصر الحجري الوسيط وبداية العصر الحجري الحديث الأثر القاسي على حياة الإنسان والحيوان والنبات، الأمر الذي جعل الإنسان يتجه نحو الهجرة والتنقل. ومن بين تلك الهجرات المبكرة أصحاب الثقافة النطوفية في فلسطين والعاتيرية والقفصية فى منطقة المغرب القديم. أما في العصر الحجري الحديث وما بعده فإن الهجرات التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية تكاد تكون معروفة معرفة تامة، وكانت أولى تلك الهجرات في العصر الحجري الحديث والتي كانت وجهتها نحو شرق إفريقيا. ولم تتوقف تلك الهجرات عند شرق

إفريقيا فقط، بل اتجهت شمالاً نحو منطقة وادي النيل والصحراء الكبرى وشمال إفريقيا. وبعد ذلك خرجت في حوالي منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد هجرات أخرى نحو وادي النيل عن طريق شبه جزيرة سيناء، أو عن طريق القرن الإفريقي، وكونت هذه الهجرات مع المجموعات السابقة الحضارة الذائعة الصيت التي أقيمت بمنطقة وادي النيل. وفي نفس التاريخ تقريباً اتجهت هجرات أخرى من شبه الجزيرة العربية نحو الشمال، حيث امتزجت بالسومريين وكونت تلك الحضارة الرائعة والتي أطلق عليها الحضارة الآكادية. وفي حوالي منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد خرجت هجرات عربية أخرى من شبه الجزيرة العربية، كانت وجهتها حوض نهر الفرات ووسط منطقة الشام والساحل الشرقي للبحر المتوسط، ونتج عن هذه الهجرات العموريون والكنعانيون. وفي حدود منتصف الألف الثانية قبل الميلاد، خرجت من شبه الجزيرة العربية هجرات أخرى نحو وسط منطقة الشام كونت الآراميين وقبائل أخرى صغيرة. ومنذ منتصف الألف الأولى قبل الميلاد خرجت هجرات معظمها من جنوب شبه الجزيرة، تكوّن من خلالها الأنباط والمناذرة والغساسنة وكندة. ويبدو واضحاً أن كل المجموعات التي خرجت من شبه الجزيرة العربية، وانتشرت على طول المنطقة الممتدة من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي، ما هي إلا شعوب عربية الأصل. وقد تأكد ذلك من خلال وحدة العادات والتقاليد والدين والأساطير، وأن لغاتها تطورت عن لهجات عربية قديمة كانت أصلاً بمنطقة شبه الجزيرة العربية.

لقد ظلت هذه المنطقة تحتفظ بوحدتها الجغرافية والتاريخية والجنسية واللغوية والدينية، إلى الفترة التي خضعت فيها للغزو الإغريقي والروماني. ولقد اعتبر اليونان والرومان قديماً بأن كل الناس الذين يسكنون خارج أسوار أثينا وروما غرباء وهمج وبرابرة، وبالتالي ليس لهم ما لليونان

والرومـان مـن حقـوق وامتيازات، حتى ولـو منحت لهم حقـوق المواطنة. وعلـى هذا الأسـاس ظلت الكثير مـن المناطق العربية تـرزح تحت الهيمنة اليونانيـة والرومانيـة والبيزنطية، قرابة إحدى عشـر قرناً مـن الزمان، إلى أن قدم الفاتحون العرب المسـلمون في القرن السـابع الميلادي، وأزاحوا عن كاهل السـكان ذلك التسلط. لقد اسـتطاع العرب المسلمون تحرير المنطقة روحياً وسياسـياً واقتصادياً، ولكن وللأسـف الشديد سرعان ما عادت إليها الهيمنة الأجنبية من جديد، بسبب الضعف الذي انتاب الفكر والعقل العربي الإسـلامي بعـد اجتيـاح المنطقـة مـن قبـل المغـول، وخضوعهـا للأتـراك العثمانييـن. وهكذا تمت السـيطرة على الفكر والعقـل والاقتصاد، وبالتالي أصبحـت المنطقـة في تخلف وركود دام أكثر من خمسـة قـرون متواصلة. واليـوم رغـم حصول أقاليم هذه المنطقة على الاسـتقلال، إلا أن هذا الأمر لم يغير شيئاً من تلك النظرة الاستعمارية السابقة، التي كان ينظرها الإغريق والرومـان قديمـاً، وبالتالـي ظلـت هـذه المناطـق مـن جديد أسـيرة للفكر الإغريقي، الذي تم تطويره من قبل الغرب ليناسب المدنية الحديثة. وهكذا بدأ المفكرون الغربيون يشحنون العقول بأن أثينا وروما هي أساس الحضارة العالمية، وفي المقابل يقللون من شأن الحضارة العربية القديمة، التي كانت في يوم من الأيام تغطي العالم بنورها. ونسي الغرب في لحظة، أن الإغريق والرومـان لـم تدم حضارتهم سـوى عدة قـرون من الازدهـار، في حين أن الحضـارة العربيـة القديمـة دامت عدة آلاف من السـنين. ونسـي الغرب أن الإغريق والرومان لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه لولا الحضارة العربية القديمة في كل من بلاد الرافدين والشام ووادي النيل.

ولذلك يجب علينا إعادة النظر في النظريات الاستعمارية التي جاء بها الغرب والتي تقسم الشعوب إلى ساميين وحاميين وآريين. ويجب علينا من خـلال علوم الآثـار واللغات والعلوم المعرفية الأخرى أن نرد على مفكري

الغـرب العنصريين بأن نظرياتهـم وأفكارهم في هذا المجال مجرد خرافات لا صلة لها بالعلم والمنطق. وقد عكست تلك النظريات رغبات استعمارية، كانت تخضع للكثير من التفسـيرات الدينية والأفكار الفلسـفية، التي كانت تحـاول ربط تاريخنا أحيانـاً بمصلحة جماعة معينـة، وأحياناً أخرى تحاول ربطه بالإسـرائيليات، أو ربطه بتفسـيرات مادية وشـيوعية. ولـم يقتصر هذا التوجه على الأمور النظرية فقط، بل إن الأمور العملية وظفت هي الأخرى فـي هـذا الاتجاه، حيث تم توجيـه نتائج حفريات التنقيب عـن الآثار، التي أقامها العلماء الغربيون في العديد من المناطق العربية لدعم تلك النظريات والأفـكار والفلسـفات. وقـد نجـح الغرب في إعـداد مريدين مـن بين أبناء الوطن، وذلك ليحملوا الرسـالة ويواصلوا الدعوة لتلك الأفكار والنظريات المسمومة، أحياناً في الخفاء وأحياناً أخرى نهاراً جهاراً. وقد حاول الغرب ابتـكار رمـوزاً ثقافية تخفي وراءها أفـكاره تلك، فنجده تـارة يخفي أفكاره وراء التعدديـة، وتـارة أخـرى وراء التمايـز، ومـرة ثالثـة وراء الحفاظ على الشـخصية والثقافـة الذاتيـة وحـق التعبيـر عن الوجـود وحمايـة الأقليات. ولذلك فالباحثون الملتزمون من العرب وغيرهم مدعوون، إلى إعادة دراسة وكتابـة التاريخ العربي من المحيط إلى الخليج. وعليهم التركيز في المرتبة الأولى على أن تكون شـبه الجزيرة العربية محوراً لدراساتهم. ويجب بقدر الاستطاعة الابتعاد عن تأثير أفكار ونظريات المستشرقين الذين عزلوا تاريخ شبه الجزيرة العربية عن بقية تاريخ المنطقة العربية، وذلك لأهداف سياسية اسـتعمارية، ولإغـراض دينيـة ثقافية. وهـؤلاء الباحثون مدعـوون أيضاً إلى اسـتحداث تسميات جديدة وتقسـيمات صالحة لفهم هذا التاريخ، تتناسب مـع ظروفـه ومعطياته القديمـة، وليس في ظـل نظريات اسـتعمارية وأفكار محـدودة تخـدم نزعـات اقليميـة. ويجـب على هـؤلاء الباحثـن بث روح الاعتـزاز والفخـر بالحضـارات التـي انتشـرت بالمراكـز الحضاريـة العربية

القديمة، قبل الإسلام وبعده، وفضح المشاريع الاستعمارية التي قام بترويجها المستشرقون، الذين سعوا إلى التحقير والتقليل من القيمة الحضارية للمنطقة العربية، وإنكار أي فضل لهذه الحضارة على الحضارة الإنسانية.

وفي مجال اللغة كان الباحثون منذ عقود مضت يقسمون اللغات القديمة في المنطقة العربية إلى قسمين: لغات سامية وتشمل لغات شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد ما بين النهرين، ولغات حامية وهي اللغة المصرية القديمة والليبية القديمة والأثيوبية والتشادية، وهي لغات تنتشر بمناطق شمال إفريقيا وشرقها وغربها وحتى مناطق جنوب الصحراء الكبرى. ويبدو واضحاً أن الغرض الأساسي لهذا التقسيم كان لأمرين: الأول سببه الخطأ التاريخي، الذي يكمن في اعتماد بعض الباحثين في تقسيم الشعوب حسب ما جاء في التوراة، حيث قسمت سكان هذه المناطق إلى ساميين وحاميين. أمّا الثاني فهو مخطط سياسي جاء به الغرب لتقسيم مناطق الوطن العربي إلى ساميين وحاميين، وبالتالي تجزئة تراثه الثقافي والحضاري القديم رغبة منهم في بث الفرقة بين جناحي الوطن العربي. ولكن لا أحد ينكر وحدة لغات المجموعات السكانية القديمة، التي انتشرت في مناطق ما بين النهرين والشام وشبه الجزيرة العربية شمالها وجنوبها. وقد وضع الباحثون المحدثون هذه اللغات ضمن ما يعرف باللغات السامية. ومما لا شك فيه أن انتماء هذه المناطق إلى لغة واحدة يعني وحدة الأصل المشترك، ومنذ زمن ليس بالبعيد. والكل يعلم بأن اللغات التي انتشرت بشرق إفريقيا هي امتداد للغة السبئية بجنوب شبه الجزيرة العربية. وقد ثبت بالدليل والبرهان أن اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) لا تخرج من حيث المفردات والنحو والصرف، عن أخواتها في شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد الرافدين. وجاءت الدراسات الغربية الحديثة

وعلى رأسها الألمانية لتثبت بأن اللغة الليبية القديمة كانت أكثر قرباً إلى لغات شبه الجزيرة العربية والشام والرافدين من اللغة المصرية القديمة. ولكن رغم كل هذا فإن دعاة النزعة الإقليمية ما زالوا يتشبتون بالأفكار الاستعمارية التي ثبت خطأها علمياً، لا لشيء سوى الرضوخ لرغبات المستعمر بإنكار أي اتصال بين اللغة الليبية القديمة ولغات الشرق العربي، لكي يثبت هذا المستعمر نظرياته الزائفة بأن سكان المغرب القديم يعودون في أصولهم الأولى إلى أوروبا.

وفي هذا الكتاب، سنحاول الوقوف عند معظم هذه الموضوعات من خلال دراسة الجذور التاريخية لسكان منطقة المغرب القديم، وذلك على ضوء مجموعة من الحقائق التي تم التوصل إليها حديثاً. ولتحقيق هذا الهدف سوف نستعين بمجموعة من العلوم وعلى رأسها علوم الآثار والأنثروبولوجية (علم الإنسان) واللغة. وسنحاول بعد ذلك تتبع الأفكار والنظريات التي بثها المستعمر لغرس نزعات الانقسام بين سكان هذه المنطقة. وسنقوم بالرد عليها من خلال ما توفر لدينا من نتائج علمية حديثة. وتسهيلاً لهذه المهمة سنقوم بتقسيم موضوع هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول على النحو الآتي:

سنتناول كتمهيد لهذه الدراسة، الحديث عن ظهور الإنسان والحضارة، ثم نعرّج للحديث عن شبه الجزيرة العربية كمنطقة نشؤ للحضارة، ودور التقلبات المناخية في الهجرة والانتقال. ونختتم هذا التمهيد بالحديث عن أصل سكان المغرب القديم. ومن خلال هذه الفقرة الأخيرة ننتقل إلى الفصول الرئيسة الثلاث لهذه الدراسة. فنتحدث في الفصل الأول عن أصل سكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية. أمّا الفصل الثاني فسيكون حول سكان المغرب القديم من خلال المصادر الأنثروبولوجية (علم

الإنسان). وسنتناول في الفصل الثالث والأخير الحديث عن سكان المغرب القديم من خلال المصادر اللغوية.

وفي الختام فإننا لا ندّعي بأن إنجازنا لهذا الكتاب كان نهاية المطاف في معالجة قضية الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، بل هو البداية لدراسات مقارنة جادة حول هذا الموضوع من خلال الآثار والأنثروبولوجيا واللغة. وعندما قمنا بالبحث عن أصل سكان المغرب القديم من خلال هذه الجوانب، فإننا لا نستهدف إثبات واقع مرغوب على حساب واقع آخر يراد استبعاده. وقد حاولنا أن تكون النتائج المتحصل عليها مدعمة بمعطيات موثوق بها، سواء كانت من جانب ميولنا، أو ضدها، وفي جميع الأحوال حرصنا على الموضوعية التامة. وقد حاولنا بقدر المستطاع وضع النقاط على الحروف لتوضيح هذه القضية الحساسة، وذلك لقطع الطريق على المستعمر، الذي يتحين الفرص للانقضاض على المنطقة العربية من جديد، محاولة منه العودة للسيطرة وسلب الخيرات.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل للأخوة الزملاء العاملين بالمركز القومي للبحوث والدراسات العلمية، لما لقيته منهم من تشجيع ومؤازرة في سبيل إنجاز هذا العمل المتواضع. وآمل أن أكون قد وفقت فيما هدفت اليه من هذا الكتاب. والله من وراء القصد.

أ. د. محمد علي عيسى أبو القاسم

أستاذ الآثار والحضارات القديمة

قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة طرابلس

طرابلس في 20/9/2001م

تمهيد

ظهور الإنسان والحضارة:

لقد ظهرت أقدم السلالات البشرية التي تفرعت عن آدم أبو البشر في جهات متفرقة من العالم القديم، وقد كانت هذه الجهات لا تختلف في ظروفها المناخية والطبيعية بعضها عن البعض الآخر، مما أدى إلى تشابه المراحل الأولى لحياة تلك السلالات البشرية في جميع تلك المناطق. بدأت الظروف الجغرافية في التغير، وبدأت السلالات البشرية تختلف عن بعضها البعض، وبدأت بالتالي تلك السلالات تتفاعل مع تلك البيئات التي عاشت فيها. وظلت تعمل من أجل البقاء في البداية، ثم من أجل رفاهيتها. وبناءً على كل ذلك تطورت أساليب حياتها ومظاهر حضارتها إلى أن وصلت إلى ما هي عليه في الوقت الحاضر[1].

لقد اتبع الباحثون في تقسيم تاريخ الإنسان على أساس تطوره الحضاري إلى قسمين رئيسين: القسم الذي سبق معرفته للكتابة، والقسم الذي عرف فيه الكتابة. فأطلقوا على القسم الأول اسم عصور ما قبل التاريخ، وأطلقوا

---

(1) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ، ص ص 24 – 31.

على القسم الثاني اسم العصر التاريخي. ومن المعروف أن الإنسان قد مر بمراحل حضارية مختلفة، وبالتالي اختلف أسلوب حياته في تلك المراحل، وعلى هذا الأساس تعددت تقسيمات الباحثين لتاريخ الإنسان وحضارته. ومن أشهر التقسيمات تلك التي تقسم تاريخ الإنسان حسب المادة التي صنع منها أدواته. وقد تم تقسيم هذه المرحلة إلى دورين: دور استعمال الحجر، ودور استعمال المعادن. وقد كان الغرض الأساسي لمثل هذه التقسيمات تسهيل دراسة تاريخ الإنسان ومعرفة المراحل الحضارية المختلفة التي مر بها. لقد قسم دور استعمال الحجر إلى ثلاثة أقسام: العصر الحجري القديم، والعصر الحجري الوسيط، والعصر الحجري الحديث. ففي العصر الحجري القديم استعمل الإنسان الحجر المنحوت نحتاً بسيطاً في عمل أدواته. وفي العصر الحجري الوسيط ظهرت إلى جانب الأدوات المصنوعة من الحجر أدوات أخرى مصنوعة من العظام وقرون الحيوانات. أمّا في العصر الحجري الحديث فقد استعمل الإنسان معدن النحاس إلى جانب استعماله للأدوات السابقة المصنوعة من الحجر والعظام وقرون الحيوانات. ويعتبر العصر الحجري الحديث في حياة الإنسان البدائي انقلاباً اقتصادياً غيّر حياته وأسلوب معيشته تغييراً جذرياً، حيث اهتدى إلى إنتاج غذائه عن طريق الزراعة بعد أن كان يبحث عنه من خلال الطبيعة المحيطة به، ودجن الحيوانات التي من أهمها الماعز ثم الغنم والبقر، واستطاع صناعة الفخار وتوصل إلى الاستقرار في جماعات صغيرة بعد حياة التنقل بحثاً عن الغذاء. ولم يظهر العصر الحجرى الحديث في آن واحد في جميع أجزاء العالم القديم، وكان أول ظهور هذا العصر في منطقة الشرق الأدنى القديم في الفترة ما بين (10000 - 8000 قبل الميلاد). والجدير بالذكر أن هذه المنطقة عرفت التدوين وهو ما يعرف بالعصور التاريخية في حدود 3500 قبل الميلاد، في حين عرفته أوروبا مع بداية الألف الأولى قبل الميلاد.

وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تكاد تخرج من العصر الحجري القديم، كانت الزراعة وتربية الحيوانات قد تركزت في منطقة الشرق الأدنى القديم، حيث ظهرت أولى المدن في العالم القديم. ومن هذه المنطقة وصلت إلى أوروبا الاختراعات والتقنية والأفكار التي كانت وراء ظهور العصر الحجري الحديث فيها في الفترة ما بين (6000 - 2000 قبل الميلاد)، والتي كان من بين نتائجها ظهور الزراعة وتربية الحيوانات[1].

ولقد قسم دور استعمال المعادن إلى ثلاثة أقسام وهي: عصر النحاس، وعصر البرونز، وعصر الحديد. لقد استطاع الإنسان في بعض مناطق الشرق الأدنى القديم اكتشاف معدن النحاس بفضل المصادفة، وكان ذلك في حدود الألف السادسة قبل الميلاد، وبعد تكرار تلك المصادفات استطاع أن يصنع من هذا المعدن آلاته وأسلحته. أما عن عصر البرونز فقد ظهر بعد عصر النحاس أي حوالي الألف الخامسة قبل الميلاد. وقد تم الاستغناء عن معدن النحاس بسبب ليونته، ومن ثم الحصول على معدن البرونز عن طريق خلط معدني النحاس والقصدير بنسب ثابتة، وقد توصل الإنسان إلى هذا الاكتشاف بعد مصادفات وتجارب عديدة، وقد استطاع في النهاية أن يصنع من هذا المعدن الجديد آلات وأسلحة أكثر صلابة من تلك التي صنعها من معدن النحاس. ونظراً لعدم توفر معدني النحاس والقصدير بكميات وفيرة في الطبيعة، لذلك كان على الإنسان في ذلك الوقت البحث عن معدن بديل يمكن الحصول عليه بكميات وفيرة، وكان الحديد هو المعدن المنشود، وقد عثر على أقدم حديد مشغول في فلسطين، وهو يتمثل في مجموعة من السكاكين يرجع تاريخها إلى حوالي 1350 قبل الميلاد. وخلاصة القول أنه

---

(1) R. Porteres et J. Barrau., Debuts Developpement et Expansion des Techniques agricoles, Histoire Generale de l'Afrique, (T.1), Jeune Afrique/ Stock/ Unesco, 1980. P.P.725-727.

لا يمكـن تحديد تواريخ هذه العصور الثلاثة بدقة تامة في كل مناطق العالم القديم، لأن هذه المعادن ظهرت لدى شعوب مختلفة، وفي عصور مختلفة. وكمـا مر بنـا عرفت المراكز الحضاريـة العربية القديمة المعـادن منذ الألف السادسـة قبل الميلاد، في حين أن مناطق الإغريق - وهي الأكثر تحضراً في أوروبـا - لم تعرف المعادن إلا في حدود الألف الثانية قبل الميلاد. وخلال هـذه الفتـرة وصلت المراكـز الحضارية العربيـة القديمة فـي كل من مناطق وادي النيل وبلاد ما بين النهرين والشام إلى معرفة الكتابة، وبالتالي وصلت إلى أعلى مراتب التقدم العلمي والفني والأدبي[1].

توجد طريقة أخرى تقسـم تاريخ الإنسـان من حيث تطوره الحضاري، وهذه الطريقة تم تقسيمها إلى مرحلتين اثنتين: مرحلة جمع الطعام، والتي استمرت خـلال العصريـن الحجريين القديم والوسـيط. وقد ظل الإنسـان خـلال هـذه المرحلة متنقـلاً من مكان إلى آخر باحثاً عـن غذائه بما تجوده عليه الطبيعة من فواكه وصيد، أمّا المرحلة الثانية فتعرف باسم مرحلة إنتاج الطعـام، وفـي هـذه المرحلـة توصل الإنسـان إلـى الزراعة. وقـد أدى هذا الاكتشاف إلى انقلاب كبير في حياة الإنسان، حيث هجر الكهف الصخري، واتجه إلى مسكن في السهول. وتحول الإنسان من جامع للغذاء إلى منتج لـه. فأصبـح يمارس الزراعة ويعيش في قرى مسـتقرة، واسـتأنس الحيوان، وفـي هـذه الأثناء برزت إلى الوجـود صناعة الفخار والنسـيج. ولقد هيأت حياة الزراعة للإنسان الطمأنينة والأمن، مما أتاح له فرصة التفكير والتأمل. وهكـذا انتقل الإنسـان إلى دور اسـتخدام المعـادن، ثم إلى دور اسـتخدام الكتابة وهو ما يعرف بالعصر التاريخي.

---

(1) جيمس هنري برسـتد، انتصار الحضـارة، (ترجمة أحمد فخري)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969م، ص14.

شبه الجزيرة العربية كمنطقة نشوء للحضارة:

لم تكن شبه الجزيرة العربية صحراوية جافة في كل عصورها القديمة، ولكنها عرفت مثل غيرها من المناطق المشابهة لها خلال عصر (البلايستوسين) أربع فترات مطيرة، وأربع فترات جافة خلال (600000) سنة الماضية(1). وقد حدثت تلك العصور المطيرة والجافة نتيجة لتعاقب المراحل الباردة والشديدة البرودة في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، والتي تعرف عادة باسم المراحل الجليدية ومراحل انحسار الجليد. والجدير بالملاحظة أن كل مرحلة جليدية في النصف الشمالي في الكرة الأرضية تعاصرها مرحلة مطيرة في النصف الجنوبي، وكل مرحلة انحسار جليدي في النصف الشمالي من الكرة الأرضية تعاصرها مرحلة جافة في النصف الجنوبي. وقد تم تقسيم هذه المراحل على النحو الآتي:

المرحلة	بدايتها	نهايتها	مدتها
1 ـ مرحلة (كنز Guns)	600000	540000	60000
المرحلة الدافئة الأولى (كنز ـ مندل)	540000	480000	60000
2 ـ مرحلة (مندل Mindel)	480000	430000	50000
المرحلة الدافئة الثانية (مندل ـ ريس)	430000	240000	190000
3 ـ مرحلة (ريس Riss)	240000	180000	60000
المرحلة الدافئة الثالثة (ريس ـ وروم)	180000	120000	60000
4 ـ مرحلة (وروم Wurme)	120000	18000	102000
المرحلة الدافئة الرابعة (وروم) ـ الوقت الحاضر، وقد بدأت هذه المرحلة منذ 18000 ألف سنة مضت وما تزال متواصلة حتى الآن.			

(1) هـ. فور، الاطار الزمني للمراحل المطرية والجمودية بإفريقيا، (تاريخ إفريقيا العام)، جين/ افريك/ اليونيسكو، 1983م. ص ص 388 – 412. وكذا: محمد المختار العرباوي، البربر عرب قدامى، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، 1993م. ص 129.

وكانت آخر المراحل الجليدية امتدت ما بين (120000) وحتى (18000) سنة، وكانت منطقة شبه الجزيرة العربية خلال تلك الفترة تغطيها الغابات والنباتات والأعشاب، وتسكنها المجموعات البشرية على امتداد مساحتها. ولكن بإنتهاء عصر البلايستوسين انتهت الأمطار الغزيرة، وانتهت بالتالي الظروف المواتية للحياة السعيدة للسكان. ويظهر ذلك جلياً مع نهاية العصر الحجري الوسيط وبداية العصر الحجري الحديث، حيث بدأ الجفاف يزحف على المنطقة تدريجياً مع بداية الألف العاشرة قبل الميلاد[1]. وبدأت المنطقة تتحول من مناطق خضراء مأهولة بالسكان إلى امتدادات صحراوية جافة مجدبة. وكان من نتائج ذلك على رأي أغلب الباحثين أن موارد العيش السعيد للسكان من نباتات وحيوانات بدأت تتناقص بالتدريج[2]. ولذلك اضطر السكان أن ينزحوا من المنطقة تباعاً كلما زاد زحف التصحر على منطقة من المناطق. وقد أدى هذا الأمر إلى قيام موجات متتالية من الهجرات البشرية من شبه الجزيرة العربية إلى المناطق الغنية بمواردها النباتية بسبب توفر المياه الدائمة من أنهار وأمطار غزيرة، وقد بدأت تلك الهجرات على رأي معظم الباحثين منذ الألف العاشرة قبل الميلاد. وكانت آخر تلك الهجرات خلال العصور القديمة الهجرة السبئية في نهاية النصف الأول من القرن السادس الميلادي عقب انهيار سد مأرب[3]. وقد أشار الكثير من العلماء إلى عامل الجفاف والتغير الذي طرأ

(1) هـ. فور، الإطار الزمني للمراحل، ص 400.
(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الأول)، دار العلم للملايين، بيروت، 1976م. ص 240، وكذا: لطفي عبدالوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م. ص 58.
(3) محمد علي عيسى، الفن في منطقة شمال إفريقيا، تراث الشعب العدد الأول، اللجنة الشعبية العامة للإعلام، طرابلس، 1992، ص 40.

على جو شبه الجزيرة، ومن بين هؤلاء العالم الإيطالي (كيتاني)[1] في كتابه **دراسات في تاريخ الشرق**، الذي يرى فيه أن هذا التغير قد ظهر قبل الميلاد بنحو عشرة آلاف سنة. وقد أشار (كيتاني) إلى أن هذا التغير لم يكن تأثيره محسوساً إلا قبل الميلاد بنحو خمسة آلاف سنة. وقد ساند (كيتاني) كل من (هومل) و(كلاسر)[2]. ورغم معارضة بعض العلماء لهذا الرأي إلا أن الوضع المناخي لهذه المناطق، والمناطق الأخرى المشابهة لها تسير بالفعل نحو التصحر التدريجي منذ العصر الحجري الحديث وحتى الآن. إن هذا الوضع الجديد في منطقة شبه الجزيرة العربية اضطر السكان الذين كانوا من الصيادين إلى أن يكيفوا أنفسهم بحسب الوضع الجديد، فبدأوا الاعتماد على انتقاء بعض الحبوب الزراعية مثل القمح والشعير والذرة، وبدأ الإنسان منذ ذلك الوقت في التعرف على طرق الزراعة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى بدأ في تدجين بعض الحيوانات، ولهذا بدأ الإنسان يستقر في مناطق ثابتة تمتاز بالرطوبة اللازمة، سواء أكانت دائمة أم موسمية، وذلك للاستفادة منها للزراعة ولحياة الحيوانات[3].

يرى الكثير من العلماء بأن شبه الجزيرة العربية كانت المسرح الأول لنشوء الزراعة واستئناس الحيوانات. ورغم أن الزراعة والحيوانات عرفت في بلاد الرافدين ومنطقة وادي النيل منذ بداية التاريخ إلا أن هذه المناطق لم تعرف النباتات الزراعية والحيوانات بحالتها البرية والطبيعية. ويرى العالم الألماني (شوينفرت) أن الحضارة متمثلة في الزراعة واستئناس الحيوانات أول ما عرفت في منطقة شبه الجزيرة العربية، ثم انتشرت منها

---

(1) جواد علي، المفصل، الجزء الأول، ص ص 242 – 245.

(2) نفس المرجع السابق، ص 248.

(3) المرجع نفسه، ص 241.

إلى سومر وبابل وأشور ومنطقة وادي النيل[1]. وبالفعل فقد أكدت الاكتشافات الأثرية أن أقدم ظاهرة للاستيطان كانت بشبه الجزيرة العربية كما يظهر من المكتشفات التي عثر عليها بالعديد من المناطق مثل: كلوة بالسعودية وفي بعض مناطق البحرين والكويت وحضرموت، ومناطق أخرى من جنوب شبه الجزيرة العربية. وتعود هذه المكتشفات للفترة ما بين (12 – 8) الآف سنة قبل الميلاد، وهي الفترة التي بدأ فيها إنسان تلك المناطق يتعرف إلى زراعة بعض الحبوب مثل القمح والشعير والذرة، وإلى استئناس بعض الحيوانات مثل الضأن والبقر والماعز[2].

دور التقلبات المناخية في الهجرة والانتقال:

لم تكن الهجرات دائماً في اتجاه واحد، بل حركة دائمة تأخذ جميع الاتجاهات. وربما تكون هذه الهجرات لعوامل مناخية أو سياسية أو اقتصادية أو حربية[3]. ولذلك فإن المجموعات السكانية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية لم تكن هجرات بالمعنى الذي نفهمه، بل كانت عبارة عن حركة دائمة لقبائل أو جماعات تنتقل من مكان إلى آخر طلباً للعيش، أو هرباً من نظام حكم جائر، أو خوفاً من عدو ظالم. وتشير معظم النظريات إلى أن الهجرات السكانية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية إلى أوطانها الجديدة كانت بسبب قلة موارد الرزق، نظراً للتغيرات المناخية التي طرأت في طبيعة المنطقة. وقد تصور بعض الباحثين أن شبه الجزيرة العربية كخزان

(1) ول ديرانت، قصة الحضارة (ترجمة محمد بدران)، الجزء الثاني، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1965م، ص43.

(2) جواد علي، المفصل، الجزء الأول، ص534.، وكذا: محمد المختار العرباوي، البربر، ص124.

(3) جواد علي، المفصل، الجزء الأول، ص252.

ضخم من البشر يفيض بما يزيد عن طاقته إلى الخارج في موجات متعاقبة[1] نحو الكثير من المناطق المجاورة والتي تمتاز بوفرة المياه سواء كانت أمطاراً أم أنهاراً، خاصة نحو الشمال والغرب. ويرى (كيتاني) أن شبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل التاريخ كانت جنة من جنات الأرض. وقد رأى بأن جنة عدن التي وردت في التوراة كانت شبه الجزيرة العربية[2]. لقد ساند كل من (كلاسر) و(هومل) رأي كيتاني، حيث أشارا إلى أن الأودية الجافة الموجودة في الوقت الحاضر بشبه الجزيرة العربية مثل وادي الدواسر ووادي الرمة، ووادي السرحان، ووادي حوران، ربما تكون الأنهر نفسها التي وردت في التوراة عند الحديث عن جنات عدن[3]. وقد أشار هؤلاء العلماء بأن الطبيعة قست على المنطقة فأبدلتها صحارى ورمالاً، مما اضطر السكان إلى الارتحال عنها إلى أماكن تتوفر فيها المياه. فكانت الهجرة نحو بلاد الرافدين والشام ووادي النيل والصحراء الكبرى والمغرب القديم.

وتعتبر الفترة الواقعة ما بين (18) ألف سنة قبل الميلاد حتى الوقت الحاضر من أصعب فترات الجفاف التي مرت بها المنطقة التي تقع حول مدار السرطان[4]. وقد كانت شبه الجزيرة العربية أكثر المناطق تضرراً من هذا الجفاف بسبب بعدها عن المحيط الأطلسي من جهة، ومن جهة أخرى بسبب الحواجز الطبيعية التي تمثل عائقاً هاماً وعنصراً من عناصر تكون الجفاف بالمنطقة. لقد كان هذا الجفاف قاسياً على حياة الإنسان والحيوان

(1) نفس المرجع، ص240.

(2) المرجع نفسه، ص243.

(3) جواد علي، المفصل، الجزء الأول، ص244.

(4) محمد المختار العرباوي، البربر. ص135.

والنبـات، الأمـر الـذي جعل الإنسـان يتجه نحـو الهجرة والتنقـل[1]. ويرى بعـض الباحثيـن أن أصحاب الحضـارة النطوفية التي تم التعـرف عليها في منطقة الشام في حدود (13) ألف سنة قبل الميلاد إحدى تلك الهجرات[2]. وكان مـن بيـن تلك الهجرات أصحاب الثقافـة العاتيرية في منطقة المغرب القديم. ويرى معظم الباحثين أن أصحاب هذه الثقافة جاءوا من الشرق إمّا مـن منطقة شـبه الجزيرة العربية أو من منطقة الشـام، وذلك لتشـابه أدوات هذه الثقافة مع الأدوات التي تم الكشـف عنها في فلسـطين[3]. وفي حدود الألف السـابعة قبل الميلاد ظهرت الثقافة القفصية بالمغرب القديم. ويؤكد معظـم الباحثيـن أن أصحـاب هـذه الثقافـة جـاءوا مـن الشـرق مثلهم مثل أصحاب الثقافة العاتيرية. ويرى فيهم المؤرخ الفرنسـي (ديزنج) بأنهم أبناء عمومـة مع أصحـاب الثقافة العاتيريـة[4]. أما في العصـر الحجري الحديث ومـا بعـده فإن الهجرات التي انطلقت من شـبه الجزيـرة العربية تكاد تكون معروفة معرفة تامة، وقد أكدها الكثير من الباحثين.

لقـد دلـت الآثار التي كُشـف عنها فـي منطقة ما بيـن النهرين على أن أولـى الهجـرات التي انطلقت من شـبه الجزيـرة العربية إلـى منطقة ما بين النهرين كانت حوالي الألف الخامسـة قبل الميلاد[5]. إن هذه الاكتشـافات لا تنفـي حـدوث مثل هذه الهجـرات نحو هـذه المنطقة قبل هـذا التاريخ

(1) هـ. فور، الإطار الزمني. ص 388.
(2) محمد المختار العرباوي، البربر، ص 135.
(3) رشـيد الناضـوري، المغـرب الكبيـر فـي العصـور القديمـة أسسـها التاريخيـة الحضارية والسياسية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م. ص ص 96 – 98.
(4) جيـان ديزنـج، البربر الأصليون، (تاريـخ إفريقيا العام)، الجزء الثاني، اليونسـكو، باريس، 1983م. ص 431.
(5) محمد المختار العرباوي، البربر، ص 135.

بزمن طويل[1]. والجدير بالذكر أن الاكاديين والعموريين والكنعانيين والآراميين هم جزء بسيط من تلك الهجرات التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية. ولقد أشار عالم الآثار المصرية (غوستاف جيكي) في كتابه **تاريخ المدنية المصرية**، أن سكان منطقة وادي النيل في ما قبل الأسرات جاءوا إليها من شبه الجزيرة العربية في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد. وقد أشار بأن الأسرة المصرية الأولى كانت من هؤلاء القادمين[2]. وقد أكد عالم الآثار المصري أحمد فخري بأن هذه الجماعات التي قدمت من شبه الجزيرة العربية في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد كانت ثقافتها أرقى من ثقافة سكان منطقة وادي النيل في ذلك الوقت. وتؤكد الاكتشافات الحديثة بأن عصر التعدين[3]، خاصة تعدين النحاس والحديد، وفنون التحنيط لم تبدأ في منطقة وادي النيل إلا مع وصول الهجرات الجديدة القادمة من شبه الجزيرة العربية[4]. لم تقتصر الهجرات التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية على منطقة ما بين النهرين ووادي النيل فقط، بل انطلقت أيضاً نحو شرق إفريقيا. وقد أشار ش. (فيلد)[5] إلى أن أولى تلك الهجرات كانت في العصر الحجري الحديث، ولم تكن تلك الهجرات هي الوحيدة نحو شرق إفريقيا، بل كانت كثيرة ومتعددة، وقد انطلقت معظمها من جنوب شبه الجزيرة العربية نحو الحبشة والصومال، وقد نشرت في تلك المناطق بعض اللهجات اليمنية القديمة مثل الجعزية والأمهرية[6]. ولم تتوقف تلك

---

(1) نفس المرجع السابق، ص135.

(2) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة العراقية، بغداد، 1981م، ص ص 188 – 189. وكذا: محمد المختار العرباوي، البربر، ص137.

(3) أحمد سوسة، العرب واليهود، ص188. وكذا. محمد المختار العرباوي، البربر، ص137.

(4) أحمد سوسة، العرب واليهود، ص188.

(5) جواد علي، المفصل، الجزء الأول، ص137.

(6) محمد المختار العرباوي، البربر، ص101، 102.

الهجرات عند شرق إفريقيا فقط، بل اتجهت شمالاً نحو السودان ومصر والصحراء الكبرى وشمال إفريقيا[1]. وقد تأكد العلماء بأن أصول هذه الجماعات واحد بسبب تشابه المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في تلك المناطق[2]. لقد انطلقت آخر الهجرات في العصور القديمة من جنوب شبه الجزيرة العربية نحو الشمال، حيث وصل الأنباط إلى بادية الشام وجنوب فلسطين وشمال الحجاز وشبه جزيرة سيناء في حدود 500 قبل الميلاد. وقد أسسوا دولة الأنباط التي كانت عاصمتها البتراء. وقد هاجرت قبائل أخرى في الفترة ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والسادس الميلادي، حيث كونت دولة المناذرة بجنوب العراق، ودولة الغساسنة بجنوب سوريا، ودولة كندة بمنطقة نجد. وقد كان انهيار سد مأرب أحد الأسباب لزيادة الهجرة نحو الشمال.

أصل سكان المغرب القديم من خلال المصادر العلمية المختلفة:

لقد استطعنا طرد الإستعمار وتحرير الأرض، ولكن في المقابل لم ننجح بالقدر الكافي في الإنتصار على العدو من خلال المستوى الثقافي. ولم نستطع إزالة ما كان يزرعه من أفكار مسمومة ونظريات خاطئة، وقد كان لهذه الأفكار والنظريات الاستعمارية آثار سيئة انغرست في عقول الكثيرين، وصارت عند بعضهم قناعات لا يقبلون فيها النقاش بأي حال من الأحوال[3]. ومن خلال هذا العمل المتواضع، سنحاول دراسة الجذور التاريخية لسكان منطقة المغرب القديم، على ضوء مجموعة من الحقائق التي تم التوصل إليها حديثاً، ولتحقيق هذا الهدف سوف نستعين بمجموعة

(1) المرجع السابق، ص142.
(2) المرجع نفسه، ص142، 143.
(3) نفس المرجع السابق، ص7، 8.

من العلوم وعلى رأسها علوم الآثار والأنثروبولوجيا (علم الإنسان) واللغة. وسنحاول بعد ذلك تتبع الأفكار والنظريات التي بثها المستعمر لغرس نزعات الإنقسام بين سكان هذه المنطقة. وسنحاول الرد عليها على ضوء ما توفر لدينا من نتائج علمية حديثة. وتسهيلاً لهذه المهمة سنقوم بتقسيم موضوع هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: المصادر الأثرية، وستتناول بالدراسة هنا أهم الثقافات التي قامت بالمنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى بداية العصور التاريخية.

الفصل الثاني: المصادر الأنثروبولوجية (علم الإنسان)، والنظريات الأوروبية حول أصل سكان المغرب القديم، وهي:

1 ـ النظرية الأولى (الأصل الأوروبي).

2 ـ النظرية الثانية (الأصل الحامي).

3 ـ النظرية الثالثة (جنس البحر المتوسط).

4 ـ نقد النظريات السابقة من خلال البحوث والدراسات الحديثة في مجالات العلوم الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية.

الفصل الثالث: المصادر اللغوية، وتعتبر اللغة الليبية القديمة من أهم المصادر للتعرف عن الجذور التاريخية لسكان منطقة المغرب القديم، وذلك بسبب انتشارها على نطاق واسع في الربع الشمالي الغربي من القارة الإفريقية، وبسبب جذورها التي تنتمي إلى الشرق.

الفصل الأول

سكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية

الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المكتشفات الأثرية.

أ ـ ثقافات العصر الحجري القديم بفروعه الثلاثة (الأسفل والأوسط والأعلى).

ب ـ ثقافات العصر الحجري الحديث وظهور الليبيون القدماء.

ثقافات العصر الحجري الحديث.

سكان الصحراء خلال العصر الحجري الحديث.

من أين جاءت المجموعات السكانية الرعوية؟

جفاف الصحراء الكبرى وأثره في تحركات السكان وانتشار الحضارة.

أ ـ الفنون. ب ـ التحنيط. ج ـ الملابس والزينة. د ـ ممارسة الزراعة.

اسم ليبيا ودلالته وظهور الليبيين القدماء على مسرح التاريخ.
المدلول الجغرافي لاسم ليبيا في العصور القديمة.

أ ـ ليبيا بوصفها ليبيا الحالية.

ب ـ ليبيا بوصفها شمال إفريقيا.

ج ـ ليبيا بوصفها إحدى قارات العالم القديم.

أصل الليبيين القدماء وظهورهم على مسرح التاريخ.

الليبيون القدماء من خلال المصادر الأثرية والتاريخية.

أولاً: المصادر المصرية القديمة:

الليبيون القدماء من خلال المصادر المصرية القديمة.

ثانياً: المصادر الإغريقية والرومانية والبيزنطية:

الليبيون القدماء من خلال المصادر الإغريقية والرومانية والبيزنطية.

سكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية

كان علـم ما قبـل التاريخ في البداية لا يتبع منهجـاً محدداً كما هو عليه الآن، بـل كان الهـواة وحدهـم الذيـن يقومـون بعمليـات التنقيب عـن الآثار والعاديـات، رغبـة منهـم في الحصـول على الثـروات الطائلة مـن جراء هذه الأعمال[1]. لقد بدأت المحاولات الأولى للاسـتفادة من المكتشـفات الأثرية في مجال عصور ما قبل التاريخ منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي. وكان للهولندي (كريسـتيان طومسـن)[2] الدور البارز في وضع نظام يمكن التعرف مـن خلالـه على المسـتويات المختلفـة للتقـدم والمهارات التـي حدثت في عصور ما قبل التاريخ. وقد اسـتطاع (طومسـن) من خلال هذا النظام تقسـيم عصـور مـا قبـل التاريـخ إلـى عصـور حجريـة، وعصـور معدنيـة. ورغم أن (طومسون) لم يقسم العصور الحجرية إلى الفروع المعروفة لدينا الآن، لكنه قسـم العصور المعدنية حسـب اكتشـافها واسـتخدامها من قبل الإنسـان إلى ثلاثـة عصور: عصر النحـاس، وعصر البرونز، وعصـر الحديد، وهذا الأخير امتد حتى العصر الحالي، وعلى هذا الأساس، ومن خلال النظام الذي وضعه (طومسـن) نسـتطيع أن نؤكـد بـأن علماء الآثـار عندما ينقبون عـن الآثار في عصـور مـا قبل التاريـخ، ويعثرون في طبقـة من الطبقات الأثريـة على عظام بشرية إلى جانب فؤوس من الحجر، فإنهم يستطيعون التأكيد أن الموقع أقدم

---

(1) محمد الطاهر العدواني، الجزائر في التاريخ، وزارة الثقافة والسـياحة، المؤسسـة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م. ص52، 53.

(2) تشارلز مايكل دورش، علماء الآثار (ترجمة محمد عبدالفتاح إبراهيم)، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك، 1969م، ص43.

من موقع آخر يجدون به عظام بشرية إلى جانب سيوف من البرونز. وتعتبر هذه الطريقة أقدم وسيلة للتعرف على أزمنة اللقى الأثرية[1]. ولكن أحدث ما توصل اليه العلم الحديث حتى الآن في مجال التعرف على أعمار المكتشفات الأثرية العضوية تتمثل في استخدام النضائر المشعة، ومنها الكربون المشع (14). لقد استطاع العلماء من خلال هذه الطريقة التعرف على أعمار المكتشفات العضوية سواء كانت نباتية أو حيوانية[2]. وبالتالي استطاعوا تحديد أزمنة الحضارات التي تنتمي إليها هذه المكتشفات الأثرية. وقد استفاد العلماء من هذه الطريقة في تأريخ تلك المواد وذلك عندما توصلوا إلى أن الأشعة الكونية الصادرة عن الشمس تصل إلى الغلاف الجوي للكرة الأرضية، وأن (النترونات) الخاصة بهذه الأشعة الكونية تتفاعل مع (النتروجين) الموجود في الهواء، وينتج عن هذا التفاعل الكربون المشع (14) أي ينتج كربون وزنه الذري (14) مضافاً إليه (هيدروجين) وزنه الذري (1). ونظراً لأن هذا الكربون يمتاز بالصفة الاشعاعية، لذلك بمجرد تكونه يمتزج بغاز ثاني أكسيد الكربون الموجود في الجو، وتنتقل هذه الذرات الكربونية المشعة إلى النبات الذي يعتمد في حياته على ثاني أكسيد الكربون، وبالتالي ينتقل إلى الحيوان الذي يعيش على النباتات. «وقد ثبت علمياً أنه عندما تنتهي حياة النبات يبدأ الكربون المشع (14) في التحول التدريجي وبسرعة ثابتة إلى كربون وزنه الذري (12)، وبالتالي يفقد النبات ظاهرة الإشعاع. وقد توصل العلماء إلى أنه عندما تفقد المواد العضوية نصف كمية الكربون المشع (14) يكون عمرها (5568) سنة بزيادة أو نقصان (30) سنة»[3]. وبعد فترة مماثلة تفقد هذه المواد النصف من النصف الباقي، أي يصبح

---

(1) نفس المرجع السابق، ص 43.

(2) رشيد الناصوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1977م. ص 89.

(3) نفس المرجع السابق، ص 90.

الكربون المشـع (14) ربـع الكمية الأصلية. وبعد نحو (33408) سـنة يصبح الكربـون المشـع (1) على (14) مـن (64) من الكمية الأصليـة وهكذا. وبعد العديـد مـن التجارب والتعديـلات والاضافات على هـذه الطريقة أصبح في متناول العلماء تقدير أعمار مواد عضوية موغلة في القدم حتى (44000) سنة مـن الوقـت الحاضر. ولقد تأكـد العلماء من صحة هذه الأرقـام بعد أبحاث عديـدة قـام بهـا الكثير من العلمـاء المختصين. ونذكر من بيـن هؤلاء العالـم الأمريكي و. ف. (ليبّى) أسـتاذ الكيمياء في معهد الدراسـات النووية بجامعة شـيكاغو[1]. وبناءً على ذلك اسـتطعنا من خلال هذا الأسـاس العلمي قياس عمـر بقايا المواد العضوية سـواء كانت نباتية أو حيوانية، كالخشـب والعظام بعد انتهاء الحياة فيها بكل دقة مع احتمال زيادة أو نقصان لفترة زمنية مدتها (30) سـنة فقط، وهذا الزمن البسـيط ليس له ضرر عندما نريد التعرف على أعمار مواد عضوية يرجع عمرها الىعشـرات الألوف من السـنين. ونستطيع التوصـل إلـى عمر هذه المـواد العضويـة إذا علمنا أن الكربون المشـع (14) موجـود في كل المـواد العضوية أثنـاء حياتها بمقادير ثابتة. ولذلك نسـتطيع التعـرف علـى الكميـة المتبقيـة للكربون (14) المشـع لحبات مـن القمح أو لعظام إنسان ترجع لعصور ما قبل التاريخ بكل سهولة لأننا نعرف ما تحتويه حبة القمح أو عظام الإنسـان بعد انتهاء الحياة فيها مباشـرة. ونعرف أيضاً أن المـادة العضوية يكون عمرها (5568) سـنة عندما تفقـد نصف كمية الكربون المشـع (14) التي اكتسـبته أثناء حياتها. وعليه نستطيع تحديد العمر الأصلى لهـذه المواد بعد اعتبار الزمن الذي يسـتغرقه التحول مـن الكربون (14) إلى الكربـون (12)، إن التعرف على عمر هـذه المواد المختلفة والمنتمية لعصور ما قبل التاريخ توفر لنا مادة تاريخية صحيحة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى توفـر لنا الصلات المختلفة التي كانت تربـط حضارات العالم القديم بعضها

(1) المرجع نفسه، ص89. وكذا: محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق، ص29، 30.

بعض. ولم تكن طريقة الكربون المشع (14) الطريقة الوحيدة التي ظهرت خلال هذا القرن، ولكن بالإضافة إلى هذه الطريقة الأساسية هناك عدة طرق أخرى تساعد في التوصل إلى تقويم زمني للمواد الأثرية المختلفة كطريقة التقويم الفلكي، التي يمكن أن تمدنا ببعض التواريخ التي تتعلق بشخصيات تاريخية ضمن حضارات معينة، من خلال مقارنتها مع ظواهر فلكية تحدث في الكون بانتظام. وطريقة التوقيت المتتابع، التي تمدنا بتواريخ بعض المراحل الحضارية من خلال دراسة طرز المكتشفات الأثرية، المتصلة بتلك الحضارة. وطريقة الطبقات الأثرية والتي تفيدنا كثيراً في التعرف على انجازات الإنسان الحضارية، ومدى مكوثه في منطقة من المناطق، من خلال عمل حفريات منظمة تتبع فيها نظام الطبقات الأثرية. وطريقة الدراسة المقارنة، والتي يمكن أن تمدنا بتواريخ دقيقة، من خلال معاصرة حوادث مجهولة التواريخ في حضارة ما، لحوادث أخرى معروفة التواريخ في أقطار أخرى معروفة[1]. وتعتبر طريقة الطبقات الأثرية من أهم طرق التقويم الزمني، وهي مصدرنا الأساسي في الحصول على اللقى الأثرية التي تقوم عليها معظم طرق التقويم الزمني الأخرى، والجدير بالذكر أن الطبقات موضوع الدراسة في هذه الطريقة تتكون كنتيجة طبيعية لسكنى الإنسان في منطقة ما، خاصة الكهوف، ونتيجة لترك الإنسان لهذه المناطق عن طريق الهجرة ربما لأسباب اقتصادية أو دينية أو سياسية، ثم سكنى مجموعة بشرية أخرى في نفس المكان، ثم تركه من جديد، ومجيء مجموعة بشرية ثالثة. إن هذا التبادل للسكن في مكان واحد عبر فترات تاريخية متباعدة من قبل مجموعات بشرية مختلفة، يؤدى إلى تكوّن طبقات تعلو بعضها البعض تمثل آثار سكنى تلك المجموعات حسب أقدميتها من أسفل إلى أعلى. ويقوم العلماء في

(1) المرجع نفسه، ص89. وكذا: محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق، ص29، 30.

العصر الحديث بدراسة سمك تلك الطبقات للتعرف على مدى مكوث الإنسان واستقراره في هذه المنطقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يستطيع العلماء من خلال اللقى الأثرية المتنوعة، والتي تم الكشف عنها في هذه الطبقات التعرف على مدى عمر هذه اللقى الأثرية، وبالتالي إلحاقها بحضارة من الحضارات التي تمثلها تلك الطبقات.

هذه بعض الطرق العلمية التي استعملها العلماء لمعرفة تاريخ الثقافات التي قامت في عصور ما قبل التاريخ. ولا يجب على العلماء في هذا المجال الاقتصار على طريقة واحدة من هذه الطرق التقويمية، بل عليهم الاعتماد على أكثر من طريقة حتى يكون هناك مجال للتأكد والتثبت من تاريخ هذه اللقى الأثرية.

الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المكتشفات الأثرية:

نستطيع من خلال دراسة المكتشفات الأثرية في منطقة المغرب القديم أن نؤرخ للكثير من المجموعات السكانية التي انتشرت بهذه المنطقة منذ العصر الحجري القديم الأسفل وحتى نهاية العصر الحجري الحديث، ومن المعروف أن حياة الإنسان قد تميزت في منطقة المغرب القديم خلال العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط والأعلى بجمع والتقاط غذائه، ولذلك رغم أن هذا الإنسان ثبت أنه استقر في الكهوف وحول العيون والآبار والأودية، إلا أنه كان استقراراً مؤقتاً، فسرعان ما ينتقل إلى مكان آخر ليبحث فيه عن غذائه من جديد وهكذا. وقد نجح الإنسان في هذه المرحلة في صناعة بعض الالآت الحجرية كالفؤوس اليدوية والأزاميل والمكاشط

والمحكات وصناعة الأسلحة الحجرية الدقيقة[1]، ومن خلال الدراسات الأثرية ثم الكشف عن العديد من المواقع المهمة التي تمثل الإنتقال من العصر الحجري القديم الأسفل، ثم إلى العصر الحجري القديم الأوسط، فالعصر الحجري القديم الأعلى، ومنه إلى العصر الحجري الحديث، وسوف نتبع في تقسيمنا لهذه الدراسة الخاصة بالعصور الحجرية بمنطقة المغرب القديم، الانتقال مباشرة من العصر الحجري القديم الأعلى، إلى العصر الحجري الحديث، وذلك لعدم وجود العصر الحجري الوسيط بمنطقة شمال إفريقيا، ويرجع السبب، إلى أن الاطوار الأخيرة للصناعتين الوهرانية والقفصية، التي ظهرت بمنطقة المغرب القديم خلال العصر الحجري القديم الأعلى، تضاهي صناعات العصر الحجري الوسيط في أوروبا وبقية مناطق العالم الأخرى. وعليه فلا وجود للعصر الحجري الوسيط بمنطقة المغرب القديم، ولذلك فالمخلفات الأثرية الكثيرة التي عثرنا عليها في الكثير من المواقع الأثرية، وكذلك الثقافات التي تعود لسكان هذه المنطقة في عصور ما قبل التاريخ، لا يمكن إدراجها إلا ضمن العصرين الحجريين القديم والحديث[2].

أ - ثقافات العصر الحجري القديم بفروعه الثلاثة (الأسفل والأوسط والأعلى):

لقد حاول العلماء البحث عن آثار الإنسان في عصور ما قبل التاريخ من خلال ما خلّفه هذا الإنسان من بقايا مختلفة سواء كانت هياكل عظمية إنسانية أو حيوانية، أو مخلفات مادية كصناعاته الحجرية والعظمية، وقد اتجه العلماء للبحث عن هذه الآثار في كل المناطق التي يعتقد أنها كانت

(1) رشيد الناضوري، المدخل في التحليل، ص ص 99 - 107.

(2) طه باقر، عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة، ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1968م. ص 37، 38.

موطناً مؤقتاً، أو دائماً للإنسان في تلك الفترات الموغلة في القدم مثل: الكهوف والوديان والهضاب والعيون والآبار والبحيرات والصحارى وغيرها من المناطق، وقد قام العلماء بتصنيف تلك البقايا الأثرية المختلفة، وذلك لغرض تحديد المجموعات البشرية التي أنتجتها، ونجم عن هذه الدراسات في منطقة المغرب القديم ظهور ثقافات متعددة، استطاع العلماء توزيعها على المراحل الحضارية الآتية:

1 ـ العصر الحجري القديم الأسفل:

تعتبر فترة العصر الحجري القديم الأسفل من أطول العصور الحجرية، وخلال هذا العصر صنع الإنسان نوعين من الأدوات الحجرية المصنوعة من حجر الصوان، وقد أطلق عليهما أسماء غير عربية، نظراً لأسبقية التعرف عليهما في بعض المواقع الأوروبية، فعرف النوع الأول باسم الدور الايفيلي، بينما عرف الدور الثاني باسم الدور الأشولي، لقد اصطلح العلماء الأوروبيون على تسمية هذه المرحلة التي أنتجت هذه المخلفات باسم الحضارة الشيلية والحضارة الأشولية نسبة لموقعي شيل وأشول بأوروبا الغربية. ولا يعني إطلاق هذا الاصطلاح على أدوات حجرية عثر عليها في مناطق الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية والمغرب القديم، أنها تأثرت بالأدوات التي تم اكتشافها في أوروبا، ولكن هذا مجرد اصطلاح أطلق على أدوات تشابهت في الأشكال والتقنيات. ويلاحظ أن مخلفات هذه المرحلة تنتشر في معظم مناطق الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية والمغرب القديم، وقد وجدت هذه الأدوات متناثرة على وجه الأرض في الخلاء، بالإضافة إلى انتشارها داخل الكهوف والمغارات مما يدل على أن الإنسان في ذلك الوقت كان يلجأ إلى هذه المناطق ليحمي نفسه من شدة العوامل الجوية والأخطار الأخرى التي تهدد حياته خاصة الحيوانات المفترسة، وعثر على أقدم الأدوات التي ترجع لثقافات العصر

الحجري القديم الأسفل في الكثير من الأماكن بمنطقة المغرب القديم، ومن أهمها مواقع تيرنيفينTernifine ووهران والعمارية وعين حنش بالجزائر، وموقع سيدي عبد الرحمٰن بالمغرب، وموقع سيدي الزين بتونس، وموقع هوافطيح بليبيا، وقد عثر على أدوات شبيهة بالأدوات السابقة بالمناطق الشرقية من المنطقة العربية، نذكر منها: موقع العباسية قرب القاهرة بمصر، وموقعي العبيدية والطابون بفلسطين. وقد أطلق (روهلمان) اسم الصناعات الرحمانية على الصناعات التي عثر عليها بمنطقة المغرب، نسبة للموقع النموذجي المعروف باسم سيدي عبد الرحمٰن، وقد كان ينوي تعميم هذا الاسم على كل الصناعات المماثلة التي ترجع للعصر الحجري القديم الأسفل. ولكن رفضت هذه التسمية من قبل الباحثين الفرنسيين[1].

2 ـ العصر الحجري القديم الأوسط:

عثر على أقدم ثقافات العصر الحجري القديم الأوسط بمنطقة المغرب القديم عند بئر العاتر بوادي الجبانة جنوب مدينة تيبسا بالجزائر[2]، عام 1922م، عن طريق (ريجاس) الذي كان يعمل في ذلك الوقت بمدينة تيبسا، وتتمثل هذه المخلفات التي تعود إلى الفترة ما بين (60 – 40) ألف سنة قبل الميلاد[3] في رؤوس سهام كبيرة ومكاشط ونصال طويلة، وقد عرفت هذه الثقافة بالعاتيرية نسبة لموقع بئر العاتر السالف الذكر، ولقد كانت تلك الثقافة تعرف خطأً أحياناً بالثقافة الموريسية، وأحياناً بالثقافة الإيبرية ـالموريتانية، أو الإيبرية ـ المغربية، وذلك اعتقاداً من بعض العلماء وعلى رأسهم (كريير)، الذي التقط بعض الأدوات الحجرية بالقرب من مدينة

(1) محمد الطاهر العدواني، الجزائر في التاريخ، ص156.
(2) L. Balout, Prehistoire de lAfrique du Nord (T.1), Jeune Afrique\ Stock\Unesco, 1980, P.610.
(3) طه باقر، عصور ما قبل التاريخ، ص27.

وهران، بأن أدوات هذه الثقافة ترتبط بأدوات الثقافة التي عثر عليها بإسبانيا، ولذلك يروا بأن منشئ هذه الثقافة بالمغرب القديم جاءوا من إسبانيا[1]. وللأسف الشديد نجد معظم المؤرخين العرب الذين تصدوا للحديث عن تاريخ المنطقة خلال عصور ما قبل التاريخ ساروا على النهج الخاطئ نفسه الذي سار عليه بعض الأوروبيين، حيث أشاروا إلى أن إنسان الحضارة الموريسية هاجر من أوروبا إلى شمال إفريقيا، من خلال معبرين: الأول مضيق جبل طارق، والآخر المضيق الذي يفصل بين تونس وصقلية. ويعتقد هؤلاء الباحثون بأن هذه المعابر كانت عبارة عن معابر برية تصل أوروبا بإفريقيا، وبالتالي يمكن العبور عن طريقها في الاتجاهين. ويروا بأنه السبب في وجود تلك المخلفات الكثيرة التي تنتشر بالمغرب القديم[2]. ولكن هذا الرأي بعيد كل البعد عن الحقائق العلمية، لأن المنطقة كما هو معروف من خلال الأبحاث الجيولوجية والجغرافية، بدأت تعيش في مرحلة دافئة منذ الألف (18) قبل الميلاد، ومما لا شك فيه أن هذا الأمر يؤدي إلى ذوبان الثلوج في الشمال، وبالتالي يؤدي إلى ارتفاع مستوى مياه البحار، وبالتالي إلى غمر الكثير من المناطق اليابسة بالمياه، وهذا الأمر يؤدي إلى عزل إفريقيا عن أوروبا نهائياً، ولذلك لا يمكن أن يتصل السكان بعضهم مع بعض إلا عن طريق البحر، وهذا الأمر لا يمكن أن يحدث قبل الألف الخامسة قبل الميلاد، لأن الإنسان ـ كما سبق الإشارة ـ كانت بداياته الأولى لاستعمال البحر منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، ولهذا السبب نؤيد الدراسات الحديثة التي تشير إلى أن أصحاب هذه الثقافة لم يأتوا من

---

(1) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م. ص 16.

(2) مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م. ص 2.

أوروبا، بل جاءوا من الشرق[1]، إما من منطقة شبه الجزيرة العربية، أو من منطقة الشام، وذلك لتشابه الأدوات الحجرية التي اكتشفت بمنطقة المغرب القديم مع الأدوات التي تسبقها تاريخياً والتي تم العثور عليها في فلسطين[2]، وبعض مناطق شبه الجزيرة العربية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ليس من المعقول قدوم أصحاب هذه الثقافة من إسبانيا أو من صقلية، لأن الملاحة البحرية لم تبدأ بعد في تلك الأثناء. وقد كانت تنقلات البشر في ذلك الوقت عن طريق البر فقط من خلال المعابر البرية المعروفة والتي لم تتغير منذ ذلك الوقت وحتى الآن، وقد أكد علماء الجيولوجيا والجغرافيا عدم تمكنهم من تسجيل أي تغير يذكر في الظروف المناخية والطبيعية لمنطقة العالم القديم طيلة ثلاثة الآف سنة الماضية من التاريخ البشري[3].

وترى كاتون طمسون[4] أن موقع الخنزيرة بالمغرب الأقصى يمثل أقدم مراحل الثقافة العاتيرية، ثم توالت بعد ذلك بقايا هذه الثقافة في الظهور على طول امتداد شمال إفريقيا، حيث عثر على بقايا هذه الثقافة في جنوب الأطلس الصحراوي، وفي ضواحي مدينة بنزرت بتونس، وفي كهف هوافطيح بليبيا، وبواحات سيوة والداخلة والخارجة بمصر. وبناءً على هذا الانتشار الواسع ترجح (كاتون طمسون) إلى احتمال أصل آسيوي لصناعة النصال العاتيرية، وقد تأكد هذا الأصل من خلال الدراسات التي جاءت

(1) جيان ديزنج، البربر الأصليون، (تاريخ إفريقيا العام جزء 2)، جين افريك ـ اليونسكو، 1985م. ص 431، 432.

(2) رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ص ص 96 ـ 98.

(3) J. Desanges, Les Protoberberes, in Histoire Generale de L'Afrique, T.2, Jeune Afriqu Stock - Unesco, 1980, P.457.

وكذا: ف. غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، (ترجمة هاشم الحسيني)، دار الفرجاني، طرابلس، 1970، ص 18، 32، 33.

(4) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص 13.

بعد (كاتون طمسـون)[1]، وذلك من خلال اكتشـاف نمـاذج من هذه الثقافة في السـعودية، وفي السـواحل اليمنية المحاذية للمحيط الهندي. ولقد نفى عالـم الآثار الفرنسـي (بالـوت)، الصلة بيـن الصناعات الحجريـة التي عثر عليهـا فـي المغرب القديـم والصناعات التـي عثر عليها في كهف موسـتيه بفرنسا. أكد أن هذه الثقافة المغربية جاءت من الشرق ولا صلة لها بالثقافة الموسـتيرية[2]. ويؤكـد ماكبرنـي مـن خـلال حفرياتـه التـي أجراهـا بكهف هوافطيح بالجبل الأخضر وجود تماثل بين الصناعات الحجرية التي تعاصر الثقافة الموسـتيرية والتي عثر عليها بهـذا الكهف وبين الصناعات الحجرية التي عثر عليها في السودان ومصر وآسيا الغربية، وهذا يشير بأن الجماعات التي أنشـأت هذه الثقافة بالجبل الأخضر قدمت من الشرق[3]. ويؤكد رشيد الناضـوري فـي كتابـه **المدخـل في التحليـل الموضوعـي المقـارن للتاريخ الحضـاري والسياسـي فـي جنـوب غربـي آسـيا وشـمال إفريقيـا**، إلـى أن الجماعات الإنسـانية التي عاشـت في الشـرق الأدنى القديم ومنطقة وادي النيل والمغرب القديم، كانت على اتصال مسـتمر بعضها ببعض وقد أثرت وتأثـرت بالمجهودات الصناعية والحضارية في هذه المناطق[4]. ومن خلال كل هـذه الدراسـات يتضـح أن أقدم صـلات حضارية بين منطقـة المغرب القديم من جهة والشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية من جهة أخرى يعود للعصر الحجري القديم الأوسط، والجدير بالذكر أن الإنسان في هذه المرحلـة لا يـزال جامعـاً للغذاء متنقلاً من مـكان إلى آخر باحثـاً عن البيئة

---

(1) المرجع نفسه، ص14. وكذا: محمد الطاهر العدواني، الجزائر، ص176.

(2) L. Balout, prehistoirs de l'Afrique du Nord, (in Histoire Generale de L'Afrique ; (t.1) Jeune Afriqu Stock - Unesco, 1980, p.. 608.

(3) C. B. McBurney, Libyan Role in Prehistory, (Libya in History), University of Libya, 1968, P.1-8

(4) رشيد الناضوري، المدخل في التحليل، ص104.

المناسبة لصيده والتقاطه ومعيشته المؤقتة في أماكن تتناسب مع المناخ في ذلك الوقت، ولذلك نرى أن هذه الثقافة جاءت من شبه الجزيرة العربية[1] بصفة خاصة، والشرق الأدنى القديم بصفة عامة، هذا من الناحية الأثرية أمّا من الناحية الأنثروبولوجية فإن ل. (بالوت)[2] يميل إلى أن الإنسان العاتيري أكثر ذكاءاً وتطوراً من إنسان النياندرتال الأوروبي، ولذلك فلا صلة بين الإنسان العاتيري والإنسان الأوروبي.

3 ـ العصر الحجري القديم الأعلى:

تعتبر مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى أهم مراحل العصر الحجري القديم، لأنها تمثل خلاصة التجارب التي واجهها الإنسان في المراحل السابقة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه المرحلة هي التي أوصلت الإنسان القديم إلى المرحلة التي غيرت حياته السابقة تغييراً جذرياً، وذلك بتوصله إلى مرحلة إنتاج الطعام، والعصر الحجري الحديث، وقد تمثلت هذه الثقافة في عدد من المواقع الأثرية المنتشرة من الجبل الأخضر في الشرق، وحتى المحيط الأطلسي في الغرب، ويمثل هذه المرحلة بالجبل الأخضر ثلاثة مواقع وهي: حقفة الطيرة وحقفة الضبعة وكهف هوافطيح، ويمثل المنطقة التي تقع إلى الغرب من الجبل الأخضر، ثقافتين وهما الثقافة الوهرانية والثقافة القفصية.

1 ـ حقفة الطيرة:

تعتبر حقفة الطيرة من المواقع الهامة في منطقة المغرب القديم، وتقع على بعد حوالي (24) كيلومتر إلى الشرق من مدينة بنغازي. وتكمن أهمية

(1) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص14، وكذا. محمد الطاهر العدواني، الجزائر، ص176.

(2) L. Balout, Prehistoire, P. 611.

هـذا الموقـع في أن مكتشـفاته تمثـل مرحلة الانتقـال نحو تقنيـات العصر الحجري الحديث، ويبدو ذلك واضحاً من خلال الأسلحة الحجرية الدقيقة ذات النصال[1].

2 ـ حقفة الضبعة:

لقـد تـم العثور في حقفة الضبعة علـى أدوات حجرية ظهرت خلال العصر الحجري القديم الأوسط، بالإضافة إلى الأدوات الحجرية الدقيقة التـي ظهرت خلال العصر الحجري القديم الأعلـى، في الطبقة الواحدة نفسـها. وهـذا يـدل على أن الإنسـان فـي هـذه المرحلة لم يسـتغن عن أسـلحته السـابقة رغم ظهور الأسـلحة الجديدة، وبالتالي سـار التقليدان القديم والجديد جنباً إلى جنب إلى أن حل التقليد الجديد محل القديم[2]. ترجـع هـذه الثقافـة حسـب رأي (ماكبرنـي) إلـى الفتـرة ما بيـن (40000 - 14000) ألف سنة، وتغطي هذه الفترة معظم العصر الحجري القديم الأعلى، وانتشـرت الثقافة الضبعانية غرباً إلى جنوب شرق تونس والجزائـر، وهـي منطقة سـادت بهـا الثقافة الوهرانيـة[3]. وهـذا يعني أن الثقافـة الضبعانية عاصرت الثقافـة الوهرانية خاصة في مرحلتها الأخيرة، لـم يعثر على هياكل عظيمة للثقافة الضبعانية، ولكن في المقابل وجدت الكثيـر مـن الأدوات الحجريـة تعود لهذه الثقافة منتشـرة فـي الكثير من المواقـع في المنطقة السـالفة الذكـر. ويعتقد (ماكبرنـي) أن صانعي هذه الأدوات ربمـا جـاءوا من شـبه الجزيـرة العربيـة أو الأردن أو العراق[4]. والدليـل علـى ذلك حسـب رأي ماكبرني تشـابه الأدوات المكتشـفة في

---

(1) رشيد الناضوري، المغرب القديم، ص108.

(2) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص16، 17.

(3) محمد المختار العرباوي، البربر، ص106.

(4) C. B. McBurney, Libyan Role, P.4, 5.

منطقة المغرب القديم خاصة في حقفة الضبعة مع تلك الأدوات الأقدم عهداً، والتي اكتشفت في لبنان وفلسطين وهي أدوات أطلق عليها العلماء اسم الصناعات العمرونية[1].

3 ـ **كهف هوافطيح:**

يعد هذا الكهف على درجة كبيرة من الأهمية، مقارنة بالموقعين السابقين، وهو يقع إلى الشرق من مدينة سوسة (ابولونيا)، ولا يبعد هذا الكهف كثيراً عن ساحل البحر، وربما موقعه هذا كان بجانب الطريق القديم الذي كانت الجماعات البشرية تعبره من الشرق إلى الغرب[2]. والكهف عبارة عن تجويف صخري شكله شبه مستدير قطره 80 متر، وارتفاعه 20 متر. ولقد توصل (ماكبرني) من خلال حفرياته بهذا الكهف إلى نتائج هامة غطت فترة زمنية تمتد من (90000) سنة منذ الوقت الحاضر، وحتى بداية الاستيطان الإغريقي بالجبل الأخضر في القرن السابع قبل الميلاد، وعلى هذا الأساس تعتبر النتائج التي توصل إليها بمثابة سجل حي لتاريخ الإنسان في هذه المرحلة[3]. وقد رتب (ماكبرني) النتائج حسب الطبقات الأثرية[4]، من أسفل إلى أعلى بناء على أقدميتها، ويمثل العصر الحجري القديم الأعلى في هذا الكهف الطبقات الثالثة والرابعة والخامسة، ففي الطبقة الثالثة والتي ترجع للفترة ما بين (40000 – 14500) سنة منذ الوقت الحاضر عثر بها على أدوات حجرية شبيهة بالأدوات التي عثر عليها في حقفة الطيرة وحقفة الضبعة، وهي جميعها شبيهة بالصناعة العمرونية، والتي حدد

(1) نفس المرجع السابق. ص4.
(2) رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ص111.
(3) تاريخنا، الكتاب الأول، ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع ق.م.، دار الثراث، 1977م. ص26.
(4) C. B. M. McBurney, Libyan Role, P. 5.

تاريخها ما بين (45000 – 37000) سنة منذ الوقت الحاضر. وقد عثر على نمادج منها في الأردن وفلسطين ولبنان، وفي الطبقة الرابعة، والتي ترجع للفترة ما بين (14500 – 10000) سنة منذ الوقت الحاضر عُثر على أدوات حجرية ترجع للثقافة الوهرانية، أما الطبقة الخامسة والتي ترجع للفترة ما بين (10000 – 7000) سنة منذ الوقت الحاضر، فقد عثر بها على أدوات حجرية سمّاها (ماكبرني) بالثقافة القفصية ـ الليبية.

4 ـ الثقافة الوهرانية:

كان (بول بالاري) أول من اكتشف تلك الأدوات الدقيقة الصنع ذات الأطراف المعقوفة وذلك في مويلح قرب مدينة وهران عام 1909م. وقد أطلق (بالاري) والعلماء الذين ساروا على خطاه على تلك الأدوات اسم الثقافة الايبرو ـ موريسية وذلك اعتقاداً منهم أن صانعي هذه الأدوات يعودون في أصولهم إلى إسبانيا. ودليلهم على ذلك تشابه هذه الأدوات التي عثر عليها (بالاري) بمويلح مع الأدوات التي سبق العثور عليها في شرق إسبانيا، لقد ظل هذا الاعتقاد سائداً بين العلماء فترة من الزمن، ولكن مع بداية الثلاثينات من القرن العشرين بدأ العلماء في التخلي عن اصطلاح ايبرو ـ موريسي، وتوصلوا إلى إلغاء العلاقة بين هذه الأدوات التي عثر عليها في منطقة المغرب القديم ومثيلاتها في إسبانيا[1]. واقترح كل من (جوبير) و(فوفروي) و(بروي) أن تسمى هذه الثقافة بالوهرانية نظراً لاكتشاف أدواتها لأول مرة بالقرب من مدينة وهران. والجدير بالذكر أن هذه الأدوات عبارة عن أدوات حجرية ظهرت في الفترة ما بين الألف الرابعة عشرة، والألف الثالثة عشرة، واستمرت حتى نهاية الألف الثامنة قبل الميلاد، وتتألف من نصال وشفرات ومكاشط ومخارز وأزاميل بالإضافة إلى أدوات

(1) جيان ديزنج، البربر، ص431.

عظمية مصقولة وبيض نعام استعمل كأوعية للشراب[1]. وقد ثبت من خلال العديد من الحفريات أن الثقافة الوهرانية كانت تنتشر على نطاق واسع، بمنطقة المغرب القديم، بل ووصلت حتى مصر. ومن أشهر هذه المواقع تافورالت بالمغرب، وافالوبوالرمل بالجزائر، ووشتاتة بتونس، وكهف هوافطيح بليبيا، والمنطقة ما بين السودان والاقصر بمصر[2]، حيث يرى معظم الباحثين أن أصحاب هذه الثقافة لم يأتوا من إسبانيا لأن هذه المجموعات السكانية وصلت منطقة المغرب القديم قبل بداية الملاحة البحرية عبر المضايق. والجدير بالذكر أن الملاحة عبر مضيق جبل طارق لم تبدأ قبل الألف الرابعة قبل الميلاد[3]. ويرى معظم الباحثين أن أصحاب هذه الثقافة جاءوا من الشرق[4]، وقد انطلقوا من هذه المنطقة نحو الغرب في مجموعتين: سلكت المجموعة الأولى طريقها شمال البحر المتوسط، وهم الذين أطلق عليهم (الكرومانيون) نسبة لمكان بفرنسا وقع فيه التعرف على هذا العنصر لأول مرة. أمّا المجموعة الثانية فقد سلكت طريقها إلى جنوب البحر المتوسط وانتشرت على طول شمال إفريقيا، وقد أطلق على هذا العنصر اسم إنسان مشتى العربي نسبة للمكان الذي وقع فيه التعرف على هذا العنصر لأول مرة، وقد أكد فريق آخر من العلماء وعلى رأسهم (ماكبرني) و(تكسيير) و(ديزنج) أن أصحاب الثقافة الوهرانية لم يأتوا من

---

(1) طه باقر، عصور ما قبل التاريخ، ص33، وكذا: فولفغانغ تاوته، نهاية العصر الحجري القديم في شمال إفريقيا، (كتاب الصحراء الكبرى)، منشورات مركز الجهاد للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م. ص64.

(2) محمد المختار العرباوي، البربر، ص107، وكذا: محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص ص 21 – 24.

(3) L. Balout, Prehistoire, P.61. Et. J. Desanges, Les Protoberberes, P.433.

(4) G. Camps, Berberes aux Marges de l'Histoire, editions des Hiferides, Paris, 1980, P.38. وكذا. محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص 21، 22.

أوروبـا لأن هـذه المجموعة السـكانية كانـت موجودة بالمنطقـة قبل الألف الخامسـة قبـل الميلاد بزمـن طويل وهو التاريخ الذي يحـدده العلماء لبداية الملاحـة البحريـة عبـر المضايـق، وتـدل القرائن علـى أن أصحـاب الثقافة الوهرانية جاءوا من الشرق. ويرى كل من (ماكبرني) و(تكسيير) أنهم جاءوا من شمال السودان، وقد تركوا موطنهم هناك تحت ضغط الشعوب المهاجرة التـي حلـت بالمنطقة[1] ولقد تأكدنا من صحـة هذه الفرضية من خلال نتائج الحفريات التي أجريت بالمنطقة التي تقع بين أسـوان والاقصر، ومن خلال التحاليـل التـي أجريـت علـى بعـض المـواد العضويـة التـي عثر عليها في الحفريات السـالفة الذكر عن طريق الكربون المشـع (14)، وتوصل العلماء إلى أن هذه المواد التي خلفها إنسان تلك الفترة في منطقة وادي النيل يزيد عمرهـا عن (14) ألف سـنة، ومـن خلال الدراسـات الأثريـة المختلفة التي أجريـت علـى الثقافـات التـي حدثت فـي العصر الحجـري القديـم الأعلى بمناطـق وادي النيـل والمغرب القديم، تبيـن أن الأدوات الحجرية التي عثر عليهـا فـي منطقة وادي النيل تشـبه تلك التي عثر عليها فـي منطقة المغرب القديـم، والتـي يطلـق عليهـا اصطلاحاً اسـم الثقافـة الوهرانيـة، ومن خلال تحليل بعض المواد العضوية التي عثر عليها في منطقتى وادي النيل والمغرب القديـم، تبيـن أن الأخيـرة تتأخر زمنياً عـن الأولى، وبناءً علـى ذلك توصل العلماء إلى إثبات صحة الفرضية التي جاء بها كل من (ماكبرني) و(تكسيير) عن الأصل الشـرقي لأصحاب الثقافـة الوهرانية. وعليه فإن أصحاب الثقافة التـي قامـت في منطقة وادي النيل خلال العصر الحجري القديم الأعلى هم السـلف المباشـر لأصحاب الثقافة الوهرانية بمنطقة المغرب القديم[2]. وبناءً علـى كل مـا سـبق لا يمكن اعتبار أصحـاب الثقافة الوهرانية قـد جاءوا من

(1) جيان ديزنح، البربر الأصليون، ص432.

(2) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص24.

إسبانيا أو فرنسا، لأن سكان المغرب القديم في ذلك الوقت يتميزون بميول واتجاهات تتنافى مع ما نجده عند سكان أوروبا في ذلك الوقت[1]. ويظهر هذا الاختلاف الحضاري بوضوح تام في الصناعات العظمية، والإبداعات الفنية التي يمتاز بها أصحاب الثقافة الموريسية في أوروبا، والتي تتمثل في الرسومات الجدارية التي كانت تزين الكثير من جدران الكهوف الأوروبية مثل كهف (لاسكو) بفرنسا، وكهف (التاميرا) بإسبانيا[2].

5 ـ الثقافة القفصية:

بدأت الثقافة الوهرانية في الاختفاء، وبدأت تحل محلها الثقافة القفصية منذ الألف السابعة قبل الميلاد، وقد عرفت هذه الثقافة بالقفصية نسبة لمدينة قفصة بتونس لأنها أول منطقة تكتشف فيها آثار هذه الثقافة، وكان العالم الفرنسي (دي مورجان) أول من أشار إلى الصناعات التي عثر عليها في قفصة.

لقد توزع أصحاب هذه الثقافة في المناطق الداخلية لمنطقة المغرب القديم، وهي مناطق تتمثل في هضاب مرتفعة، وقد سكن أصحاب هذه الثقافة حول بعض البحيرات ومصادر المياه، وقد تبيّن من الحفريات التي أجريت بالمناطق السالفة الذكر أن من بين أهم أغذية أصحاب هذه الثقافة كانت القواقع[3]، ولذلك كانت المواقع القفصية التي كشف عنها مؤخراً عبارة عن تلال صغيرة أهليجية الشكل تتكون من طبقات مختلفة من الرماد والحجارة المحروقة وأصداف الحلزون وعظام بعض الحيوانات بالإضافة

(1) L. Balout, Prehistoire, P.612.

(2) محمد علي عيسى، الرسوم الصخرية الليبية في عصور ما قبل التاريخ، تراث الشعب العدد 1، سنة 1991م. ص ص 2 – 7.

(3) جيان ديزنج، البربر الأصليون، ص 432.

إلى أدوات حجرية وعظمية وبقايا إنسانية، وتسمى مثل هذه التلال الصغيرة بتلال الحلزون، وذلك لوجود كميات كبيرة من أصداف الحلزون المستهلك ضمن بقايا هذه المواقع، ويرى بعض الباحثين أن أصل الإنسان القفصي غير معروف، وأنه يكاد أن يكون مجهولاً[1]. ويجمع معظم الباحثين بأن الإنسان القفصي لم يكن من نسل المجموعات السابقة، وهذا دليل على أنه جاء إلى المنطقة مهاجراً[2]، وقد كان (ماكبرني)[3] على رأس الباحثين الذين لاحظوا تحولاً عرقياً ظهر عند سكان منطقة الجبل الأخضر بليبيا خلال الفترة ما بين (8000 - 5000) قبل الميلاد. وقد استنتج (ماكبرني)[4] هذه الملاحظة من خلال التحول الجذري في الحضارة المادية في تلك الفترة، وقد أطلق على هذه الحضارة اسم الحضارة الليبية ـ القفصية. ويذكر (ماكبرني) أن قدوم هؤلاء القفصيين الذين أسسوا الحضارة الليبية ـ القفصية إمّا أن يكونوا من شبه الجزيرة الإيطالية، والجزر المحيطة بها مثل: جزيرتي صقلية ولوفانسو، وأمّا أن يكونوا من آسيا الصغرى، ونعتقد أن الرأى الأول الذي جاء به (ماكبرني) مرفوض كما سبق التأكيد بسبب انعدام الاتصال البحرى بين السواحل الأوروبية الجنوبية وسواحل شمال إفريقيا في ذلك الوقت. أمّا عن الرأي الثاني فيبدو أن (ماكبرني) كان محقاً في هذا الجانب من نظريته، لأن القفصيين لا يمكن أن يكونوا إلا هجرات شرقية، وقد سبق لـ(فوفروي) حسب ما أورده (شارل أندري جوليان) في كتابه **تاريخ إفريقيا الشمالية إلى** أنه من الأفضل البحث عن أصول القفصيين في مصر[5]، ويؤكد معظم

(1) L. Balout, Prehistoire, P.614.

(2) G. H. Bousquet, Les Berberes, Presses Uneveritaires de Paris, Paris, 1974, p.24.

(3) C. B. McBurney, Libyan Role, P.5.

(4) محمد المختار العرباوي، البربر، ص113.

(5) محمد المختار العرباوي، البربر عرب قدامى، ص113.

الباحثيين في الوقت الحاضر[1] أن أصحاب هذه الثقافة جاءوا من الشرق مثلهم مثل أصحاب الثقافة الوهرانية، لأن هذه الثقافة انتهت في حدود عام (4500) قبل الميلاد، وهي الفترة التي تمثل البدايات الأولى لارتياد البحار، ونظراً لأن الثقافة القفصية قامت ـ كما سبق الإشارة من قبل ـ في المناطق الداخلية فقط، حيث لم يتم العثور حتى الآن على أي آثار مادية تدل على أنها وصلت المناطق الساحلية[2]، لذلك نستبعد أن يكون القفصيون قد هاجروا إلى أوروبا، أو جاءوا من أوروبا[3]، ويرى (جيان ديزنج)[4]، أنه رغم التشابه الكبير بين جماجم ما يطلق عليه البربر الحاليين وأصحاب الثقافة القفصية، إلا أن أجداد البربر لم يصلوا منطقة المغرب القديم إلا في العصر الحجري الحديث، ويرى (جيان ديزنج) أيضاً أن القفصيين هم أبناء عمومة مع أصحاب الثقافة الوهرانية القادمين أيضاً من الشرق.

ب ـ ثقافات العصر الحجري الحديث وظهور الليبيين القدماء:

تعتبر مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى من المراحل المهمة في تاريخ المنطقة حيث ظهرت في المرحلة الأخيرة من هذا العصر الثقافات الضبعانية والوهرانية والقفصية، وقد تمثلت في هذه المرحلة الأخيرة من هذا العصر كل التجارب والخبرات التي تعرف عليها الإنسان في المراحل السابقة، وقد تميزت هذه المرحلة الأخيرة من هذا العصر بمهارات عالية

---

(1) G. Camps, Des rives de la Mediterranee aux Marges Meridionales du Sahara: Les Berberes, Edisud, Paris, 1996. P.14. et aussi G. Camps. Les Berberes memoire et edentite, Editions errance, Paris, 1995. P.29. et aussi, J. Desanges, Les Protoberberes, Histoire Generale de L'Afrique, Jeune Afrique/Stock/Unesco, 1980. P.454.

(2) محمد المختار العرباوي، البربر، ص111.

(3) المرجع السابق، ص111.

(4) جيان ديزنج، البربر، ص433.

فاقت مجهوداته في المراحل السابقة، ولم تقتصر قدرات الإنسان في هذه المرحلة على المجالات المادية فقط، بل تعدت أيضاً هذه القدرات إلى النواحي الفكرية، ويبدو هذا واضحاً من خلال إبداعات الإنسان في الحفر والرسم على جدران الكهوف من الداخل والخارج. وقد تميزت هذه المرحلة أيضاً بظهور بدايات فن النحت، ويبدو ذلك واضحاً من خلال بعض المكتشفات النحتية المصنوعة من الحجر الجيري، والتي تم تشكيلها على شكل أقنعة بشرية وحيوانية، وأحياناً تمثل عضو التذكير وبعض الرموز الأخرى، وقد كانت هذه المنحوتات تحمل أو تعلق بدليل وجود ثقوب فيها لهذا الغرض[1]. ومن بين النواحي الفكرية التي ظهرت في هذه المرحلة اعتقاد الإنسان ـ ولو بصورة بدائية ـ بوجود قوى كامنة في بعض مظاهر الطبيعة تستوجب الاحترام والتقدير، وهي مرحلة مبكرة من الإيمان[2]. إن كل هذه التطورات المادية والفكرية كانت نقطة تحول كبيرة في حياة الإنسان في تلك الفترة، حيث نقلته من مرحلة التقاط طعامه متنقلاً من مكان إلى آخر، إلى مرحلة انتاج الطعام والاستقرار وهو ما يعرف بالعصر الحجري الحديث[3].

ثقافات العصر الحجري الحديث:

مما لا شك فيه أن العصر الحجري الحديث في منطقة المغرب القديم كان أول ظهوره في الصحراء الكبرى، والتي يمثل فيها الآن الجفاف القاسم المشترك، والتي تمثل حيزاً كبيراً من القارة الإفريقية، حيث تمتد من الشرق إلى الغرب على طول (3000) ك. م. ومن الشمال إلى الجنوب على طول

(1) رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ص119.

(2) رشيد الناضوري، المدخل في التحليل، ص ص105 - 107.

(3) نفس المرجع السابق، ص107.

(1500) كيلومتر. إن الصحراء التي نتحدث عنها تختلف كثيراً عن هذه التي نعرفهـا اليوم، حيـث كانت غزيرة الأمطار، تغطيها الغابـات، تتخللها الكثير من الأنهار[1]، وهي مغطاة بالخضرة والأشجار تشبه تلك الخضرة والأشجار التـي تغطـي مناطـق السـفانا اليـوم[2]، وكانـت جبـال الأطلس في الشـمال والمرتفعات البركانية المنتشـرة بأطراف هذه الصحـراء، مكللة بالجليد مثلها مثل بقية السلاسـل الجبلية الأخرى المنتشـرة بالعالـم، ولقد مرت المناطق السـهلية بهذه الصحـراء، أثناء المراحل الجليديـة، بمراحل ممطرة، تكونت خلالها بحيرات كثيرة، ومجار نهرية لا تزال آثارها واضحة حتى اليوم، وقد عثـر عـن بقايا عظام الكثير من الحيوانات مثل: الكركدن والتمسـاح وفرس النهر والفيل والحمار الوحشـي والزرافة والخنزير وسـلحفاة المياه الحلوة، منتشـرة على ضفاف ووسـط تلك البحيرات، التي أصبحت اليوم جافة. إن اكتشـاف الرسـومات الصخريـة التي تمثـل الحيوانات المختلفـة دليل على تلـك الطبيعـة الخضـراء[3]، وقد أيدت بعـض العلوم الحديثـة كالجيولوجيا والآثار وعلم الحيوان، صحة ذلك من خلال العديد من البقايا الجيولوجية

(1) هـ. ج. هوغـو، الصحـراء في ما قبل التاريـخ، تاريخ إفريقيا العـام (المجلد الأول) جين افريك / اليونيسكو، 1980م. ص ص 591 – 592. ورشدي سعيد، الإطار الزمني للمراحل المطرية والجمودية بإفريقيا، تاريخ إفريقيا العام، الجزء الأول، جين افريك/ اليونيسـكو، 1980م. ص 382.

(2) فابريتشيو موري، تادرارت اكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ (ترجمة عمـر البارونـي وفـؤاد الكعبـازي)، مركز جهـاد الليبيين ضد الغـزو الإيطالـي، طرابلس، 1988م. ص 33.

(3) H. J. Hugot, Prehistoire du Sahara, Histoire Generale de L'Afrique, Jeune Afrique/ Stock/Unesco, 1980. p. 637.

وكـذا: فابريتشـيو مـوري، تـادرارت، ص 33. وكـذا: محمد الطاهـر العدوانـي، الجزائر، ص 135، 136.

والأثرية والحيوانية. ومما لا شك فيه أن المنطقة استمرت على هذا الحال من الرطوبة حتى بداية الألف الأولى قبل الميلاد، عندها تحولت إلى أرض جرداء كما هي عليه الآن[1]، ولقد استطاع العلماء في الوقت الحاضر تمييز ثقافتين مختلفتين في الصحراء الكبرى في فترتها المطيرة، تعود للعصر الحجري الحديث، وذلك في المنطقة الممتدة من البحر الأحمر شرقاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً، وبالتالي يمكن التعرف على مرحلتين تاريخيتين مختلفتين:

المرحلة الأولى حدث فيها تطورات عديدة في حياة إنسان المنطقة تمثلت في تقنيات جديدة في صناعة الأدوات الحجرية وصناعة الفخار، وقد تمركزت هذه الثقافة بالمنطقة الواقعة ما بين البحيرات الكبرى جنوباً، وجبال تبستي والأكاكوس وتاسيلي شمالاً[2]. ويرى البعض أن صانعي هذه الثقافة من الجنس الأفريقي[3]، الذي يمتاز ببروز الفك الأسفل، والأنف العريض، وطول السيقان والسواعد، في حين يرى البعض الآخر أنهم خليط من الزنوج والبيض إثر اختلاطهم بشعوب الشرق الأدنى القديم، ولذلك تبدو عليهم السمرة. ويرى معظم علماء ما قبل التاريخ أن المجموعة السكانية التي نشرت هذه الثقافة بتلك المنطقة قدمت من السودان، واتجهت من الشرق إلى الغرب على طول البحيرات الكبرى[4]، ويبدو أنهم كانوا محدودي العدد، وأن انتشار ثقافتهم كان أيضاً محدوداً، حيث لم تتعد

---

(1) هوغو، الصحراء في ما قبل التاريخ، ص610.

(2) نفس المرجع السابق، ص605.

(3) محمد المختار العرباوي، البربر، ص156

(4) ج كي زيربو الفن الإفريقي في ما قبل التاريخ، تاريخ إفريقيا العام (المجلد الأول) جين افريك / اليونيسكو، 1980م. ص692.

آثارهـم المنطقة السـالفة الذكر[1]، وقد أكد (هنري لـوث) في كتابه **لوحات تاسيلي**[2] أن الأدلة المادية سواء كانت خرائب أو مدافن أو هياكل بشرية لم تثبـت تواجد هذا العنصـر الخليط جنوب المنطقة الزراعية بشـمال إفريقيا. ويرى أن تواجدهم لم يتعد شـمال خط العرض الذي يمر بنهر النيجر. لقد عرفت هذه الثقافة بالثقافة السودانية، وذلك لتشابه الفخار في تلك المناطق مـع الفخـار الـذي عثر عليه قـرب مدينـة الخرطـوم. ومن خـلال التحليل والدراسـة تبيَّـن أن تاريخ هذه الثقافة تسـبق الألف السادسـة قبـل الميلاد، ولا وجـود لأي تأثيـر لها بعد هذا التاريـخ. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقـد أشـارت الدراسـات إلـى عدم وجـود دلائـل لتجمعات بشـرية منظمة فىمنطقة الصحراء الكبرى في الفترة التي تسبق الألف السابعة قبل الميلاد، أكدت هذه الدراسـات أن التجمعات السـكانية المكثفة لم تتواجد بالمنطقة إلا مع بداية الألف السـابعة قبل الميلاد[3]، وهذا دليل على أن منشـيء هذه الحضارة جاءوا من خارج منطقة الصحراء الكبرى.

أما **المرحلة الثانية** فيرى فيها معظم العلماء أنها تبدأ مع منتصف الألف السادسـة قبـل الميـلاد، حيـث اسـتمر الإنسـان في هـذه المرحلة يسـتعمل التطـورات السـابقة نفسـها في صناعـة الأدوات الحجرية، وصناعـة الفخار، ولكن الجديد في هذه المرحلة هو توصله لتدجين ورعيه للحيوانات كالضأن والماعـز والأبقـار، ومما لا شـك فيـه أن عملية تدجين الحيوانـات في هذه المنطقـة قـد غيَّرت تغييراً جذريـاً المظهر الاجتماعي لسـكان هذه المناطق،

---

(1) هـ. ج. هوغو، الصحراء، ص ص 612 – 614.

(2) هنري لوث، لوحات تاسيلي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1967م. ص 131

(3) رودلـف كوبـر، مـن الصيد إلـى الرعي، ما هـو العصر الحجـري الحديث فـي الصحراء الكبـرى، (كتاب الصحـراء الكبرى)، مركز جهاد الليبيين للدراسـات التاريخية، طرابلس، 1979م. ص 77.

وغيرت أيضاً الأشكال المرسومة على سفوح الصخور، حيث اختفت الأشكال الأسطورية التي ظهرت خلال دور الرؤوس المستديرة، وحلت محلها موضوعات تمثل الرعي والترحال على ظهور الأبقار، وحلب الأبقار، والحياة القبلية بأشكالها المختلفة[1]. وظهرت بالإضافة إلى ذلك أشكال أخرى مختلفة، وخاصة الأشكال الإنسانية. حيث رسمت تلك الأشكال مطابقة للواقع تمام المطابقة، ولذلك نجد العلماء عند دراستهم للرسومات التي تمثل الإنسان، استطاعوا التعرف من خلالها على أجناس الأشخاص المرسومين بكل دقة، وقد رأى (فابريتشيو موري) في الأشكال البشرية التي تعود لهذه الفترة أنها تمثل عناصر من جنس البحر المتوسط بشكل واضح[2]، وقد أكد أن تواجد هذا الجنس في هذه المنطقة كان الأكثرية المطلقة، لقد استطعنا التعرف من خلال دراستنا لبعض النماذج المرسومة على منحدرات جبال الأكاكوس وتاسيلي أن هذه الرسومات ترجع إلى عدة أدوار[3] تختلف عن بعضها البعض اختلافاً واضحاً من حيث الموضوع، ومن حيث الفترة الزمنية التي تعود إليها، ومن خلال الدراسات الكثيرة التي أجريت حول هذه الرسومات، استطاع العلماء تقسيمها إلى خمسة أدوار وهي:

1 ـ **دور الحيوانات الإستوائية:** يعتقد علماء الآثار أن هذا الدور من أقدم أدوار الرسومات الصخرية بالصحراء الكبرى. وهو يرجع إلى عصر الصيادين. وقد ظهرت في هذا الدور الحيوانات التي تحتاج إلى مصادر دائمة من الماء والحشائش مثل الفيلة والزراف وأفراس النهر ووحيد القرن والتماسيح والقردة (شكل1)، يغلب على رسومات هذا الدور أنها غير ملونة، ويظهر إلى جانب الحيوانات، الصيادون في جماعات وهم يستعملون

(1) ج كي زيربو، الفن الإفريقي، ص688.

(2) موري، تادرارت، ص61.

(3) هنري لوث، لوحات، ص196 – 209. وموري، تادرارت، ص247.

الشباك والهريَ التي تنتهي أطرافها بحراب حجرية، ونلاحظ عليهم أنهم يرتدون أقنعة على شكل رؤوس الحيوانات للتمويه، وذلك لكي يسهل صيد تلك الحيوانات، أو ربما كانوا يصنعون تلك الأقنعة لأغراض دينية[1]، إننا لا نستطيع إعطاء تاريخ محدد للرسومات الصخرية في هذا الدور، ولكن معظم آراء الباحثين تتفق على أنها تعود لفترة تاريخية تسبق الألف الثامنة قبل الميلاد[2].

2 ـ **دور الرؤوس المستديرة**: يلاحظ أن رسومات هذا الدور تشتمل على أشكال بشرية صغيرة ذات رؤوس مستديرة ضخمة مبالغ في ضخامتها، ويلاحظ أن الفنان بدأ يستعمل الألوان في رسم وتلوين رسوماته، حيث كان يحدد في البداية الملامح الخارجية للأشكال، ثم يملأ الرسم بلون آخر غالباً ما يكون الأصفر أو الأخضر أو الأحمر (شكل 2)، يعتقد علماء الآثار أن رسومات هذا الدور ترجع لحوالي الألف الثامنة قبل الميلاد[3].

3 ـ **دور الرعاة**: لقد ظهر خلال هذا الدور قمة الإبداع الفني متمثلاً في الرسومات الصخرية الملونة، والتي تتألف من أشكال حيوانية بأحجام صغيرة رسمت بطريقة طبيعية بديعة. ويلاحظ أن الماشية وهي الحيوانات المفضلة للرسم من قبل فنان هذا الدور، ولكن بالإضافة إلى الحيوانات يمكننا أن نشاهد صور الرعاة خلف حيواناتهم، وهو ما يشير إلى ظهور عملية الرعي (شكل3)، يعتقد علماء الآثار أن تاريخ هذه الرسوم ترجع لفترة زمنية طويلة تبدأ مع نهاية الألف السادسة قبل الميلاد وتنتهي مع نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد.

---

(1) هنري لوت، لوحات، ص 208.
(2) موري تادرارت، ص 247، وكذلك هنري لوت، لوحات، ص ص 196 – 209.
(3) موري، تادرارت، ص 247 وكذلك هنري لوث، لوحات، ص ص 196 – 209.

4 ـ **دور الحصان**: لقد ظهرت رسومات الحصان على واجهات الصخور أحياناً على شكل منفصل، وأحياناً أخرى متصل بعربة، وكانت العربة تجر بأكثر من حصان في معظم الأحوال (شكل 4)، ويعتبر دخول الحصان للمنطقة نهاية لعصور ما قبل التاريخ بالنسبة لمنطقة الصحراء. وقد ارتبط دخول الحصان مع أقوام تنتمي لجنس البحر المتوسط وهي أقوام كانت على علاقة وطيدة مع الثقافات القديمة السائدة في ذلك الوقت[1]، ويرى العلماء أن بداية دخول الحصان إلى المنطقة كان في الفترة ما بين (2000 - 1500) قبل الميلاد[2].

5 ـ **دور الجمل**: لقد ظهرت رسومات الجمل في هذا الدور مرسومة على الصخور باللون الأحمر على شكل قوافل (شكل 5)، ونلاحظ أن النماذج الفنية التي ظهرت خلال دوري الحصان والجمل متواضعة جداً بالمقارنة مع التقاليد الفنية الرائعة التي ازدهرت خلال دور الرعاة، وقد بدأت رسومات الدورين الأخيرين تخبو بالتدريج حيث لفظت هذه التقاليد الفنية آخر أنفاسها مع وصول الجمل إلى المنطقة، ويرى (موري) أن وصول الجمل كان خلال تحول المنطقة إلى صحراء قاحلة[3]، والتي يحددها معظم علماء ما قبل التاريخ مع بداية الألف الأولى قبل الميلاد.

ومن خلال الدراسات الكثيرة التي أجريت حول الآثار المنسوبة لهذه الأدوار تبين أنها تمتاز بأسلوبين مختلفين: الأول وهو الأقدم زمنياً، ويرى البعض أن تنفيذ هذا الأسلوب ربما كان على يد فنانين زنوج، في حين يرى

(1) موري، تادرارت، ص247، ص ص196 - 209.
(2) المرجع السابق، ص246. وأيضاً ج. كي زيربو، الفن الإفريقي، ص669.
(3) موري، تادرارت، 246.

البعض الآخر بأنه ربما كان من عمل فنانين من جنس البحر المتوسط، الذين لم يتم تعريفهم تعريفاً كاملاً حيث يراهم البعض بيض، ويراهم البعض الآخر خليطاً هجيناً[1]. ويندرج ضمن هذا الأسلوب دوري الحيوانات الاستوائية والرؤوس المستديرة، أما الأسلوب الآخر فهو الأحدث زمنياً وأعماله من صنع فنانين بيض بالكامل، ويندرج ضمن هذا الأسلوب الأدوار الثلاث الأخيرة وهي دور الرعاة، ودور الحصان، ودور الجمل. وأهم ما يقال عن هذين الأسلوبين أنهما لا يتصلان من قريب أو من بعيد باللوحات التي عرفت خلال العصر الحجري القديم، منذ أكثر من عشرة الآف سنة قبل الميلاد بكهفي (لاسكو) بفرنسا و(التاميرا) بإسبانيا[2]، ولا باللوحات التي عرفت في جنوب إفريقيا[3]. وكما سبق الإشارة من قبل، فإن الأعمال الفنية التي تسبق دور الرعاة تتميز بأنها من تنفيد مجموعات سكانية خليط بين الزنوج والبيض، وهي تمتاز بغياب مايؤكد أنها قامت بتدجين الحيوانات، حيث أنها تسبق فترة ظهور قطعان الماشية[4]، في حين أن الأعمال الفنية التي ظهرت مع بداية دور الرعاة كان لها معطيات جديدة، حيث وضحت لنا النظام الاجتماعي السائد بالمنطقة، بالإضافة إلى تغير طابع الرسوم التي تمثلها، حيث الأعمال الفنية التي ظهرت مع بداية دور الرعاة كان لها معطيات جديدة، حيث وضحت لنا النظام الاجتماعي السائد بالمنطقة، بالإضافة إلى تغير طابع الرسوم التي تمثلها، حيث اختفى الأسلوب الأسطوري الذي كان يسود دور الرؤوس المستديرة، وحل محله الأسلوب الواقعي.

---

(1) ج. كي زيربو، الفن الإفريقي، ص692.
(2) ج. كي زيربو، الفن الإفريقي، ص 690.
(3) هنري لوت، لوحات، ص9.
(4) موري، تادرارت، ص37.

سكان الصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث:

لقد توصلنا من خلال دراسة الرسوم التي تمثل الأشكال البشرية في دور الرعاة إلى أن ملامح هذه الأشكال البشرية ليس بها أي مؤثرات زنجية بل إنها تمتاز بتقاطيع الوجه المتناسق ولون البشرة البيضاء أو الوردية الفاتحة، والشعر الأصفر. وهذا ما دعى البعض إلى ربط هؤلاء بالقبيلة الليبية القديمة التي وردت في النصوص المصرية القديمة والمعروفة باسم التمحو[1] ذات البشرة البيضاء والشعر الأشقر والعيون الزرقاء، وقد ربط كل من (كامبس)[2] و(موري) رسومات هؤلاء الرعاة بجنس البحر المتوسط، وقد أكدت لنا الدراسات الأثرية التي أجراها (فابريتشيو موري) بمنطقة الأكاكوس صحة ذلك حيث تم العثور على العديد من المناظر التي تمثل أشكالا بشرية تمتاز بالصفات السالفة الذكر، ومن بين النماذج المعبرة عدة لوحات: إحدى هذه اللوحات عثر عليها في منطقة وأن أميل بالأكاكوس (شكل 6) وهي تمثل رجال يسرحون شعورهم أحياناً بأنفسهن وأحياناً أخرى بمساعدة رفقائهم، ومن خلال هذه اللوحة نلاحظ أن لون الشعر أحياناً أصفر، وأحياناً رمادي، وفي بعض الأحيان بدون تلوين، فأخذ لون الصخر البني الشكل. ومما لا شك فيه أن تواجد أشخاص ذوي شعر أصفر وبشرة بيضاء لا يتعارض مع ما هو معروف من وجود الشعر الأشقر بشمال إفريقيا منذ عصور ما قبل التاريخ، وقد أثبتت الحفريات الأثرية وجود الشعر الأشقر بمنطقة العمري بوادي النيل ترجع إلى فترة ما قبل الأسرات الفرعونية[3]. يرى البعض في المنظر السالف الذكر أنه يمثل نساء يسرحن شعورهن وأخريات يصففن شعورهن على شكل خوذة، في حين يرى البعض الآخر أن هذا لا يمثل

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص 159.

(2) G. Camps, Les Berberes Memoire et edentete, Edition errance, Paris, 1995. P. P.41-45.

(3) موري، تادرارت، ص ص 59 – 60.

شعراً، بل هو نوع من غطاء الرأس[1]، لكننا نعتقد أن الذي نراه في هذا المنظر يمثل رجال وليس نساء كما يرى موري، وهذا واضح من خلال لحي الرجال ومن خلال وجود النبل والقوس الذي يوجد بالقرب من الرجل المنهمك في التزين (شكل 7). هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المنظر يمثل رجال في مسـابقة عامة للتزين، والفائز سـتكون له جائزة ذات قيمة عالية، بدليل وجود بعض الأشـخاص جاهزين في صفوف منتظمة، والبعض الآخر يحاول عمل النظـرة الأخيرة على زينتـه قبل الدخول في الصفوف لبدء المسـابقة واختيار الأفضل زينة من بين أولئك الأشـخاص (شـكل 8). توجـد لوحة أخرى عثر عليها في وادي تاشـوينت أيضاً بالأكاكوس، وهي عبارة عن منظر به شـكلان متقابـلان كل منهمـا يحمل عصـى الرماية (العكاز)، وهي مـن الأدوات التي استعملت كأسلحة في عصور ما قبل التاريخ. الشكل الذي على اليسار رسم بملامح جانبية ويتدثر بثوب أسود قصير، ملامحه الجانبية بلغت حد الكمال رغم أن العين لا تظهر في الرسـم. لقد جـاءت ملامح الوجه في غاية الدقة، حيـث الجبهة العالية والأنف الدقيق والشـفتان الرقيقتان والذقن الصغير. أما الشـكل الـذي علـى اليميـن فهو الآخـر يمتاز بنفـس ملامح الشـكل الأول. الشكلان لونت أجسامهما باللون الوردي الفاتح (شكل 9). يرى (موري) بأن ملامح أشـخاص اللوحتين أوروبيـة[2]، في حين يرى (هنري لوث)[3] أن هذه المجموعـة الجنسـية تمثل خليطاً من شـعوب البحر والليبييـن القدماء الذين تحالفـوا مـع بعضهم البعض لغـزو منطقة وادي النيل فـي نهاية الألف الثانية قبـل الميلاد، ولكن بعد فشـلهم توجهـوا إلى المناطـق الصحراوية لاتخاذها وطنـاً لهم، وإننا نخالف (هنري لوث) فـي هذا الرأي لأنه ليس من المعقول

(1) نفس المرجع السابق، ص 130.
(2) المرجع السابق، ص 127، ص 180.
(3) هنري لوث، لوحات تاسيلي، ص 128.

أن تتجه هذه الشعوب نحو الصحراء الجرداء، في حين تحت تصرفها مناطق شمال إفريقيا الخضراء، وبإمكانها أيضاً العودة من حيث أتت. وبالفعل تؤكد بعض الدراسات[1] بأن مجموعات من هذه الشعوب رجعت إلى أوروبا للاستقرار بها، حيث يفترض أن (الشردان) و(الشكلش) اتخذوا من جزيرتي سردينيا وصقلية على التوالي وطناً لهم، وأن (التورشا) الذين يرى فيهم الباحثون بأنهم الأترسكيين، نزلوا فيما بعد بسهل اترورِيا بإيطاليا، وكان لهم دور حضاري بارز في تاريخ الرومان المبكر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأدلة الأثرية والتاريخية لا تؤكد تواجد شعوب البحر عند السواحل الليبية القريبة من مصر، وفي هذا السياق يفترض العالم الفرنسي (دريوتون فانديه) بأن الملك المصري مرنبتاح قد اصطدم بجيوش شعوب البحر إما في فلسطين، وإما على الساحل عند دلتا النيل، وبناء عليه فمن المستحيل أن تكون هذه الشعوب قد تحالفت مع الليبيين القدماء، وهاجموا منطقة وادي النيل من الغرب، لأن الأراضي التي تقع إلى الغرب من منطقة وادي النيل حتى البطنان، مناطق قاحلة لا تصلح لإقامة شعوب تبحث عن موطن تتوفر به إمكانات العيش السعيد، ولذلك فهذه الشعوب الغريبة عن المنطقة، لم تستقر هناك ولم تهاجم منطقة وادي النيل من الغرب تحت إمرة الليبيين القدماء، وبالتالي بعد فشلها في مهمتها لم تتوجه نحو الصحراء الكبرى للاستقرار بها، كما يرى (هنري لوث)، ونعتقد أن شعوب البحر التي ذكرت مع قبيلتي الليبو والمشوش اللتان هاجمتا منطقة وادي النيل في ذلك الوقت ذكرت ضمن الهجمات الكثيرة التي واجهها الملك مرنبتاح والتي كان بعضها من الشرق، والبعض الآخر من الغرب، ليس هذا فحسب، بل إن الأدلة الأثرية لا تؤيد استقرار هذه المجموعات بالمنطقة التي تقع إلى الغرب

---

(1) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت، ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي، 1968م. ص70.

من وادي النيل، حيث لم يعثر على أي أثر إيجابي يشهد بأن شعوب البحر قد قدمت إلى ليبيا واستقرت بها على نحو دائم في ذلك الوقت[1]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الأدلة العلمية المختلفة تؤكد أن الصحراء مع نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد تحولت بالتدريج إلى أراضي قاحلة جرداء[2]. وبالتالي أصبحت في حالة طرد لسكانها وليست في حال استقبال مهاجرين جدد، وفي هذا السياق نجد (هنري لوث) يناقض نفسه، حيث يؤكد في موضع آخر من كتابه السابق، بأن المنطقة المعروفة اليوم بالصحراء الكبرى بدأ يحل بها التصحر ابتداء من الألف الرابعة قبل الميلاد، ولم تأت الألف الثانية قبل الميلاد إلا وقد تحولت إلى صحراء قاحلة لا تصلح لحياة الحيوانات التي لا تستطيع العيش بدون توفر الماء والكلأ. وقد أشار أيضاً، إلى أن سكان الصحراء أنفسهم بدأوا يغادرونها نحو الشرق في بداية الأمر، ثم نحو الجنوب، ثم إلى كل منطقة تتوفر فيها الأعشاب والماء لماشيتهم، وقد أشار إلى أن الإنسان كان قد أسهم في عمليات التصحر التي حلت بالمنطقة، وذلك بسبب الإفراط في الرعي، الذي نجم عن القطعان الكثيرة والتي نجد اليوم صورها مرسومة على معظم السفوح الجبلية بالصحراء الكبرى، وقد أشار أيضاً، إلى أن التصحر المتزايد أسهم في طرد الحصان من المنطقة، وإحلال الجمل مكانه، وذلك لإمكانياته في اختراق الصحارى وتحمله للجوع والعطش[3]. ونعتقد أن شعوب البحر ليست أحسن حالًا من

(1) فرانسوا شامو، في تاريخ ليبيا القديم، الإغريق في برقة الأسطورة والتاريخ، (ترجمة محمد عبدالكريم الوافي)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1990م. ص42، 43.

(2) هـ. ج. هوغو، الصحراء، ص610.

(3) هنري لوث، لوحات، ص153. وهنري لوث، الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى، (كتاب الصحراء الكبرى)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م. ص106.

الحصان في مقاومته للجفاف، وليست في مقدرة الجمل في التغلب على قسوة الصحراء، لقد وضح (هنري لوث) عملية ظهور هذه المجموعات السكانية ذات البشرة البيضاء والوجوه الشبيهة بالوجوه الأوروبية وانتشارها في الصحراء الكبرى، عن طريق الرسوم الصخرية التي تمثل مربي ورعاة البقر، وممتطي العربات التي تجر عن طريق الخيول، وقد أشار بأن توسع هذه المجموعات البشرية كان توسعاً ذا طابع سياسي وعسكري، وقد وضح بأن انتشار وتوسع هذه المجموعات السكانية كان على ثلاث مراحل زمنية: الأولى في بداية دور الرعاة، والثانية في حدود منتصف دور الرعاة، والأخيرة كانت مع ظهور العربات التي تجر بواسطة الخيول[1]، أي أثناء دور الحصان. ومن خلال هذه التفاصيل يبدو واضحاً أن زمن انتشار هذه المجموعات السكانية كان في الفترة ما بين منتصف الألف السادسة ونهاية الألف الثالثة قبل الميلاد. وفي هذا الصدد نؤكد بأن القرائن الأثرية تشير إلى أن الملامح التي يرى فيها (موري) و(لوث) بأنها ملامح أوروبية ظهرت في شمال إفريقيا، في أكثر من مرة، حيث استطعنا التعرف عليها من خلال الوثائق المصرية القديمة ابتداءً من الألف الثالثة قبل الميلاد، عندما أشارت إلى قبيلتي التمحو والليبو[2]. وعليه فإن الرسومات التي تمثل أشكالاً بشرية، والموجودة بالصحراء الكبرى خلال العصر الحجري الحديث ابتداءً من الألف السادسة قبل الميلاد لا صلة لها بالجنس الأوروبي، بل هي عناصر موجودة بالمنطقة قبل أن يستعمل الإنسان البحر في تنقلاته بزمن طويل[3].

(1) هنري لوث، الطوارق، (كتاب الصحراء الكبرى)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ص 244.
(2) فرانسوا شامو، في تاريخ، ص ص 32 - 35.
(3) جيان ديزنج، البربر، ص 433.

من أين جاءت المجموعات السكانية الرعوية؟

لقد تأكدنا من خلال الأدلة الأثرية والتاريخية تواجد هذا الجنس بمنطقة الصحراء منذ الألف السادسة قبل الميلاد، ولكن السؤال الذي ما زال مطروحاً حتى الآن من أين جاءت هذه المجموعات السكانية التي تمتهن الرعي؟ لقد أجاب معظم المختصين في التاريخ القديم بأن مصدر هذه الهجرات كانت من شبه الجزيرة العربية، حيث أكدوا بأن الهجرات التي وصلت الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا قادمة من الشرق، سواء من منطقة جنوب غربي آسيا، أو من شبه الجزيرة العربية[1]. ويرى معظم العلماء بأن شبه الجزيرة العربية كانت قديماً تزدحم بالسكان كأنها خزان هائل للمياه عندما يمتلئ لا بد من إفاضة ما يزيد عن سعته على الجوانب[2]، وتشير المصادر الأثرية أن شبه الجزيرة العربية بالفعل كانت في الفترة ما بين (120000 - 18000) سنة قبل الميلاد تغطيها الغابات والنباتات والأعشاب، وتسكنها المجموعات البشرية على امتداد مساحتها، ولكن مع بداية الألف العاشرة قبل الميلاد انتهت الظروف المواتية للحياة السعيدة للسكان، وبدأت بالتالي تتحول من مناطق خضراء مأهولة بالسكان إلى امتدادات صحراوية جافة مجدبة، ولم تأت الألف الخامسة قبل الميلاد إلا وكانت المنطقة كلها صحراء كما نعرفها الآن[3]، ولذلك اضطر السكان أن ينزحوا من المنطقة بالتدريج كلما زاد زحف التصحر على منطقة من المناطق، وقد أدى ذلك إلى قيام موجات من الهجرات نحو الشمال والجنوب والغرب،

---

(1) G. Camps, Les Berberes, P. P 42-45.
وكذا. رشيد الناضوري، المغرب، ص137. ومحمد بيومي مهران، المغرب، ص64.
ومحمد المختار العرباوي، البربر، ص142..

(2) محمد المختار العرباوي، البربر، ص133.

(3) جواد علي، المفصل، (الجزء الأول)، ص248.

وقد بدأت تلك الهجرات على أغلب الآراء منذ الألف العاشرة قبل الميلاد، وكان آخرهـا في العصور القديمة، الهجرة السبئية التي خرجت من جنوب شبه الجزيرة العربية في النصف الأول من القرن السادس الميلادي، ومن بيـن تلك الهجرات التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية، كانت الهجرات التـي وصلـت إلـى الصحـراء الكبرى في دفعـات منذ الألف السادسـة قبل الميلاد. ولقد اتخذت تلك الهجرات طريقين مختلفين، حيث فضلت بعض هـذه المجموعـات أن تتخذ طريقها عبر شـبه جزيرة سـيناء إلى أن وصلت الجهـة الشـرقية من دلتا النيـل. ونظراً لصعوبة ارتياد تلـك المنطقة بالاتجاه نحو الغرب مباشرة، بسبب مستنقعاتها وأحراشها[1]، لذلك اضطرت الاتجاه نحو صحراء شـرقي النيل، ومنها جنوباً إلى مصر العليا وشـمال السـودان. لقد أكد هذه الحقيقة المؤرخ الإغريقي هيرودوت حين أشـار إلى أن مصر فـي عهد الملـك مينا (حوالي 3200 قبـل الميلاد)، الذي يُعتبر أول إنسـان يصبـح ملـكاً في مصـر كلها كانت مصر «في عهده مسـتنقعاً باسـتثناء إقليم طيبـة، ولـم يكن يظهر منها شـيء على سـطح الماء من المناطـق التي تقع تحـت بحيرة ميريس (مريـوط)، ويصلها المرء صعوداً عبر النهر بعد سـبعة أيـام مـن الإبحار بدءاً من البحـر»[2]، وما كان أمام هـذه الطبيعة الصعبة إلا محاداتهـا والاتجـاه نحـو الجنـوب والارتحال نحـو الغرب حتى اسـتقروا بالمنطقـة المعروفـة الآن بالصحراء الكبرى، أمـا المجموعات الأخرى فقد انطلقت من جنوب شـبه الجزيرة العربية نحو شـرق إفريقيا، عن طريق باب المنـدب، حيث يضيق البحر الأحمر عند طرفه الجنوبي. ومما سـهل مهمة انتقال هذه المجموعات نحو شـرق إفريقيـا وجود بعض الجزر مثل جزيرة

---

(1) ج. كي زيربو، الفن الإفريقي، ص69.

(2) هيـرودوت، التاريـخ «وصف مصر»، ترجمة محمـد المبروك الدويب، منشـورات جامعة قاريونس، بنغازي، الكتاب الثاني، فقرة 4.

(البريم)، مما جعل جنوب شبه الجزيرة العربية قريبة جداً من شرق إفريقيا. وقد أشار (ش. فيلد) بأن هذه الهجرات كانت خلال العصر الحجري الحديث[1]، ونرى انها في حدود نهاية الألف الخامسة قبل الميلاد. وكان ذلك مع بداية استعمال الإنسان للبحر في تنقلاته. وبعد وصول هذه الهجرات إلى شرق إفريقيا، تحركت غرباً وشمالاً إلى السودان الشمالي والنوبة، ومنها نحو المنطقة المعروفة الآن بالصحراء الكبرى، والتي كانت في ذلك الوقت غزيرة الأمطار كثيرة الخيرات على عكس ما هي عليه الآن، ويرى بعض العلماء بأن هذه العناصر البشرية «تنتمي إلى ما يطلق عليه عائلة اللغات الحامية المختلطة أحياناً بعائلة اللغات السامية، وترجع أصلاً إلى منطقة عُمان واليمن والصومال وشرقي إفريقيا»، ويرى البعض الآخر «أنهم ينتمون إلى ما يطلق عليه مجموعة الشعوب الحامية التي جاءت عن طريق شبه جزيرة سيناء، أو عن طريق القرن الافريقي من موطنها الأصلي الذي يظن أنه كان في اليمن أو عُمان»[2]. ولقد حملت تلك الهجرات معها إلى موطنها الجديد تقاليدها الحضارية ولهجاتها وفنونها المختلفة، وخبراتها المتعددة، والتي من بينها استئناس الحيوانات والرعي والزراعة، ويفسر العلماء تباين لون البشرة لدى سكان الصحراء الكبرى بين السمرة الشديدة والشقرة، عكس سكان الشمال، بأن الأفواج السكانية التي قدمت من الشرق، كانت جماعتين مختلفتين، اتخذت الأولى طريقاً ساحلياً، ولذلك اتخذت مناطق الشمال كمقر إقامة لها، ولذلك حافظت على سماتها الأصلية، أما الثانية فقد اتخذت طريقها نحو الجنوب مارة بإفريقيا الشرقية، ثم نحو منطقة الصحراء الكبرى، ولذلك امتزجت بالعنصر الزنجي. وقد

(1) جواد علي، المفصل (الجزء الأول)، ص532. وكذا: محمد المختار العرباوي، البربر، ص141.

(2) رشيد الناضوري، المغرب، ص137. ومحمد بيومي مهران، المغرب، ص64.

أيدت المكتشفات الأثرية المتمثلة في الأدوات والهياكل العظمية[1] والرسومات الصخرية صحة هذه الفرضية.

لقد بدأت حضارة الرعي وتربية الحيوانات في الظهور في منطقة الصحراء مع وصول هؤلاء المهاجرين من منطقة النيل العليا، وهم يسوقون أمامهم قطعاناً من الأبقار البطيئة، ومع وصول هؤلاء بدأت سفوح وملاجئ تلك المنطقة تغطي برسومات ذات أسلوب جديد وتقاليد جديدة[2]، وتغير الأشكال المرسومة على سفوح المرتفعات والمخابي كالترحال على ظهور الأبقار وحلب الأبقار، والحياة القبلية بأشكالها المختلفة، يدل دلالة واضحة على أن هذه المظاهر الحضارية كانت قد تزامنت مع وصول هؤلاء المهاجرين إلى المنطقة، وتدل على أن الإنسان في هذه المرحلة كان قد توصل إلى عملية استئناس الحيوانات. وخير ما يمثل ذلك اللوحات العديدة الموجودة بمنطقة ماتخندوش، والتي تمثل موضوعات مختلفة منها ما يمثل حلب الأبقار، ومنها ما يمثل حظائر للأبقار محاطة بفروع للأشجار نهاياتها من أعلى على شكل (Y)، معلقة بها أوان ربما تحتوي على الحليب الذي تم حلبه من الأبقار، ومناظر أخرى تمثل أبقار معدة للرحيل تحمل أمتعة (الأشكال 10، 11، 12).

لقد تأكدنا بأن تلك القطعان من الماشية لم تكن محلية، بل وصلت المنطقة مع المهاجرين الجدد لعدة اعتبارات:

1 ـ لم تكن عملية استئناس الحيوانات معروفة بالمنطقة قبل الألف السادسة قبل الميلاد وقد ربطت هذه الظاهرة مع وصول هؤلاء المهاجرين.

---

(1) G. Camps, Les Berberes, PP .62, 63.
وكذا: رشيد الناضوري، المغرب، ص ص 137 - 138. وكذا: عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، 1994م. ص 43.

(2) هنري لوت، لوحات، ص 204.

2 ـ لقـد كانت الحيوانات المستأنسـة عبارة عن أبقار وضـان وماعز، وهي حيوانـات لـم تكـن معروفة في القـارة الإفريقية كلها[1]. هـذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الحيوانات لا يمكن أن تتطور عن الحيوانات المتوحشـة التي عرفت فـي إفريقيا خلال دوري الحيوانات الاسـتوائية والرؤوس المستديرة، ولكنها ـ بكل تأكيد ـ كانت قد عرفت قبل ذلك في شـبه الجزيرة العربية، والشـرق الأدنى القديم. وهذا الأمر لا جدال فيه بين العلماء[2].

3 ـ يؤكـد (موري) أن المواد العظمية البقرية التي عثر عليها خلال حفرياته فـي وان موهجـاج بالأكاكوس ترجع إلـى أبقار من فصيلـة أوروبية[3]، ورغـم إننا نعـارض بناءً على الأدلة العلمية الكثيـرة وصول الأوروبيين إلـى هذه المنطقة، ولكن رغم ذلك فهـذا دليل إضافي يؤكد أن الأبقار التي عاشت بالمنطقة ليست محلية بل وصلت من خارج المنطقة.

4 ـ لقـد تأكدنا من خلال المجسـات التي أجريـت في وان موهجاج أيضاً، وجود روث للأبقار على شـكل فراش متماسـك[4]، وقـد تم تمييز هذا الفراش من الروث في الطبقات العليا فقط وهي الأحدث زمنياً، والتي تعـود لـدور الرعاة، في حين يختفي الروث في الطبقات السـفلى وهي الأقـدم زمنيـاً، والتـي تعـود لـدوري الحيوانـات الاسـتوائية والرؤوس المستديرة.

---

(1) R. Porteres et J. Barrau, Debut, Devloppement et Expansion des Techniques Agricoles, Histoire Generale de L`Afrique, T.1, Jeune Afrique / Stock / Unesco, 1980, P.743

(2) رولان بورتيـر وجاك بـارو، بدايات التقنيات الفلاحية وتطورها وانتشـارها، تاريخ إفريقيا العام الجزء الأول، جين افريك / ستوك / اليونيسكو، 1980، ص714.

(3) موري، تادرارت، ص231

(4) نفس المرجع، ص232

5 ـ إن تغير المظهر الاجتماعي لسكان المنطقة، وتغير الأشكال المرسومة على سفوح المرتفعات والمخابي، والتي أصبحت تمثل الرعي والترحال على ظهور الأبقار وحلب الأبقار، والحياة القبلية بأشكالها المختلفة يدل دلالة واضحة على أن هذه المظاهر الحضارية كانت قد تزامنت مع وصول هؤلاء المهاجرين إلى المنطقة.

ومن خلال هذه الأسباب مجتمعة نتوصل إلى أن المنطقة لم تعرف الرعي قبل منتصف الألف السادسة قبل الميلاد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن عملية استئناس الحيوانات لم تكن ظاهرة محلية قامت بها المجموعات السكانية السابقة، بل إنها جاءت مع هؤلاء المهاجرين الجدد.

هذا فيما يخص الرعي، أما فيما يخص الزراعة فإن علماء النبات وعلماء عصور ما قبل التاريخ أكدوا كما سبق الإشارة بأن الصحراء الكبرى لم تكن في السابق صحراء قاحلة كما هي الآن، ويرى معظم هؤلاء العلماء بأن تربية الحيوانات والزراعة قامت في هذه المنطقة قبل غيرها من مناطق إفريقيا[1]، ويؤكد هؤلاء العلماء بأن وصول هذه الثقافات والتقاليد الفنية والحرفية إلى الصحراء الكبرى كان عن طريق موجات كثيرة من المهاجرين انطلقوا من منطقة الشرق الأدنى القديم، ويبدو أن من بين الطرق التي سلكتها هذه الهجرات هو جنوب شبه الجزيرة العربية في اتجاه شرق إفريقيا، ومنها نحو الشمال مروراً بمصر عبر وادي النيل[2]، وقد حملت هذه الجماعات معها الخبرة الزراعية والبذور التي لم تكن موجودة في قارة إفريقيا[3]. وقد أكدت الأبحاث العلمية أن إفريقيا قاطبة لا توجد بها نباتات القمح والشعير في حالتها

---

(1) رولان بورتير، وجاك بارو، بداية التقنيات، ص713.

(2) نفس المرجع السابق، ص713.

(3) المرجع نفسه، ص713.

البريـة[1]. وقـد أثبتـت هـذه الأبحاث بـأن نباتات القمح والشـعير هـي نباتات آسـيوية، موطنها الأصلي منطقة الشرق الأدنى القديم، والجدير بالذكر أن هذه المنطقـة الأخيرة عرفت الزراعة قبل إفريقيا بعشـرات القرون، وهذا الأمر يبرر انتقال زراعة هذه الحبوب عبر المد الثقافي والحضاري والبشـري، الذي امتد من منطقة الشرق الأدنى القديم نحو إفريقيا منذ بداية العصر الحجري الحديث، واسـتمر خـلال العصـور القديمة حتـى بداية الألـف الأولى قبـل الميلاد، مع وصول الكنعانيين إلى شمال إفريقيا، والذين كانت الزراعة من بين اهتماماتهم. وممـا يؤكد ظهور الزراعة في الصحراء الكبـرى قبل غيرها من مناطق إفريقيا، تلـك الرسـومات الصخريـة التي تعود لـدور الرعـاة، والتي تم التعـرف عليها بمرتفعات سـفر بالتاسيلي، والتي تصـور الكلاب الأليفة والماشـية، بالإضافة إلى لوحات تصور النسـاء وهن يعملن فـي الحقـل، بالإضافة إلى العثور على أحجـار الرّحـى والمدقات بأعـداد كثيرة، وبفضـل هذه المناظر والاكتشـافات الأثريـة عرفنـا أن الرعاة الذين اسـتقروا بمنطقـة الصحراء الكبـرى منذ الألف السادسة قبل الميلاد كانوا يمارسون الزراعة إلى جانب مهنة الرعي[2].

جفاف الصحراء الكبرى وأثره في تحركات السكان وانتشار الحضارة:

لقد أشـرنا من قبل بأن الفترة الواقعة ما بين (18000) سـنة قبل الميلاد وحتـى الوقت الحاضر مـن أصعب فترات الجفاف التي مـرت بها المنطقة الواقعة حول مدار السـرطان[3]، وقد أشـرنا بأن منطقة شـبه الجزيرة العربية كانت أكثر المناطق تضرراً من هذا الجفاف، وذلك بسبب الحواجز الطبيعية

(1) نفس المرجع، ص 713.
(2) هنري لوث، لوحات، ص ص 120 – 121.
(3) هـ.. فور، الاطار الزمني، ص 388، وأيضاً انظر اعلاه، ص 3.

التـي تمنع عنهـا وصول المطر، وقد كانت منطقة الصحراء الكبرى أحسـن حظاً بسـبب قربهـا من المحيط الأطلسـي، وعدم وجـود حواجز قرب هذا المحيـط تمنع عنها وصـول المطر، ولكن هذا الوضع لـم يدم طويلاً، لأن العصر الذي تمر به المنطقة كان عصر جفاف، وهذا الجفاف يزداد تدريجياً إلـى أن يعم المنطقـة بالكامل، ولذلك مع بداية الألـف الرابعة قبل الميلاد بدأت المنطقة تتجه نحو التصحر التدريجي، وبالفعل تحولت تلك الجنات الخضراء إلى صحراء جرداء كما هي عليه الآن مع بداية الألف الأولى قبل الميلاد، وقد أشار المؤرخ اليوناني (هيرودوت) (480 - 425 ق.م.) إلى هذا التصحر بكل وضوح في كتابه المسمى **التاريخ**، عندما تحدث عن الصحراء والشعوب التي تعيش هناك، فذكر الجرامنت والأترانتيس والأطلنتيس. وقد أشـار إلى أنه يسـتطيع أن يعدد أسـماء جميع الأقوام الذين يسـكنون على الشـريط الرملي حتى موطن الأطلنتيس، ولكن ليس أبعد من ذلك، ويشـير إلـى أن هذا الشـريط الرملي يصل حتى أعمـدة هرقل «مضيق جبل طارق». وقـد أكـد بأن كل هـذه المناطـق تعتبر أجـزاء مـن ليبيـا[1]. وعندما تحدث «هيرودوت» عن بيوت هذه المجموعات السكانية قال: بأنها مبنية بكتل من الملح. ويشير بأن الليبيين محظوظون لأن المطر لا يهطل في هذه المناطق، إذ لو هطل لذابت بيوتهم وتلاشـت، وأشـار إلى أن خلف الشـريط الرملي السالف الذكر، توجد الأجزاء الجنوبية من ليبيا التي هي عبارة عن صحراء، لأنهـا تنعدم فيهـا المياه والحيوانات والأمطار والغابـات، ولا توجد بها أي آثـار للرطوبة[2]، إن هـذا الوصف يدل دلالة واضحة علـى أن المنطقة التي كانـت فـي السـابق جنة من جنـات الأرض تحولـت أيام (هيـرودوت) إلى

(1) Herodote, Histoire (texte etabli et traduit par Ph. E. legrand), sciete d. editin ((Les belles Lettres)) Paris, 1985, IV, 184, 185.

(2) Herodote, Histoire, IV, 185.

صحـراء جرداء خالية فـي معظمها من أية حياة نباتيـة أو حيوانية، وبالتأكيد فقد احتاجت عملية التحول من أرض خضراء إلى صحراء جرداء إلى زمن ليس بالقصير، وقد قدره (هـ. هوجو) ببداية الألف الأولى قبل الميلاد[1].

ولذلـك يعتقـد العلماء بأن منطقـة الصحراء الكبرى بـدأت منذ الألف الرابعة قبل الميلاد تتجه نحو الجفاف، مما اضطر السكان إلى الرحيل عنها نحـو الأوديـة والمناطـق التـي تتوفر فيهـا الرطوبـة اللازمة لحياتهـم وحياة مواشـيهم، وقد اتجهت مجموعات من هؤلاء نحو الشمال في اتجاه منطقة المغرب القديم، بدءًا من الجبل الأخضر وحتى المحيط الأطلسي. واتجهت مجموعات أخرى نحو الشرق في اتجاه واحات سيوة والداخلة والخارجة، وبحيـرة قـارون، ووادي النيـل الأدنـى[2]، ومن خـلال الاكتشـافات الأثرية والدراسـات المختلفة تبيـن وجود صلات حضارية بيـن الصحـراء الكبرى، ومنطقـة شـمال إفريقيـا بصفة عامـة، ولذلك لا نسـتطيع افتـراض تأثير فن منطقـة وادي النيـل على الفن الصخـري بالصحـراء الكبـرى، لأن هذا الفن الأخير أسبق في تاريخه من فن منطقة وادي النيل، وبناءً عليه فمن الصواب أن نفتـرض تأثير الفن الصخري الصحـراوي علـى فنون منطقة وادي النيل، وليـس العكـس، وبذلك نكون في جانب أولئك العلمـاء الذين يرون انتماء الحضـارة في منطقة وادي النيل وشـمال إفريقيا إلى جذور وتقاليد حضارة واحدة كانت أصلاً في منطقة الصحراء الكبرى قبل جفافها[3]، وتوجد الكثير من الأدلة التي تؤيد ذلك الانتماء منها:

---

(1) هـ. ج. هوغو، الصحراء، ص 610.

(2) رشيد الناضوري، المغرب، ص 127.

(3) مـوري تـادرارت، ص 154. وكـذا: مصطفـى كمـال عبد العليم، دراسـات فـي تاريخ ليبيا القديـم، المطبعـة الاهليـة، بنغـازي، 1966 م، ص 6. وكـذا: رشـيد الناضـوري، المغرب الكبير، ص 127. وكذا: ج. كي زيربو، الفن الإفريقي، ص ص 690، 691.

أ ـ الفنون:

تعتبر الصحراء الكبرى من أغنى مناطق العالم القديم بالفن الصخري، الذي يعود في تاريخه إلى الألف السابعة قبل الميلاد على أقل تقدير، ويستمر حتى بداية الميلاد، وقد صنف العلماء هذا الفن حسب أدوار خمسة وهي: دور الحيوانات الاستوائية، ودور الرؤوس المستديرة، ودور الرعاة، ودور الحصان، ودور الجمل، وقد بني هذا التصنيف من خلال أنواع الحيوانات التي عاشت في المنطقة على التوالى، ومن خلال تلك التصنيفات توصل العلماء إلى أن الفنون التي تنتمي إلى الأدوار الثلاثة الأولى على الأقل، تسبق في تاريخها فنون منطقة وادي النيل بقرون عديدة، وقد كانت تمثل في معظمها موضوعات حيوانية وإنسانية، يتصدر الكبش الذي على رأسه قرص على شكل قرص الشمس تلك الرسومات التي وجدنا مثيلاتها في منطقة وادي النيل، وخير مثال على ذلك نقوش تمثل كبشاً عثر عليه في جنوب وهران بالجزائر، وقد رسم هذا الكبش مع أناس، وهذا دليل على أنه كان يقوم بدور مهم في الحياة الدينية، وكان ينظر إلى هذا الكبش في السابق على أنه مستوحى من كبش الإله أمون بواحة سيوة، أو أنه تقليد لكبش الإله أمون الذي ظهر في حضارة منطقة وادي النيل خلال الأسرة التاسعة عشرة من الدولة الحديثة، أي في حدود عام (1200) قبل الملاد، ولكن الدراسات الحديثة بيَّنت أن رسومات الكباش ذات الأقراص بين قرونها ظهرت في منطقة المغرب القديم والصحراء الكبرى، قبل ظهورها في منطقة وادي النيل بزمن طويل. يرى جابريال كامب أن هذه الرسوم تعود لفترة العصر الحجري الحديث، أي أنها ترجع لفترة زمنية تسبق الفترة التي ظهرت فيها رسومات الإله المصري أمون الطيبي[1]، ويرى (هنري لوث) بأنها ظهرت بالصحراء

---

(1) Camps G., Berberes aux marges de l histoire, editions des hiferides, Paris, 1980. P, 202.

الكبرى في حدود عام (3500) قبل الميلاد على أقل تقدير[1]، وتعتبر رسومات القوارب التي عثر عليها في وان موهجاج بالأكاكوس وفي عوانريت بالتاسيلي من الرسومات التي عجز العلماء في التفريق بينها وبين تلك القوارب التي ظهرت على مقابر سكان منطقة وادي النيل في بداية عهد الأسرات وما بعدها، وهي في كل المنطقتين تشير ـ على الأرجح ـ إلى طابع تعبدي، ونلاحظ أن قوارب الصحراء الكبرى تعود إلى دور الرعاة أي قبل ظهور فنون منطقة وادي النيل الجنائزية بزمن طويل[2]، وهذا ينطبق أيضاً على المناظر الإنسانية التي تأخذ رؤوسها أشكالاً حيوانية وأشكال طيور، ظهرت بالصحراء الكبرى في تواريخ مبكرة جداً تسبق تلك النماذج المشابهة، والتي ظهرت في حضارة منطقة وادي النيل، والتي تمثل عبادة بعض الحيوانات، وخير مثال على ذلك لوحة الإلهات الصغيرات ذوات الرؤوس الطيرية، التي عثر عليها في منطقة جبارين بجبال الأكاكوس، ويظهر في اللوحة أربع نساء رسم رأس كل واحدة منهن على شكل رأس طائر، يذكرنا بطائر الإله إيبيس في منطقة وادي النيل، ويرى فيها (هنري لوث)[3] بأنها ربما رسمت من قبل فنانيين مصريين وقعوا في الأسر أثناء الحروب التي دارت بين الليبيين القدماء والمصريين، أو ربما رسمت من قبل فنانيين ليبيين عاشوا في مصر فترة من الزمن وتأثروا بالحضارة في منطقة وادي النيل. ولكن هذا بعيد الاحتمال، لأن فنون الصحراء الكبرى تسبق فنون منطقة وادي النيل بأكثر من ألفي سنة، وتعتبر رسومات الأبقار ذات الأقراص بين قرونها التي تنتشر في الكثير من مناطق الصحراء الكبرى أسبق في

(1) هنري لوث، الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى، (كتاب الصحراء الكبرى) منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م. ص 81.
(2) كي زيربو، الفن الافريقي، ص 690. وموري، تادرارت، ص 54.
(3) هنريلوث، لوحات، ص 73.

تاريخها من رسـومات الإلهة المصرية حاتور التي ظهرت في حضارة منطقة وادي النيل، وهذا ينطبق على الرسـوم التـي تمثل الصقور، والتي عثر عليها فـي الكثيـر من مناطـق الصحـراء الكبـرى، وهي أقـدم زمنياً من رسـومات الصقـور المصريـة التي ظهرت فـي فترة ما قبل الأسـرات، ورغم أن الصقر الذي ظهر في الصحراء الكبرى أصغر حجماً من الصقر المصري الذي ظهر على جدران المقابر المصرية، إلا أن الصقر الصحراوي كان سبباً في ظهرر رمـز ديانـة الإلـه حورس وتمثيله على شـكل إنسـان برأس صقـر في منطقة وادي النيـل، ومـن بين الرموز التـي ظهرت في الصحـراء الكبرى في وقت مبكـر قبـل أن تظهـر فـي منطقـة وادي النيل تلـك الرموز التـي تمثل الصل المقدس وقد عثر بالتاسـيلي على نموذج يمثل رسماً لشخص تبدو عليه في آن واحد هيئة الصياد والراعي، يرى فيه (كامبس) بأنه ينتمي إلى جنس البحر المتوسـط[1]، يتسـلح هذا الشـخص بالقوس وعصا الرماية المعقوفة الرأس، ويظهر شـعر رأسـه من الأمام على هيئة الصل المقدس، وتبدو لحيته خفيفة ودقيقـة تشـبه تلـك التي ظهرت لـدى الليبييـن القدماء عنـد تصويرهم على جدران المقابر المصرية القديمة، وفي مجال الصناعات الحجرية نجد تشابهاً كبيـراً بين السـهام والفـؤوس والخطاطيف التي عثر عليها فـي منطقة الفيوم والجبـل الأخضـر، وبيـن الصناعات الحجرية المشـابهة في بعـض المناطق بالصحـراء الكبرى، والتـي عثر عليها إلى الغرب من المناطق السـابقة بأكثر مـن (2500) كيلومتر، ولم يتوقف التشـابه الحضاري بين المناطق المذكورة أعـلاه والصحـراء الكبـرى عنـد الأدوات الحجرية فحسـب، بـل إن الفخار المزخـرف بخطـوط متموجـة، الـذي اكتشـفه (أركل) بمنطقـة وادي النيـل السوداني، والذي يعود في تاريخه للألف الرابعة قبل الميلاد لا يختلف عن شبيهه الذي اكتشـف في بعض مناطق الصحراء الكبرى، والذي يعود بعضه

(1) G. Camps, Les Berberes, P.43.

للألف السابعة ق.م.، وذلك على ضوء ما جاء في حفريات (موري) بمنطقة الأكاكوس بالصحراء الكبرى[1]، كل هذا يدل على مدى تأثير الصحراء الكبرى في مناطق الشرق والشمال.

ب ـ التحنيط:

لقد كان فن التحنيط معروفاً في منطقة الصحراء الكبرى قبل منطقة وادي النيل بزمن طويل، ويبدو أن هذه الطريقة من حفظ جثث الموتى انتقلت من الصحراء الكبرى نحو منطقة وادي النيل، وخير مثالاً على ذلك الاكتشافات الرائعة التي توصل إليها (موري) في عام 1959 م، في وان موهجاج بألاكاكوس، والتي تتمثل في العثور على مومياء لطفل يرجع تاريخها إلى حوالي عام (3446) قبل الميلاد، وقد حدد هذا التاريخ من خلال التحليل عن طريق الكربون المشع (14)، الذي أجري بمعهد الطاقة النووية بجامعة بيزا بإيطاليا، والمعروف أن التاريخ الذي حدد من قبل هذا المعهد دقيق جداً مع احتمال زيادة أو نقصان (180) سنة فقط لتاريخ تحنيط الطفل، وهذه الزيادة أو النقصان للتاريخ يرجع لعصور ما قبل التاريخ لا يمثل عيباً، بل يمثل منتهى الدقة العلمية، ورغم أن القرائن لم تثبت أن سكان منطقة الصحراء الكبرى في ذلك الوقت كان في نيتهم بحفظهم لجثة هذا الطفل هو إجراء عملية التحنيط، إلا أن هذا يدل دلالة واضحة على أنهم سبقوا المصريين القدماء في هذا المجال[2]، ولذلك فالفضل يرجع

---

(1) رودلف كوبر، من الصيد إلى الرعي. ما هو العصر الحجري الحديث في الصحراء الكبرى؟ (كتاب الصحراء الكبرى)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م. ص ص 71 – 74.

(2) F. Sattin, - G. Gusmano, La cosiddetta «Mummia» infantile dell Acacus nel quadro delle Costumanze Funebri Preistoriche Mediterranee e Sahariane, Published by the directorat General of Antiquities Museums and Archives, Tripoli, 1964. P.P. 7-46.

لسكان الصحراء الكبرى في تمهيد الطريق أمام المصريين للتعرف على فن التحنيط وحفظ الجثث الذي تم التعرف على آثاره خلال الأسرة الأولى المصرية (حوالي 3200 ق.م.)، وتم التثبت منه بوضوح في عصر الأسرة الثانية، وتشير المصادر التاريخية إلى أن المصريين القدماء توصلوا إلى فن التحنيط الحقيقي ومارسوه بالفعل ابتداءً من الأسرة الثالثة (حوالي 2700 ق.م.). ووصل هذا الفن لدى المصريين القدماء، درجة لا تضاهى من الإتقان خلال الفترة ما بين الأسرتين الثامنة عشرة والثانية والعشرين من الدولة الحديثة[1].

ج ـ الملابس والزينة:

إن تشابه الملابس والزينة من الأشياء التي تؤكد انتماء سكان شمال إفريقيا إلى أسلافهم السابقين الذين عاشوا بالصحراء الكبرى، ومن خلال الرسومات التي أمدتنا بها المقابر المصرية القديمة عن الليبيين القدماء، استطعنا التعرف على ملابسهم التي كانت في العادة تتكون من عباءة رقيقة من الجلد، زخرفت رقعتها بألوان مختلفة، ويظهر الليبيون في تلك الرسومات وهم يتحلون بريش النعام، ويلبسون الحلق والأساور، ولكن الريشة كانت أهم ما يتحلى بها الليبي في ذلك الوقت، وكانت علامة للرئاسة، وسقوطها علامة ذل وعار[2]، ومن خلال الرسومات التي أمدتنا بها مقبرة الملك سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشرة في حدود عام (1300) قبل الميلاد، استطعنا التعرف على الملابس والسمات البشرية لإحدى القبائل الليبية وهي التمحو، وقد كان واضحاً من خلال هذه الرسومات، لون البشرة الفاتح، والعيون

(1) نفس المرجع السابق، ص7 - 47. كذا: محمد بيومي مهران، المغرب، ص54.

(2) مصطفى عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م. ص40، 41.

الزرقاء، وبينهم نسبة كبيرة من ذوي الشعر الأشقر، وقد كانوا يزينون شعر الرأس عادة بريشتين، ويلبسون عباءة جلدية تغطي إحدى الكتفين دون الآخر[1] (شكل 13). إن هذه السمات والملابس تذكرنا بتلك التي ظهرت على الرسومات التي تم اكتشافها مؤخراً بالصحراء الكبرى والتي ترجع لدور الرعاة، وهي فترة تسبق الرسومات التي ظهرت على جدران المقابر المصرية بعشرات القرون، ونلاحظ ذلك بكل وضوح من خلال المناظر التي ظهرت في مناطق تاشوينت، وتين لالان، وتين عنيوين بالأكاكوس، والتي تمثل أشكالاً بشرية ذات ألوان حمراء أو صفراء، أحياناً أخرى فاتحة اللون أو بيضاء، وهي في الغالب ذات شعر مسترسل يعلوه الريش لغرض الزينة، وترتدي الأثواب الفضفاضة على الأكتاف، وهي أثواب تشبه البرنس في الوقت الحاضر، وتظهر الحلى عند الكعبين للرجال والنساء على السواء[2]، وأحسن تلك المناظر اللوحة الموجودة بتين لالان بألاكاكوس (شكل 14)، والتي تصور شخصين واقفين تظهر عليهما نفس الملامح البشرية، ونفس تسريحة الشعر الذي تعلوه الريشة، ونفس الجلباب الفضفاض الذي يشبه البرنس الذي ظهر على جدران المقابر المصرية القديمة بعد ذلك بزمن طويل عند تصويرهم لليبيين القدماء[3]، والجدير بالذكر أن المؤرخ اليوناني (هيرودوت) يشير إلى استعمال الليبيين القدماء للملابس الجلدية، حيث يذكر بأنهم قبل قدوم الأغريق إلى منطقة الجبل الأخضر كانوا يرتدون فوق ثيابهم جلود ماعز، بعد أن ينتف شعرها وتدبغ وتجهز بحمالات[4]، ومما لا شك فيه أن الذي يقصده (هيرودوت) من هذا

---

(1) جيان ديزنج، البربر، ص 439.

(2) موري، تادرارت، ص ص 154 – 158

(3) نفس المرجع السابق، ص 207.

(4) Herodote, Histoire, IV, 189.

الثوب هو البرنس، الذي أكدت وجوده الرسوم الصخرية العائدة إلى عصور ما قبل التاريخ[1] في الكثير من المواقع سواء في الصحراء الكبرى أو في شمال إفريقيا سواء في الشرق، أو الغرب، ونستطيع الاستنتاج من خلال تشابه الملابس والزينة في المنطقتين السابقتين بأن السكان الذين كانوا يعيشون بالصحراء الكبرى هم أنفسهم الذين تواجدوا فيما بعد في بعض مناطق وادي النيل وشمال إفريقيا، وبالتأكيد أن قسوة الطبيعة الصحراوية هي التي دعتهم بالاتجاه نحو هذه المواطن الجديدة.

د ـ ممارسة الزراعة:

لقد تمت ممارسة الزراعة في البداية من نفس المجموعة السكانية التي امتهنت الرعي والتي استقرت في البداية بالصحراء الكبرى عندما كانت تتميز بالرطوبة اللازمة لإنتاج المزروعات، ولكن عندما بدأ الجفاف يحل بالمنطقة تدريجياً منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، بدأت هذه المجموعات السكانية تتجه نحو الشرق والشمال حاملة معها خبرتها في الرعي والزراعة، وفي هذه الأثناء بدأت تظهر المجموعات السكانية التي انتشرت إلى الغرب من وادي النيل، والتي عرفت لدى الباحثين بالليبيين، والذين ميزتهم المصادر المصرية القديمة تحت أسماء متعددة مثل: التحنو والتمحو والليبو والمشواش وغيرهم، وعليه فإن حرفة الزراعة لم تنتقل إلى هذه المناطق كأفكار وخبرات، بل جاءت مع أصحابها الذين انتشروا في المنطقة الممتدة ما بين البحر الأحمر والمحيط الأطلسي، والذين جلبوا إلى هذه المناطق أشياء لم تكن من ضمن ثقافات السكان السابقين، حيث نشروا في البداية الرعي، ثم الزراعة، خاصة زراعة القمح والشعير[2]. ويبدو أن المجموعات

---

(1) J. Desanges, Les Protoberberes, P.46.

(2) محمد المختار العرباوي، البربر، ص ص 270 – 272.

السكانية السابقة التي عاشت بمنطقة المغرب القديم خلال العصر الحجري القديم بفروعه الثلاثة الأسفل والأوسط والأعلى، لم تستفد من منجزات الشرق الأدنى القديم في مجال الرعي والزراعة، والدليل على ذلك يرجع كما سبق التأكيد إلى أن إنسان تلك الثقافات لم يكن مستقراً، بل كان متنقلاً جامعاً للغذاء، وهو لذلك لم يعرف الرعي ولا الزراعة، وقد سبقت الإشارة إلى أن المجموعة القفصية كانت آخر المجموعات التي عاشت بالمنطقة خلال العصر الحجري القديم الأعلى، ومن خلال الحفريات والدراسات الأثرية تبين أن هذه المجموعة انتقلت إلى العصر الحجري الحديث، ولكنها مع ذلك لم تتوصل إلى إستئناس الحيوانات والرعي والزراعة، ومن الواضح أن هذه المجموعة اندثرت باندماجها ضمن الموجات الهائلة من المهاجرين الذين اجتاحوا المنطقة قادمين من الصحراء الكبرى، عندما بدأت تتجه نحو التصحر، وقد شكل هذا الزخم الهائل من السكان واقعاً لغوياً جديداً، انتقلت معهم المكتسبات الزراعية، كما انتقل الرعي إلى المنطقة الصحراوية قبل ذلك بقرون عديدة، وقد تمكنت المجموعات السكانية التي استقرت بمنطقة الفيوم بوادي النيل مع منتصف الألف السادسة قبل الميلاد من أسبقية التوصل إلى انتاج الطعام، والتعرف على الزراعة، والاستقرار وإنشاء القرى[1]، في حين كانت بداية التوصل للزراعة والاستقرار في منطقة الجبل الأخضر في حدود منتصف الألف الخامسة قبل الميلاد، وفي بقية المغرب القديم مع منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد[2]، وقد أكد الكثير من علماء عصور ما قبل التاريخ، أن سكان المغرب القديم لم يعرفوا الزراعة عن طريق الكنعانيين، بل عرفوها قبل ذلك بزمن طويل، وكان ذلك منذ نهاية العصر الحجري الحديث، ومما لا شك فيه أن القول بأن الكنعانيين هم

---

(1) رشيد الناضوري، المغرب، ص127. ومحمد بيومي مهران، المغرب، ص46.

(2) رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ص ص134.

الذيـن جلبـوا الزراعـة إلـى المنطقـة خـلال الألف الثانيـة قبل الميـلاد، هو افتـراض لا أسـاس له من الصحة، لأن كل القرائن الأثريـة تؤكد أن الزراعة كانت معروفة في منطقة المغرب القديم قبل وصول الكنعانيين إلى المنطقة، وخير مثال على ذلك الرسومات والنقوش العديدة التي ظهرت خلال عصر المعادن، والتي تمثل محاريث بسيطة بمنطقة الشفية (شرقي قسنطينة)، وفي منطقـة الأطلس العليـا، ومما يؤكد انتشـار الزراعة بالمنطقة قبـل الكنعانيين والقرطاجييـن، انتشـار الكثير مـن التربيعات على وجـه الأرض، تكوّن حتى يومنـا هـذا آثـاراً لإقامة منشـآت مبكرة للمياه تسـبق فـي تاريخهـا الممالك المحليـة التي عاصـرت قرطاجة[1]، وقد كان (ماكبرنـي) على رأس الباحثين الذيـن لاحظـوا تحولاً عرقيـاً ظهر عند سـكان منطقة الجبل الأخضـر بليبيا خـلال الفتـرة ما بيـن (8000 - 5000) قبـل الميـلاد[2]، وقـد اسـتنتج هـذه الملاحظات من خلال التحول الجذري في الحضارة المادية في تلك الفترة، وقد توصل إلى هذه النتائج من خلال حفرياته التي أجراها بكهف هوافطيح بالجبل الأخضر، وقد غطت فترة زمنية تمتد من (90000) سـنة منذ الوقت الحاضر، وحتى بداية الاستيطان الإغريقي بالجبل الأخضر في القرن السابع قبل الميلاد، وقد رتبت تلك النتائج حسب الطبقات الأثرية[3]، من أسفل إلى أعلى بناء على أقدميتها، وهي على النحو الآتي:

الطبقة الأولى: وهي الطبقة السـفلى من الكهف، وتقع على عمق (14) متـر مـن سـطح الأرض، وقد عثـر بهـا علـى أدوات حجرية تعـود للعصر الحجـري القديم الأسـفل، وقـد قدر تاريخهـا بحوالي (90000) سـنة منذ الوقت الحاضر.

(1) J. Desanges, Les Protoberberes, P.465.
(2) C. B. M. McBurney, Libyan Role, P.5.
(3) C. B. M. Mc Burney, Libyan Role, P. P.3-7.

الطبقة الثانية: وترجع للفترة ما بين (60000 – 40000) سنة منذ الوقت الحاضـر، وقـد عثر بها علـى أدوات حجرية تعود للعصـر الحجري القديم الأوسـط، وقد عثر بها أيضاً على فك إنسـان من نوع النياندرتال، وهو شبيه ببقايا إنسان فلسطين ولبنان.

الطبقة الثالثة: وترجع للفترة ما بين (40000 – 14500) سنة منذ الوقت الحاضـر، وقـد عثر بها على أدوات حجرية ترجـع للعصر الحجري القديم الأعلـى، وهي أدوات شـبيهة بـالأدوات التي عثـر عليها في حقفـة الضبعة بالجبل الأخضر، وهي جميعها شـبيهة بالصناعة العمرونية، والتي عثر على نماذج منها في الأردن وفلسطين ولبنان.

الطبقة الرابعة: وترجع للفترة ما بين (14500 – 10000) سنة منذ الوقت الحاضر، وقد عثر بها على أدوات حجرية ترجع للثقافة الوهرانية.

الطبقـة الخامسـة: وترجـع للفتـرة ما بيـن (10000 – 7000) سـنة منذ الوقت الحاضر، وقد عثر بها على أدوات حجرية سماها (ماكبرني) بالثقافة القفصية ـ الليبية.

الطبقة السادسـة: وترجع لحوالي (7000) سـنة منذ الوقت الحاضر أي إلـى حوالـي (5000) قبل الميلاد، وقد عثر بها علـى أدوات حجرية ترجع للعصر الحجري الحديث، وقد توصل (ماكبرني) من خلال مكتشفات هذه الطبقـة إلى أن الإنسـان الذي اسـتقر بهـذا الكهف في تلـك الفترة، كان قد توصل إلى بدايات اسـتئناس الحيوانات، وإلى صناعة الفخار، وإلى الرعي والزراعة على نطاق محدود وبشكل بسيط.

ومـن خـلال استعراضنا لهـذه الأدلة الأثريـة المختلفة التـي تتمثل في الفنـون، والتحنيـط، والملابس والزينة، وممارسـة الزراعة، والتي انتشـرت خلال العصر الحجري الحديث بمناطق وادي النيل وشمال إفريقيا، استطعنا

التوصـل إلـى أن الحضارة في هاتين المنطقتين وحضـارة الصحراء الكبرى كانت حضارة واحدة لا تختلف عن بعضها البعض، وأن الفرق الوحيد بين فنـون الحضارتيـن هـو أسبقية فنون حضـارة الصحـراء الكبرى عـن فنون حضـارة وادي النيـل وشـمال إفريقيـا[1]، ويصـف بعـض العلمـاء الصحراء الكبرى بأنها مركز إشعاع لحضارة العصر الحجري الحديث، حيث انتشرت منهـا باتجـاه الشـمال والشـرق، ممـا أدى إلى حـدوث تغيـرات جذرية في حضارة العصر الحجري القديم التي كانت تسـود تلك المناطق[2]، وبالتالي الانتقال إلى العصر الحجري الحديث، ثم بعد ذلك إلى العصر التاريخي.

اسم ليبيا ودلالته وظهور الليبيين القدماء على مسرح التاريخ:

لـم تكـن المدلـولات الجغرافيـة لأسـماء الأقاليم فـي القـدم، محددة وواضحة كما هو عليه الآن، بل كان كل إقليم يسمى غالباً باسم المجموعة السـكانية التـي تقيـم فيـه، ولذلك فـإن رقعـة الإقليم تتسـع وتتقلـص تبعاً لتحركاتهـا وانتصاراتها وهزائمها، وكانت تلـك التحركات طليقة لا تخضع لأيـة قيـود، غير القيود التـي تفرضها عليهـا مصالحها وظروفهـا[3]، لاحظنا ذلك بكل وضوح من خلال تحركات القبائل الليبية القديمة في البداية نحو الشـرق، ثم ارتدادها نحو الغرب مرة أخرى، والجدير بالذكر أن اسـم ليبيا

(1) انظر اعلاه، ص 61 ـ 65. وأيضاً بافيل شيرفيشيك، الرسوم الصخرية في مصر العليا وصحراء النوبة، (الصحراء الكبرى)، منشـورات مركز جهاد الليبيين للدراسـات التاريخية، طرابلس، 1979م. ص 108. وحسـين عبدالعالي مراجع، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر، دار أماني، طرطوس، 1989م. ص 30.

(2) فولفانـغ تاوتـه، نهاية العصـر الحجري القديم في شـمال إفريقيا، منشـورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م. ص 57.

(3) عبداللطيـف محمـود البرغوثـي، التاريـخ الليبـي القديـم مـن أقـدم العصور حتـى الفتح الإسلامي، دار صادر، بيروت، 1971م. ص 21، 22.

استعمل كمدلول سكاني منذ أقدم العصور التاريخية، لكنه لم يأخذ معناه الحالي إلا في بداية القرن العشرين، وذلك منذ بداية الاحتلال الإيطالي لهذا البلد في عام 1911 ميلادية[1].

ورد أول نص مدون لكلمة ليبيا لدى المصريين القدماء منذ الألف الثانية قبل الميلاد، على شكل ليبو أو ريبو، وكانوا يقصدون بهذا الاسم إحدى المجموعات السكانية الليبية، التي تقع أراضيها إلى الغرب من مجرى وادي النيل، والتي احتكت بالمصريين القدماء من خلال حروب كثيرة دارت بينهم في ذلك الوقت، وأول إشارة لهذا الاسم وردت في عهد رعمسيس الثاني (1290 – 1224 قبل الميلاد)، ثم ورد الاسم بعد ذلك في عهد خلفه مرنبتاح (1224 – 1214 ق.م.)، ثم في عهد رعمسيس الثالث (1182 – 1151 ق.م.)[2].

كما ورد اسم ليبيا في التوراة في عدة مواضع من أسفار العهد القديم[3]، فنجده يكتب في سفر أخبار الأيام الثاني / 12، على شكل لوبيين ولوبيون. ونظراً لورود هذا الاسم مع أسماء أخرى مثل مصر وأثيوبيا، فإننا نرجح تعرف كتاب **التوراة** على اسم ليبيا عن طريق المصريين القدماء، وعن طريق اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية).

ونجد في النقوش الفينيقية الحديثة، التي عثر عليها في بعض مناطق تونس وطرابلس، إشارات إلى اسم ليبيا، حيث ورد على شكل (لوبي)

(1) محمد مصطفى بازمة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب، وزارة الأنباء، طرابلس، 1965م. ص 6.

(2) محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص 87.

(3) الكتاب المقدس أي كتاب العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1990م، وكذا: محمد مصطفى بازمة، ليبيا، ص 17. وكذا: علي فهمي خشيم، آلهة مصر، ص 83.

و(ليبت). ويبدو أن الاسم يقصد به السكان الليبيين - الفينيقيين، وليس الإقليم الجغرافي، ويبدو أن اسم مدينة لبدة، الذي كتب باللغة الفينيقية على شكل (لبكي) كان يحمل نفس الجذر الذي يتكون منه اسم ليبيا والليبيون[1].

ولم يرد اسم ليبيا كتعبير جغرافي صريح إلا في النصوص الإغريقية، خاصة في كتابات (هوميروس) و(هيرودوت)، وقد كانت تعني لدى (هيرودوت)، أحياناً إحدى القارات الثلاث من قارات العالم القديم، وأحياناً يقصد بها معظم شمال إفريقيا عدا مصر، وفي بعض الأحيان يقصد بها تلك المنطقة التي استعمرها الإغريق في القرن السابع ق.م.، وهي منطقة قورينا وما حولها، خاصة في اتجاه الشرق، حتى مجرى وادي النيل، وربما استعار الإغريق اسم ليبيا من المصريين القدماء، الذين كانوا يطلقون اسم ليبو على إحدى المجموعات السكانية الليبية الكبيرة التي احتكوا بها.

ورد اسم ليبيا لدى الشاعر الروماني (فرجيل)[2] في الفصلين السابع والثامن من الانيادة[3]، حيث يتحدث الشاعر في هذين الفصلين عن ليبيا في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، وهي الفترة التي تسبق الاحتلال الروماني للمنطقة بقرون طويلة، فنجده يتحدث في الفصل السابع عن مدينة قرطاجة،

---

(1) محمد مصطفى بازمة، ليبيا، ص18. وكذا: ..G. Camps, Les Berberes, P.65.

(2) فرجيل هو بوبوليوس فيرجيليوس مارو، شاعر لاتيني وُلد في قرية (أنديس) الإيطالية (70 – 19 قبل الميلاد)، وهو صاحب ملحمة الإنيادة المشهورة، التي تتناول تاريخ روما منذ سقوط طروادة، وحتى معركة (اكتيوم)، التي انتصر فيها الإمبراطور أغسطس على خصميه أنطونيوس وكليوبترا. وتعتبر ملحمة الإنيادة تتمة لملحمة الأليادة التي صاغها هوميروس في حدود القرن التاسع قبل الميلاد.

(3) فرجيل، الإنيادة (ترجمة عنبرة سلام الخالدي)، ط.2، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م. ص ص 68 - 78.

في السنوات الأولى من تأسيسها فيقول: «هذه البلدة القريبة هي بلدة صورية، مع أن الأرض هي أرض ليبيا»، ويتحدث (فرجيل) عن ليبيا في نفس الفصل على لسان بطل ملحمته (أينياس) فيقول: «نحن من رجال طروادة، الذين جابوا البحار الكثيرة، حتى دفعتهم العواصف أخيراً إلى هذا الشاطئ من ليبيا»، ونجد (فرجيل) يشير إلى ليبيا على لسان عليسة مؤسسة مدينة قرطاجة وهي توجه حديثها إلى أحد رجال طروادة، الذي وصل قرطاجة للبحث عن (أينياس) فتقول: «إنني سأرسل في البحث عنه في كل أنحاء ليبيا». ويفهم من كلام فرجيل أن ليبيا في نظره في فترة تأسيس قرطاجة يقصد بها كل شمال إفريقيا ما عدا مصر، ولكن هذا الاسم يتقلص، أثناء الهيمنة الرومانية، حيث أصبح يطلق على منطقة قورينائية فقط، وفي الوقت نفسه بدأ الرومان يطلقون على السكان الذين يقيمون الىالغرب من قورينائية اسم أفرى، ويطلقون على بلادهم اسم إفريقيا. ويرى العلماء أن أصل كلمة أفرى غير معروف، ويرجح أنها من أصل محلي، حيث يعتقد البعض أنها نسبة لقبيلة أفرى التي كانت تقطن جنوب تونس الحالية[1]، ويلاحظ أنه منذ القرن الأول قبل الميلاد بدأ الرومان في توسيع مدلول كلمة إفريقيا، حيث أصبح الاسم يعبر على كل المنطقة التي كانت تدل عل ليبيا بوصفها قارة من قارات العالم الثلاث، وبالفعل نجد اسم ليبيا كقارة يختفي ويحل محله اسم إفريقيا، ويبدو ذلك واضحاً من خلال ما كتبه المؤرخ الروماني (جايوس كريسبوس سالوست) في كتابه **تاريخ الحروب اليوغورتية**، عندما قسم العالم القديم إلى ثلاث قارات هي: آسيا وأوروبا وإفريقيا[2]، ونجد الإشارة إلى ليبيا كمنطقة وإلى إفريقيا كقارة، واضحة تمام الوضوح، في ملحمة الإنيادة لفرجيل، عندما يتحدث عن (أينياس) ورفاقه، الذين جابوا البحار الكثيرة،

(1) محمد بيومي مهران، المغرب، ص94. وكذا.

(2) Salluste, La guerre de Jugurtha, Editions gran lger livres, Alrer, 2005. P.28, 29. G. Camps, les Berberes, p. 65.

حتى دفعتهم العواصف إلى شواطئ ليبيا، حيث يقول: «وقد رأيت أن لا أوروبا ولا آسيا تستطيعان تحملي، فها أنا أُهيم في صحارى إفريقيا»[1].

لقد ورد اسم ليبيا لدى الشاعر الإفريقي، (فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس) (القرن السادس الميلادي)، من خلال ملحمته التي يمجد فيها إعادة الاحتلال البيزنطي لمنطقة المغرب القديم، حيث يقول: «إنني أغنّي للكوارث التي حلت بليبيا وللعدو الذي كسرت شوكته، أغني للجوع والعطش اللذين أوقعا جيشين في إضطراب مميت، إنني أغنّي للدول التي وقعت فريسة للاضطراب والفوضى، وتدهور بها الحال وغُلبت على أمرها، وأتغنى بقائد يتوج أعماله بانتصار عظيم... فلقد عاد السلام إلى ربوع ليبيا بعد أن توقفت الحرب». يشير (كوريبوس) في موضع آخر إلى ليبيا على أنها إفريقيا، حيث يقول: «كانت إفريقيا ترزح تحت وطأة خطر داهم، ذلك أن نوبة من الجنون الوحشي تأججت نيرانها، تزهو بأسلحتها المغربية، وتدفع بالرجال والسلاح لتشعل النار في جميع المدائن في الأرض الملتهبة وتجر وراءها الأسرى من كل مكان في إفريقيا»[2].

لقد ورد اسم ليبيا لدى بعض الكُتّاب العرب مثل ابن عبدالحكم وابن خرداذبه، على شكل لوبية، ويبدو من خلال حديثهما عن هذا الإقليم، أنهما كانا يتحدثان عن المنطقة في زمن سابق عن العهد الإسلامي، حيث أشارا إلى هجرة البربر من فلسطين بعد مقتل ملكهم جالوت على يد داود، وفي هذا السياق يشيران إلى «خروج البربر متوجهين إلى المغرب، حتى

---

(1) فرجيل، الإنيادة، ص69. محمد مصطفى بازمة، ليبيا هذا الاسم، ص53.

(2) كوريبوس، فلافيوس كريسكونيوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية أو مقاومة قبائل المغرب العربي للاستعمار الروماني (ترجمة محمد الطاهر الجراري)، مركز الجهاد للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م. ص23.

انتهـوا إلـى لوبية ومراقية وهما كورتان من كـور مصر الغربية فتفرقت هناك فنزلـت زناتة ومغيلة وضبيسـة وفرسـنة الجبال ونزلت لواتـة أرض برقة»[1]، ويبدو من خلال تتبع المصادر العربية الإسـلامية التي تحدثت عن المنطقة في ذلك الوقت، أنه لا توجد أي إشارة لليبيا كإقليم من أقاليم المنطقة، لأن الاسم اختفى وحلت محله أسماء بديلة أخرى مثل: برقة وطرابلس وإفريقيا.

ورغـم اختفاء اسـم ليبيا منـذ نهاية العصـور القديمة حتـى بداية القرن العشرين من هذا العصر، إلا أن هذا الاسم ما زال يطلق على إحدى العشائر السـنغالية التـي تدعى ليبو[2]. ومـن المؤكد أن هذه العشـيرة عبارة عن فرع بسـيط من تلك القبيلة الليبية القديمـة، وربما وصلت تلك المنطقة في فترة سابقة غير معروفة، خلال الهجرات الواسعة التي حدثت بالمنطقة.

المدلول الجغرافي لاسم ليبيا في العصور القديمة:

أول من استخدم اسم ليبيا كمدلول جغرافي هم الإغريق، وكان الشاعر (هوميروس) في ملحمته الأوديسـة، والمؤرخ (هيرودوت) في كتابه **التاريخ** خيـر من تناول هذا الموضوع، وقد اسـتعمل الكُتَّـاب والمؤرخون الإغريق اسـم ليبيا مرة لتدل على معظم شـمال إفريقيا باسـتثناء مصـر، ومرة أخرى قصـدوا بهذا الاسـم القارة الإفريقية بكاملها، ومـرة ثالثة رأوا أن ليبيا عبارة عن منطقة قورينائية (الجبل الأخضر)، إلا أنهم في بعض الأحيان يوسـعون هذا الجزء الأخير ليشـمل كل ليبيا المعروفة الآن مضافاً إليها المنطقة التي تقع إلى الشرق من قورينائية وحتى مجرى وادي النيل.

---

(1) ابـن خرداذبـه المسـالك والممالـك، مكتبـة المثنى، بغداد، بـدون تاريـخ، ص91. وكذا: إحسـان عبـاس ومحمـد يوسـف نجـم، ليبيا فـي كتب التاريـخ والسـير، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968م. ص29.

(2) G. Camps, Les Berberes, P. 66.

أ ـ ليبيا بوصفها ليبيا الحالية:

لقد كان الإغريق يطلقون اسم ليبيا على المنطقة التي استعمروها بالجبل الأخضر، والمناطق المحيطة بها، خاصة باتجاه الشرق، وربما يرجع السبب في هذه التسمية إلى تلك القبائل التي كانت تقيم بالمنطقة والمعروفة باسم الليبو[1]، ويبدو أن الإغريق قبل استعمارهم للمنطقة لم يعرفوا من ليبيا سوى بعض النقاط الساحلية التي وصلوها مضطرين، عندما قذفت الرياح إليها سفنهم التجارية وصياديهم وقراصنتهم[2]. ولكن رغم ذلك فقد ذكر الإغريق ليبيا بوصفها المنطقة الجغرافية الحالية في الكثير من الكتابات الأسطورية والتاريخية والجغرافية، ويبدو أن الشاعر الإغريقي (هوميروس) أول من أشار إلى ليبيا في العديد من المواضع في ملحمته المشهورة الأوديسة، حيث ورد اسم ليبيا الحالية، وبالتحديد منطقة الجبل الأخضر الغني بموارده الحيوانية، في هذه الملحمة في الفقرة الخامسة والثمانين من الفصل الرابع، حين يسرد حديثاً جرى بين اثنين من شخصيات ملحمته وهما: (مينلاوس) وهو أحد أبطال الإغريق في الحرب التي شنت ضد طروادة، و(تيليماخوس) وهو ابن (أوديسيوس) الذي سميت باسمه الأوديسة، إحدى ملحمتي (هوميروس) المشهورتين[3]، وهو أيضاً أحد أبطال الإغريق في حرب طروادة، ونجد في هذه الفقرة (مينلاوس) يعدد

---

(1) فرانسوا شامو، في التاريخ، ص 50.

(2) نفس المرجع السابق، ص 63

(3) يعتبر (هوميروس) من عظماء الشعر الأغريقي في العصور القديمة. وتنسب إليه أعظم ملحمتين عرفهما الإغريق، وهما الإلياذة والأوديسة. يكتنف الغموض حياة (هوميروس)، ولهذا السبب يشكك البعض في وجوده أصلاً. ولكن حسب رواية (هيرودوت) يكون قد عاش حوالي القرن الثامن قبل الميلاد. ومنذ ذلك التاريخ تناقلت الأجيال شفوياً الملحمتين، والتي لم يتم تدوينهما إلا في عهد بيزستراتوس في القرن السادس قبل الميلاد.

(لتيليماخـوس) ـ الـذي حضر إلى إسبرطة للبحث عن أبيـه ـ البلدان التي زارهـا خـلال أسـفاره الطويلـة، حين يذكر أنـه بعـد زيارته لبـلاد النوبيين، واحتكاكـه بأهل صيدا الفينيقيين، وبالعـرب، توجه إلى «ليبيا التي تولد فيها النعـاج ثـلاث مرات في السـنة، وهي بلاد لا يمس فيها الجوع أحداً سـواء كان سيداً أو راعياً، فخيراتها من جبن ولحم ولبن لا ينضب، وشياه قطعانها تدر على الدوام لبناً بدون توقف»[1]. وورد اسم ليبيا أيضاً في نفس الملحمة في الفقرة السابعة من الفصل العاشر، لكنه في هذه المرة يشير إلى المنطقة الغربيـة مـن ليبيا، حين يتحدث عـن أكلة اللوتس، ومـن المعروف أن أكلة اللوتس هم إحدى المجموعات الليبية التي كانت تقيم عند السواحل الغربية مـن ليبيـا، وقـد ورد ذكرهـا عنـد (هيـرودوت) و(سـكيلاكس)[2] و(بلينـي) و(بطلميوس). ويقول (هيرودوت) في كتابه الرابع، الفقرة 177، يصف ثمار اللوتـس اللذيـذة: «بـأن مذاقهـا يذكـر بمـذاق الرطـب، وأن آكلـي اللوتس يصنعون أيضاً من هذه الثمار الخمر». وربما لهذه اللذة التي تمتاز بها ثمار اللوتس نجد (هوميروس) يشـير على لسـان بطل ملحمته (أوديسيوس) بأن مـن يأكل اللوتس يصرفـه عن الاهتمام برؤية وطنـه وزوجته وأولاده. وفي هذا السياق يقول: «وفي اليوم العاشر أقبلنا على الأرض التي تنبت اللوتس، وهـو ثمر عجيب يصرف آكلـه عن الاهتمام برؤية وطنـه وزوجته وأولاده. وكان أكلة اللوتس ـ وهو الاسم الذي يطلقونه على أنفسهم ـ كرام الخلق، وقد قدموا إلى بعض بحارتنا شيئاً من ثمرهم هذا وهم لا يريدون بهم شراً، بـل ظنـوا أنهم إنما يقدمون إليهـم خير ما لديهم، ولما أكلـوا هؤلاء أعلنوا

(1) فرانسوا شامو، في التاريخ، ص54.
(2) سـكيلاكس ملاح وجغرافي إغريقي عاش في القرن الرابع ق.م. ينسـب إليه كتاب تناول فيـه الرحـلات البحرية التـي قام بها في البحر الأحمر والبحر المتوسـط، وقد وصف من خلاله بعض الشعوب التي زارها.

أنهم لا يرغبون في ركوب البحر ثانية، فلما سمعت هذا، أمرت رفاقهم فأوثقوهم وحملوهم إلى السفن وهم غير راضون عن هذا التصرف نحوهم»[1]، وقد رأى (هيرودوت) في كتابه الرابع بأن ليبيا هي المنطقة التي تواجه جزيرة كريت فقط، ونجده يشير إلى اسم ليبيا أثناء حديثه عن المرحلة التمهيدية للاستعمار الإغريقي لمنطقة الجبل الأخضر، في روايتين، استقى الأولى من سكان جزيرة ثيرا[2]، واستقى الأخرى من سكان مدينة قوريني، ومجمل رواية الثيرانيين[3]، أن (جرينوس) ملك جزيرة ثيرا، ذهب في جمع من سكان الجزيرة إلى وحي الإله (أبوللو) بمدينة دلفي للسؤال عن بعض الأمور، وعندما سأل الملك كاهنة هذا الأله، كان الجواب: «عليه أن ينشأ مدينة في ليبيا». ويشير (هيرودوت) في موضع آخر من كتابه السابق عن نفس الموضوع، بأن القوم بعد رجوعهم إلى جزيرة ثيرا أصابهم قحط شديد استمر سبع سنوات، مما اضطرهم للعودة من جديد إلى مدينة دلفي لسؤال الكاهنة عن سوء أحوالهم، وقد كان ردها: «عليهم أن يرسلوا جالية إلى ليبيا»، وبالفعل عند عودتهم بعثوا رسل إلى جزيرة كريت للبحث عن شخص يعرف ليبيا، وفي إحدى مدن تلك الجزيرة التقوا بشخص يدعى (كوربيوس) أخبرهم بأن الرياح ألقت به ذات مرة نحو ليبيا، عند جزيرة تدعى بلاتيا، أما رواية القورينيين[4] فهي لا تختلف كثيراً في جوهرها عن

---

(1) هوميروس، الأوديسة، (ترجمة عنبرة سلام الخالدي)، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م. ص 100، 101.

(2) تسمى جزيرة ثيرا حالياً سانتورين. ومن خلال حديث (هيرودوت) فإن هذه الجزيرة قد عانت خلال القرن السابع قبل الميلاد مشاكل اجتماعية واقتصادية حادة، مما اضطر السكان إلى دفع بعض مواطني الجزيرة إلى الهجرة، والسعي إلى إنشاء مستوطنة لهم خارج المنطقة. وقد كانت المنطقة المختارة هي ليبيا.

(3) Herodote, Histoire, IV, 150, 151 - 154.

(4) Herodote, Histoire, IV, 155, 156.

رواية الثيرانيين، وهي أيضاً تشير إلى ليبيا، وتتلخص هذه الرواية بأن (باتوس) وهو أحد أبناء جزيرة ثيرا، ولد ضعيف الصوت، وعندما بلغ أشده ذهب إلى دلفي ليستنبي العرافة عن نطقه، فردت عليه العرافة قائلة: «أنت جئت تسأل عن صوتك، ولكن الإله (أبوللو) يرسلك لتؤسس مستوطنة في ليبيا، حيث تكثر الأغنام»، وعندها رجع (باتوس) إلى جزيرة ثيرا، دون أن يجد حلاً لمشكلة صوته، ويشير (هيرودوت) في موضع آخر من كتابه بأن أحوال جزيرة ثيرا ساءت مما اضطر السكان إلى إرسال وفد إلى وحي دلفي ـ كان من بينهم (باتوس) ـ للاستفسار عن كيفية الخروج من الأزمة التي يعانونها، وفي هذه المرة أيضاً تشير عليهم العرافة «بأن أحوالهم سوف تتحسن إذا أعانوا (باتوس) في تأسيس مدينة قوريني في ليبيا». ويبدو واضحاً من خلال هذه التفاصيل التي ذكرها (هيرودوت) أن المقصود بليبيا هنا هي تلك المنطقة التي تقع على الساحل الشمالي لإفريقيا، وهي المنطقة التي تقابل جزيرة كريت مباشرة.

ب ـ ليبيا بوصفها شمال إفريقيا:

لقد رأى (هيرودوت) بأن ليبيا تمتد من حيث تنتهي مصر الغربية، وقد حدد ساحل ليبيا الشمالي بما يلي بحيرة مريوط إلى رأس (سولوجوس) (رأس سبارتل) جنوبي طنجة على المحيط الأطلسي[1]، وقد أشار بأن المجموعات السكانية التي تقيم على امتداد هذه المنطقة، كلها تنتمي إلى أرومة واحدة، وهي موزعة على مجموعات من القبائل عدا الأجزاء التي يقيم بها الإغريق والفينيقيون[2]. وقد جعل (هيرودوت) بحيرة (تريتونيس) ـ وتقع على الأرجح عند خليج قابس ـ الحد الفاصل

(1) مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات، ص I.
(2) Herodote, Histoire, II, 32.

بيـن مجموعتين من الليبيين إحداهما التي تعيش إلى الغرب من البحيرة، وتتألـف مـن زراع آلفوا حيـاة الاسـتقرار، والثانية تعيش إلى الشـرق من البحيـرة، وتتألف من بدو رعاة[1]، ونلاحـظ أن (هيرودوت) لم يفرق بين هذه المجموعات الليبية من خلال الجنس، وإنما من خلال اختلاف نوع حياة كل منهما عن الأخرى، ويبدو أن هذا التمييز جعل العلماء المحدثين يقسـمون الليبيـن القدماء إلـى مجموعتين أيضاً: ليبيين شـرقيين، وليبيين غربيين[2]. ونجد قبل ذلك (هوميروس) في ملحمته الأوديسـة، يشـير إلى ليبيـا أيضاً على أنها معظم شـمال إفريقيا، حيث نجد إشـارة صريحة إلى التوسـع التجـاري الفينيقي في منطقة ليبيا القديمـة، والتي تمتد من غرب وادي النيل وحتى المحيط الأطلسي، وفي هذا السياق يروي (هوميروس) في الأوديسة، الفقرة مئتان وخمسة وتسعون من الفصل الرابع عشر، على لسان الملك (أوديسيوس) ملك (إيتاكة)، موجهاً حديثه إلى راعي خنازيره، دون أن يعرفه، حيث روي له بعض القصص والمغامرات، والتي من بينها «أسـره أثنـاء إحـدى غـارات القراصنـة على سـواحل مصـر، وتمكنه من الهـرب صحبة شـخص فينيقي، الذي توجه به أولاً إلى بـلاده فينيقيا، ثم عـرض عليـه أن يصحبه إلـى ليبيا. وقد كان (أوديسـيوس) يعتقد بأن هذا الشخص يريد بيعه في سوق النخاسة، لولا أن سفينتهم جنحت عند مياه جزيـرة كريـت»[3]، وعندها تمكن من النجاة، وفي نفس هذا المعنى، نجد (هيرودوت) يشـير بكل وضوح إلى عمليات التبادل التجاري، بين سكان ليبيا بوصفها شمال إفريقيا، وبين القرطاجيين الذين كانوا يجوبون البحار للتجارة والاسـتيطان، فيقول على لسان القرطاجيين: بأنهم كانوا يتاجرون

(1) Herodote, Histoire, IV, 186, 187.

(2) مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات، ص1.

(3) فرانسوا شامو، في التاريخ، ص55.

مـع منطقة ليبية تقع بعيداً عن أعمـدة هرقل (مضيق جبل طارق)، وكانوا عندما يصلون تلك البلاد ينظمون بضائعهم على الشـاطئ، ويرجعون إلى سـفنهم، ويرسـلون الدخـان في السـماء إشـارة لتنبيـه الوطنييـن، وعندما يشـاهد الوطنيون الدخان يتجهون نحو الشـاطئ، حيث يضعون كمية من الذهـب لمبادلـة سـلعة من السـلع، ثم ينسـحبون مبتعدين عن الشـاطئ، عندها يعود القرطاجيون إلى الشـاطئ ليعاينوا كمية الذهب، فإذا رأوا أنه ثمـن معقـول لبضائعهـم حملـوه وأقلعـوا، أمـا إذا رأوا أنه أقـل قيمة من بضائعهم، فإنهم يعودون إلى سفنهم ثانية وينتظرون هناك، وعندها يقترب الوطنيـون مـن البضائـع ويضيفون كميـة جديدة من الذهـب حتى يرضى القرطاجيـون، وفـي هـذا الإطـار يقـول (هيـرودوت): «لا القرطاجيـون، ولا الوطنيـون يمكنهـم الغش، وفي نفـس الوقت لا يلمـس القرطاجيون الذهـب، قبـل أن يوافقوا على أنه مسـاو فـي القيمة لكميـة البضائع التي عرضوهـا للبيـع، ولا يلمس الوطنيـون البضائع قبل أن يكونـوا قد دفعوا ثمنهـا ذهبـاً رضي بـه القرطاجيـون»[1]، ولم تقتصـر ليبيا بوصفها شـمال إفريقيـا لدى (هيرودوت) على المنطقة السـاحلية فقط، بـل إنه ضم اليها الواحـات والصحـراء، وقـد أشـار إلى ذلك بـكل وضوح فـي الكثير من فقـرات كتابـه الرابع، حيـث يقول: لقد تحدثت في السـابق عـن الليبيين الرعاة الذين يسكنون على ساحل البحر، ولكن أسفل هذه المناطق توجد مناطق ترتادها الوحوش المفترسـة، وأسـفل المنطقة السابقة يوجد شريط رملـي يمتد مـن طيبة في مصر، حتى أعمدة هرقـل (مضيق جبل طارق)، وتقع على هذا الشريط الرملي رواب تحيط بها الرمال، يتوسط كل واحدة نبـع يقذف ماءاً بـارداً عذباً، وحول هذه الروابي يقيم السـكان مضاربهم.

(1) Herodote, Histoire, IV, 196.

وقد أشار (هيرودوت) إلى أن هذه الروابي كثيرة، وتبعد عن بعضها البعض مسيرة عشرة أيام[1]. ومما لا شك فيه أن الروابي التي يقصدها (هيرودوت) هي الواحات الكثيرة التي تنتشر على طول المنطقة الداخلية من ليبيا، وبالفعل فقد ذكر (هيرودوت) البعض من هذه الواحات مثل: واحة (الأمونيون)، ويعني بهم الذين يعبدون الإله (زيوس أمون)، هم سكان واحة سيوة، ثم ذكر سكان واحة أوجلة، وواحات الجرامنت. وقد أشار (هيرودوت) بأن خلف هذا الشريط الرملي الذي يضم العديد من الواحات توجد الأجزاء الجنوبية والداخلية من ليبيا، والتي هي صحراء، حيث لا يوجد بها لا الماء ولا الحيوانات ولا المطر ولا الأشجار ولا أي أثر لحياة بشرية[2].

ج ـ ليبيا بوصفها إحدى قارات العالم القديم:

لقد ورد اسم ليبيا لدى (هيرودوت) في كتابه الرابع الفقرة 42، 43 على أنها قارة من قارات العالم الثلاث، حين أشار بأن العالم في عصره يتكون من ثلاث قارات وهي: ليبيا وآسيا وأوروبا، وقد ذكر بأن الفضل يرجع إلى البحارة الفينيقيين ـ الذين قاموا برحلة حول ليبيا ـ في التعرف على أن ليبيا يحيط بها الماء من جميع الجهات ما عدا الجهة التي تصلها بآسيا، وطبقاً لرواية (هيرودوت) فإن فرعون مصر في ذلك الوقت، نخاو الثاني (610 – 595 قبل الميلاد)، هو الذي كلف مجموعة من الفينيقيين بتلك الرحلة البحرية، حيث انطلقوا من البحر الأحمر نحو الجنوب، وعادوا إلى مصر من الغرب، مروراً بأعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) عند البحر الشمالي (البحر المتوسط). يقول (هيرودوت) يصف هذه

(1) Herodote, Histoire, 181.

(2) Herodote, Histoire, IV, 182, 183, 184, 185.

الرحلـة «لقد بـدأ هـؤلاء الفينيقيون رحلتهم مـن البحر الإريتـري (البحر الأحمر)، واتجهوا جنوباً بمحاذاة الساحل نحو البحر الأسترالي (المحيط الهندي)، وكانوا ينزلون كل خريف في مكان مناسـب على سـاحل ليبيا، فيزرعـون رقعـة مـن الأرض بالقمـح، وينتظـرون حتـى موعـد الحصاد، وعندهـا يجنون المحصـول ويواصلون رحلتهم، وظلـوا على هذه الحال مدة سـنتين كاملتين، وفي السنة الثالثة اجتازوا أعمدة هرقل (مضيق جبل طـارق) ووصلوا إلـى مصر، لقد أدلى هؤلاء الرحالـة بعد عودتهم، بخبر لا أصدقه، وإن كان هناك من يصدقه، وفحوى هذا الخبر أنه في المرحلة الأخيـرة مـن الرحلـة حول ليبيا، كانت الشـمس تشـرق علـى يمينهم»[1]، ورغـم أن (هيـرودوت) مـن خلال هذه الرحلـة عرف أن ليبيـا تحيط بها الميـاه مـن جميع الجهـات، ما عدا الجزء الذي يصلها بآسـيا، إلا أنه مع ذلـك لم يعرف الشـكل الطولـي الذي كانت وما زالت عليـه هذه القارة، لأنه لو عرف هذه الحقيقة، لفهم كيف تغير وضع شـروق الشـمس، بعد أن كان في الجزء الأول من الرحلة على اليسار، أصبح في الجزء الأخير من الرحلة على اليمين. وتعليل ذلك أن وضع شـروق الشـمس يتغير من اليسـار إلـى اليميـن، بعـد أن دار البحـارة حـول رأس الرجـاء الصالـح، واتجهـوا بسـفينتهم نحو الشـمال، ورغم أن (هيرودوت) لـم يصدق هذا الخبـر، إلا أن هـذه النقطـة بالذات، تدل علـى أن الفينيقيين بالفعل داروا حول ليبيا (إفريقيا) قبل أن يدور حولها (فاسكو دا جاما) البرتغالي، بأكثر من عشـرين قرناً. إننا نعطي العذر للمؤرخ (هيرودوت) أن لا يصدق هذا الخبـر، وهـو جهله لبعض الأمور الجغرافية، ولكـن الغريب في الأمر أن ينفـي عمليـة دوران الكنعانييـن حـول إفريقيا كُتَّاب محدثـون على درجة

(1) Herodote, Histoire, IV, 42.

متقدمة من العلم والمعرفة، وأعتقد أن هؤلاء الكُتّاب يرفضون هذه الحقيقة عن قصد مبيت لا لشيء، سوى أن شرف الدوران حول إفريقيا لا يليق بأن ينسب للعرب، لأن هذا الشرف سبق وأن أعطي وساماً للبرتغاليين في بداية العصر الحديث، وتبدو هذه النظرة الاستعمارية واضحة تمام الوضوح لدى الكاتب الفرنسي (جان مازيل) في كتابه مع الفينيقيين في متابعة الشمس على طريق الذهب والقصدير[1]، حيث أنكر دوران الفينيقيين حول إفريقيا، حين يقول على لسان (هيرودوت): بإن «تلك الرحلات، كانت تميل إلى الأسطورة أكثر من أن تكون واقعاً تاريخياً»، ولم يكتف هذا الكاتب بإنكار حقيقة دوران الفينيقيين حول إفريقيا فحسب، بل إنه زوَّر كلام أبو التاريخ لكي يثبت فرضيته، حيث افترى على (هيرودوت) قوله بأنه يعتقد أن هذه الرحلات تميل إلى الأسطورة أكثر من ميلها إلى الواقع والحقيقة، ولكن في الواقع لم يقل (هيرودوت) ذلك، بل إن كلامه كان واضحاً ودقيقاً، حيث أشار بأنه صدق كل مراحل الرحلة ما عدا قول هؤلاء الرحالة بأن الشمس في الجزء الأخير من الرحلة كانت تشرق على يمينهم، وواضح جداً أن الذي لم يصدقه (هيرودوت) هو تغير موضع شروق الشمس من اليمين إلى اليسار. إن هذا الشك من (هيرودوت) أمر طبيعي حسب المعارف المتوفرة لديه في ذلك العصر، وواضح أنه لو توفرت لديه المعارف الجغرافية التي توصلنا إليها في العصر الحديث لما أنكر تغير شروق الشمس من اليسار إلى اليمين، وهو بسبب اتجاه المكتشفين الفينيقيين بسفنهم نحو الشمال بعد دورانهم حول رأس الرجاء الصالح.

(1) Jean Mazel, Avec les pheniciens a la poursuite du soliel sur la route de l or et de l etain, Robert Laffont, Paris, 1968. P.235.

أصل الليبيين القدماء وظهورهم على مسرح التاريخ:

لا يمكن استنتاج وجود أصول مشتركة بين الليبيين القدماء، وسكان جنوب أوروبا، رغم أن مسألة الليبيين الشقر ذوي العيون الصافية قد أثارت الكثير من التأكيد الزائف لأصلهم الأوروبي، فزعم البعض أنهم من نسل الغاليين أو الجرمان أو الوندال، الذين جاءوا منطقة شمال إفريقيا خلال الاحتلال الروماني، ولكن هذا زعم واه لا أساس له من الصحة، لأن المجموعات السكانية ذات الشعر الأشقر والعيون الزرق عاشت بالمنطقة، كما سبق التأكيد منذ نهاية العصر الحجري الحديث، وقد أشار إليها خلال العصر التاريخي مؤلفون إغريق قبل أن يصل الرومان والوندال إلى المنطقة بعشرات القرون[1]، ويرى (جيان ديزنج) أن الليبيين القدماء في العصور القديمة تكونوا من امتزاج ثلاثة عناصر سكانية أقامت بالمنطقة على التوالي، وهم أصحاب الثقافة العاتيرية، وأصحاب الثقافة القفصية وسلالة العصر الحجري الحديث[2]، وكل هذه المجموعات قدمت من الشرق، ويرى في الجماعات السكانية التي ظهرت في العصر الحجري الحديث أنها بدأت في وجودها في المنطقة منذ منتصف الألف الخامسة قبل الميلاد، واستمر قدومها إلى المنطقة حتى بداية العصور التاريخية عندما بدأت القبائل الليبية القديمة مثل «التحنو والتمحو والليبو والمشوش» في الظهور في النصوص المصرية القديمة[3]. ويرى معظم الباحثين كما سبق التأكيد من خلال الاكتشافات الأثرية، والدراسات الأخرى المختلفة، بأن الأغلبية العظمى من سكان المنطقة جاءوا من الصحراء الكبرى، وأن تزايد الجفاف في

(1) ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، (ترجمة عبدالرحمن بدوي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م. ص 44.
(2) جيان ديزنج، البربر، ص 432، 433.
(3) نفس المرجع السابق، ص 432.

الصحراء كان قد فرض على الإنسان هناك أن يبادر إلى مغادرتها، والسعي للاستقرار حيث موارد المياه، على طول المنطقة الممتدة من غرب مجرى وادي النيل، وحتى المحيط الأطلسي[1]، ويرى معظم العلماء بأن هذه العناصر البشرية تنتمي إلى عائلة اللغات الحامية السامية، وقد وصلت منطقة الصحراء الكبرى عن طريق شبه جزيرة سيناء، أو عن طريق القرن الإفريقي، من موطنها الأصلي كما يُظن أنه كان في اليمن أو عُمان أو شرقي إفريقيا[2]. ومن خلال تلك المعطيات يرى بعض المؤرخين بأن أصحاب الصناعات الحجرية الدقيقة التي ظهرت خلال العصر الحجري الحديث في الفيوم، إنما أتوا أيضاً من الصحراء الكبرى إلى واحة الخارجة، ثم إلى الفيوم، وإلى غيرها من المواطن التي استطاعوا النزول بها[3]، وفي هذا السياق نجد (فلندرز بتري) عالم المصريات الذائع الصيت، يخلص إلى «أن سكان الوادي بكامله، تكونوا أساساً من مهاجرين من الصحراء الكبرى، جاءوا على دفعات متوالية، كل دفعة تزحم التي قبلها في ما قبل التاريخ، بل حتى في العصور التاريخية»[4]، وبالفعل تبدو آثار سكان الصحراء الكبرى بكل وضوح على سكان تلك المناطق، فنجد مثلاً سكان البداري في فترة عصور ما قبل التاريخ كانوا يزينون شعورهم بوضع الريش فيها، ونجد سكان العمرة، وهي حضارة أحدث من حضارة البدارى، اختفت فيهم الصفات الزنجية، وحلّت محلها صفات قادمة من الغرب، ويعلل الباحثون ذلك باختلاطهم بالقادمين من الصحراء الكبرى، ولقد ثبت

---

(1) مصطفى كمال عبد العليم، دراسات، ص6.

(2) رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ص137. وكذا: محمد مهران، المغرب، ص64.

(3) مصطفى كمال عبد العليم، دراسات، ص6.

(4) علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، (الجزء الأول)، الدار العربية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الآفاق الجديدة، مصراتة ـ الدار البيضاء، 1990م. ص24.

من فحص الهياكل العظمية لسكان قرية مرمدة (بني سلامة) العائدة إلى عصور ما قبل التاريخ، إنها تشبه جماجم سكان شمال إفريقيا وسكان الصحراء الكبرى[1]، وتعود لعصر ما قبل الأسرات، وبداية الأسرات مناظر عامة منقوشة مثل: مقبض سكين جبل العرق، ولوحة الصيد، ولوحة التحنو، ولوحة التوحيد أو لوحة نعرمر، (الأشكال 15، 16، 17، 18)، وهي نقوش لم تصحبها نصوص كتابية، لأن الكتابة (الهيروغليفية) لم تكن قد اكتملت عناصرها بعد، وهذه اللوحات يرى فيها بعض العلماء بأنها أقدم الشواهد على انتصار ملوك الوجه القبلي على سكان الوجه البحري، ويرى فيها علماء آخرون بأنها تمثل انتصار ملوك مصر في ذلك الوقت على الليبيين القدماء، واللافت للنظر في هذه اللوحات أنه لا يمكن التمييز بين أشكال من انتصر عليهم ملوك الوجه القبلي، وبين الصفات المميزة لليبيين القدماء في ذلك الوقت، والتي تتمثل في أشخاص ملتحين، يضعون الريش على رؤوسهم ويرتدون كيس العورة، وتتدلى من قمصانهم القصيرة ذيول[2]، وهذه الصفات كما سبق التأكيد هي صفات سكان الصحراء الكبرى قبل أن يوصف بها الليبيون القدماء والمصريون القدماء. وبناءً على ذلك، نستطيع أن نعمم اسم ليبيا والليبيين القدماء على كل شمال إفريقيا والصحراء الكبرى، وقد أكد هذه الحقيقة أبو التاريخ (هيرودوت) في القرن الخامس قبل الميلاد في كتابه التاريخ في الفقرتين 184، 185 من الكتاب الرابع. ويبدو واضحاً من هذه الوثائق المختلفة، أنه ابتدأ من عصر ما قبل الأسرات المصرية، أصبح لدينا شواهد أثرية ثابتة تعين على التعرف على الجماعات الليبية ومدى اتصالها بسكان منطقة وادي النيل، ويرى بعض العلماء بوجود

(1) مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات، ص8.
(2) فوزي فهيم جادالله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت، ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1968م، ص53.

ارتباط بين جفاف الصحراء الكبرى وانهيار الدولة القديمة في مصر، وذلك بسبب النزاعات والحروب التي وقعت بين المصريين والليبيين في ذلك الوقت، رغبة من المجموعة الأخيرة الاستقرار بمنطقة وادي النيل[1]، وبالفعل فإن الجفاف المتزايد الذي أصاب منطقة الصحراء الكبرى منذ الألف الثالثة قبل الميلاد أدى إلى هجرات مكثفة اتجهت في بداية الأمر نحو معظم مناطق إفريقيا الشمالية، ولكن مع مرور الوقت امتد التصحر نحو العديد من مناطق الشمال، مما أدى بهؤلاء المهاجرين بالاتجاه نحو وادي النيل، لما يسببه ثراء هذا الوادي من إغراء للإقامة والعيش السعيد، وكان من الطبيعي أن يقاوم المصريون هذا الزحف المكثف تارة بشن الحملات الرادعة ضد هؤلاء المغيرين، وتارة أخرى بإقامة الحصون محاولة لوقف زحف هذه القبائل[2]. ويبدو أنه بعد فشل الليبيين القدماء في الاستيطان في منطقة وادي النيل بالقوة، لجأوا إلى الوسائل السلمية فتسللت مجموعات منهم كرعاة وتجار أو كجنود مرتزقة، حيث منحت لهم بعض الأراضي مقابل خدمتهم في الجيش، ويرجح أن بعض هؤلاء وصلوا إلى مناصب رفيعة في البلاط المصري، وإلى مراكز القيادة في الجيش، ووصلوا إلى مراتب الكهان، ونجد بعضهم يجمع بين يديه السلطتين الدينية والمدنية في منطقة الدلتا بكاملها. «وقد حظي شيشنق الرئيس الأعظم للمشوش بأرفع مكانة في البلاط المصري، ويبدو أن فرعون مصر كان يدرك أن عرشه كان مستقراً في ظل هيمنة رئيس رؤساء المشوش، الذي كان يقبض على السلطة في معظم المدن المصرية عن طريق الرؤساء الموالين له»[3]،

---

(1) مانفرد وبيبر، المصريون القدماء والصحراء الكبرى (كتاب الصحراء الكبرى)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م، ص193.

(2) رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، دار أماني، طرطوس، 1989م. ص66.

(3) حسين عبد العالي مراجع، العلاقات الليبية، ص156.

ولكن ما أن توفي آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، حتى استولى شيشنق على السلطة عام 950 قبل الميلاد، وأسس الأسرة الثانية والعشرين الليبية، التي حكمت مصر قرابة القرنين من الزمان. لقد كان طبيعياً بعد أن هدأت الأمور، وتوقفت المحاولات المتكررة من قبل الليبيين القدماء للاستيطان بمنطقة وادي النيل، أن تنتشر هذه المجموعات السكانية في تحركات عكسية نحو الغرب وبنفس الكيفية السابقة طوال الفترة الكلاسيكية القديمة، ولقد توزعت هذه المجموعات على طول امتداد إفريقيا الشمالية، وقد استند العلماء على ذلك الانتشار من خلال التماثل بين تسميات الأقوام الليبية الواردة في نقوش منطقة وادي النيل في العصور القديمة، وبين تلك التسميات التي أطلقها عليها الإغريق والرومان فيما بعد، وبناءً على ذلك يعتقد العلماء بأن المشوش في النصوص المصرية القديمة هم أنفسهم المكسيس عند الإغريق. وأن الأسبت في النصوص المصرية القديمة، هم أنفسهم الأسبوستاي عند الإغريق، وأن البكن في الكتابات المصرية القديمة، هم أنفسهم البكاليس عند الإغريق. ولم يقتصر العلماء على تأكيد هذه الصلة من خلال تشابه الأسماء فحسب، بل إن أوجه الشبه في الملابس والزينة وطريقة تصفيف الشعر، وانتشار استعمال العربات لدى بعض القبائل، أكدت هذه الصلة بكل وضوح، وخير مثال على ذلك تزيين الشعر بالريش التي ظهرت لدى قبيلة النسامونيس، وتصفيف الشعر بطريقة متميزة التي لاحظها (هيرودوت) لدى بعض القبائل الأخرى مثل: المكاي والماخلويس والأوسيس والماكسيس. وقد أشار العديد من المؤرخين إلى عادة ارتداء الليبيين لملابس من جلود الحيوانات، وقد أشار كل من (ديودوروس الصقلي) و(سيلوس ايتاليكوس) إلى انتشار الوشم لدى قبيلة الماكسيس، وقد ظلت العربات الحربية التي تجر بواسطة أربعة خيول تستعمل لدى السكان المحليين بمنطقة قورينائية إلى تاريخ متأخر من عهد

الاستعمار الإغريقي بالمنطقة[1]. لقد أشرنا في السابق إلى أن معظم المجموعات السكانية التي استوطنت المنطقة الممتدة من البحر الأحمر في الشرق وحتى المحيط الأطلسي في الغرب، خلال العصر الحجري الحديث، جاءت من الصحراء الكبرى، ولكن في الحقيقة لم تكن الجماعات التي قدمت من الصحراء الكبرى المجموعات الوحيدة التي حلت بالمنطقة، بل تدفقت بعدها موجات كثيرة من الشرق، بدأت منذ نهاية العصر الحجري الحديث، واستمرت حتى نهاية العصور القديمة، وقد أدت هذه الهجرات إلى تنوع في الجماعات السكانية، ومنها التنوع في اللهجات، والتي ما زالت آثارها بين البعض حتى الآن، وقد شبه بعض الباحثين هذه الهجرات بتلك التي قام بها القوط والجرمان والفرنجة والوندال خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، والتي اجتاحت القسم الغربي من الامبراطورية الرومانية في عهودها المتأخرة[2].

لقد تناول الحديث عن هذه الهجرات المتأخرة التي قدمت من الشرق الأدنى القديم إلى منطقة المغرب القديم، العديد من الكُتَّاب الإغريق والرومان والبيزنطيين والعرب المسلمين، وقد كانت آراؤهم متباينة، لأنها كانت مزيجاً بين الحقيقة والخيال، ولكنها تتفق جميعها بأن أصول هذه المجموعات السكانية تعود إلى منطقة الشرق الأدنى القديم، فيرى (هيرودوت) بأن هذه المجموعات السكانية كلها تنتمي إلى أرومة واحدة[3]، ورغم أنه كان قد قسم هذه المجموعات إلى قسمين من القبائل، مجموعة

---

(1) فرانسوا شامو، في تاريخ ليبيا القديم الإغريق الأسطورة والتاريخ (ترجمة محمد عبدالكريم الوافي) منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1990م، ص54. وكذا: مصطفى عبدالعليم، دراسات، ص54، 55.

(2) G. Camps, Les Berberes, P.16, 17.

(3) Histoire, Herodote, II, 32.

تعيش إلى الغرب من بحيرة تريتونيس وتتألف من زراع ألفوا حياة الاستقرار، والأخرى تعيش إلى الشرق من البحيرة وتتألف من بدو رعاة، إلا أنه لم يفرق بين هؤلاء من حيث الأصول العرقية، وإنما من حيث اختلاف نوع حياة كل مجموعة عن الأخرى فقط. ويرى (سالوست) (القرن الأول قبل الميلاد) بأن السكان الأوائل لإفريقيا (شمال إفريقيا) كانوا الجيتول والليبيين، وهم مجموعات غير متمدنة تعيش على أكل لحوم الحيوانات المتوحشة، والأعشاب البرية، وكانوا لا يخضعون لعادات أو قوانين، أو سلطة حاكم، بل كانوا في تنقل مستمر بدون أن يكون لهم مقر دائم يستقرون فيه. ويشير (سالوست) في موضع آخر من حديثه عن سكان إفريقيا، بأنه بعد فترة من الزمن وصل الميديون والأرمن والفرس إلى أسبانيا، وبعد موت قائدهم (هرقل)[1]، أبحر الجميع نحو إفريقيا، وفي هذه المنطقة اختلط الميديون والأرمن بالليبيين، واختلط الفرس بالجيتول، ونتيجة لهذا الاختلاط عرفت المجموعة الأولى، التي نتجت عن امتزاج الأرمن والميديين بالليبيين باسم المور، وعرفت المجموعة الثانية التي نتجت عن امتزاج الفرس والجيتول باسم النوميديين، يشير (سالوست) بأنه استقى هذه المعلومات من خلال كتب ترجمت عن الفينيقية، كانت تخص الملك النوميدي هيمبسال. ويبدو أن (سالوست) كان يخلط في تاريخه بين الحقائق والأساطير، لأنه يحاول الربط بين شخصيات أسطورية إغريقية مثل الإله (هرقل)، وبين شعوب لا صلة لها بالإغريق وأساطيرهم مثل الميديين والفرس والأرمن، ولكن رغم ذلك نستطيع أن نستشف من خلال هذا الوصف، الأصل الشرقي لسكان المغرب القديم. ويرى (بروكوبيوس القيصري) بأن أصول هذه المجموعات السكانية كنعانية. وفي هذا الشأن يقول: لقد تولى قيادة اليهود بعد خروجهم من مصر، ووفاة موسى عليه السلام، شخص يدعى يوشع بن نون،

(1) Salluste, La Guerre de Jugurtha, 2005. P.P.30-32.

وقد استطاع هذا الأخير أن يدخل باليهود إلى فلسطين. واستطاع احتلال البلاد بعد حرب شرسة مع السكان الأصليين، وبالتالي طردت بعض المجموعات السكانية التي كانت متواجدة على طول ساحل البحر المتوسط الشرقي، من صيدا وحتى حدود مصر، والتي كانت تسمى فينيقيا. وقد تحركت تلك المجموعات نحو مصر، ولكنها عندما لم تجد لها مكان هناك، بسبب اكتظاظ المنطقة بالسكان، واصلوا سيرهم نحو ليبيا، واستقر هؤلاء الفارين على طول المنطقة الساحلية، حتى أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق). وقد أسس القادمون الجدد في تلك المنطقة العديد من المدن، وقد خلدوا قدومهم من فلسطين إلى هذه المنطقة، عن طريق عمودين تذكاريين من الحجر الأبيض، وجدا قرب النبع الكبير بمدينة تيجيسيس النوميدية، ويمكن أن نقرأ على هذين العمودين نقش كتابي بالفينيقية، استطاع (بروكوبيوس) ترجمته على النحو الآتي: «إننا نحن القوم الذين طردهم الشرير يوشع بن نون»[1]. لقد تم التعرف حديثاً على مدينة تجيسيس القديمة، والتي يرى معظم الباحثين بأنها تقع على بعد نحو خمسين كيلومتر جنوب شرقي قسنطينة بالجزائر، وهناك احتمال بأن تكون عين البرج الحالية. وقد أشار (بروكوبيوس) أثناء حديثه عن الليبيين القدماء عن هجرة أخرى للكنعانيين نحو منطقة المغرب القديم، وهي تلك التي كانت تقودها عليسة التي يسميها (بروكوبيوس) ديدون، حيث يشير بأن الكنعانيين الذين هاجروا صحبة هذه الملكة وجدوا من بين المستوطنين القدماء جماعات من بني جنسهم، وأسسوا مدينة قرطاجة بإذن منهم[2]، ولم تكن هذه الإشارة هي الأولى عن الأصل الكنعاني لسكان المغرب القديم، بل إنه قبل المؤرخ البيزنطي

---

(1) G. Camps, Les Berberes, P.13.

وكذا: ف. غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، ص97.

(2) Jean Mazel, Avec les Pheniciens, P.190, 191.

(بروكوبيوس)، نجد القديس (أوجستين) (القرن الرابع الميلادي) يشير إلى هذه الرواية التي تفيد قدوم مهاجرين من فلسطين إلى منطقة المغرب القديم[1]. وبعد (بروكوبيوس) نجد الكُتّاب العرب المسلمين يشيرون أيضاً إلى الأصل الشرقي لسكان المغرب القديم، حيث يؤكد بعضهم خروج مجموعات سكانية من فلسطين إلى منطقة المغرب القديم، بعد مقتل ملكهم جالوت على يد داود، ويؤكد البعض الآخر أن خروج هذه المجموعات السكانية كان من جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن)، حيث اتجهوا في البداية، نحو منطقة الشام، ومنها نحو المغرب القديم. وقد تحدث عن هذه الهجرات العديد من المؤرخين العرب المسلمين مثل: ابن عبدالحكم (المتوفى عام 257 هـ)، الذي تحدث في كتابه **فتوح مصر وإفريقية**، عن الوجهة التي جاء منها سكان المغرب القديم قائلاً: «وكان البربر بفلسطين وكان ملكهم جالوت، فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من السماء ولا ينالها النيل، فتفرقوا هناك فتقدمت زناتة ومغيلة إلى المغرب وسكنوا الجبال، وتقدمت لواتة فسكنت أرض انطابلس وهي برقة، وتفرقت في هذا المغرب وانتشروا فيه حتى بلغوا السوس. ونزلت هوارة مدينة لبدة، ونزلت نفوسة إلى مدينة سبرت (صبراتة)، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك»[2]. وقد تحدث اليعقوبي (المتوفى عام 280 هـ) **في تاريخه، عن** أصل البربر وانتشارهم في منطقة المغرب القديم قائلا: «وكان البربر

---

(1) G. Camps, Des Rives de la Mediterranee aux marges Meridionales du Sahara ((Les Berberes)), Edisud, Paris, 1996, P.9.

(2) ابن عبدالحكم، فتوح مصر والمغرب (تحقيق: علي محمد عمر)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م. ص 197. وكذا: إحسان عباس ومحمد سالم نجم، ليبيا في كتب التاريخ والسير، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968م. ص 29.

والأفارقة، وهم أولاد فارق بن بيصر بن حام بن نوح، لما ملك إخوانهم بأرض مصر، فأخذوا من العريش إلى أسوان طولاً، ومن إيلة إلى برقة عرضاً، خرجوا نحو المغرب، فلما جازوا أرض برقة أخذوا البلاد، فغلب كل قوم منهم على بلد، حتى انتشروا بأرض المغرب»[1]. وقد تحدث اليعقوبي عن هذه الأقوام وحدد موطن كل قوم ابتداءً من أجدابية وحتى السوس الأقصى بالمغرب الأقصى، حيث ذكر لواتة ومزاتة وهوارة وبدرعة وهيلة وبرقشانة وعجيسة ونفوسة ولماية ولمطة ومكناسة ومداسة. وقد أورد اليعقوبي في موضع آخر من كتابه رواية عن البربر والأفارقة يتحدثون فيها عن أصلهم، يقول اليعقوبي: «وقد ذكر قوم من البربر والأفارقة أنهم من ولد بر بن عيلان بن نزار»، وقال آخرون: «إنهم من جدام ولخم، وكانت مساكنهم فلسطين، فأخرجهم بعض الملوك، ولما صاروا إلى مصر منعتهم ملوك مصر النزول، فعبروا النيل، ثم غربوا، فأنتشروا في البلاد»، وقال آخرون: «إنهم من اليمن نفاهم بعض الملوك من بلد اليمن إلى أقاصي المغرب، وكل قوم ينصرون روايتهم، والله أعلم بالحق في ذلك»[2]. ويتحدث ابن خرداذابة (المتوفى عام 300 هـ) في كتابه **المسالك والممالك**، عن ديار البربر قبل رحيلهم إلى المغرب القديم قائلاً: «وكانت دار البربر فلسطين وملكها جالوت، فلما قتله داود عليه السلام جلت البربر إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية فتفرقت هناك فنزلت زناتة ومغيلة وضبيسة وفرسنة الجبال ونزلت لواتة أرض برقة»[3]. ونجد الهمداني (المولود بصنعاء والمتوفى ببريدة (اليمن) ما بين سنة 350 هـ وسنة 360 هـ) يشير في كتابه **الإكليل**، إلى البربر

---

(1) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (المجلد الأول)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م. ص190.

(2) نفس المرجع السابق، ص190، 191.

(3) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ، ص91.

وانتقالهم من اليمن إلى إفريقيا، عندما يتحدث عن مرة بن عبد شمس، وهو من نسل الهميسع بن حمير بن سبأ، يقول الهمداني: «وأما مرة بن عبد شمس، فأولد فيما يقال والله اعلم: كتامة وعهامة وصنهاجة ولواتة وزنيت وهو زناتة وهم رؤساء البربر، نُقلوا مع سيدهم كنيع بن يزيد، يوم أشخصه إفريقيس إلى إفريقية، وصرف المنتاب عنها»[1]. ويشير الأدريسي (المتوفى حوالي عام 558 هـ) إلى الليبيين القدماء الذين يسميهم البربر ويذكر بأن ديارهم بفلسطين حيث يقول: «وكانت ديار البربر فلسطين وكان ملكهم جالوت بن ضريس بن جانا، وهو أبو زناتة المغرب. وجانا هو ابن لوى بن بر بن قيس بن إلياس بن مُضر. فلما قتل داود عليه السلام جالوت البربري رحلت البرابر إلى المغرب حتى انتهوا إلى أقصى المغرب. فتفرقت هناك ونزلت مزاتة ومغيلة وضريسة الجبال، ونزلت لواتة أرض برقة، ونزلت طائفة من هوارة بجبال نفوسة، ونزل الغير منهم بالمغرب الأقصى ونزلت معهم قبائل مصمودة، فعمروا تلك البلاد، وقبائل البربر زناتة وضريسة ومغيلة ومدقر وبنو عبدربه وورفجوم ونفزة ونفزاوة ومطماطة ولمطة وصنهاجة وهوارة وكتامة ولواتة ومزاتة وصدراتة وبطلاسن ومديونة وزبوجة ومداسة وقالمة وأوروبة وهطيطة ووليطة وبنو منهوس وبنو سمجون وبنو وارقلان وبنو يسدران وبنو زيرجي وورداسا وزرهون وسائر قبائل البربر ممن سنأتي بذكرهم في عمارات بلادهم بحول الله»[2]. ويشير نشوان بن سعيد الحميري (المتوفى سنة 572 هـ)، في قصيدته ملوك حمير وأقيال اليمن، وشرحها

(1) أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، كتاب الإكليل (الجزء الثاني)، حققه وعلق عليه. محمد بن علي بن الحسين الحوالى، ط. 3، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1986م. ص115.

(2) الإدريسي، من كتاب نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية: محمد حاج صادق، بوبليشد، باريس، 1983م. ص72.

المسمى **خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة**، يقول عندما يتحدث عن أبرهة بن الرائش، وغزوه للمغرب، وإقامته مع قومه بأرض السودان[1] «وسار أبرهة نحو المغرب غازياً، ومعه ابنه العبد، واستخلف على اليمن ابنه إفريقيس بن أبرهة، وسار أبرهة حتى أوغل في أرض السودان براً وبحراً، وأمعن فيها، ثم بدا له المقام فأقام، وسرح ابنه العبد بن أبرهة في غرب الأرض في عسكر حتى انتهى إلى قوم وجوههم في صدورهم»[2].

ويقول نشوان في موضع آخر من كتابه، مشيراً إلى غزو المغرب أيضاً، ولكن هذه المرة من قبل إفريقيس بن أبرهة. ويلاحظ من قول نشوان هذه المرة، أن المغرب كان يسكنه البربر قبل وصول إفريقيس، وهذه إشارة صريحة إلى أن الهجرة التي يتحدث عنها نشوان، تلي تلك التي أشار اليها من قبل كل من ابن عبد الحكم واليعقوبي وابن خرداذبة، والتي تتحدث عن هجرة البربر من فلسطين. يقول نشوان: «هذا الملك إفريقيس بن أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائش، غزا نحو الغرب عن يمين مسير أبيه في أرض البربر حتى انتهى إلى طنجة من أرض المغرب فرأى بلاداً كثيرة الخير قليلة الأهل، فأمر ببناء مدينة إفريقية، وأسكن فيها قبائل من قومه، وهم أهل كتامة وعهامة وزناتة ولواتة وصنهاجة قبائل ضخمة في المغرب من حمير، ونقل البربر وهم جيل من الناس بقية ممن قتلهم يوشع بن نون، لأنه دعاهم إلى طاعة الله ﷻ فكرهوا الحق وأحبوا المقام على الكفر فقتلهم، وهربت منهم طائفة إلى السواحل، ثم رجعوا بعد ذلك، فقتل منهم إفريقيس في غزوته من

(1) يقصد بالسودان في ذلك الوقت، كل المناطق التي تقع بين البحيرات الكبرى في الجنوب والصحراء الكبرى في الشمال، على طول المنطقة الممتدة من البحر الأحمر في الشرق، والمحيط الأطلسي في الغرب.

(2) نشوان بن سعيد الحميري، ملوك حمير وأقيال اليمن (تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي)، دار الكلمة، صنعاء، 1985م. ص97، 98.

قتل، ونقل بقيتهم إلى بربرة، فأسكنهم بحيث هم من بلاد البربر»[1]. أما أبو الحسن علي بن سعيد الأندلسي (المتوفى سنة 685 هـ)، فقد أشار إلى هجرة البربر من فلسطين، في كتابه **المغرب في حلى المغرب**، ولكنه لم يأت بجديد، حيث نقل معلوماته حرفياً عن ابن عبد الحكم[2]. ومن الروايات المهمة التي تتحدث عن أصول البربر، تلك التي تقول أن البربر خليط من أقوام شرقية مختلفة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، يقول ابن خلدون نقلاً عن الطبرى: «إن البربر أخلاط من كنعان والعماليق، فلما قُتل جالوت تفرقوا في البلاد وأغزى إفريقش المغرب ونقلهم من سواحل الشام واسكنهم إفريقيا وسماهم بربر». ويقول نقلاً عن مالك بن المرحل: «البربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش تلاقوا بالشام ولغطوا فسماهم إفريقش البربر لكثرة كلامهم»[3]. ولم تقتصر الروايات التي تتحدث عن أصول البربر على الروايات التي جاء بها المؤرخون والنسابة العرب فقط، بل إن النسابة البربر هم أيضاً أشاروا إلى انتساب البربر إلى الأصل العربي ويرى هؤلاء النسابة بأن لواتة يرجعون في أصولهم إلى حمير، وينتسب إلى هذا الأصل أيضاً كل من غمارة وزواوة ومكلاتة. ويرى هؤلاء بأن هوارة ترجع في أصلها إلى السكاسك بكندة. ويروا بأن زناتة ترجع في أصولها إلى العمالقة، وأنهم فروا من بلاد الشام أمام اليهود[4].

---

(1) نفس المرجع السابق، ص98، 99.

(2) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، ليبيا في كتب التاريخ والسير، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968م. ص77.

(3) ابن خلدون، كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (الجزء السادس)، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979م. ص93.

(4) المرجع نفسه، ص192.

هذه أهم الروايات المختلفة التي أوردها الإخباريون العرب المسلمون، والتي تناولت الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، قبل دخول الإسلام إلى المنطقة. ورغم أن هذه الروايات تتحدث في بعض الأحيان عن شخصيات ليس لها سند تأريخي، ولكنها مع ذلك تشير إلى حقائق علمية، على قدر كبير من الأهمية، لأنها تؤكد أن مجموعات سكانية كثيرة قدمت من مناطق مختلفة بشبه الجزيرة العربية والتقوا بمنطقة الشام، ومنها انطلقوا على مراحل إلى مواطنهم الجديدة بالمغرب القديم، وقد أطلق على هؤلاء فيما بعد اسم البربر، وهذا التنوع في الجماعات السكانية، أدى منذ القدم، إلى تنوع لغوي، لا يزال ماثلاً حتى الآن، حيث تصعب ـ أحياناً ـ فيه إمكانية التفاهم اللغوي بين تلك الجماعات، ورغم أن ما أورده هؤلاء الكُتَّاب حول أصل سكان المغرب القديم، كان يعتمد على الرواية المنقولة عن النسابين والإخباريين جيلاً بعد جيل، إلا أن إجماعهم بتأكيد الأصل الشرقي لسكان هذه المنطقة، يجعلنا نجزم بأن أخبار هؤلاء تحتوي على قدر كبير من الحقيقة التاريخية، لأنها تتفق مع ما توصل إليه العلماء المحدثون خلال السنوات القليلة الماضية، من أن سكان هذه المنطقة بالفعل قدموا كمهاجرين من منطقة الشرق الأدنى القديم، خاصة من منطقتي الشام واليمن. ورغم أن بعض العلماء الغربيين، ومن سار على نهجهم من العرب، كانوا خلال العقود الماضية، يرفضون هذه الروايات، ويعتبرونها ـ بدعوى العلمية والعقلية الحديثة ـ نوع من الخرافات، إلا أنه لا يمكن قبول أو رفض تلك الروايات المتعلقة بالتاريخ القديم، كلياً أو جزئياً، إلا بعد مقارنتها مع ما توصل إليه العلم الحديث من نتائج، في مجالات علوم الآثار والأنثروبولوجيا (علم الإنسان) واللغة. والجدير بالذكر أن هذه العلوم استطاعت أن تثبت بأن الكثير من الأحداث، التي وردت في الكثير من الروايات والملاحم الأسطورية، كانت واقعاً تاريخياً لا مجال للتشكيك

فيـه، وخيـر دليل على ذلك، ما أثبته علماء الآثـار من نتائج ـ لم تكن قابلة للتصديق في السابق ـ حول ملحمة الإغريق الكبرى الإلياذة، تلك الملحمة التي تحولت فيها بعض الأحداث والشخصيات والمواقع، منذ عام 1876م. إلـى واقـع تأريخـي، بفضل الحفريـات الأثريـة، التـي أجراها عالـم الآثار الألماني (هنريش شليمان)، وبفضل الاكتشافات الحديثة للعديد من الوثائق الأثريـة المعاصـرة لأحداث تلك الملحمـة الأسـطورية[1]. ورغم أن هؤلاء العلماء الغربيين اعتمدوا على الملاحم الأسـطورية، والكتب التاريخية التي يتخللهـا الكثير من الأسـاطير، لإثبات جوانـب تاريخية تخص تاريخهم، أو التواريـخ ذات الصلـة بتاريخهم مثل تاريخ الإغريـق والرومان واليهود، إلا أنهم تجاهلوا كلياً جميع ما قاله العرب المسلمون حول هجرة ما يسمونهم بالبربـر مـن جنـوب شـبه الجزيرة العربيـة أو من منطقة الشـام نحـو منطقة المغرب القديم[2].

الليبيون القدماء من خلال المصادر الأثرية والتاريخية:

يمكـن التعـرف على الليبييـن القدماء من خلال قسـمين مـن المصادر الأثريـة والتاريخيـة: المصادر المصرية القديمة التـي تمتد منذ عصر ما قبل الأسـرات، وحتى مجيء الإغريق إلى منطقة الجبل الأخضر وما حوله، في القرن السـابع قبل الميلاد، والمصـادر الإغريقية والرومانية والبيزنطية، التي تمتد منذ مجيء الإغريق، وحتى الفتح الإسـلامي العربي في القرن السـابع الميلادي، ونلاحظ من خلال هذه المصادر ـ خاصة المصادر الأولى ـ أنها كتبـت من جانب واحد، وهو الجانب غيـر الليبي، وهي بذلك لا تخلو من

(1) اللطيـف أحمـد علـي، التاريـخ اليوناني (العصـر الهيلادي) (الجـزء الثانـي)، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م. ص ص 798 - 841.

(2) محمد مصطفى بازمة، سكان ليبيا، ص 99.

مبالغة وتحيز، خاصة أن الحفريات الأثرية في الفترة الأولى، وهي الفترة ذات العلاقة بالمصريين القدماء، لم تمدنا بمعلومات ذات قيمة نستطيع من خلالها كتابة تاريخ متسلسل لهذه المنطقة، في حين أن المصادر الثانية وهي المصادر الإغريقية والرومانية رغم أنها هي الأخرى كانت من الجانب الإغريقي والروماني فقط، إلا أن الحفريات الأثرية أثبتت الكثير من القضايا الهامة من تاريخ هذه المنطقة في تلك الفترة.

أولاً ـ المصادر المصرية القديمة:

يمكن تقسيم المصادر المصرية القديمة حسب مراحل تاريخ منطقة وادي النيل في العصور القديمة إلى عدة أقسام وهي:

أ ـ **وثائق ما قبل الأسرات وبداية الأسرات**: نلاحظ على هذه المصادر أنها عبارة على مناظر عامة منقوشة لا تصحبها نصوص كتابية، لأن الكتابة الهيروغليفية في ذلك الوقت لم تكتمل عناصرها بعد، وهذه المصادر هي:

1 ـ **مقبض سكين جبل العرق**: عثر على هذا المقبض تجاه نجع حمادي بالصحراء الشرقية. تمثل الرسومات التي على هذا المقبض رجال لهم خصلة من الشعر على شكل ضفيرة، ويلبسون كيس العورة، وهي صفات يتخذها الباحثون علامات مميزة لليبيين القدماء في ذلك الوقت.

2 ـ **لوحة الصيد أو ما يعرف بلوحة الأُسود**: تصور هذه اللوحة عدداً من الرجال يحملون الأقواس والحراب وعصي الرماية وحولهم حيوانات كثيرة للصيد ويزينون شعورهم بالريش ويرتدون كيس العورة ولهم ذيول تتدلى من قمصانهم وكل هذه الصفات اتخذها الباحثون كعلامات لليبيين القدماء، وهي من العلامات التي شاهدناها بكثرة في الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى وهي رسوم ترجع لعصور ما قبل التاريخ.

3 ـ **لوحة التحنو**: وتعتبر هذه اللوحة أهم الشواهد الأثرية التي تدل على الليبيين القدماء، وقد عثر عليها في أبيدوس في مصر العليا، وقد استطاع العالم الألماني تاسيتي من خلال هذه اللوحة أن يميز العلامة الهيروغليفية التي تدل على التحنو، نجد على أحد وجهي هذه اللوحة رسومات تمثل سبع مدن محصنة متحالفة استطاع أن ينتصر عليها الملك. أما على الوجه الآخر فنجد ثلاثة صفوف تمثل ثيران وحمير وأغنام وأسفلها أشجار زيتون بالقرب منها العلامة الهيروغليفية التي تدل على التحنو.

4 ـ **لوحة التوحيد**: لقد ظهر اسم التحنو خلال الأسرة الأولى (3400 – 3200 ق.م.) في عهد الملك نعرمر على أسطوانة من العاج تعرف باسم لوحة التوحيد. ويبدو الملك في هذا النقش وهو يضرب مجموعة من الأسرى الجاثمين، نقش فوقهم عبارة تحنو باللغة الهيروغليفية، ولقد اختلف المؤرخون في تفسير هذه اللوحة فنجد برستد يعبر عنها بـ (نعرمر ينتصر على الليبيين) في حين نجد (دريتون) و(جاردنر) يعبر عن هذه اللوحة بـ (نعرمر ينتصر ويهزم سكان الوجه البحري وهو يوحد القطرين). ونلاحظ أن جميع هؤلاء الباحثين على صواب، لأن الكثير من العلماء يعتقد أن نعرمر استطاع توحيد منطقة وادي النيل بعد أن طرد منها الليبيين الذين كانوا يقيمون في الوجه البحري، والملفت للنظر هنا أنه لا يمكن التمييز بين صور وأشكال أهل الدلتا في هذه اللوحة، وبين التحنو أو الليبيون، الذين ميزتهم الرسوم المصرية القديمة بأنهم أشخاص ملتحون، ويزينون شعورهم بالريش، ويرتدون كيس العورة، وتتدلى من قمصانهم القصيرة ذيول[1].

ب ـ وثائق الدولة القديمة (2900 – 2280 ق.م.): يلاحظ على هذه الوثائق بأنها ابتداءً من الدولة القديمة أصبحت تدون عن طريق الكتابة

(1) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في التاريخ، ص ص 53 – 55.

الهيروغليفية، ففي بعض الأحيان تكون النصوص مختصرة وفي أحيان أخرى تكون مفصلة إلى أبعد الحدود، ويمكن تقسيمها على النحو الآتي:

1 ـ **نص الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة على حجر بالرمو**: ويفيد النص أن الملك سنفرو قاد حملة ضد التحنو وأسر منهم (1100) أسيراً واستولى على (13100) رأساً من الماشية والأغنام.

2 ـ **نصوص الملك سحورع من الأسرة الخامسة على جدران معبد الملك سحورع**: لقد زودتنا هذه النقوش بمعلومات وافية عن التحنو خاصة فيما يتعلق بسماتهم البشرية وملابسهم وبعض الميزات الأخرى التي تذكرنا بصور الليبيين القدماء التي استقيناها من وثائق ما قبل الأسرات وبداية الأسرات.

3 ـ **نصوص أوني حاكم الجنوب**: يذكر أوني حاكم الجنوب على جدران مقبرته في أبيدوس بأنه قاد جيشاً ضد بدو آسيا في عهد الملك بيبي الأول (الأسرة السادسة) وكان يتكون الجيش من العديد من سكان الجنوب ومنهم سكان بلاد التمحو، ويبدو أن هذه الإشارة أول ذكر لقبائل التمحو.

4 ـ **نصوص حرخوف حاكم وقائد القوافل في الجنوب (الأسرة السادسة)**: لقد وصف حرخوف من خلال النصوص التي تركها على جدران مقبرته في الفنتين رحلاته إلى إقليم يام في النوبة وأنه تقدم حتى وصل بلاد التمحو التي تقع في الجنوب الغربي من النيل.

ج ـ وثائق الدولة الوسطى (2060 - 1785 ق.م.)

لم تكن الوثائق التي تتحدث عن الليبيين خلال هذه الدولة كثيرة وإن وجدت، فيشوبها بعض الغموض، وأهم وثائق هذه الدولة التي تتعلق بالليبيين هي:

1 ـ **حكاية سنوهي، وهو أحد رجال البلاط في عهد الملك منتوحتب الأول (1991 - 1961 قبل الميلاد)**: لقد ذكر سنوهي أن سنوسرت ابن الملك منتوحتب الأول خاض حرباً ضد التمحو، ويرى المؤرخون أن هذه الحرب توجت بالنصر والدليل على ذلك ما ذكره (ديودورس الصقلي) بأن سنوسرت الأول قد أخضع الشق الأكبر من ليبيا[1].

2 ـ **مخلفات المجموعة السكانية التي يطلق عليها المجموعة ج**: لقد عاصرت هذه المجموعة السكانية الدولة الوسطى، وقد ألقت المخلفات التي تعود لهذه المجموعة بعض الضوء عن العلاقات التي كانت بين الليبيين وجنوب منطقة وادي النيل. ويرى بعض العلماء في هذه المجموعة السكانية بأنها فرع جنوبي للتمحو أو كليبيين جنوبيين.

د ـ وثائق الدولة الحديثة (1580 - 1085 ق.م.):

لقد خلَّفت لنا الدولة الحديثة أكبر قدر من الوثائق التي تتمثل في النقوش والصور، والتي من خلالها تعرفنا على مجموعات كثيرة من الليبيين قبل هيرودوت؛ أي: خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م، ويمكن تلخيص هذه الوثائق الكثيرة على النحو الآتي:

1 ـ **وثائق مقابر طيبة في عهد الملكة حتشبسوت والملك تحتمس الثالث**: لقد احتفظت لنا بعض مقابر طيبة في الفترة ما بين (1490 - 1447 ق.م)، بصور تمثل تسديد الجزية التي قدمت من بعض القبائل الليبية في الواحات البحرية.

2 ـ **رسومات معبد الكرنك**: وهي تعود إلى عهد الملك سيتي الأول والتي تشير إلى هجمات خطيرة قامت بها قبائل التحنو، وقد تم الإشارة

(1) فرانسوا شامو، في تاريخ، ص 33.

إلى مثل هذه الهجمات أيضاً في عهد رعمسيس الثاني من خلال نقشين عثر على أحدهما في معبد بيت الوالي، والآخر في معبد أبي سمبل، والنقشان يتحدثان عن صد هجمات قبائل التحنو، لقد شكك بعض الباحثين في حقيقة هذه الهجمات الخطيرة التي قامت بها قبائل التحنو، وصدها من قبل ملوك سكان منطقة وادي النيل، وقد رأى هؤلاء الباحثين في هذه الرسومات مجرد تكرار وزخرفة للمعابد الفرعونية من خلال الإشارة إلى أحداث سابقة مرت منذ زمن بعيد[1].

3 ـ **نقوش مسلات رعمسيس الثاني التي اكتشفت في مدينة تانيس:** تشير هذه النقوش إلى استعانة رعمسيس الثاني بوحدات عسكرية ليبية تم ضمها للجيش المصري.

4 ـ **نقوش معبد الكرنك وعمود القاهرة ولوحة اتريب وانشودة النصر:** هذه المصادر الأربعة تحدثت جميعها ـ كما يرى بعض الباحثين ـ عن انتصار الملك مرنبتاح (الأسرة التاسعة عشر) على التحالف الذي يضم كل من الليبو والقهق والمشوش مع شعوب البحر التي تتمثل في خمسة أقوام وهم (الأقاواشا) و(التورشا) و(الشردان) و(اللوكا) و(الشكلش). ويرى فيهم الباحثون على الترتيب (الآخيين) و(الأترسكيين) و(السردينين) و(اللوكيين) و(الصقليين)[2]، وقد توجه هؤلاء جميعاً نحو الدلتا لاحتلالها لغرض الاستقرار بها، وكان يقودهم في هذا الهجوم زعيم قبيلة الليبو مرى بن أدد.

5 ـ **بردية هاريس الكبرى:** وهي بردية يصل طولها أكثر من أربعين متر وعرضها حوالي 42 سنتمتر، تتحدث هذه البردية عن هجوم قبائل الليبو

(1) نفس المرجع السابق، ص 40.
(2) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر التاريخ الليبي، ص 70، 71.

علـى منطقة الدلتا، ويفهم من خلال هذا النص أن السـبب في هذا الهجوم أن الفرعـون أراد أن يفـرض على الليبيين ملـكاً منهم رباه في قصره، ولكن الليبيين رفضوا هذا الحاكم لأنهم رأوا فيه الفرعون نفسه.

6 ـ نقـوش ولوحـات معبـد رعمسـيس الثالـث الجنائزي بمدينـة هابو الواقعـة في طيبـة الغربية: تتحدث هذه اللوحات والنقوش عن هجوم قامت به قبيلة المشوش ضد منطقة وادي النيل، وقاد هذا الهجوم زعيم المشوش كبـر وابنـه مششـر، وتعتبر بردية هاريـس ونقوش ولوحات معبـد هابو التي دونت في عهد رعمسيس الثالث آخر الوثائق الهامة التي تتحدث عن القبائل الليبية القديمة التي احتكت بمنطقة وادي النيل في العصور القديمة.

الليبيون القدماء من خلال المصادر المصرية القديمة:

نسـتطيع مـن خـلال سـردنا للمصـادر المصريـة القديمـة أن نقسـم المجموعـات الليبية القديمة التي وردت بهذه النصوص، حسـب تسلسـلها التاريخي إلى الجماعات الآتية:

1 ـ التحنـو: تقـع بـلاد التحنو إلى الغـرب من مجـرى وادي النيل، لأنها تذكـر دائمـاً في النصـوص المختلفة عندما تذكر أسـماء البلاد التـي تقع إلى الغـرب مـن مصر، ويـرى الدكتـور أحمد فخـري ـ اسـتناداً علـى آراء علماء آخرين ـ بأن بلاد التحنو، كانت تمثل الفيوم والواحات ووادي النطرون وبرقة. وقد رأى (فرانسـوا شـامو) بأن بلاد التحنو تشـمل كل المناطق الواقعة غربي وادي النيـل، بما فـي ذلك الأقاليم الجنوبية[1]. ونلاحظ أنه ابتداء من الأسـرة الخامسة من الدولة القديمة، وحتى الأسرة الثامنة عشرة، أصبحت كلمة تحنو

(1) محمـد بيومـي مهـران، المغـرب، ص75. وكـذا: مصطفـى كمـال عبدالعليم، دراسـات، ص14، 69.

تـدل على ليبيـا والليبيين القدماء عامة[1]. ويرى العالم الألماني (هولشـر) بأن قبائل التحنو كانت تعيش في دلتا النيل، ثم طردهم من هذا الإقليم الخصيب ملـوك منطقـة الوجـه البحري، عندمـا تم توحيده مـع منطقة الوجـه القبلي[2]. ويبـدو أن هـذا الأمر صحيحاً، ومما يؤيد ذلك ما ذهب إليه (جاردنر)، من أن صـور التحنو تظهر في النقوش المصرية القديمة، وكأن بينهم وبين المصريين القدمـاء قرابـة وثيقة، وتتضح هذه القرابة من خلال ملابسـهم التي تتفق تماماً مع الملابس المصرية، حيث كانوا يعلقون بهذه الملابس ذيولاً مثل التي كان الفراعنـة يعلقونها، ويحلون جباههم بخصلة من الشـعر، تحاكي صورة الصل المقـدس عنـد ملـوك الفراعنـة، وتبدو هـذه القرابـة واضحة أيضـاً من خلال سـماتهم البشرية، حيث كانوا سـمراً مثلهم مثل المصريين، كما كانوا يختنون مثلهـم كذلـك، وكانـوا يضعون قراباً لستر العـورة مثلهم مثـل المصريين في عصـور ما قبل التاريخ، ومن هذه القرائـن المختلفة توصل بعض العلماء إلى أن المصرييـن القدمـاء يرجع أصلهم إلى الليبيين القدمـاء، حيث يؤكد هؤلاء العلماء بأن المصريين وفدوا على وادي النيل منذ وقت مبكر بوصفهم صيادون ورعاة ماشية، ثم أصبحوا فيما بعد زراع مستقرون، وبدون شك فإن المقصود هنـا بالليبييـن القدمـاء، هم سـكان الصحراء الكبـرى، الذين وصلـوا في فترة العصـر الحجـري الحديث إلى مرحلـة حضارية متقدمة، وقد أشـرنا فيما قبل إلـى أن الفضل يرجـع إليهم في انتقال الرعي والزراعـة نحو وادي النيل، في البداية، ثم فيما بعد إلى بقية شمال إفريقيا.

2 ـ **التمحـو**: يـرى (جاردنر) أن بلاد التمحـو تمتد على الحدود الغربية لمصـر حتـى طرابلس غرباً، والنوبة جنوباً، فـي حين يرى أحمد فخري بأن

---

(1) فرانسوا شامو، في تاريخ، ص30.

(2) نفس المرجع السابق، ص31، 31.

التمحو كانوا قد تمركزوا في نفس موطن التحنو، بعد أن سيطروا عليهم، بالإضافة إلى سيطرتهم على الواحات ذات الأرض الخصبة المنتشرة إلى الغرب من وادي النيل، ويرى أنهم انتشروا جنوباً حتى دارفور[1]. أما عن أصل التمحو، فقد ظهرت في هذا الموضوع نظريتان: يرى أصحاب النظرية الأولى بأن التمحو جاءوا مهاجرين من قارة أوروبا إلى شمال إفريقيا، ثم توغلوا إلى الجنوب، ويروا بأنهم ينحدرون من قبائل الوندال أو أي جنس شمالي آخر، ويستند أصحاب هذه النظرية كدليل على ذلك من خلال السمات التي يمتاز بها التمحو عن بقية الليبيين مثل: الشعر الأصفر والعيون الزرقاء والبشرة البيضاء، ولكن هذه النظرية لا تستقيم مع ما اثبتناه أعلاه من وجود هذه المجموعة السكانية ذات الشعر الأصفر والبشرة البيضاء في الصحراء الكبرى منذ الألف السادسة قبل الميلاد، وتتعارض مع ما أكدت عليه البحوث الأثرية عن عدم استعمال الإنسان للبحر قبل الألف الخامسة قبل الميلاد، بالإضافة إلى عدم وجود أية قرائن تفيد بأن المجموعات السكانية الأوروبية وصلت منطقة الصحراء الكبرى كمهاجرين في أي فترة من فترات التاريخ القديم، والجدير بالذكر أن أول اتصال أوروبي بمنطقة شمال إفريقيا كان في حدود نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، مع وصول المجموعات المعروفة باسم شعوب البحر الذين حاولوا الاستيطان في منطقة وادي النيل، وكما هو معروف لدى الجميع، فإن تلك المحاولة لم يصادفها النجاح على كل حال، أما أصحاب النظرية الثانية فيروا بأن التمحو هم مواطنون إفريقيون سلكوا طريقهم من الجنوب الغربي من الصحراء متجهين نحو الشمال والشمال الشرقي، ويرى بعض العلماء بأن القوم الذين أطلق عليهم العلماء اسم المجموعة (ج)، والذين عثر على آثارهم بمنطقة

(1) محمد بيومي مهران، المغرب، ص، 78، 79.

النوبة، هم فرع من التمحو، وأنهم ليبيون. ويشير (أوريك بيتس)[1] بأن مخلفاتهم تتفق ومخلفات الليبيين القدماء حيث يذكر بعض الأدلة التي تثبت هذه الصلة، والتي من بينها:

أ - لا تختلف جماجم وشعور المجموعة (ج)، عن جماجم جنس البحر المتوسط، الذين منهم الليبيون القدماء بصفة عامة ومجموعة التمحو بصفة خاصة.

ب - لقد اتبع أصحاب المجموعة (ج) طريقة للدفن، ونمط لبناء المقابر الدائرية، هي نفسها التي عرفت لدى سكان الصحراء الكبرى، وشمال إفريقيا، والتي عرفت باسم الرجم.

ج - تصور الرسومات المنقوشة، رجال المجموعة (ج)، وهم يرتدون ملابس على شكل أشرطة تتقاطع على الصدر، والريشة على الرأس، وهي نفسها التي كانت تميز الليبيين القدماء، الذين تعرفنا عليهم من خلال الوثائق المصرية القديمة في فترة ما قبل الأسرات وبداية الأسرات، وهي سمات عرفت قبل ذلك لدى سكان الصحراء الكبرى.

د - يستعمل رجال المجموعة (ج) سلاح السهم والقوس، وهي من الأسلحة التي عرفت في الصحراء الكبرى، قبل أن تعرف لدى أهل النوبة.

هـ - يؤيد انتماء سكان المجموعة (ج) للتمحو، ما عثر عليه من فخار وقبور في وادي هور، الذي يقع على بعد 400 كيلومتر جنوب غربي الشلال الثالث، ومن خلال المقارنة اتضح أن هذا الفخار يشبه فخار المجموعة (ج). والجدير بالذكر أن هذا الفخار وجد عند طريق هجرة التمحو من موطنهم الأصلي، الذي يراه معظم الباحثين بأنه منطقة

---

(1) مصطفى كمال عبد العليم، دراسات، ص17، 18.

الصحراء الكبرى قبل أن يحل بها الجفاف[1]. وبناءً على كل ذلك يمكن الاستنتاج، بأن التمحو، وسكان المجموعة (ج)، وسكان وادي هور، كلهم جاءوا من الصحراء الكبرى بعد أن حل بها الجفاف.

3 ـ **الليبو أو الريبو**: يرى معظم العلماء أن الليبو أو الريبو كانوا يسكنون منطقة برقة الحالية، وربما كانت أراضيهم تمتد نحو الشرق حتى منطقة الواحات، وخاصة واحة سيوة، ويرجح أن مجموعتي القهق والإسبت، كانتا تعيشان في نفس المنطقة التي تسيطر عليها مجموعات الليبو أو الريبو[2]، وأقدم ذكر لمجموعات الليبو أو الريبو، كان في عهد رعمسيس الثاني، ومنذ ذلك التاريخ بدأت هذه المجموعات تقوم بدور هام في تاريخ الصراع بين مصر القديمة والقبائل الليبية القديمة، حيث اشتركوا كقادة في الحروب التي قامت ضد الملك مرنبتاح، واشتركوا أيضاً في الحروب التي دارت ضد رعمسيس الثالث. ونعتقد أن اسم الليبو أصبح منذ بداية الفترة المتأخرة من تاريخ مصر القديم علماً على كل المنطقة التي تقع إلى الغرب من منطقة وادي النيل، وبالتالي اختفت اسماء بقية المجموعات الأخرى، وبناء على كل ذلك أصبح هذا الاسم يعني لدى الإغريق تارة كل المجموعات السكانية التي تقع إلى الغرب من مصر حتى خليج سرت، وتارة أخرى كل شمال إفريقيا، وفي بعض الأحيان القارة الإفريقية بكاملها، ومما يؤيد بروز اسم الليبو واختفاء بقية الأسماء، تلك اللوحة التي عثر عليها منذ مدة، والتي تعود لعهد الملك شيشنق، وهي تتضمن أسماء الأقوام الليبية، وهي لوحة يطلق عليها اسم (لوحة الأقوام

(1) محمد بيومي مهران، المغرب، ص ص 76 – 82. وكذا: مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات، ص 19، 20.

(2) تاريخنا، (الجزء الأول)، ص 103.

التسعة)، ويبدو من خلال هذه اللوحة أن الريبو أو الليبو حلت محل الاسم التقليـدي السـابق، الذي عرفت به القبائل الليبية وهـو التحنو، ونجد وثيقة أخرى تشير إلى الليبو كتسمية عامة لكل المنطقة التي تقع إلى الغرب من مصر، وهي وثيقة تعود لعهد الملك شيشنق الرابع (763ـ757 قبل الميلاد)، وتشـير إلـى شـخصية ليبيـة مرموقة تدعـى حيتيحنكـر، وقـد وصفتها تلك الوثيقـة بكبيـر الليبو، ويبدو من خلال هذه الوثائق أن المنطقة ظلت تعرف باسـم الليبـو طيلة الفتـرة التي تلي الدولة الحديثة مـن تاريخ مصر القديم، ونعتقد أنه لهذا السبب أطلق الإغريق على المنطقة التي استعمروها بالجبل الأخضر اسم ليبيا، وذلك راجع إلى أنها الجزء الوحيد المألوف لديهم من منطقة شمال إفريقيا[1].

4 ـ **المشـوش**: يرجح الباحثون أن المشـوش سـكنوا المناطق الشمالية من الصحراء الليبية، ويرى البعض أن ديارهم كانت تمتد غرباً حتى المناطق التي تمثل تونس الحالية، وقد رأى بعض العلماء بأن المشوش هم أنفسهم المكسـيس الذين أشـار إليهم (هيرودوت)[2]، بأنهم يقيمون إلى الغرب من بحيرة تريتونيس، ولكن مع بداية الأسرة الثامنة عشرة المصرية بدأ المشوش يتجمعـون حـول حدود مصر الغربيـة طلباً للإقامة الدائمة حـول دلتا وادي النيـل، ومن خلال الرجوع إلى الوثائق التي تشـير إلى الحروب التي دارت بينهـم وبيـن المصريين، يتضح أن المشـوش كانـوا يرغبون الاسـتيطان في مصـر، وقد صرحوا بذلك بأنفسـهم[3]، ورغم أنهم وحلفاءهم الليبو فشـلوا في الوصول إلى دلتا النيل عن طريق الحرب، إلا أنهم استطاعوا الاستقرار

---

(1) فرانسوا شامو، في تاريخ، ص22، 50.

(2) Herodote, Histoire, IV, 191.

(3) مصطفـى كمـال عبدالعليـم، دراسـات، ص30. وكذا.: محمـد بيومي مهـران، المغرب، ص85.

في الكثير من مناطق مصر، سواء في حاميات الحدود، أو بانضمامهم إلى الجيش كجنود مرتزقة[1]. وقد كان الجيش المصري ابتداءً من الأسرة العشرين يتكون من الليبيين دون سواهم، وقد كان ملوك مصر في ذلك الوقت يقدمون لهؤلاء الجنود هبات من الأرض كأجور لهم، مما أدى إلى تكون جاليات عسكرية، كانت القيادة فيها لليبيين دون سواهم، وقد وصل بعض العناصر من المشوش ـ كما مر بنا ـ إلى مناصب هامة في البلاط الملكي، وإلى مراكز القيادة في الجيش، وأن بعضهم ـ مثل شيشنق ـ استطاع أن يتولى الحكم في بعض مناطق مصر، حيث جمع بين يديه السلطتين المدنية والدينية، وهكذا وبسهولة تامة استطاع شيشنق أن يستولي على الحكم في مصر بمجرد وفاة آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين، وبالتالي استطاع المشوش تكوين الأسرة الثانية والعشرين، التي حكمت مصر قرابة قرنين من الزمان[2].

لقد كانت قبائل التحنو والتمحو والليبو والمشوش من القبائل الليبية الكبيرة، الواسعة الانتشار والتي لعبت دوراً بارزاً في تطورات الأحداث في ذلك الوقت. ولذلك نجدها ترد في النصوص المصرية القديمة بشيء من التفصيل. في حين وردت في هذه النصوص أسماء قبائل أخرى كمجرد إشارات بسيطة، ربما لعدم تاثير هذه القبائل في الاوضاع السائدة في المنطقة في ذلك الوقت، أو ربما لكون هذه القبائل كانت تابعة لاحدى القبائل الكبرى السابقة، أو لوجود أراضيها ضمن أراضي قبيلة أخرى كبيرة. ونذكر من بين تلك المجموعات السكانية الصغيرة قبائل: الأسبت والقبت والثكتن والبقن والكيكش والسبد والقهق.

---

(1) مصطفى كمال عبد العليم، دراسات، ص 33.
(2) المرجع السابق، ص 33.

ثانياً: المصادر الإغريقية والرومانية والبيزنطية:

تمتد هذه المجموعة من المصادر منذ مجيء الإغريق إلى إقليم قورينائية وحتى الفتح العربي الإسلامي للمنطقة في القرن السابع الميلادي، لقد تناول تاريخ ليبيا في هذه الفترة الكثير من الكُتَّاب والمؤرخين والجغرافيين والفلاسفة. وسوف نعطي بعض المعلومات عن كتابات هؤلاء من خلال اتجاهاتهم العلمية المختلفة. ولذلك اختلفت أهمية هذه المعلومات التي طرحوها حول تاريخ هذا البلد باختلاف تخصصاتهم ومن أشهر هؤلاء:

1 ـ **هيرودوت (484 – 424 ق.م.) وكتابه التاريخ**: يعرف الكتاب الرابع من هذا المصنف باسم الكتاب الليبي، وقد تحدث في هذا الكتاب عن القبائل الليبية المتواجدة على المنطقة الممتدة من غرب منطقة وادي النيل وحتى سواحل المحيط الاطلسي، بالإضافة إلى حديثه عن قورينا وشقيقاتها وبعض حوادث تاريخها.

2 ـ **بليني الاكبر (23 – 79م) وكتابه التاريخ الطبيعي**: لقد تحدث بليني عن ليبيا في الكثير من فقرات كتابه، خاصة في الكتاب الخامس والثالث عشر والتاسع عشر والثاني والعشرين، وقد تحدث حديث مفصل عن نبات السيلفيوم الشهير الذي يشار إليه باسم الذهب الأخضر.

3 ـ **ديودوروس الصقلي (40م) وكتابه المكتبة التاريخية**: لقد تحدث (ديودوروس الصقلي) في الفقرة 49 من كتابه الثالث عن ليبيا والقبائل الليبية، وعن الكثير من الظواهر الطبيعية، خاصة الغريبة منها. وقد كان (ديودوروس الصقلي) يميل إلى التحدث عن الشعوب التي جعلها موضوع تاريخه عن الجوانب الطريفة والغريبة المغلفة بالأساطير الغامضة، ولذلك تختلط عنده الحقائق بالخيال اختلاطاً شديداً، ولكن رغم ذلك يعتبر (ديودوروس الصقلي) كاتباً ومؤرخاً عظيماً[1].

(1) علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1967م. ص178، 179.

4 - **بروكوبيوس القيصري وكتابيّه العمائر والحروب:** ولد (بروكوبيوس) في قيصرية بفلسطين في نهاية القرن الخامس الميلادي وتوفي في عام (562م)، وقد تحدث في كتابه العمائر عن أهم المنشآت المعمارية التي شيدت في عهد الإمبراطور (جستنيان) (527 - 565م)، وقد أشار في هذا الكتاب إلى بعض المنشآت التي شيدت في المدن الثلاث (لبدة، أويا (طرابلس)، صبراتة). وقد تحدث في كتابه الحروب عن الحملات الحربية التي شنت في عهد الامبراطور (جستنيان) في فارس وأوروبا وشمال إفريقيا (545 - 554م) وقد أشار أيضاً في هذا الكتاب إلى بعض الثورات التي شنها سكان المناطق الغربية من ليبيا ضد الوندال.

5 - **فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس (القرن السادس الميلادي):** وهو مؤرخ أكثر منه كاتب ملاحم، ينسب إلى (كوريبوس) ملحمتين شعريتين: الأولى حول الحرب الليبية الرومانية، والتي دارت أحداثها في الفترة ما بين (546 - 548م). والثانية في مدح الإمبراطور (جوستين الثاني) خلال عامي (566 و567م). ينتسب الشاعر (كوريبوس) إلى منطقة المغرب القديم، من حيث الأصل والمولد، ويفهم ذلك من خلال لقبه الإفريقي، ويعتبر عمله الأول الحرب الليبية الرومانية، أهم مصدر تاريخي عن منطقة المغرب القديم، خلال القرن السادس الميلادي، وذلك لسرده وقائع تاريخية ثابتة حول الحملة البيزنطية ضد الوندال، حين قرر الإمبراطور (جستنيان) (527 - 565م) إعادة استعمار منطقة المغرب القديم من جديد، ورغم أن هذه الملحمة ليست كلها حقائق تاريخية، بل تحتوي على الكثير من الخرافات والمبالغات، إلا أنها تعتبر أهم مصدر بعد (هيرودوت) و(بروكوبيوس) حول القبائل الليبية، حيث أشار (كوريبوس) من خلالها إلى خصائص

هـذه القبائـل وعاداتهـا وأماكن تواجدها ووسـائل حروبهـا وتقاليدها المعيشية والاجتماعية[1].

إن هـذه المصـادر الكتابية التـي دونت من قبل كتـاب إغريق وروماني وبيزنطييـن، كانـت هـي الأخرى، من جانـب واحد، إلا أن هـذه المصادر دعمت أراء هؤلاء المؤرخين عن طريق المكتشفات الأثرية التي عثر عليها حديثاً، كالنقـوش الكتابيـة، وبعـض بقايـا الإنسـان، خاصـة البقايـا الفنية كالعمارة والنحت والفخار.

ومن خلال هذه المصادر جميعها، يمكننا الحديث عن الليبيين القدماء بشـيء مـن الإختصار. وسـوف يكـون تركيزنا عـن أصول وتحـركات هذه المجموعـات السـكانية خـلال العصـور التاريخيـة، وحتـى نهايـة العصـور القديمة.

الليبيون القدماء من خلال المصادر الإغريقية والرومانية والبيزنطية:

أمدتنـا المصـادر الإغريقية والرومانيـة والبيزنطية بالكثير مـن المعلومات حول الجماعات الليبية القديمة، التي كانت تعيش في المنطقة المعروفة قديماً باسم ليبيا بمعناها الواسع، وقد استقينا معلوماتنا هذه من خلال ما تركه هؤلاء الكتـاب من أخبـار معظمها كانت خليطاً بين الحقائق والأسـاطير، وكان على رأس هـولاء الكتاب (هيـرودوت) القرن الخامس قبل الميلاد و(سـكيلاكس) القرن الرابع قبل الميلاد و(سالوسـت) القرن الأول قبل الميلاد و(اسـترابون)

(1) فلافيـوس كريسـكونيوس كوريبـوس، ملحمـة الحـرب الليبيـة الرومانيـة أو مقاومة قبائل المغـرب العربي للاستعمار الرومانـي (ترجمة: محمـد الطاهر الحـراري)، مركز الجهاد للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م. ص ص 15 – 20.

و(ديـودورس الصقلـي) و(بليني الأكبـر) القرن الأول الميـلادي و(بطلميوس الجغرافـي) القـرن الثاني الميـلادي و(بروكوبيـوس القيصـري) و(كوريبوس) القرن السـادس الميلادي، وسوف نتتبع أسـماء أهم القبائل الليبية عند هؤلاء الكُتّاب منذ أيام (هيرودوت) إلى ما قبل الفتح الإسلامي بقليل، وهي:

1 ـ **الادروماخيداي**: أول إشارة وصلتنا عن هذه القبيلة كانت عن طريق (هيرودوت) حيث ذكر بأنها تقيم قريباً جداً من مصر، وقد أخذ سكان هذه القبيلة عن المصريين أغلب عاداتهم، باستثناء ملابسهم التي كانت لا تختلف عن بقية الليبيين[1] ولم يأت (سكيلاكس) الذي جاء بعد (هيرودوت) بجديد عن سكان هذه القبيلة، حيث أكد بأن الصفة المصرية لا تزال غالبة عليهم[2]. وفي القرن الأول الميلادي والثاني الميلادي أشـار إلى هذه القبيلة كل من (اسـترايون) و(بليني الأكبر) و(بطلميوس)، ولكن هؤلاء جميعاً أشـاروا إلى هذه القبيلة باختصار شديد.

2 ـ **الجليجامـاي**: يقـول هيـرودوت بـأن أراضي هذه القبيلـة تلي قبيلة الأدروماخيداي مباشرة وتمتد نحو الشرق حتى جزيرة إفروديسياس (جزيرة كرسـة) إلـى الغرب من مدينة درنة الحالية. ويشـير (هيـرودوت) بأن أرض السلفيوم تبدأ من أرض هذه القبيلة وحتى مدخل خليج سرت[3]. لقد اختفى اسـم هذه القبيلة عند كل الكُتَّاب اللاحقين ويبدوا أنها لم تكن من القبائل الكبرى، ولذلك غفل عن ذكرها هؤلاء الكُتَّاب.

3 ـ **الأسبوسـتاي**: لقد أشار (هيرودوت) إلى هذه القبيلة حيث ذكر بأن أراضيهـم تقـع إلـى الغرب مـن قبيلـة الجليجاماي إلـى الداخل مـن مدينة

(1) Histoire, Herolote IV, 168.
(2) مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات، ص 74.
(3) Histoire, Herolote, IV, 169.

قورينـا، لأن المناطـق السـاحلية يسـيطر عليهـا القورنائييـن. وقد أشـار بأن الأسبوسـتاي يشـتهرون بالعربات التي تجر بواسـطة أربعة من الخيل[1] لقد ورد أسـم هـذه القبيلة أيضاً لدى (اسـترابون) وبطلميـوس، في حين لم ترد لدى بقية الكُتّاب.

4 ـ **المارماريداي**: أول إشـارة عن هذه القبيلة كانت عند (سكيلاكس)، الذي أشار بأن أراضي المامايداي تقع إلى الغرب من قبيلة الأدروماخيداي، وهـي تضم كل الاراضىالداخلية لمدينة برقة (المـرج)، وتمتد نحو الغرب حتـى تقتـرب مـن خليج سـرت[2]. ويبـدو أن أراضي هـذه القبيلـة إزدادت اتسـاعاً في العصر الروماني، حيث امتدت نحو الشرق حتى وصلت مرسى مطروح، ونجد إشارة صريحة لهذا التوسع من خلال ما ذكره (بليني الأكبر) مـن أن المجموعات السـكانية التي تقيـم في المنطقة الممتـدة من بارايتوم (مرسـى مطروح) وحتى سـرت الكبير هم المارماريداي[3]. ورغم أن اسـم المارماريـداي ظهر لأول مرة عند (سـكيلاكس)، إلا أنه ظل حياً حتى قبيل الفتـح الإسـلامي للمنطقـة، فقـد ذكـرت هـذه القبيلة لـدى معظـم الكُتَّاب الكلاسـيكيين مثـل: (اسـترابون) و(ديـودوروس الصيقلي) و(بلينـي الاكبر) و(بطلميوس)، وربما بسبب شهرة هذه القبيلة سميت المنطقة فيما بعد باسم مارماريكا[4].

5 ـ **الأوسخيسـاي**: يشير هيرودوت بأن أراضي قبيلة الأوسخيساي تقع عنـد المناطـق الداخلية مـن مدينة برقة (المـرج)، وتمتد نحـو الغرب حتى

---

(1) Histoire, Herodote, IV, 170.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، دراسات، ص74.

(3) علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1967م. ص120.

(4) نفس المرجع السابق، ص75.

تتصل بالشاطئ عند مدينة يوسبيريدس (بنغازي). ويشير هيرودوت بأن عند منتصف أراضي هذه القبيلة تقع أراضي قبيلة البكاليس الصغيرة، التي تتصل أراضيها بالبحر عند مدينة توخيرا (توكرة)[1]. ويبدو أن قبيلة الأوسخيساي لم تكن ذات أهمية كبيرة بالمقارنة مع القبائل السابقة، ولذلك لم يرد ذكرها لدى معظم الكتاب الكلاسيكيين ما عدا (ديودوروس الصقيلي) الذي أشار اليها إشارة عابرة[2].

6 ـ **النسامونيس**: لقد أشار (هيرودوت) بأن موطن النسامونيس يقع إلى الغرب من موطن الأوسخيساي، دون أن يحدد إلى أي مدى يمتد موطنهم نحو الغرب. ونجد في المقابل يوضح (سكيلاكس) بأن موطن هذه القبيلة يمتد نحو الغرب حتى يصل مدبح الأخوين (فيلاييني)، ويذكر (هيرودوت) بأن النسامونيس متعودون ترك قطعانهم في الصيف بجوار البحر، ويصعدون نحو موقع يقال له أوجلة ليجنوا التمر من النخيل الذي ينمو هناك بكثرة[3]. لقد كانت قبيلة النسامونيس موجودة بموطنها حول خليج سرت طوال العصور القديمة، حيث ورد ذكرها لدى (هيرودوت) و(سكيلاكس) و(استرابون) و(ديودوروس الصقلي) و(بليني الأكبر) و(بطلميوس) وغيرهم. وكان الرومان يحسبون ألف حساب لقبيلة النسامونيس القوية التي تتمركز حول خليج سرت، وقد كان النسامونيس يضايقون الرومان بالتعرض لطرق التجارة بالدواخل، ومهاجمة السفن وإغراقها عند السواحل[4]. وبالتالي أصبحت المنطقة تمثل أكبر خوف للمصالح التجارية الرومانية، وهذا الأمر أدى بالرومان إلى توجيه حملة خلال حكم الامبراطور (دومتيان)، استهدفت

(1) Histoire, Herodote, IV, 171.

(2) المرجع نفسه، ص181.

(3) Histoire, Herodote, IV, 172.

(4) نفس المرجع السابق، ص 81.

القضاء على سيطرة النسامونيس من جهة، ومن جهة أخرى استهدفت إلزام النسامونيس بعدم ترك مواطنهم الدائمة، وذلك تسهيلاً لمهمة جباة الضرائب من الرومان[1]، بالإضافة إلى تسهيل مراقبتهم في مكان ثابت ومعروف.

7 ـ **المكاي**: تقع أرض المكاي إلى الغرب من قبيلة النسامونيس وتنتهي عند نهر كينيبس (وادي كعام). ويشير (هيرودوت) بأن نهر (كينيبس) يجرى عبر أراضيهم نحو البحر في الشمال، وأن هذا النهر يأتي من تل يدعى تل الحسان، وهو عبارة عن غابة كثيفة، وهي على عكس بقية ليبيا التي تحدث عنها، والخالية من الأشجار، وتبعد هذه المنطقة عن ساحل البحر بمائتي فرسخ[2]. والجدير بالذكر أن هذه المنطقة كانت قد أغرت أحد المغامرين الإغريق في تأسيس مستوطنة عليها، وقد كان ذلك على يد (دوريوس) بن ملك إسبارطة، عندما نزل في حملة بحرية في عام (520) قبل الميلاد، عند مصب نهر كينيبس (وادي كعام) لتأسيس تلك المستعمرة التي عرفت باسم النهر السالف الذكر. وقد ذكر (هيرودوت) في كتابه الخامس[3] أن القرطاجيين بعد ثلاث سنوات من تأسيس هذه المستعمرة، استطاعوا بمساعدة قبيلة المكاي من طرد المغامر الإغريقي، حيث رحل عائداً إلى شبه جزيرة البيلوبونيز ببلاد اليونان.

8 ـ **آكلة اللوتس**: تقع أراضي آكلة اللوتس إلى الغرب من قبيلة الجيندانيس، التي تلي قبيلة المكاي، وتبرز أراضي آكلة اللوتس في البحر على شكل رأس يمتد في عرض البحر ولقد حصلنا على أول ذكر لهذه

(1) نفس المرجع السابق، ص 81.

(2) Histoire, Herodote, IV, 175.

(3) عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، بيروت، 1971م. ص 691.

القبيلة لدى (هوميروس)، ثم وردت فيم بعد لدى (هيرودوت) و(سكيلاكس) و(بليني الأكبر) و(بطلميوس). يقول (هيرودوت)[1] يصف ثمار اللوتس اللذيذة، بان مذاقها يذكر بمذاق الرطب، وأن آكلة اللوتس يصنعون أيضاً من ثمار اللوتس الخمر، وربما لهذه اللذة التي تمتاز بها ثمار اللوتس، يشير (هوميروس) في ملحمته الأوديسة، بأن من يأكل اللوتس يصرفه عن الاهتمام برؤية وطنه وزوجته وأولاده[2].

9 ـ **الجرامنت**: لقد وضح لنا هيرودوت بأن موطن الجرامنت يقع على مسيرة عشرة أيام إلى الغرب من أوجلة، وعلى مسيرة ثلاثين يوماً، إلى الجنوب من موطن آكلة اللوتس[3]. يعتبر المؤرخ الإغريقي (هيرودوت) أول من أشار إلى الجرامنت، ولذلك يعتبر مصدرنا الأساسي حول هذا الموضوع. وقد أشار إلى أن الجرامنت كثيرو العدد، يملكون العربات التي تجر بواسطة أربعة من الخيل، والتي كانوا يطاردون بها سكان الكهوف الأثيوبيين، وكانوا يضعون التراب على الملح، ثم يزرعونه، وكانت لهم ثيران وهي ترعى القهقري، وسبب ذلك انحناء قرونها إلى الأمام[4]. لم تقتصر معرفتنا للجرامنت عن طريق (هيرودوت) فقط، بل إن (استرابون) و(بليني الأكبر) تحدثا عن الجرامنت أيضاً. وفي هذا السياق يشير (بليني الأكبر) في كتابه **التاريخ الطبيعي** بأن أراضي الجرامنت تقع على بعد اثني عشرة يوماً من أوجلة[5]، ويشير في نفس الكتاب السابق إلى الصراع الذي كان يدور بين الرومان والجرامنت، وكيف إستطاع الرومان بقيادة

---

(1) Histoire, Herodote, IV, 177.

(2) انظر أعلاه، ص 93.

(3) Histoire, Herodote, IV, 183.

(4) Histoire, Herodote, IV, 183.

(5) علي فهمي خشيم، نصوص، ص 112.

(كورنيليوس بالبوس) إخضاع عاصمة الجرامنت جرمة، بالإضافة إلى إخضاعهم العديد من المدن الأخرى[1]، التي كانت على الأرجح ضمن ممتلكات الجرامنت.

لقد احتكر سكان الصحراء الكبرى وسائل النقل العابرة لإفريقيا. وفي بداية الأمر كانت وسيلة الاتصال بين هؤلاء السكان وبلدان ما وراء الصحراء، الثيران التي استعملت في النقل عندما كانت الصحراء الكبرى تمتاز بالرطوبة والطبيعة الخضراء، ومما يؤكد ذلك الرسوم الصخرية التي عثر عليها هناك والتي تمثل الثيران وعليها السروج. وأخذت الحمير تحل محل الأبقار بالتدريج، ومما يؤيد ذلك تلك الإشارات التي وردت في النصوص المصرية القديمة، التي تتحدث عن استعمال الحمير في تجارة القوافل. ولقد لعب الجرامنت دوراً هاماً في نقل التراث الحضاري بين بلدان شمال إفريقيا ومناطق ما وراء الصحراء، وهو نفس الدور الذي لعبه الكنعانيون (الفينيقيون) في تاريخ حوض البحر المتوسط. وقد نقل الجرامنت علوم ومعارف وصناعات العالم القديم المتحضر في ذلك الوقت إلى الشعوب الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء. ليس هذا فحسب، بل أنهم قاموا بتعريف الرومان المعاصرين لهم بالعالم المجهول، الواقع إلى الجنوب من الصحراء الكبرى. وتعتبر تلك المعلومات التي دونها الكُتَّاب الرومان، والتي نقلوها عن الجرامنت، من أهم المعلومات التي كان لها الفضل الكبير في إرشاد الرحالة الأوروبيين خلال ما يعرف باسم عصر الكشوف الجغرافية بالقارة الإفريقية[2]. ومع ظهور حضارة الجرامنت

---

(1) نفس المرجع، ص124، 125. وكذا: أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1911م. ص36، 37.

(2) محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس، 1969م. ص218.

بمناطق الصحراء الكبرى، بدأت الخيول التي تجر العربات في الانتشار في المنطقة على أوسع نطاق[1]. وكانت خطوط السير التي كانت تتبعها القوافل والعربات تبدأ من المدن الواقعة عند ساحل البحر المتوسط لتلتقي في مدينة جرمة عاصمة الجرامنت.

وكانت عربات الجرامنت تنقل من الشمال في اتجاه الجنوب المنتجات المصنوعة والأقمشة والأواني الزجاجية الآتية من حوض البحر المتوسط، وفي الاتجاه المعاكس كانت العربات تجلب من إفريقيا السوداء العاج والذهب الخام وبعض الأخشاب الثمينة والصمغ. وكانت هذه القوافل التجارية تسلك طريقين مختلفين: أحدهما يتجه من جرمة عبر القسم الغربي من الصحراء الكبرى في اتجاه نهر السنغال، والآخر صوب الجنوب في اتجاه بحيرة تشاد والنيجر. والجدير بالملاحظة أن الرسومات الصخرية التي تمثل العربات التي تُجر بواسطة الخيول تنتشر في كل مكان في المنطقة التي تمثل الطريق الأول، الذي يمتد ما بين جرمة والسنغال، وهو الأمر الذي يؤكد أن هذا الطريق كان أكثر ارتياداً من الطريق المتجه نحو الجنوب[2]. ومما يؤكد تركز التواصل المكثف عبر الطريق المتجه من جرمة عبر القسم الغربي من الصحراء الكبرى في اتجاه نهر السنغال، تواجد قبيلة تعرف باسم جرمة، ما زال يقيم اليوم أفرادها بالقرب من مدينة نيامي بالنيجر، وهم أحفاد الجنود الجرامنت الذين رافقوا ملك الجرامنت إلى تلك المنطقة خلال القرن الأول الميلادي[3]. والجدير بالذكر أن أولئك الجنود قد وصلوا إلى تلك المناطق في إطار التعاون الليبي الروماني لتطهير

(1) محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها من 100م. إلى 450م.، ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي الأول، الجامعة الليبية / كلية الآداب، 1968م. ص186.
(2) جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ص197، 198.
(3) محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، ص151، 152.

طرق القوافل الصحراوية من عصابات قطاع الطرق. ولتنفيذ ذلك المشروع حضر إلى مدينة جرمة قائد الحامية الرومانية بمدينة لبدة الكبرى (جوليوس ماتيرنيوس)، حيث خرج مع ملك الجرامنت وجنوده، وأتموا مهمة تطهير تلك الطرق، ثم توجهوا صوب الجنوب لمدة أربعة شهور حتى وصلوا إلى بلاد يسميها (بليني) أجيزيمبا، والتي يصفها أنها منطقة يوجد بها الخرتيت والفيلة وأفراس النهر. ويرى الكثير من الباحثين من خلال مقارنة المدة التي قطعتها الحملة من جرمة جنوباً، ومن خلال الأدلة الأثرية التي تعود للعصر الإسلامي، أن أجيزيمبا تحريف لكلمة أجديز من بلاد النيجر وكانت على صلة وثيقة بالنيجر منذ العصور القديمة[1]. ومما يؤكد وصول تلك الحملة إلى النيجر بالفعل، استمرار تواجد اللغة الجرامنتية واللغة الليبية القديمة (الأمازيغية)، إلى اليوم من بين اللغات المحلية التي يتحدثها سكان النيجر[2].

10 ـ **الجيتول**: الجيتول إحدى المجموعات الليبية القديمة التي ذكرها المؤرخون الكلاسيكيون. وهي مجموعة من القبائل كانت منتشرة جنوب الممتلكات القرطاجية، ومملكة نوميديا، وهي تمتد جنوباً حتى تحادي أطراف الصحراء من الشمال. وإذا تتبعنا اسم هذه المجموعة السكانية، فإننا نجد أول ذكر لها كان عن طريق المؤرخ اللاتيني (سالوست) (القرن الأول قبل الميلاد)[3]. وقد توالى ذكر هذه المجموعة السكانية فيما بعد لدى معظم الكُتَّاب الكلاسيكيين مثل (استرابون) و(بليني الأكبر) و(بروكوبيوس القيصري). ويبدو أن اسم الجيتول دخل عليه بعض التحريف، عندما بدأ

---

(1) نفس المرجع السابق، ص150.

(2) Paul Robert, Dictionnaire, Universel, Alphabetique, et Analogique des noms Propres, V. 4., Le Robert, Paris, 1983. p.2271.

(3) G. Camps, Les Berberes, P.P. 13 - 15.

العرب المحدثون نقل هذا الاسم من اللغتين اليونانية واللاتينية، إلى اللغة العربية، حيث كتب مرة بصورة جيتول، وكتب مرة أخرى بصورة عربية صرفة وهي جدالة، ويبدو أن هؤلاء الأخيرين كانوا محقين لأن الاسم جدالة قريباً جداً من الاسم القديم جيتول[1].

11 ـ **المور**: تقع أراضي المور ما بين المحيط الاطلسي في الغرب، ووادي مولوكا (ملوية) في الشرق، ويبدو أن اسم موريتانيا أو موروسيا اشتق من اسم هذه القبيلة الواسعة الانتشار[2]. لقد توالى ذكر المور في الكثير من المناسبات، منذ نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، وحتى نهاية العصور القديمة، حيث تم الإشارة إليهم في الحملة المبكرة التي قام بها القرطاجيون ضد الاغريق في صقلية عام (406) قبل الميلاد، وكذلك تم الإشارة اليهم أثناء محاولة الغزو الروماني لشمال إفريقيا عام (256) قبل الميلاد، وأيضاً أثناء الحرب البونية الثانية، حيث ذكروا ضمن جيش هانيبال في معركة زاما. وقد أشار اليهم المؤرخ اللاتيني (سالوست) عند حديثه عن السكان الأوائل لإفريقيا[3]. ولقد ظل اسم المور حياً حتى العهد البيزنطي، حيث تمت الإشارة اليهم عن طريق المؤرخ البيزنطي (بروكوبيوس) في كتابه **العمائر**[4]، عند حديثه عن تغلب المور على الوندال، واستيلائهم على مدينة لبدة الكبرى. والجدير بالذكر هنا أن (بروكوبيوس) كان يسمى هذه المجموعة السكانية أحياناً باسم المور، وأحياناً أخرى باسم لواتة. وقد عاد (بروكوبيوس) إلى الإشارة إلى المور من جديد في نفس الكتاب

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص 247.

(2) ب. هـ.. وأرمنجتون، العصر القرطاجي، (تاريخ إفريقيا العام) (المجلد الثاني)، جين أفريك اليونيسكو، 1985، ص 454.

(3) G. Camps, Les Berberes, P.13.

(4) علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، ص 224.

السابق، حيث ذكر بأن الإمبراطور (جستنيان) احتل طرابلس وبقية ليبيا داحراً الوندال والمور. وقد أشار (بروكوبيوس) إلى المور أيضاً في كتابه الحروب الوندالية[1]، عندما تحدث عن القائد الليبي كاباوان الذي انتصر على الوندال. وقد وصفه (بروكوبيوس) بأنه كان يحكم مور طرابلس، التي كانت تعني في ذلك الوقت إقليم المدن الثلاث (لبدة وأويا وصبراتة).

12 ـ **الإستوريون:** لقد وصلتنا أخبار هذه القبيلة أثناء عهد الإمبراطورية الرومانية المتأخرة، وذلك عند الإشارة إلى الهجمات التي كانت تقوم بها هذه القبيلة ضد المدن التي يسيطر عليها الرومان سواء، على المدن الثلاث (لبدة وأويا وصبراتة)، أو على المدن الخمس (قورينا وبرقة وبطوليمايس وتوخيرا ويوسبيريدس)، أو من خلال التحالفات التي كانت تقيمها هذه القبيلة مع القبائل الليبية الأخرى ضد القوات البيزنطية، المتمركزة في قرطاجة، والمدن التي تقع إلى الشرق والغرب من هذه المدينة. وليست لدينا الكثير من المعلومات عن أصل هذه القبيلة، ومصادرنا محدودة، تحصلنا بعضها عن طريق (أميانوس ماركيلينوس) (عاش في حدود الفترة ما بين 330 - 400 ميلادية)، وتحصلنا على البعض الآخر عن طريق (فلافيوس كريسكونيو كوريبوس) (القرن السادس الميلادي)، من خلال ملحمته الشعرية الحرب الليبية الرومانية. ويرى البعض بأن هذه القبيلة قدمت من الواحات الشرقية، ثم استقرت، خلال العهد الروماني المتأخر بمنطقة خليج سرت، وتذكر المصادر الرومانية المتأخرة أن قبيلة الأوستورياني هاجمت مدينة لبدة ثلاث مرات متتالية، وهو الأمر الذي أدى إلى تدمير معظم منشآت المدينة، ولا شك أن الذي أكسب غارات الأوستورياني هذا العنف وهذه القوة استعمال هذه القبيلة للجمل في غاراتها، والجدير بالذكر

(1) نفس المرجع السابق، ص ص 226 - 231.

أن الرومـان رفضـوا مد العون إلى مدينة لبدة الكبـرى، وحتى عندما وافقوا علـى نجـدة المدينـة كان من أهم شـروطهم تزويدهم بكميـات ضخمة من المـؤن وأربعـة آلاف جمـل[1]. ويحدثنـا (فلافيـوس كوريبـوس) عـن قبيلة الأسـتورياني، بأنهـا كانـت كثيرة العـدد والعـدة، وهي معروفة بشـجاعتها، وتخطيطهـا للحـروب المثقنـة للنيـل مـن الأعداء. وفي هذا السـياق يشير (كوريبوس)، بأن الاسـتوريين يقومون بتجميع الإبل في صفوف متماسكة على شكل حواجز، ويحفرون الخنادق، ثم يضعون مختلف قطعان الماشية وسـط حلقة، وذلك لكي يوقعوا بالأعداء في شراك هذه الحواجز، وبالتالي يمكن سحقهم في غمرة من الاضطراب والفوضى التي تنتاب الصفوف في مثل هذه الاحوال[2].

13 ـ **لواتـة**: لقـد وصلتنا أول إشـارة عن قبيلة لواتة عـن طريق المؤرخ البيزنطـي (بروكوبيـوس القيصـري)، مـن خـلال كتابيـه **العمائـر والحروب الونداليـة**، ونلاحـظ أن (بروكوبيـوس) كان يـرى بـأن المور ولواتة اسـمين لمجموعة سكانية واحدة، كانت منتشرة في كل المنطقة الممتدة من طرابلس وحتـى تيبسـا بالجزائـر. وقد ذكـرت المور على أنهـا لواتة فـي العديد من كتابات (بروكوبيوس)، فنجده يشير إلى المور، الذين دعاهم في نفس الوقت لواتـة عنـد حديثه عن تغلب هـؤلاء على الوندال، واحتلالهـم لمدينة لبدة، ونجده يشير إليهم عند حديثه عن المذبحة التي نفذها البيزنطيون في مدينة لبدة ضد ثمانون شـيخاً من أعيان لواتة، ونجده يشـير إلى المور على أنهم لواتة عند حديثه عن الحروب التي شنها الليبيون ضد حاكم إفريقيا البيزنطي

---

(1) مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات في تاريخ، ص101، 102.

(2) فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ص ص49، 54، 58، 94، 112، 166.

سـليمان، فنجده يتحدث عن المور ولواتة فـي طرابلس، والمور ولواتة في بيزاكيـوم (سوسـة بتونـس) والمـور ولواتة فـي تيبسـتا (تيبسـا) بالجزائر[1]. والجديـر بالذكـر أن قبائل لواتة لم تنته مع نهايـة الحكم البيزنطي للمنطقة، بل ظلت تتردد في الكثير من المصادر العربية الإسلامية، حيث تم الإشارة إليهـا عن طريق ابن عبد الحكم في كتابه فتـوح مصر وإفريقيا[2]، واليعقوبي في تاريخه[3]، وابن خرداذابة في كتابه **المسالك والممالك**[4]، والهمداني في كتابه **الأكليل**[5]، ونشوان بن سعيد الحميري في قصيدته **ملوك حمير وأقيال اليمن**[6]، وأبي الحسن علي بن سعيد في كتابه **المغرب في حلى المغرب**[7] وابـن خلدون في كتابه **العبر** وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر[8].

---

(1) علي فهمي خشيم، نصوص، ص ص 224، 225، 231، 238، 241.
(2) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، ليبيا في كتب التاريخ والسير، ص 29، 30.
(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص 190.
(4) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص 91.
(5) الهمداني، الاكليل (الجزء الثاني)، ص 115.
(6) نشوان بن سعيد الحميري، ملوك حمير، 98.
(7) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، ليبيا، ص 77.
(8) ابن خلدون، العبر، وديوان المبتدأ والخبر، (الجزء السادس)، ص ص 89 – 92.

الفصل الثاني

سكان المغرب القديم من خلال المصادر الأنثروبولوجية (علم الإنسان)

ظهور الإنسان على الأرض

التصنيف السلالي من خلال العلم الحديث

البيئة وأثرها في تشكيل وتوجيه حياة الإنسان

ظهور الإنسان بمنطقة المغرب القديم

سكان المغرب القديم (الليبيون القدماء) ومدى صلتهم بتسمية البربر

موقف الاستعمار الحديث من أصل سكان المغرب القديم

أ ـ النظرية الأولى (الأصل الأوروبي)

ب ـ النظرية الثانية (الأصل السامي والأصل الحامي)

جـ ـ النظرية الثالثة (جنس البحر المتوسط)

د ـ البحوث والدراسات المعاصرة المجردة حول أصل سكان المغرب القديم.

سكان المغرب القديم من خلال المصادر الأنثروبولوجية (علم الإنسان)

وصل الينا مصطلح (انثروبولوجيا) من اللغة الإغريقية، وهو يتكون من كلمتين: (انثروبوس) بمعنى إنسان، و(لوجوس) بمعنى علم، أي: علم الإنسان. وبناءً عليه فعلم الأنثروبولوجيا يعني كل ما يتعلق بدراسة الإنسان في كل زمان ومكان، من الناحيتين الثقافية والفيزيقية. وتتناول (الأنثروبولوجيا) ثقافية الإنسان بصفته كائناً حياً يتفاعل مع بيئته، ولذلك فهذا الجانب يهتم بكل مظاهر النوع الإنساني، كالسلوك واللغة، والمواقف والقيم، والقرابة، والتاريخ، وما قبل التاريخ، والفنون والاقتصاد، والتقنية، والدين، والمرض، والوقاية، والملبس، والمأكل وغيرها من المظاهر الإنسانية. أما (الأنثروبولوجيا) الفيزيقية فهي تهتم بالمظاهر الفيزيقية للإنسان مثل: البنية الجسمانية، وتفرعات الأنساب، والأسلاف[1].

يعد علم (الأنثروبولوجيا) علماً قديماً وحديثاً في الوقت نفسه[2]، حيث بدأ هذا العلم في الظهور منذ بداية التاريخ، عندما أخذ الإنسان في البحث عن خصائصه الجسمانية والثقافية عن طريق الاساطير والتفسير الديني والوثني، والتفكير الفلسفي. وتعد مناطق بلاد ما بين النهرين ووادي النيل وحوض السند وجنوب شبه الجزيرة العربية، من المناطق التي أمدتنا بالبدايات الأولى للفكر الديني الوثني، في حين أمدتنا بلاد الإغريق بالنماذج

---

(1) أُسامة عبدالرحمن النور، وأبو بكر يوسف شلابي، تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات، منشورات، (Elga) فاليتا، 1995م. ص ص 36 – 63.

(2) المرجع السابق، ص 31.

الأولى للتفكير الفلسفي، الذي تناول الإنسان من حيث تركيبه الجسماني، وخصائصه الثقافية والاجتماعية. ويبدو ذلك واضحاً من كتابات كل من أفلاطون وأرسطو. وتعتبر الكتابات التي توفرت من خلال رحلات المؤرخ الإغريقي (هيرودوت) البدايات الأولى لدراسة المجتمعات الإنسانية القديمة. وقد واصل العلماء العرب المسلمون، ما بدأه المفكرون الإغريق حول البحث والتأمل في الإنسان، من خلال كتابات الفارابي والكندي وابن سينا، والغزالي، والبيروني، وواصل الرحالة العرب المسلمون، ما بدأه (هيرودوت)، بدراستهم حول المجتمعات الإنسانية التي زاروها في ذلك الوقت، وعلى رأس أولئك الرحالة ابن بطوطة، الذي زار الكثير من بلدان العالم في عصره، وتعرف على شعوبها، ودوّن لنا مشاهداته وملاحظاته، ولكن مع ذلك يعتبر العلامة ابن خلدون على رأس أولئك جميعاً بحكم أنه مؤسس علم العمران البشرى. هذا فيما يخص علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) خلال العصور القديمة والوسطى، أما فيما يخص هذا العلم في العصر الحديث، فإنه يبدأ بنهاية القرن الثامن عشر، والنصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث تناول بالدراسة مفهوم وموضوع ومنهج هذا العلم على أوسع نطاق. وقد كان على رأس المتخصصين في هذه الفترة كل من (هنري مين)، الذي كتب عن القوانين القديمة، و(باخوفن) الذي كتب عن حق الأم، و(ماك لينان) الذي كتب عن الزواج البدائي، و(تيلور) الذي كتب عن الثقافة البدائية، و(مورجان) الذي كتب عن أنساق الدم، وعن المصاهرة في العائلة الإنسانية والمجتمع القديم[1]، وقد أحرز علم الإنسان مع بداية الحركة الإستعمارية، التي قامت بها أوروبا الغربية ضد دول العالم الثالث، تقدماً ملحوظاً، حيث استطاعت بالإضافة إلى الناحية العلمية أن تفرض

(1) المرجع السابق، ص 34.

سيادتها على الشعوب المقهورة، وتفرض بالتالي على تلك المجتمعات ثقافات تتمشى مع ثقافاتها الغربية. ومع بداية القرن العشرين بدأ علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) يتبلور في شكل مادة أكاديمية تخصصية تدرّس في المدارس والمعاهد العليا والجامعات، وتم بالتالي الاعتراف بهذه المادة العلمية كفرع مستقل للمعرفة الإنسانية[1]. وقد اتسع ميدان (الأنثروبولوجيا) اتساعاً كبيراً، حيث ظهرت تخصصات فرعية دقيقة لهذا العلم، كالأنثروبولوجيا الفيزيقية، والأنثروبولوجيا الثقافية، ولم يكن علم الانثروبولوجيا بمعزل عن العلوم الأخرى، بل كان وما زال على صلة وثيقة بجميع العلوم، سواء كانت علوماً طبيعية أو إنسانية أو اجتماعية. وتبدو هذه الصلة واضحة تمام الوضوح لدى الباحثين الأنثروبولوجيين في المجالين الفيزيقي والثقافي على السواء. فالباحث الأنثروبولوجي الفيزيقي عند دراسته عن أصل الإنسان القديم منذ العصور القديمة وتطوره وعلاقاته بالكائنات الأخرى، وعلاقاته بالبيئات الطبيعية.. إلخ، فإنه مضطر للاستعانة بالعلوم الطبيعية مثل: الأحياء والتشريح المقارن، والوراثة، والجيولوجيا، والرياضيات، وذلك للاستفادة من مناهجها لإنجاز أبحاثه. والباحث الأنثروبولوجي الثقافي عند دراسته للسلوك الإنساني لا بد له من الاستعانة بالعلوم الاجتماعية لإنجاز أبحاثه مثل: علم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم التاريخ وعلم النفس. ولقد استفاد المتخصصون في علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) من علم الآثار استفادة كبيرة، وذلك بالكشف عن حياة الإنسان القديم، ومن عاش معه من الحيوانات والنباتات، وذلك خلال الفترات الموغلة في القدم. وقد توصل العلماء إلى ذلك من خلال الكشف عن الكثير من المواقع الاثرية، التي احتوت على بقايا العظام البشرية

---

(1) المرجع نفسه، ص35.

والحيوانية، وبقايا النباتات التي عاشت ضمن البيئة الإنسانية، بالإضافة إلى الأدوات التـي صنعها لمجابهة عوامل الطبيعة، ومن خلال دراسـة كل هذه البقايـا، اسـتطاع العلماء إعـادة صياغة التاريـخ في الكثير مـن المجتمعات الإنسـانية خـلال تلـك العصـور الموغلة في القـدم، مثل: موضـوع الصيد، وتاريخ تدجين الحيوانات، وتطور تربيتها، واكتشـاف الزراعة وتطورها عبر العصور المختلفة.

ظهور الإنسان على الأرض:

يرى العلماء بأن عمر الأرض يقدر بنحو ألفي مليون عام، ويؤكد هؤلاء العلمـاء بأنهـا كانـت في البدايـة عبارة عن جسـم متوهج، ولكنهـا بالتدريج بـدأت تتجه نحو البرودة، إلى أن أصبحت ملائمة للعيش. وقد بدأت الحياة على سـطح الأرض في البداية عن طريق كائنات بسيطة التكوين، ثم أخذت الكائنـات المعقـدة في الظهـور[1]. ولقد جاء في القرآن الكريـم، وهو القول الحـق بـأن آدم أبو البشـر خلقه الله من طين، وجعل نسـله وسـلالته من ماء مهين في قرار مكين، فجعله قادراً على السـمع والبصر، وصوره في أحسـن صورة، وخلق الله منه زوجه حواء أم البشر، فمكثا وقتاً من الزمن في الجنة، ثـم اهبطهمـا الله إلـى الأرض، وبـث منهما خلقـاً كثيراً. وقبل نـزول القرآن الكريـم اتفقت معظم الأسـاطير والروايات فـي العالم القديم، على أن أصل أبـي البشـر مـن طيـن، وأن كل البشـر تعـود في أصلهـا إلـى أب واحد وأم واحـدة[2]. وربمـا يتسـاءل البعـض مـن إيـن جـاء أصحـاب هذه الأسـاطير والروايات بكل هذه المعلومات الصحيحة؟ والتي لا تتناقض مع ما جاء في

(1) فـوزي محمـد حميـد، عالم الأديان بيـن الأسـطورة والحقيقة، جمعية الدعوة الاسـلامية العالمية، طرابلس، 1999م.، ص ص 19 – 45.

(2) المرجع السابق، ص 47.

الكتب المقدسة. ونحن كمسلمين نستطيع أن نجيب بأن هؤلاء استقوا معلوماتهم عن طريق الرسل، الذين قص الله تعالى علينا من خلال القرآن الكريم بعضهم، ولم يقصص البعض الآخر، ولذلك نعتقد أن أولئك الرسل الذين لم نعرفهم، هم الذين أوصلوا هذه المعلومات إلى أصحاب تلك الحضارات القديمة. وقد بدأت الحياة الإنسانية على وجه الأرض عندما أمر الله تعالى آدم وزوجه حواء بالهبوط إلى الأرض كما نصت على ذلك الكتب المقدسة، وعلى رأسها القرآن الكريم. وهذه الحقيقة لا تحتاج إلى إثبات، ونحن كمسلمين نؤمن بها ايماناً قاطعاً، لأننا نؤمن بأن القرآن الكريم من عند الله تعالى. وقد أثبت العلم الحديث أن ما جاء في القرآن الكريم لا يتناقض مع الكثير من الحقائق العلمية الحديثة. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن كل البشر يعودون في أصولهم إلى آدم وحواء، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[1]. ومما لا شك فيه أن أصل الإنسان واحد، وأن جميع البشر على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم، ومراكز تواجدهم، ليس بينهم اختلاف من حيث التشريح يفيد بتعدد الأصول البشرية، وأن بعض الاختلافات الخارجية، إنما جاءت بسبب تكاثر الإنسان، وهو الأمر الذي أدى إلى انتشاره في مناطق متعددة تختلف ظروفها الطبيعية والمناخية عن مناطق ظهوره في البداية، وهذه الاختلافات في الظروف المناخية والطبيعية، هي التي أدت إلى اختلافات السلالات البشرية عن سابقتها[2]. ومما يؤكد أن أصل الإنسان واحد، أنه منذ القدم كان يتمتع بصفات الذكاء والإبتكار، وفي هذا السياق لم يكتشف العلماء حتى الآن أن حيواناً من الحيوانات في العصور القديمة

---

(1) سورة النساء آية: 1.

(2) فوزي محمد حميد، عالم الأديان، ص، 31.

أو الحديثة توصل إلى اختراع، أو صنع أداة من الأدوات تخفف عنه أعباء الحياة. في حين أن الإنسان تميز منذ عصور ما قبل التاريخ بصفات خاصة، ومؤهلات ذاتية، وقدرة على صنع أدواته الخاصة، مما تقدمه له الطبيعة من حجر وشجر ومعدن، وقد صنع الإنسان من الحجر أدوات كالسكاكين والمكاشط ورؤوس السهام، وصنع من الشجر بيوتاً تحميه من حرارة الشمس وبرودة الشتاء، وصنع منها أسلحة ومقابض لأدواته الحجرية، وصنع من المعدن أدوات وأواني تفيده في حياته اليومية، وقد استطاع الإنسان اكتشاف النار واستخدامها في أغراضه اليومية، واستطاع استئناس الحيونات واكتشف الزراعة، وهو الأمر الذي أدى إلى انقلاب في حياة الإنسان، حيث انتقل من حياة التنقل وجمع الغذاء إلى حياة الاستقرار وإنتاج الغذاء، ثم تطور بعد ذلك إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن من مدنيَّة.

أنشأ المصريون القدماء منذ نهاية الألف الثانية قبل الميلاد معياراً للتمييز بين بني الإنسان متخذين من لون البشرة معياراً لذلك، وقد اعتمدوا أربعة ألوان لتحديد المجموعات الإنسانية المختلفة: اللون الأحمر يرمز للمصريين، والأصفر للشعوب التي تعيش إلى الشرق منهم، واللون الأبيض للشعوب التي تقع إلى الشمال، أما اللون الأسود فرمزوا به إلى الإفريقيين الذين تقع مواطنهم إلى الجنوب من منطقة وادي النيل. وفي العصر الحديث اعتمد العلماء في تصنيف المجموعات السكانية على سمات كانت في الأساس فيزيقية مثل لون البشرة، والعيون، والشعر، والقوام، وشكل الأنف، وقد دارت مناقشات مستمرة طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حول أصل السلالات البشرية.

يرى أصحاب فرضية النشوء والارتقاء، أن الإنسان انحدر من أسلاف حيوانية كانت تضم كلاً من بني الإنسان والقردة، والقردة المقلدة والتي

تعرف باسم الرئيسات. وينقسم دعاة فرضية النشوء والارتقاء إلى مدرستين، وهم بالتالي يتخذون موقفين مختلفين تماماً. فمن جانب يؤكد أصحاب أحادية الأصل القائلين بتحدر كافة الكائنات الحية ـ افتراضياً ـ من خلية واحدة، وأن كل السلالات البشرية خرجت من أصل زوج واحد، هو آدم وحواء. ومن جانب آخر اتخذ دعاة تعددية الأصل موقفاً يدعو إلى تعدد أصول السلالات[1]. وبناءً على ذلك نرى أن أصحاب فرضية الأصول المتعددة كانوا على خطأ، وذلك لسببين اثنين:

الأول يؤكد القرآن الكريم من خلال كلام الله ﷻ أن الإنسان خلقه الله في أحسن صورة، حيث يقول الله تعالى في سورة التين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2]، ويقول في سورة غافر: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3] ويقول في سورة التغابن: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[4]. واستناداً على ذلك أين الصورة الحسنة في القردة مقارنة بالبشر؟ أما الثاني فإن العلماء المنادين بالفرضية الأخيرة بأنهم توصلوا إلى تقسيم البشريات إلى عشرين جنساً، وما يربو من مائة نوع، وهذا الأمر يدل على عدم وجود أصل واحد لكل هذه الأنواع، وبناءً على ذلك رأى بعض العلماء مع بداية الستينيات من القرن الماضي اختصار هذا الكم الهائل من الأجناس والأنواع في نوعين اثنين وهما: الشبيه بالقرديات، والشبيه

(1) أُسامة عبدالرحمٰن النور وبوبكر شلابي، تاريخ الإنسان، ص202، 239.
(2) سورة التين آية: 4.
(3) سورة غافر آية: 64.
(4) سورة التغابن آية 3.

بالبشـريات. وهذا الأمر لا يتمشـى مع الحقيقة التي تفيد بأن الإنسان يرجع في أصله إلى أب واحد وأم واحدة.

لقد استغل العنصريون آراء أصحاب نظرية الأصول المتعددة، البعيدة عن الواقـع، بـأن جعلوا أجناسـهم صفوة البشـر فـي العصر الحديـث، وقد غالى المنـادون بهـذه النظرية وإلى درجـة أنهم وصفوا بعض الشـعوب بأنها نصف قردة، ووصفوا شعوباً أخرى بأنها همج ومتوحشون. وقد استغل النازيون هذه النظرية في أن جعلوا جنسـهم صفوة البشـر، حيث أشـاروا إلى أنه يوجد بين الجنس الآري الذي ينتمون إليه، والذي يمثل في نظرهم صفوة البشـر، وبين الإفريقيين «لذين يوصفونهم بأنهم نصف قردة»، يوجد جنس البحر المتوسـط الـذي يعتبـر حلقـة الوصـل بيـن الجنسـين[1]. وقـد نسـج البعـض الآخر من العنصرييـن نظريات أخرى تسـاير عنصريتهم وتميزهم عن بقية البشـر، حيث قسموا الجنس البشري إلى ستة أعراق[2] وهم: الأمريكي والأوروبي والأفريقي والآسـيوي والمتوحش والشـاذ. وهذا التقسـيم لا يدل على أن أصحاب هذه الآراء يتمتعون بشيء من العلم، بل أنهم في قمة الشذوذ والهمجية والعنصرية.

وقـد اكتشـف كل مـن (سـيمونز) و(ديفيد بلبيـم) اللذان كانـا من دعاة آحاديـة الأصل، خطأ أفـكار وتوجهات المنادين بنظريـة الأصول المتعددة، حيث أكدا أن البشـريات التي تضم ـ حسـب رأيهما ـ كلاً من بني الإنسـان والقـردة، لم تنتج لنـا أحفادا لا يزالون أحياء، أي: أنه لا يوجد نظير واضح لهاتين المجموعتين في الوقت الحاضر[3]. وقد أكد كل من (لويس لايكي) وزوجته (ماريا)، التي شـاركته معظم أعماله العلمية، التي اسـتمرت حوالي

(1) J. K. Zerbo, Theories, P.296.
(2) نفس المرجع السابق، ص296.
(3) أُسامة النور، وأبو بكر شلابي، تاريخ، ص 249.

أربعين عاماً من البحث المستمر، بأن الإنسان يرجع أصله إلى أب واحد وأم واحدة، وأن الموطن الأصلي لهذا الإنسان كان شرق إفريقيا[1].

وبناء على ذلك لا يمكن أن تعد تلك البقايا الأحفورية التي تشبه الإنسان في بعض جوانبها، بأن لها علاقة بآدم أبو البشر[2]. وهي بدون شك وجدت قبل خلق آدم بزمن طويل. والدليل على ذلك أن العلماء اكتشفوا حديثاً الكثير من الأحفورات التي تمثل في نظرهم بقايا الإنسان على شكل ترسبات ترجع لحوالي مليوني سنة. وقد اكتشفوا إلى جانب هذه البقايا التي يعتقدون أنها ترجع للإنسان بقايا ترسبات حيوانية، وكانت المفاجأة لهؤلاء العلماء أن الهياكل الإنسانية التي عثروا عليها تختلف اختلافاً كبيراً عن هياكلنا في الوقت الحاضر، ولكن في المقابل وجدوا أن الهياكل الحيوانية لا تختلف عن هياكلها في الوقت الحاضر، ومن هنا كان السؤال الذي مازال يحتاج إلى إجابة شافية: لماذا يقول العلماء أن الهيكل العظمي للإنسان تطور عبر العصور، في حين أن الهياكل الحيوانية لم تحصل على مثل هذا التطور؟[3]. ومما لا شك فيه أن الإجابة على مثل هذا السؤال لا تحتاج إلى الكثير من الجهد، وهو أن الإنسان الذي ينحدر من آدم وحواء لاصلة له بالحيوان الذي خلق منه الله تعالى أنواعاً كثيرة بعضها موجودة حتى الآن، والبعض الآخر انقرضت وحل محلها أنواع أخرى. وأن القرد المقلد الذي يرى (شارلس داروين) أن الإنسان ينحدر منه[4]، مجرد حيوان

---

(1) محمد الطاهر العدواني، الجزائر في التاريخ (1) الجزائر منذ نشأة الحضارة (عصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م. ص95.

(2) فوزي محمد حميد، عالم الأديان، ص61.

(3) جاكوب برونوفسكي، التطور الحضاري للإنسان (إرتقاء الإنسان) (ترجمة: أحمد مستجير)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م. ص17.

(4) أسامة النور، وأبو بكر شلابي، تاريخ، ص348.

من الحيوانات، وهو لم يطرأ عليه أي تطور فيزيقي أو ثقافي منذ خلقه الله تعالى حتى الآن، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكثير من العلماء يرى بأن الجنس البشري نشأ متأخراً بعض الشيء عن الحيوانات المنقرضة، والتي كشفت عنها الحفريات الأثرية، وأن تلك الهياكل العظمية الشبيهة بالهياكل العظمية للإنسان إنما هي مجرد هياكل عظمية لحيوانات غريبة لا صلة لها بالإنسان، وحتى وإن وجد هذا المخلوق الشبيه بالإنسان، والذي يمكن أن يكون عاصر تلك الحيوانات المنقرضة، فإنه لا يمكن أن يكون من جنسنا، ولا من نوعنا، وبالتالي فالبشر الحاليون ليسوا منحدرين منه[1]، والله يخلق ما يشاء.

التصنيف السلالي من خلال العلم الحديث:

من خلال تتبعنا لموضوع ظهور الإنسان على الأرض، تعرفنا بأن الحياة الإنسانية بدأت بظهور آدم عليه السلام كما نصت على ذلك الكتب المقدسة، وعلى رأسها القرآن الكريم، ولكننا تسهيلاً لدراسة الموضوع الذي نحن بصدده، وهو الجذور التاريخة لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأنثروبولوجية، سوف نعطي شرحاً مختصراً حول التصنيف السلالي من خلال العلم الحديث. ومن المعروف أن العلماء الذين يؤمنون بنظرية النشوء والارتقاء، يرون بأن الإنسان بدأ يتطور من حيث السلالات منذ ملايين السنين، ولكن في الواقع أن الاكتشافات الحديثة من الأحفورات، التي يعتقد أنها ترجع إلى ما يشبه الإنسان، لا تعود إلى أكثر من مليوني سنة فقط، وقد كانت أحسن الأمثلة التي اعتبرت كبقايا هياكل عظمية شبيهة بالإنسان، تلك التي عثر عليها في جاوة بأندونيسيا، وبكين بالصين، وهي

(1) محمد الطاهر العدواني، الجزائر في التاريخ ص 47.

ترجع لحوالي نصف مليون سنة مضت[1]. ويرى العلماء بأن تلك المخلوقات كانت تتصف ببعض صفات تقربها إلى القردة المقلدة، وصفات أخرى تقربها إلى الإنسان الحالي، وقد أكد معظم العلماء بأن تلك السلالات قد انقرضت قبل ظهور الإنسان الحالي، وقد حاول العلماء المختصون وما زالوا يبحثون على ما يعتبرونه الحلقة المفقودة التي تصل تلك المخلوقات بالإنسان الحالي، ولكن لم يتحقق لهم ذلك حتى الآن، ويمكن للباحث في التصنيف السلالي من خلال العلم الحديث حصر المراحل الرئسية، للتطور الذي حدث للإنسان منذ 10 ملايين سنة على النحو الآتي:

1 ـ مرحلة ما قبل البليستوسين:

يرى أصحاب نظرية النشوء والإرتقاء بأن إفريقيا كانت مأهولة في الماضي البعيد بنوع من القردة المقلدة القريبة الشبه بالشمبانزي والغوريلا، ويرى هؤلاء العلماء وعلى رأسهم (شارلز داروين) بأن هذين النوعين هما أقرب أقرباء بني الإنسان[2]. ويعتقد العلماء من خلال اكتشافاتهم في جنوب وشرق إفريقيا أن هذه السلالات كانت منتشرة في هذه المناطق منذ أكثر من 4 ملايين سنة مضت. والجدير بالذكر أن الأحفورات التي اكتشفت بهذه المناطق، والتي كان يعتقد أنها تمثل ما يشبه الإنسان، هي عبارة عن قردة صغيرة الحجم مقارنة بالإنسان ويطلق عليها العلماء اسم قرد. وقد تم تمييز هذه الأحفورات التي تمثل القردة باسم القرد الجنوبي وقرد لايتولي وهدار واومو والقرد الجنوبي المبكر العفاري والقردة الجنوبية المتأخرة، وهذا الأمر لا يؤكد سوى التشابه البنيوي تشريحياً لا الصلة البيولوجية الفعلية بين هذا القرد والإنسان.

---

(1) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق، ص22، 23.

(2) نفس المرجع السابق، ص22، 23.

2 ـ **عصر البلستوسين:**

ظهرت في عصر البلستوسين سلالات بشرية أقل شبهاً بالقردة العليا من السلالات السابقة، وقد وجدت بقايا هياكلها العظمية في مناطق متفرقة من العالم القديم. وكان انتشارها في مناطق جغرافية أكثر اتساعاً، حيث تم اكتشاف بقاياها في كل من إفريقيا وآسيا وأوروبا. وقد تم تقسيم هذه السلالات إلى عدة مراحل، وهي:

أ ـ مرحلة إنسان جاوة وإنسان بكين:

تشير الاكتشافات الأثرية أن إنسان هذه المرحلة بدأ في صناعة أدوات من الحجر لاستعمالها في حياته اليومية، مثل السواطير والمكاشط الصوانية الخشنة، بالإضافة إلى نجاحه في استغلال النار المشتعلة بفعل الظواهر الطبيعية، واستطاع أيضاً السكن داخل المغارات، وصيد الحيوانات الكبيرة مثل الإيل والغزلان والحصان البري المتوحش[1].

ب ـ المرحلة المبكرة للإنسان منتصب القامة:

لم تختلف البقايا البشرية التي تعود إلى هذه المرحلة عن مثيلاتها التي عثر عليها في جاوة بأندونسيا وبكين في الصين. ومن أحسن الأمثلة على ذلك بقايا إنسان (هايد ليبرج) بألمانيا والذي يعتبر من أقدم البقايا العظمية التي تم الكشف عنها في غرب أوروبا. ويعود إلى هذه المرحلة أيضاً إنسان (نياندرتال) الذي عاش في الفترة الممتدة من 125000 إلى 40000 سنة مضت، ويرفض بعض العلماء وجود أي صلة بين إنسان (النياندرتال) والإنسان العاقل، وذلك للاختلافات الكثيرة التي يمكن ملاحظتها بين وجه إنسان النياندرتال ووجه الإنسان العاقل، حيث أن معظم التفاصيل كالأنف

(1) أُسامة النور وأبو بكر شلابي، تاريخ الإنسان، ص358.

والوجه والفم والفكين يمكن أن تنسب للقرد ولاصلة لها بالإنسان. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه المجموعة البشرية انقرضت قبل ظهور الإنسان العاقل[1]. وهذا الأمر يؤكد أن الإنسان العاقل هو الذي يبدأ في نسله بأدم أبو البشر، وأن المجموعات السابقة مجرد حيونات بالقدر نفسه الذي يكون فيه الإنسان حيواناً، وأن صلتها بالإنسان أن كليهما حيوان وأن كليهما يصنفان ضمن مرتبة الرئيسيات[2].

ج ـ المرحلة المبكرة للإنسان العاقل:

يرجح العلماء بأن الأحفورات التي تعود إلى هذه المرحلة ترجع لحوالي 300000 سنة مضت، وتشمل هذه المرحلة إنسان جاللي هيل، وإنسان سوانسكوب في إنجلترا، وإنسان شتاينهيم في ألمانيا. وينتمي إلى هذه المرحلة أيضاً إنسان جبل الكرمل بفلسطين.

د ـ مرحلة الإنسان العاقل:

لقد حدد العلم الحديث من خلال آخر الاكتشافات أن الإنسان العاقل ظهر منذ حوالي 75000 سنة مضت. وقد ظهر هذا الإنسان في أوروبا منذ حوالي 50000 سنة مضت، وينتمي إلى هذه المرحلة مجموعة إنسان كرومانيون بفرنسا، وإنسان جريمالدي ذو الصفات الزنجية بإيطاليا. والجدير بالذكر أن هذه الأنواع النيندرتالية قد انقرضت، وليست نوع الإنسان الحديث تشريحياً الآدمي، ومن ثم صار يطلق على تلك الأنواع النيندرتالية مصطلح «الإنسان العاقل». أما الإنسان الآدمي الحديث تشريحياً فيسمى «الإنسان العاقل عاقل»، تمييزاً له عن الإنسان العاقل النيندرتالي. وقد عثر

---

(1) المرجع نفسه، ص ص 379 - 381.

(2) محمد الطاهر العدواني، الجزائر، ص 47.

على العديد من الأحفورات التي تمثل هياكل بشرية وجماجم موزعة على معظم أنحاء العالم القديم. وهي تمثل سلالات بشرية مختلفة كالبيضاء والسوداء والصفراء، أي: العناصر القوقازية والزنجية والمغولية[1]. ويبدو من خلال المقارنة التشريحية بين الإنسان العاقل الذي ظهر وفق آخر الآراء منذ حوالي 75000 ألف مضت، وبين الإنسان الحالي، أنه لا يوجد أي اختلافات بينهما، وهذا ما يؤكد صلة الإنسان العاقل بآدم «أبو البشر»، ولا يعني هذا بالتأكيد أن ظهور آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يعود إلى هذا التاريخ بالتحديد، بل ربما يعود إلى أزمان موغلة في القدم. ومما لا شك فيه أن اختلافات السلالات البشريه بعد آدم كانت بسبب التغيرات في الظروف المناخية والجغرافية.

والجدير بالذكر أن الدراسات الخاصة بالسلالات البشرية، انصبت على بعض المناطق التي تم العثور بها على أحفورات في حين أن المناطق الأخرى التي لم يتم العثور بها على مثل هذه الأحفورات لم تنل الاهتمام اللازم، على الرغم من أنها من أهم مناطق العالم القديم. ومما لا شك فيه أن منطقتي الشرق الأدنى القديم وشمال إفريقيا، خاصة الصحراء الكبرى، من المناطق التي يجب التركيز عليها في مجال العلم الخاص بالسلالات البشرية. ومما لا شك فيه أن هاتين المنطقتين تعتبران من أقدم مناطق العالم القديم في الاستقرار والتوصل إلى عمليات إنتاج الطعام وتدجين الحيوانات وإنشاء القرى والمدن. ورغم كل ذلك لم يتم العثور بها على أحفورات ترجع إلى الإنسان القديم. ومن غير شك أن السبب في ذلك يرجع إلى تحول معظم هذه المناطق إلى جبال من الرمال، مما يمنع إجراء عمليات الحفر والتنقيب. ولذلك كان اكتشاف أحفورات في هذه المناطق

(1) رشيد الناضوري، المدخل في التحليل، ص 80. رشيد الناضوري، المدخل، ص 80.

محدوداً، واعتبرها العلماء من المناطق التي لم تعرف حياة الإنسان الأول، رغم أن هذه المناطق ـ خاصة منطقة شبه الجزيرة العربية ـ تعتبر على حسب الكتب المقدسة هي المنطقة التي استقبلت آدم وزوجه عندما هبطا إلى الأرض. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه المناطق تعتبر من أحسن المناطق ملاءمة لحياة الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الآن، لأنها من المناطق المعتدلة المناخ، وهي بالتالي من المناطق المثلى والمفضلة لعيش الإنسان الأول، عكس مناطق الشمال ذات الطبيعة الجليدية، التي لم يجرؤ الإنسان على الانتقال إليها إلا بعد اكتشافه لاستعمال النار، وعرف تقنيات إيقادها.

البيئة وأثرها في تشكيل وتوجيه حياة الإنسان:

تميز الزمن الجيولوجي الرابع (البلايستوسين) بحلول مراحل جليدية، غطى فيها الجليد كامل أوروبا تقريباً، باستثناء السواحل المحاذية للبحر المتوسط. وقد تم حصر مراحل الهجوم الجليدي، وأمكن تقسيمها إلى أربع مراحل وهي: جنز ومندل ورس ووروم. ولم تستمر هذه المراحل الجليدية طوال ذلك الزمن، بل أعقب كل مرحلة من هذه المراحل تراجع جليدي، وبالتالي عودة المناخ إلى ما كان عليه من الاعتدال[1]. وقد ساد منطقة شبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا أثناء الهجمات الجليدية على أوروبا، عصر مطير، أدى إلى تحول الصحراء العربية والصحراء الكبرى إلى جنة من جنات الأرض، ولذلك تغير المظهر العام لهذه المناطق، من حيث المناخ ومن حيث النبات والحيوان، وقد أدى ذلك إلى زيادة كبيرة في الكثافة السكانية[2]. وقد قام علماء الجيولوجيا والجغرافيا القديم والنبات

---

(1) رشيد الناضوري، المدخل، ص 80.

(2) محمد الطاهر العدواني، الجزائر، ص 136.

القديمة والحيوان القديم والأنثروبولوجيا والآثار، بالكثير من الدراسات للوصول إلى حقائق تثبت نوع الحياة الحيوانية والنباتية والإنسانية خلال تلك الفترات المبكرة. لقد توصل علماء الجيولوجيا من خلال الدراسات التي قاموا بها لقياس ارتفاع البحار عند الشواطئ البحرية، نتيجة لذوبان الجليد، إلى وجود بعض المحاجر، مثل محجر سيدي عبد الرحمٰن بالقرب من مدينة الدار البيضاء. وقد أعطت هذه المحاجر صورة عن الأحوال الجوية في تلك المنطقة، بالإضافة إلى أنها أعطت معلومات عن الحياة الحيوانية والنباتية والإنسانية، وذلك من خلال الكثير من المخلفات التي وجدت في تلك الطبقات. ولقد توصل علماء الجغرافيا وعلم المناخ القديم من خلال دراساتهم حول الصحراء الكبرى، إلى أنها كانت جنة من جنات الأرض، وقد تأكدوا من هذه الحقيقة من خلال اكتشافاتهم للعديد من الأودية والبحيرات الجافة، والتي كانت في وقت من الأوقات تزخر بالحياة النباتية والحيوانية، ولقد توصل علماء الحيوان القديم من خلال عثورهم بمنطقة نهر النيجر الأعلى على بقايا بعض عظام متحجرة لأسماك وأفراس النهر وزراف وفيلة، وغيرها من الحيوانات، على التعرف على نوع الحياة الحيوانية السائدة في تلك العصور، وقد توصلوا إلى أن هذه الحيوانات كانت تعيش في ظروف مناخية وبيئية ملائمة عكس ما هي عليه المنطقة في الوقت الحاضر[1].

لم يكن الإنسان مستقراً خلال هذه الظروف البيئية التي مرت بها المنطقة خلال فترة عصر البلايستوسين وذلك بسبب عدم استقرار البيئة نفسها[2]. ولذلك نجده يلجأ إلى الكهوف أثناء الزحف الجليدي على أوروبا

(1) رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ص ص 51 – 53.

(2) رشيد الناضوري، المدخل فى التحليل، ص 82.

ويخـرج من تلك الكهوف فـي فترات التراجع الجليدي، وقد كان لهذا كله أكبر الأثر في طبيعة تفكير الإنسان وفي طبيعة المواد التي صنع منها أدواته التي استعملها في حياته اليومية. وقد استطاع العلماء التعرف على الثقافات التي مرت بها الإنسـانية خلال تلك المراحل الموغلة في القدم، من خلال الكشـف والتنقيـب عن معالـم حياة ذلـك الإنسـان الأول، ولذلك تختلف المعلومـات التـي يحـاول العلمـاء التعـرف عليها باختـلاف المناطـق التي سـمحت الظـروف بالتنقيب فيها. وقـد أحرز الأوروبيون قصب السـبق في هذا المجال، ولذلك اتخذ معظم العلماء فيما بعد الاصطلاحات الأوروبية مقياسـا تقاس علي منواله ثقافات المناطق الأخرى[1]. وقد تم تقسـيم حياة الإنسان من حيث تطوره الحضاري في المجالين الاقتصادي والصناعي إلى المراحل الآتية:

1 ـ مرحلة جمع الطعام:

بـدأت مرحلـة جمـع الطعـام منـذ ظهـور الإنسـان علـى الأرض، واسـتمرت إلـى حوالـي منتصف الألـف الثامنة قبل الميـلاد. ولكن مع ذلـك فـإن نهاية هذه المرحلة تختلف من منطقـة إلى أخرى. وقد عاش الإنسان في هذه المرحلة متنقلاً من مكان إلى آخر باحثاً عن غذائه مما توفـره لـه الطبيعة مـن فواكه وجذور بعـض النباتات وصيـد الحيوانات والأسماك والطيور. وفي هذه المرحلة بدأ الإنسان في صناعة أقدم آلاته الحجريـة، وذلـك لتحقيـق أغراضـه الحياتيـة، سـواء السـلمية منهـا أو الدفاعية[2].

---

(1) المرجع نفسه، ص ص 83 – 88.

(2) رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ص 68.

2 ـ مرحلة إنتاج الطعام:

بدأت هذه المرحلة في حدود منتصف الألف الثامنة قبل الميلاد، وهي أيضا لم تكن بدايتها واحدة في كل مناطق العالم القديم، وهي من المراحل المهمة في حياة الإنسان لدرجة يطلق عليها أحياناً اسم الثورة الصناعية الأولى[1]، وقد تحول الإنسان خلالها من جامع للغذاء، إلى منتج له، وقد بدأ الإنسان فيها يستقر في جماعات بالقرب من مصادر المياه المختلفة. وقد ألجأته هذه الحياة إلى التفكير لضمان غذائه، فلجأ إلى استئناس الحيوان والتعرف على ممارسة الزراعة. ويرى معظم العلماء بأن بداية التوصل إلى هذه المرحلة، كان في منطقة الشرق الأدنى القديم، وقد نتج عن تعرف الإنسان للزراعة واستئناس الحيوان، والعيش في جماعات إلى تكون القرى، وقد توصل الإنسان خلالها إلى اكتشاف المعادن كالنحاس والبرونز والحديد، وتوصل أيضاً إلى صناعة الأواني الفخارية، والتي كانت من الصناعات الهامة لإنسان هذه المرحلة، وذلك لحاجته الماسة لتخزين طعامه وشرابه، ولذلك فهي من متطلبات حياة الاستقرار.

3 ـ مرحلة المدنية:

بدأت مرحلة المدنية مع توصل الإنسان للكتابة، وذلك خلال الألف الثالثة قبل الميلاد، ومنذ ذلك التاريخ بدأ الإنسان عمليات الاستكشاف والاختراع والعمل على استغلال الطبيعة وذلك للوصول إلى حياة أفضل. وقد توصل الإنسان في هذه المرحلة إلى إنشاء المدن وتنظيم الحياة في هذه المدن من النواحي السياسية والإقتصادية والاجتماعية والفنية، إلى أن توصل إلى الثورة الصناعية الثانية بالتعرف على قوة البخار في القرن الثامن

(1) المرجع نفسه، ص84.

عشر الميلادي، وكذلك توصل إلى الثورة الصناعية الثالثة بتعرفه على الطاقة الذرية[1]. لقد درج العلماء على إطلاق اسم ثورة إنتاج الطعام والثورة الصناعية على بعض المراحل خلال عصور ما قبل التاريخ وخلال العصر التاريخي وذلك لظهور تحول كبير في حياة الإنسان في ذلك الوقت، ومما لا شك فيه أن المقصود من تلك الثورة هو التغير المفاجئ الذي ظهر في حياة الإنسان من مرحلة إلى أخرى مثل الانتقال من مرحلة جمع الطعام إلى مرحلة إنتاج الطعام، ولكن في الواقع لم تتم هذه التحولات فجأة في حياة الإنسان، بل مرت بعدد من التطورات الحضارية المختلفة الممهدة لهذا الانتقال، ولذلك نميل إلى استخدام تعبير المرحلة بدل الثورة.

ظهور الإنسان بمنطقة المغرب القديم:

لقد أشرنا في السابق إلى البقايا العظمية الإنسانية، التي تعود لفجر العصور الحجرية والعصر الحجري القديم الأسفل، والجدير بالذكر أن هذه المرحلة تعتبر من أطول العصور الحجرية، حيث بدأت منذ نهاية دهر البليستوسين، واستمرت لتغطي حوالي 75٪ من هذا الدهر[2]. وقد عثر العلماء عن أولى البقايا العظمية لهذه المرحلة في نهاية القرن التاسع عشر بجزيرة جاوة، وهي تمثل أحفورات تعود إلى أكثر من 500000 ألف سنة مضت، والتي أطلق عليها اسم إنسان جاوة. وفي الربع الأول من القرن العشرين عثر العلماء بالقرب من مدينة بكين على أحفورات مشابهة تعود لنفس الفترة السابقة التي أطلق عليها اسم إنسان بكين. وقد توالت بعد ذلك الاكتشافات، حيث ظهر إنسان (هيدلبيرج) وإنسان (النيندرتال) وإنسان

---

(1) رشيد الناضوري، المدخل، ص84. وكذا: محمد بيومي مهران، المغرب القديم، ص33.

(2) طه باقر، عصور ما قبل التاريخ، ص18.

(كرمانيـون) وإنسـان (جريمالدي). واعتقـد العلماء أن إفريقيـا بصفة عامة، ومنطقـة المغـرب بصفة خاصة ظلت في معزل عن التطورات البشـرية التي عرفها الجنس البشـرى. ولكن في سنة (1954م). اكتشف (كميل أرامبورج) أول الشـواهد العظمية من السـلالات البشـرية، والتي تتمثل في ثلاثة عظام فكيـة، وإحـدى جوانـب الجمجمـة والتي تعـود للعصـر الحجـري القديم الأسفل. لقد تم اكتشاف هذه البقايا في موقع تيرنيفين (باليكاو) قرب مدينة معسكر بالجزائر. ولقد أطلق على هذا الإنسان اسم إنسان الأطلس[1]. وقد عثر فـي محجر سـيدي عبد الرحمٰن بالقـرب من مدينة الـدار البيضاء على بقايـا عظام إنسـانية وحيوانية متحجرة تعـود أيضاً للعصـر الحجري القديم الأسـفل وتنتمي أيضاً للمجموعات السابقة نفسـها والتي عثر عليها بمنطقة الشـرق الأقصـى. وعثر بضواحـي الرباط علـى بقايا جمجمة إنسـانية تعود لفتـرة العصر الحجري القديم الأسـفل، ولها نفس خصائص إنسـان أطلس وإنسـان سـيدي عبد الرحمٰن[2]. ولـم تمدنا منطقة المغـرب القديم بمخلفات ذات قيمـة عـن إنسـان أطلس الـذي يمكن أن ينـدرج تحته كل من إنسـان الرباط وإنسـان الـدار البيضاء، خاصة من حيث الفتـرات الزمنية التي عاش فيهـا هذا الإنسـان. وقـد افترض (ل. بالو) أن هذا الإنسـان عاش في الفترة ما بين 500000 - 400000 سنة منذ الوقت الحاضر. ولذلك نعتقد أن هذا الإنسـان كان قريباً جداً من إنسان بكين الذي عاش في نفس الفترة الزمنية. ورغم أن هذا الإنسان يرجح أنه عرف النار، وعرف لغة بدائية، فإن العلماء يطلقون عليه اسـم الإنسان القرد[3] وهذا يدل على عدم وجود أي صلة بينه

(1) محمـد الطاهر العدوانـي، الجزائر في التاريخ، ص 89، وكذا: رشـيد الناضوري، المغرب الكبير، ص ص 55 - 56.
(2) نفس المرجع السابق، ص ص 56 - 61، وكذا ص 95.
(3) L. Balout, Prehistoire de l Afrique, P. 608.

وبين الإنسان الذي ينتمي إلى آدم «أبو البشر». هذا فيما يخص العصر الحجري القديم الأسفل، أما عن العصر الحجري القديم الأوسط، والذي يمتد ما بين 60 - 40 ألف سنة قبل الميلاد فإن الثقافة العاتيرية تمثله أحسن تمثيل. وتمتاز هذه الثقافة بأنها تنتشر في منطقة واسعة تكاد تغطي كل النصف الشمالي من القارة الإفريقية[1]، والجدير بالذكر أن أول من التقط أدوات حجرية عاتيرية هو (فردريك مورو) في الفترة ما بين (1883 - 1887م)، وهي أدوات حجرية تشبه رؤوسها نهايات السهام، وكانت تحتوي على سوق من المحتمل أنها كانت تركب على أذرع ليسهل عملية استعمالها، وقد رأى (جابريال كاريير) أن تلك الأدوات التي اكتشف الكثير منها بضواحي وهران عبارة عن أدوات موستيرية. في حين رأى (بول بالاري) بأنها ترجع للعصر الحجري الحديث، وهذه شهادة من (بالاري) على أن هذه الأدوات أكثر دقة من شبيهاتها التي ظهرت في أوروبا. وفي عام (1909م) كشف (دوبروج) على كميات هائلة من هذه الأدوات واقترح تسميتها بالأدوات الأوبيرية نسبة للموقع الذي اكتشفت به بالجزائر. وكان (ريقاس) أول شخص يطلق عليها اسم الأدوات العاتيرية، وذلك نسبة لموقع بئر العاتر. وقد شاع هذا الاسم منذ عام (1922م). ولقد اكتشف كل من (باولو قراتزيوزي) و(م. والوني) في الفترة ما بين 1943 - 1948م. الكثير من الأدوات العاتيرية بمنطقة فزان بليبيا. وكشف (ماكبرني) على أدوات عاتيرية أيضاً بحقفة الطيرة وكهف هوافطيح، وذكر بأن هذه الأدوات ترجع للفترة ما بين 60 - 40 ألف سنة مضت. ونشرت (كاتون طمسون) دراسة هامة حول المواقع اللوفالوزية في مصر. ومن خلال تلك الدراسة أشارت إلى انتشار الثقافة العاتيرية بواحات الخارجة والداخلة وقرب الاقصر بمصر. وقد أشار (هوغو) بأن الثقافة العاتيرية وصل انتشارها إلى مواقع بالصحراء

---

(1) محمد الطاهر العدواني، الجزائر، ص168.

الوسطى الجزائرية. وقد شاركه (بوبو) في رأيه بانتشار هذه الثقافة في مناطق الصحراء بالجزائر وليبيا. ويرى البعض بأن الثقافة العاتيرية قد اجتازت في انتشارها وادي النيل فوصلت إلى مصر العليا، حيث عثر على آثارها قرب نقادة وبين دندرة والمراشدة، وقرب نجع حمادي، وقرب أسيوط، وفي أبيدوس وطيبة، ولم يقتصر تواجد هذه الثقافة بمنطقة وادي النيل فقط، بل أكدت الأبحاث الحديثة تواجد آثارها عند سواحل البحر الأحمر بمنطقة شبه الجزيرة العربية، وقد أكدت أبحاث أخرى اكتشاف آثار هذه الثقافة بالمنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية، خاصة بالمناطق المحادية للمحيط الهندي[1]. ولكن وللأسف الشديد فإن المعلومات غير متوفرة حتى الآن بالقدر الكافي عن إنسان الثقافة العاتيرية، بسبب عدم توفر شواهد عظمية كاملة لهذا الإنسان ضمن الصناعات الحجرية الكثيرة التي تم العثور عليها بالكثير من المناطق[2]. ويعتقد معظم العلماء وعلى رأسهم (ل. بالو)، أن الإنسان العاتيرى قادم من الشرق، ولا يمكن أن يأتي من أي جهة أخرى[3]. واستنتج (ل. بالو) هذا الرأي من خلال توصله إلى أن الأدوات العاتيرية التي اكتشفت بمنطقة المغرب القديم أسبق تاريخياً، وأكثر تطوراً من الأدوات التي اكتشفت في أوروبا، والمعروفة باسم الموستيرية. ولذلك لا يمكن أن تتطور الأولى عن الأخيرة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرى (ل. بالو) كما سبقت الإشارة أن الإنسان العاتيري من الناحية الأنثروبولوجية أكثر ذكاءً وتطوراً من الإنسان الموستيري الأوروبي، ولا صلة له بإنسان النيندرتال[4]، الذي ظهر قبل ذلك سواءً في أوروبا أو في

(1) المرجع السابق، ص ص 169 - 176.

(2) المرجع نفسه، ص 109، 110.

(3) L. Balout, Prehistoire. P.610.

(4) نفس المرجع، ص 611.

منطقة المغرب القديم، والمعروف باسم إنسان أطلس؛ لأن الإنسان العاتيري يعرف بالإنسان العاقل على عكس المجموعات السابقة له.

لقد ثبت من خلال الاكتشافات الأثرية أن الإنسان العاتيري بمنطقة المغرب القديم خلال هذا العصر كان يتخذ الكهوف والمغارات مناطق للسكن يأوي إليها وقت الحاجة. وقد عثر على بقاياه العظمية بالعديد من تلك الكهوف والمغارات المنتشرة على طول المنطقة الشمالية من المغرب القديم، ابتداءً من الجبل الأخضر، وحتى المحيط الأطلسي. ويعتبر كهف هوافطيح بالجبل الأخضر على درجة كبيرة من الأهمية، مقارنة بالمواقع السابقة (شكل 19). وقد عثر بهذا الكهف على فك إنساني، تبين بعد الدراسة أنه يعود لفترة 43.000 ألف سنة مضت، وقد تبين أيضاً أن هذا الإنسان يشبه من الناحية الأنثروبولوجية إلى حد كبير إنسان (النيندرتال) في فلسطين، ومما زاد في هذه الصلة تشابه الصناعات الحجرية التي عثر عليها في كهف هوافطيح مع تلك التي عثر عليها في فلسطين، وهذا الأمر يؤكد الاتصال بين جنوب غربي آسيا والجبل الأخضر[1]، ولم تقتصر التأثيرات العتيرية خلال العصر الحجري القديم الأوسط على كهف هوافطيح، بل إن تأثيراتها تجلت بوضوح أيضاً، على المكتشفات التي عثر عليها على هضاب الجبل الغربي في ليبيا، ويبدو أن السبب في قوة ووضوح تلك التأثيرات ناتج في كون الجبل الغربي يعتبر امتداداً نحو الشرق لجبال أطلس مركز ظهور الثقافة العاتيرية، ويبدو ذلك واضحاً من خلال الكميات الهائلة من الصناعات العاتيرية التي تتمثل في أزاميل ورؤوس سهام عثر عليها في العديد من المواضع من وادي غان بالقرب من غريان، وفي الداوون بالقرب من ترهونة[2].

---

(1) رشيد الناضوري، المغرب، ص61.

(2) رمضان قديدة ومحمد علي عيسى، تاريخ الوطن العربي وحضارته في العصور القديمة، الشركة العامة للورق والطباعة، طرابلس، 1990م.، ص ص32 - 38.

أما في العصر الحجري القديم الأعلى فتمثله ثقافتان هامتان وهما: الثقافة الوهرانية والثقافة القفصية.

عثر (ج. مارسيه) على أولى الأدلة الأثرية التي تمثل الثقافة الوهرانية عام (1907م)، بموقع مشتى العربي الواقع بين مدينة صطيف وقسنطينة[1]. وجاء بعد ذلك (أ. دوبروج) في الفترة ما بين (1912 – 1923م)، حيث استخرج من الموقع نفسه ثلاثين هيكلاً بشرياً، بالإضافة إلى العديد من الأدوات الحجرية الوهرانية، ورغم أن (أ. دو بروج) ليست لديه دراية بعلم التنقيب عن الآثار، فإنه كشف عن شواهد عظمية وبجانبها أدوات حجرية تعود للثقافة الوهرانية، ومن خلال هذا الاكتشاف استطاع العلماء التعرف على الخصائص البشرية للمجموعات الوهرانية[2]. يرى (ج. كامبس) بأن إنسان مشتى العربي ينتمي إلى الشرق، وبالتحديد إلى إنسان فلسطين. ويرى كامبس أيضاً بأن فلسطين عبارة عن مركز بشري تفرعت عنه هجرتان رئيسيتان: الأولى اتجهت إلى أوروبا ونتج عنها إنسان (كرومانيون)، والأخرى إلى إفريقيا ونتج عنها إنسان مشتى العربي[3]. وقد واصل بعد ذلك (كميل أرامبورج) في عام (1928م). ليكتشف في منطقة أفلوبو الرمل قرب مدينة بجاية على مجموعة من الهياكل العظمية البشرية مطمورة في الطمى على عمق عدة أمتار، واتضح أنها هي الأخرى تعود إلى الثقافة الوهرانية[4]، وتنسب إلى مجموعة مشتى العربي، الجمجمة التي عثر عليها في مغارة علي باشا إلى الغرب من مدينة بجاية. وتعود لنفس المجموعة السابقة الجمجمة التي عثر عليها (روهلمان) في موقع دار السلطان

(1) محمد الطاهر العدواني، الجزائر، ص112.
(2) المرجع نفسه، ص113.
(3) G. Camps, Les Berberes, P. 26.
(4) محمد الطاهر العدواني، الجزائر، ص110.

بالمغرب. ومن خلال كل هذه النتائج الأثرية توصل العلماء إلى أن إنسان مشتى العربي انتشر نحو الغرب أكثر من انتشاره نحو الشرق[1]، وتوصل العلماء بالتالي إلى تعميم إنسان مشتى العربي على كل النماذج المشابهة، التي عثر عليها في الجزائر والمغرب، والتي تمثل الثقافة الوهرانية أحسن تمثيل.

ويعتبر المقطع الموقع النموذجي للثقافة القفصية، والذي يقع في مجاورات مدينة قفصة بتونس. ويتكون من ثلاثة تلال أثرية: الأول شمال غرب مدينة قفصة، والثاني على بعد كيلومتر شمال شرق مدينة قفصة، والثالث على بعد كيلومترين جنوب شرق مدينة قفصة، ولقد أطلق العلماء الفرنسيون على مثل هذه المواقع اسم الحلزونيات أو الرماديات لأنها عبارة عن ركام من الرماد والحجارة وبقايا الحلزون وبعض الأدوات الحجرية والعظمية، وقد كان متوسط أبعاد تلك التلال يتراوح بين 200 متر طولاً وخمسين متراً عرضاً وخمسة أمتار ارتفاعاً[2]. لقد قسم (بالو) الثقافة القفصية إلى مرحلتين: القفصية النموذجية والقفصية الحديثة، وقد أرخ للقفصية النموذجية بالفترة ما بين (6650 – 4000ق.م.) بينما أرخ للقفصية الحديثة بالفترة ما بين (5050 – 2000ق.م.) ولقد انتشرت المجموعات السكانية القفصية حول موارد المياه والأماكن الصعبة المنال[3]، ولذلك يرى (بالو) بأن القوم كانوا غزاة لايحسون بأمان فردي أو جماعي، ومن هنا كان انتشارهم في مواقع صعبة المنال، فضلاً عن سيطرتهم على موارد المياه. لقد توصل العلماء بأن الإنسان القفصي لا يمكن أن ينسب إلى إنسان (كرومانيون)، الذي وجدت نماذج شبيهة له في مشتى العربي وأفلو بو الرمل

---

(1) المرجع السابق، ص112.

(2) محمد بيومي مهران، المغرب، ص25.

(3) جيان ديزنج، البربر، ص432.

بالجزائر[1]، رغم تعايش إنسان مشتى العربي وأفلو بو الرمل مع صاحب الثقافة الوهرانية، ومع صاحب الثقافة القفصية. ولذلك فلا يمكن أن ينسب هذا الإنسان إلى أوروبا، بل يجب أن ينسب إلى الشرق. ويرى معظم المختصين من خلال الملامح البشرية لإنسان الثقافة القفصية، بأن هذا الإنسان يعتبر نموذجاً بشرياً متبايناً بالنسبة لنموذج إنسان مشتى العربي. ويرى هؤلاء بأن الإنسان القفصي أكثر تطوراً، حيث تذكرنا ملامحه إلى حد بعيد بملامح الأقوام المتوسطية[2]. ويرى (كامبس) بأن الإنسان القفصي يمكن أن يرجع في أصله إلى الشرق وخاصة إلى إنسان الحضارة النطوفية بفلسطين[3]، الذي ظهر بفلسطين منذ 13 ألف سنة قبل الميلاد، ويؤكد هذا الرأي أيضاً (ل. بالو)، الذي يرى بأن الأدوات القفصية المصنوعة من الحجر، والمعروفة باسم الصناعات الحجرية الدقيقة ذات الحواف المعقوفة، ينبغي البحث عن أصلها بالاتجاه نحو الشرق ابتداء من الجبل الأخضر، ثم مصر فالشرق الأدنى القديم[4]، وقد أعطى (جيان ديزنج) الدليل بأن أصحاب هذه الثقافة لم يأتوا من أوروبا لأنها كما سبقت الإشارة تسبق بداية الملاحة عبر مضيقي جبل طارق وصقليه. ولذلك يؤكد استناداً على آراء الكثير من الباحثين بأنها ذات أصل شرقي. حيث يعتقد بأنها قدمت من شمال السودان تحت ضغط الموجات الكثيرة من المهاجرين، وعند وصولهم إلى منطقة المغرب القديم اتخذوا مواطنهم في الجبال. ولذلك يعتبرهم هؤلاء الباحثون بأنهم إحدى العناصر الأنثروبولوجية لسكان الجبال[5]، ويكفي دليلًا على تلك الصفة الجبلية، أن نساء ما يطلق عليهم البربر إلى اليوم ما زلن يتخذن

---

(1) L. Balout, Prehistoire, P. 614.

(2) محمد الطاهر العدواني، الجزائر، ص114.

(3) G. Camps, Les Berberes, P.28, 29..

(4) L. Balout, Prehistoire, P. 612-613.

(5) J. Desanges, Les Protoberberes, P. 454.

الوشـم وزخرفة أوانيهن على نفس الزخارف والأشكال الهندسية التي كانت تزين قشور بيض النعام خلال فترة الثقافة القفصية[1].

سكان المغرب القديم (الليبيون القدماء) ومدى صلتهم بتسمية البربر:

ممـا لا شـك فيـه أن منطقـة المغـرب القديم فـي فترة عصـور ما قبل التاريخ كانت جزء من منطقة الشـرق الأدنى القديم. وكانت امتداداً طبيعياً لهذه المنطقة، من خلال البر؛ لأن البحر لم يكن مستعملاً في ذلك الوقت، ومن المعروف أن الحضارة انطلقت من الشرق نحو هذه المناطق، ولذلك فـإن هـذه الحضـارة قد وصلـت إلى هـذه المناطق من خـلال مجموعات بشرية عمت كل حوض البحر المتوسط. وقد سبق الإشارة إلى التحركات البشـرية التـي انطلقـت من الشـرق الأدنـى القديم خلال العصـر الحجري القديـم، والتـي كانـت سـبباً فـي ظهـور الحضـارات العاتيريـة والوهرانية والقفصيـة، وقـد وصلـت منطقـة المغرب القديـم خلال العصـر الحجري الحديث، مجموعات سكانية أخرى، بدأ وجودها في المنطقة منذ منتصف الألف الخامسة قبل الميلاد، واستمر قدومها حتى بداية العصور التاريخية، عندما بدأت القبائل الليبية القديمة مثل (التحنو والتمحو والليبو والمشواش) فـي الظهـور فـي النصـوص المصرية القديمـة، ويـرى معظـم الباحثين أن الأغلبيـة العظمى من هذه المجموعات جـاءت من الصحراء الكبرى، وأن تزايد الجفاف في الصحراء كان قد فرض على الإنسان هناك أن يبادر إلى مغادرتها والسعي للاستقرار حيث موارد المياه على طول المنطقة الممتدة مـن غـرب مجـرى وادي النيـل، وحتـى المحيط الأطلسـي. ويـرى معظم العلمـاء بـأن كل هذه العناصر البشـرية تنتمي إلى ما يسـمى بعائلة اللغات

---

(1) G. Camps, Des Rives, p.14.

الحامية ـ السامية، وقد وصلت الصحراء الكبرى عن طريق شبه جزيرة سيناء، أو عن طريق القرن الإفريقي، من موطنها الأصلي الذي يظن أنه كان في اليمن أو عُمان أو شرقي إفريقيا[1].

لم تكن الجماعات التي قدمت من الصحراء الكبرى، والمجموعات السابقة لها هي الوحيدة التي حلت بمنطقة المغرب القديم، بل تدفقت بعدها موجات كثيرة كلها جاءت من الشرق، وقد أدت هذه الهجرات إلى تنوع في الجماعات السكانية، ومنها التنوع في اللهجات التي مازالت آثارها ماثلة بينهم حتى الآن، ولقد تناول الحديث عن هذه الهجرات العديد من الكُتَّاب الإغريق والرومان والبيزنطيين والعرب المسلمين، وكانت آراؤهم متباينة، لأنها كانت مزيجاً بين الحقيقة والخيال، ولكنها تتفق جميعاً بأن أصول هذه المجموعات السكانية تعود إلى منطقة الشرق الأدنى القديم[2]. لقد أشار بعض العلماء المحدثين بأن الهسكوس، وهي قبائل انطلقت في السابق من منطقة شبه الجزيرة العربية، عند طردهم من مصر عن طريق أمراء طيبة الذين أسسوا الاسرة الثامنة عشر المصرية، اتجهت مجموعات منهم نحو الغرب. وقد كونوا بعض القبائل الليبية التي وردت في الفترات اللاحقة[3]، وفيما بعد أشار الكتّاب العرب المسلمين إلى مثل هذا الانتشار نحو غرب الدلتا.

ووصلت منطقة المغرب القديم مع بداية الألف الأولى قبل الميلاد موجات كنعانية ذات أعداد هائلة، لدرجة أنها أثرت في المجموعات

---

(1) محمد علي عيسى، اسم ليبيا ودلالته وظهور الليبيين القدماء، على مسرح التاريخ، تراث الشعب، العددان 1، 2، 1999م.، ص95.

(2) نفس المرجع السابق، ص98.

(3) محمد الطاهر العدواني، الجزائر، ص224.

السكانية السابقة، وقد أثرت هذه الموجات الجديدة وتأثرت ببعضها البعض وبذلك حدث امتزاج وانصهار بالمهاجرين الأوائل، إلى حد بعيد، لدرجة أنه لا يمكن التعرف على الجذور القديمة، حيث حلت بدلاً منها انتماءات وعروق جديدة، ونتج عن هذا الاختلاط والامتزاج الليبيون القدماء اللذين تحدثت عنهم المصادر الإغريقية والرومانية فيما بعد[1]، ولم يقتصر هذا التفاعل على الجانب العرقي فقط، بل تعداه إلى الجانب اللغوي أيضاً، ويبدو هذا واضحاً من خلال التمازج اللغوي السابق مع اللاحق[2]. وهذا التنوع جزء من ذلك التنوع الذي زخرت به شبه الجزيرة العربية منذ أقدم العصور في شكل لغات ولهجات عربية انتشرت من هذه المنطقة في موجات متلاحقة في الاتجاهات المختلفة[3]. ومع بداية الألف الأولى قبل الميلاد أيضاً بدأت تظهر نقلة حضارية نوعية في جميع مجالات الحياة، أحدثها الكنعانيون عند وصولهم المنطقة، وقد تقبل السكان هذه الحضارة، وبالتالي استطاعوا أن يضيفوا بعض التطور خارج المدن التي حل بها الكنعانيون، ولهذا برزت مدن وقرى غير التي أنشأها الكنعانيون. ونلاحظ أنه ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد ظهرت سلطات ملكية منظمة ضمن دويلات تضم مدناً وقرى على غرار ما أنتجه الكنعانيون في هذه المنطقة. وقد استعملت هذه الممالك شكلاً خاصاً للكتابة عرف باسم الخط الليبي، ويلاحظ أن سكان المغرب القديم استجابوا للأنماط الحضارية التي تتفق معهم، مع المحافظة على شخصياتهم، ورفضوا منه ما اختلف، وقد قبلوا هذا التطور عن طواعية واقتناع، وكان رفضهم لبعض هذه الأنماط الحضارية خاصة أثناء الهيمنة الرومانية بالمنطقة عن اقتناع وتحد، لأنهم رأوا أن

(1) محمد مصطفى بازامة، سكان ليبيا، ص88، 89.

(2) المرجع نفسه، ص89.

(3) محمد المختار العرباوي، البربر، ص294.

المستعمر الروماني يتخذ وسائل الإكراه والعنف العسكري والسياسي[1] في سبيل نشر ثقافته. وفي بداية العصر الإسلامي أعطى المؤرخون العرب المسلمون لخريطة المغرب القديم السياسية شكلاً مختلفاً لما عهدناه لدى المؤرخين اليونان والرومان، وقد تعودنا في السابق على تجزئة الرومان للمنطقة إلى مقاطعات وأوطان ذات صلة بتنظيمات إدارية ووحدات جغرافية، كانت تكوّن كيانات سياسية قبل الرومان، وأثناء الحكم الروماني للمنطقة. فقد تم إنشاء ولاية إفريقيا على تراب الممتلكات القرطاجية بعد تدميرها على يد الرومان عام (146) قبل الميلاد. وكانت ولاية نوميديا هي مجموعة الأراضي التي كانت تمثل مملكة نوميديا، التي عاصرت قرطاجة خلال القرن الأخير قبل سقوطها في أيدي الرومان، وشملت ولاية موريتانيا تراب المملكة الموريتانية، التي قامت في السابق في المنطقة التي تقع إلى الغرب من مملكة نوميديا، ولكن هذه المسميات تغيرت وظهرت تسميات جديدة مع وصول الفاتحين العرب المسلمين للمنطقة، وفي هذه الأثناء تم الاستغناء عن المضامين الجغرافية، وحلت محلها مضامين تركز على العنصر البشري لسكان المنطقة. وهكذا برز الاهتمام بالأنساب، وظهر لأول مرة تعبير البربر ليعوض جميع التسميات، التي كانت تطلق على سكان المغرب القديم، مثل الليبيين والنوميد والمور والجرامنت والجيتول، ولم تختف هذه الأسماء فقط، بل اختفت تسميات أخرى، كانت تطلق على قبائل وعشائر عديدة من سكان هذه المنطقة مثل الماكسيس والفاروس والبوار وغيرها[2]. ولا يستثنى من هذه التسميات سوى اسم مادغيس، الذي اعتبره ابن خلدون

(1) عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م. ص102، 103.

(2) محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص 494 - 496.

الجد الأعلى لقبائل البتر[1]، الذي يذكرنا بالاسم (مازيك) من خلال عبارة منسوبة إلى الكاتب اللاتيني (فيجيس) (القرن الرابع الميلادي)، عند حديثه عن قدم أساليب القتال بواسطة الجمال لدى قبائل كانت تعيش في المناطق الداخلية لمنطقة المغرب القديم، وذلك باتخاذها طريقة صف الجمال كما هو معروف لدى قبائل كانت معاصرة للكاتب تدعى الأرسيلياني، يقول (فيجيس): «كان الجمل يتخذ صفاً في القتال منذ القديم عند شعوب كانت تعيش بعمق إفريقيا تماماً كما هو الحال اليوم عند الأرسيلياني وقبائل أخرى من المازيك»[2]. ويذكرنا بهذا الاسم أيضاً ما ورد لدى الشاعر البيزنطي (كوريبوس) حين يشير من خلال نبوءة جاءت بها إحدى العرافات بأن «قبائل لواتة المنتصرة ستوقع قوات اللاتين في فوضى واضطراب. ولسوف تحتفظ قبائل مزاكس للأبد بحقول بيزاكيوم»[3]والجدير بالذكر أن الاسم (مازيك)، ومازاكس الذي ورد لدى الرومان والبيزنطيين، هو نفس الاسم مازيغ الذي يطلقه البربر على أنفسهم منذ العصور القديمة حتى الآن، وقد استبدل الكتاب الرومان عند نطقهم لهذا الاسم حرف الغين بحرف الكاف، نظراً لعدم وجود حرف الغين في اللغة اللاتينية، وعدم قدرة الرومان النطق بهذا الحرف، ولذلك حُرف الاسم من مازيغ إلى (مازيك). وقد أورد الإخباريون العرب المسلمون الكثير من الرويات التي تتناول أصل سكان المغرب القديم قبل دخول الإسلام إلى المنطقة، ورغم أن هذه الروايات تتحدث في بعض الأحيان عن شخصيات ليس لها سند تاريخي، لكنها مع ذلك تشير إلى حقائق علمية، على قدر كبير من الأهمية لأنها كانت متطابقة مع ما أثبتته علوم الآثار والإنثروبولوجيا واللغة، وهي تؤكد أن مجموعات سكانية كثيرة قدمت من مناطق مختلفة بشبه الجزيرة العربية والتقوا بمنطقة

---

(1) ابن خلدون، كتاب العبر، ص176.

(2) محمد البشير شنيتي، الجزائر، ص326.

(3) فلفيوس كرسكونيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية، ص133.

الشام، ومنها انطلقوا على مراحل إلى مواطنهم الجديدة بالمغرب القديم. وقد أطلق الكتّاب العرب المسلمون على هؤلاء اسم البربر.

لقد ظهرت تسمية بربر لدى اليونان والرومان والبيزنطيين وقد كانت هذه اللفظة تطلق على شعوب كثيرة موزعة على قارات العالم القديم الثلاث كالجرمان في أوروبا، وكالعرب والفرس والهنود في آسيا، وكسكان المغرب القديم والنوبة في إفريقيا، ولم يقصد سكان هذه الحضارات عندما أطلقوا هذا الاسم على هذه المجموعات السكانية بكلمة بربر جنساً[1]. ولكن هذا الاسم بدأ يأخذ صفة الجنس في العصر الحديث، خاصة على يد الفرنسيين، والذين خصوا به من بين تلك المجموعات الكثيرة سكان المغرب القديم وذلك «لحاجة في نفس يعقوب». لقد ذكر (هيرودوت) أن المصريين القدماء يطلقون اسم بربار على الذين لا يتحدثون لغتهم، وقد قسم أفلاطون البشر إلى إغريق وبرابرة. وورد الاسم على شكل بارباراس في الهندية القديمة، وعلى شكل بباربوس في اليونانية القديمة، وورد في العربية على شكل بربر، وهم جميعاً يعنون بهذا الاسم، الحديث المبهم وغير المفهوم إلا لذويه. وكان (هوميروس) في ملحمته الإلياذة أول من أطلق هذا الاسم على الكاريين الذين كانت لغتهم صعبة الفهم لديه، رغم أنهم من الإغريق. وكان (هيرودوتس) أيضاً يستعمل الصفة بربري، ويعني بها الأجنبي؛ أي: من هو ليس إغريقياً. ورغم أنه كان يفخر بأنه إغريقياً، إلا أنه لا يظهر لديه أي شعور بالإشمئزاز من البربر (الأجانب)، ولا يحتقرهم، بل أنه سجل إعجابه بالمصريين وديانتهم، والعرب وحفاظهم على العهد[2]. وقد كان اليونان

---

(1) محمد مصطفى بازامة، سكان ليبيا، ص 80.

(2) Herodote, Histoire, II, 158.

هيرودوتوس، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتوس الكتاب السكيثي والكتاب الليبي، (ترجمة: محمد المبروك الدويب)، جامعة قاريونس، بنغازي، 2002 ف. ص 21، 26.

بإطلاقهم اسم بارباروس على معظم الشعوب الذين لا يتحدثون اليونانية، يقصدون بذلك الأجنبي أو الغريب أو من لغته ليست اليونانية، وعليه فالإغريق لا يقصدون بهذا الاسم عندما يطلقونه على شعب من الشعوب بأنهم منحطون ثقافياً أو متخلفون أو متوحشون، كما عمل الرومان فيما بعد، والذين أخذوا الاسم بارباروس عن اليونان. وحتى اليوم وبعد مضي قرون عديدة على انهيار الإمبراطورية الرومانية مازال ورثة روما الأوروبيون يطلقونه على الشعوب التي لا تتبنى الحضارة الأوروبية بإنهم متخلفون وغير متحضرين ومتبربرون[1]. ومن المؤكد أن اليونان لم يطلقوا لفظة بربر على سكان شمال إفريقيا، والدليل على ذلك أن (هيرودوت) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد كان يطلق على المنطقة اسم ليبيا ولم يشر إلى صفة البربرية في أي فقرة من فقرات كتابه حين يتحدث فيه عن تاريخ المنطقة. ويؤكد عبدالرحمٰن الجيلالي أن البربر لم يطلق عليهم هذا الإسم خلال العصور القديمة، بل كانوا يطلقون على أنفسهم اسم الأمازيغ نسبة إلى مازيغ ابن كنعان. ونستشف هذه الصفة من خلال الوفد الذي قابل عمر بن الخطاب بعد فتح مصر، فنراهم حين قدّموا أنفسهم، أشاروا بأنهم أحفاد مازيغ بن كنعان، وأنهم أصحاب البلاد الواقعة ما بين خليج العرب (البحر الأحمر) والبحر المحيط (المحيط الأطلسي)، ولم يذكروا له بأنهم بربر[2]، ولذلك فلو كان هذا الاسم يخصهم لما ترددوا بذكره للخليفة عمر بن الخطاب. ومما يؤكد أن سكان المغرب القديم في العصور القديمة لم تطلق عليهم تسمية البربر كاسم خاص بهم، ولم يعرفوا بهذا الاسم، تلك الإشارات التي جاء

---

(1) محمد مصطفى بازمة، سكان ليبيا، ص83.

(2) عبدالرحمٰن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول، دار الأمة، الجزائر، 2009م، ص66، وكذا: عز الدين المناصرة، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب إشكالية التعددية اللغوية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1999م. ص79، 80. وكذا: فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ص17.

بها القديس (أوغسطين) (354 - 430م.) حين يتحدث عن سكان الريف في منطقة المغرب القديم في عصره فيقول: «كان الفلاحون حين يُسألون عن أصلهم يجيبون بأنهم شنانيون؛ أي: كنعانيون»[1]. ومما يؤكد أيضاً أن كلمة البربر لا تعني العرق والأصل، لو سألت أي مواطن في المناطق المتفرقة التي يتواجد بها هؤلاء ابتداءً من صحراء مصر الغربية حتى المحيط الأطلسي، هل أنت بربري لما فهم ما تقول، بل ربما فهم من هذا السؤال إهانة له؛ لأن تسميات هذه المجموعات السالفة الذكر تختلف من منطقة إلى أخرى، حيث تغلب عليها الصفات الجغرافية أحياناً وأحياناً أخرى تغلب عليها الصفات المهنية، وهي أبعد ما تكون عن المضامين العرقية[2]. فينسب للشخص الذي يقيم بواحة سيوة إسم السيوي وينسب لبعض المجموعات المتواجدة في ليبيا وبعض مناطق تونس والمغرب الجبالي أو الأمازيغي، وتنسب المجموعات الأخرى إلى الشاوية والريفية والقبائلية والطوارق وغيرهم، وعليه فلو كان تعبير البربر يعني أصلاً عرقياً، لاحتفظوا بهذا الاسم وورثوه لأبنائهم جيلاً بعد جيل، ومن خلال التاريخ نستطيع أن نؤكد أنه لايوجد لكلمة بربر أصل عرقي، فسكان منطقة المغرب القديم قبل الإسلام عرفوا منذ بداية التاريخ باسم الليبو كما ورد لدى المصريين القدماء، وعرفوا باسم الليبيين كما ورد لدى الإغريق، وعرفوا باسم الجيتول كما ورد لدى الرومان، وعرفوا باسم المور ولواتة كما ورد لدى البزنطيين، وعرفوا باسم البرانس والبتر كما ورد لدى الكتاب العرب المسلمين أيام الدولة العربية الإسلامية. والاسم الشائع اليوم كما سبقت الإشارة والذي لا ترفضه أي مجموعة من هذه المجموعات السكانية هو اسم الأمازيغ[3].

(1) ق. غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، ص96.
(2) عثمان سعدي، عروبة الجزائر، ص36.
(3) عثمان سعدي، البربر الأمازيغ، ص ص86 - 88.

وأول من أطلق اسم البربر، على المجموعة السكانية، التي تسكن منطقة المغرب القديم، بعد دخول الإسلام إلى المنطقة، هم الكُتّاب العرب المسلمون. ولكن ليس كما يرى محمد مصطفى بازمة، بأن البربر هم سكان ليبيا الذين عرفهم العرب جملة باسم الجنس بربر، وأن العرب لم يأتوا بهذا الاسم من عندهم، بل أخذوه عن سكان المنطقة، ودليله على ذلك أن الناس قبلوه اسماً قومياً جامعاً، وانضووا تحت لوائه كمجموع[1]. إننا نتفق مع بازمة وغيره من الباحثين الذين رأوا بأن العرب المسلمين هم أول من أطلق تسمية بربر على سكان منطقة المغرب القديم خلال العصور الوسطى، ولكننا نخالفهم في الرأي بأن يكون الاسم معروفاً لدى سكان المنطقة، وأنهم قبلوه كاسم قومي لهم، وأنه يدل على جنس متميز بذاته طوال التاريخ، وأن هذه التسمية وجدوها سارية من قبل[2]، وأن هذا الاسم لا يحمل سبة ولا يفيد دلالة تسيء، وهو بعيد عن كلمة البرابرة التي تعني الهمج[3]. إننا نستغرب من المرحوم بازمة كباحث متميز أن يقع في تناقضات بعيدة كل البعد عن الحقيقة، التي لا يستطيع أحد أن يشكك في عدم صدقها، وللأسف الشديد، نجده في كتابه سكان ليبيا في التاريخ «عصور ما قبل الإسلام» يوضح بأن اسم بربر «ليس دالاً على جنس قائم بذاته، وإنما هو انتماء لغوي وحسب»[4]، وهنا نجد كلامه عين الصواب، ولكنه بعد صفحات قليلة من كتابه السالف الذكر نجده يناقض نفسه حين يقول: «لفظ بربر بمفهوم عام استخدم في الماضي ولا يزال حتى اليوم يستخدم نعتاً وصفة لوضع أو حالة عليها هذا الشعب أو ذاك، وأن هناك لفظاً آخر بذات

---

(1) محمد مصطفى بازمة، سكان ليبيا، المرجع نفسه، ص83، 84.

(2) علي فهمي خشيم، سفر العرب الأمازيغ، دار نون، طرابلس، ص1 - 77.

(3) علي فهمي خشيم، سفر العرب الأمازيغ، دار نون، طرابلس، ص1 - 77.

(4) محمد مصطفى بازمة، سكان ليبيا، ص65.

الشكل واللفظ هو اسم جنس يحمله شعب بذاته وطوال التاريخ»[1]. ويمكن الرد على بازمة وغيره من خلال النقاط التالية:

1 ـ إن المصادر السابقة للعصر الإسلامي خالية من لفظ بربر كاسم علم، حيث لم يظهر هذا الاسم في النقوش والنصوص المعاصرة للرومان أو البيزنطيين، وإن وجدت ألفاظ مشابهة مثل كلمة بارباروس فإنها تعني الهمجية والتوحش، وكان الرومان ينعتون بها القبائل الليبية القديمة بسبب رفضها للاحتلال الروماني ومقاومتها له.

2 ـ لم يرد اسم بربر للدلالة على سكان منطقة المغرب القديم، عندما جاء عمرو بن العاص فاتحاً، ولم نعرف من خلال الفتح سوى أسماء مناطق مثل برقة وأطرابلس وإفريقيا وغيرها، بل إن اسم بربر ظهر كتسمية بعد دخول الإسلام إلى المنطقة بزمن طويل، وذلك عندما بدأ الخلاف السياسي بين سكان المغرب القديم ومقر الخلافة في دمشق وبغداد، وقد أُطلق عليهم هذا الاسم ربما بالرجوع إلى الصفة القديمة برباروس التي تعني المتوحشين والهمج التي كان الرومان يطلقونها على السكان، الذين لم ينضووا تحت سيطرتهم.

3 ـ لو كان سكان منطقة المغرب القديم يعرفون قبل الفتح الإسلامي للمنطقة باسم البربر لاحتفظوا بهذا الاسم وغرسوه في نفوسهم وعلموه للأجيال اللاحقة، مثلما حدث للأكراد، والفرس والأتراك، الذين حافظوا على أسمائهم بسبب مضمونها العرقي رغم دخولهم في الإسلام وانضوائهم ضمن الدولة العربية الإسلامية لقرون عديدة.

4 ـ إن سكان منطقة المغرب القديم لم يعرفوا أنفسهم بالاسم بربر، وفي الوقت الحاضر لا يعرف معنى هذه الكلمة ومدلولها إلا من تعلمها

(1) المرجع السابق، ص83، 84.

وقرأها في الكتب[1] وهذا أكبر دليل على أن الاسم أطلقه عليهم غيرهم ابتداء من العصور الوسطى، وحتى الآن.

5 ـ إن سكان المغرب القديم الناطقين باللغة الليبية القديمة يستنكفون من أن يسموا بربراً، لأنهم يرون فيها سبة لهم، والذي يقول إن أسم بربر في اللغة العربية لا تحمل سبة ولا تفيد دلالة تسيء، وهي غير كلمة البرابرة، هو مخطئ، وهو في هذا الإطار يتخذ نفس النهج الذي اتخذه الفرنسيون في ابتكارهم لكلمة (بيربير) كجنس ليفرقوا بينها وبين كلمة (برباروس) التي تعني الهمجي والمتوحش.

6 ـ إننا على يقين بأن الكُتَّاب العرب المسلمين لم يقصدوا من اسم بربر جنساً قائماً بذاته، وإنما هو انتماء لغوي وحسب. ومن يتتبع أقوال ابن عبدالحكم واليعقوبي وابن خرداذبه والهمداني ونشوان بن سعيد الحميري والطبري وابن الاثير وابن خلدون وغيرهم كثيرين، يجدهم جميعاً يُجمعون بأن القصد من الاسم ليس الجنس وإنما الانتماء اللغوي، وإننا على يقين أيضاً أن الذين رأوا في اسم بربر جنساً هم الغربيون وعلى رأسهم الفرنسيون، والذين ساروا على نهجهم[2].

ومما لا شك فيه أن الكُتَّاب العرب المسلمين عندما أطلقوا تسمية بربر على سكان المغرب القديم، لم يقصدوا من التسمية الجنس، ولكنهم كانوا يقصدون الانتماء اللغوي، وذلك تمييزاً لهم عن المجموعات السكانية التي اتصلوا بها حين الفتح العربي الإسلامي. ونعتقد أنه عند مجيء العرب إلى المنطقة وجدوا شعوباً تتكلم لغة غير معروفة عندهم، فقالوا عنهم بأنهم يبربرون، والجدير بالذكر أن العرب الأوائل كانوا يتحدثون اللغة العربية

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص 228.

(2) محمد علي عيسى، اسم ليبيا، ص ص 99 - 101.

الفصحى، ولذلك كان الشخص الذي لايتحدث الفصحى يعتبر أعجمياً، حتى ولو كان عربياً من الجزيرة العربية، ولذلك كانوا يصفون اللغة الحميرية وهي لغة سكان جنوب شبه الجزيرة العربية قبيل الفتح العربي، بأنها لغة طمطمانية[1]؛ أي: ذات عجمة. وقد وصف الهمذاني أهل جنوب شبه الجزيرة العربية بين الغتم الذين يشبهون العجم وبين الوسط في الفصاحة وبين الفصاحة التامة[2] رغم أن سكان هذه المنطقة كلهم عرب بدون منازع. وإذا كان العرب هذا شأنهم مع لغات عرب جنوب شبه الجزيرة العربية، فلا غرابة أن يطلق العرب اسم البربر على سكان المغرب القديم، لما في لغتهم من عجمة، وهذا دليل على أن القصد من التسمية، لا يرجع لخلاف في الجنس بين الطرفين، بل لعدم وضوح اللغة. ولذلك فاللغة هي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم، كما يقول ابن خلدون[3]. ورغم وجاهة بعض جوانب الرأي الذي يشير بأن اسم بربر عند العرب المسلمين، جاء من كونه لفظاً يدل على العجمة وعدم الإفصاح والنطق بكلام غير مفهوم، وأن الاسم بربر جاء من كلمتي البر البر؛ أي: عليكم بفيافي الصحراء، ثم حدث بعد ذلك تحريف ودمج فأصبح بربر، فإننا نرى بأن الأقرب إلى الصواب أن الاسم أطلقه عليهم الكُتَّاب العرب المسلمون تقرباً لأصحاب السلطة من الحكام العرب المسلمين، بعد خروج بعض مجموعات سكان المغرب القديم عن طاعتهم في فترة من فترات التاريخ، ومما يؤكد ذلك أن سكان المغرب القديم قبل الإسلام لم يعرفوا باسم البربر، ولم نعثر من خلال النصوص

(1) محمد المختار العرباوي، ص 228.

(2) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب (تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي)، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990م. ص 248.

(3) ابن خلدون، كتاب العبر القسم الأول، المجلد السادس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968م. ص 176.

والنقوش في جميع المصادر السابقة سواء كانت يونانية أو رومانية أو بيزنطية، على اسم بربر بمعناه العرقي، وأن ما وجد في تلك النصوص والنقوش من ألفاظ مشابهة هي من قبيل النعوت الدالة على الهمجية والتوحش (باباروس[1] Barbarus). وقد كانت هذه النعوت التي تدل على السب والاحتقار وصف بها الرومان قبائل الاستوريين ولواتة، وغيرها من القبائل الليبية التي أزعجتهم، أثناء عهودهم المتأخرة، من خلال الثورات والحروب التي شُنت ضد المدن والأرياف الواقعة ضمن تحصيناتهم المنيعة[2]. ونعتقد أن العرب المسلمين وصل إليهم لفظ بربر من خلال تلك النعوت التي كان الرومان يصفون بها الأهالي المحليين الخارجين عن السلطة الرومانية، وربما توفرت لديهم معلومات كافية عن سكان المغرب القديم قبل إقدامهم على فتح المنطقة، ومن بين تلك المعلومات التي تحصلوا عليها تلك النعوت التي كان الرومان يطلقونها على سكان المغرب القديم[3]. ويمكن أن نستنتج ذلك من خلال رفض الخليفة عمر بن الخطاب، طلب عمرو بن العاص مواصلته لفتح إفريقيا، بعد فتحه لطرابلس، حيث رد عليه قائلاً: «ما هي بإفريقيا ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها»[4]. والمتتبع لسير الأحداث لفترة حكم البيزنطيين التي تسبق الفتح العربي الإسلامي مباشرة، يلاحظ بكل وضوح أن أغلب القبائل الليبية الشرقية المحادية لمصر في ذلك الوقت كانت معادية للبيزنطيين، ولهذا السبب كانوا ينعتونهم بالبرابرة

(1) محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص497.

(2) المرجع نفسه ونفس المجلد، ص497، 498.

(3) نفس المرجع السابف، ص497، 498.

(4) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، ليبيا في كتب التاريخ والسير، ص41. الإدريسي، من كتاب نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية: محمد حاج صادق، بوبليشد، باريس، 1983م. ص73.

نظراً لخروجهم عن سلطتهم، ويبدو أن العرب المسلمين توفرت لديهم معلومات عن هؤلاء السكان عند استعدادهم لفتح المنطقة عند تواجدهم في مصر، ولذلك أخذ الكُتَّاب العرب المسلمون الاسم بحسن نية وعمموه على كل سكان المنطقة، رغم أن البعض منهم استغل الاسم كسبة مثل ما فعل الإدريسي، حين استعمل الاسم ليدل على التوحش والهمجية عند حديثه عن سكان المغرب القديم قبل هجرتهم من فلسطين، حيث يصفهم بالبرابر والبرابرة حين يقول: «فلما قتل داود عليه السلام جالوت البربري رحلت البرابر إلى المغرب حتى انتهوا إلى أقصى المغرب». ويبدو واضحاً من هذا الوصف الذي خص به الإدريسي سكان المغرب القديم، أنه كان يضمر لبعض مجموعاتهم الكراهية، خاصة بني زيري أصحاب غرناطة ولمتونة الوافدون من الصحراء، والمصامدة الهابطين من جبل درن بالمغرب الأقصى، والذين كانوا في حرب ضد (روجار) الثاني ناصره، وهم جميعاً كانوا السبب في الإطاحة ببيت الخلافة التي كان ينتمي إليها، وهو الأمر الذي أدى به إلى اللجوء السياسي إلى (روجار) الثاني صاحب صقلية[1]. وقد أشار الصفدي (1296 – 1363م) في **الوافي بالوفيات**، إلى أن الإدريسي كان يتعرض في وطنه لخطر أكيد، ويبدو ذلك واضحاً من خلال طلب (روجار) الثاني من الإدريسي الإقامة عنده حين قال له: «أنت من بيت الخلافة ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قتلك، ومتى كنت عندي أمنت على نفسك» ولهذه الأسباب مجتمعة نجد الإدريسي يصف سكان المغرب القديم بالبرابر والبرابرة كما يفعل الرومان وورثتهم، وليس هذا فحسب، بل نجده يغمض عينيه عن التعديات التي كان يقوم بها (روجار) الثاني ضد وطنه شمال إفريقيا، ولا نجد أية إشارة شجب في كتابه **نزهة المشتاق**، عن غزو (روجار)

(1) الإدريسي، من كتاب نزهة المشتاق، حققه ونقله إلى الفرنسية: محمد حاج صادق، بوبليشد، باريس، 1983م. ص73.

الثاني للكثير من الجزر والثغور الإسلامية كجربة وطرابلس والمهدية وجيجيل وبونة وقرقنة[1].

وكما سبقت الإشارة لم يرد في جميع المصادر القديمة، بأن كلمة بربر تعني جنساً، بل هي صفة وصف بها الكثير من الشعوب في الشرق والغرب، بل إن الإغريق وصفوا بها الرومان أنفسهم عندما اجتاحوا بلادهم. وقد أطلق الرومان الاسم (برباروس) على الكثير من الشعوب التي استعمروها بدون تحديد سواء أكانت في الغرب أو في الشرق. وصفة بربري هي سبة يرفضها كل من فهم معانيها والمقاصد التي كان الكتاب القدماء ـ خاصة الرومان ـ يقصدون من إطلاقها على الشعوب المختلفة. وتتضح هذه السبة من خلال تصنيف الكنيسة للناس خلال العصور الوسطى، حيث قسمتهم إلى مسيحيين وإلى برابرة؛ أي: إلى مؤمنين وكفار، ورأت الكنيسة أن المسيحية هي الدين والحضارة، ورأت أن غير المسيحي من أي جنس لا يمكن أن يكون متحضراً، بل هو متبربر ومتوحش، وبعيد عن الدين والمدنية.

موقف الاستعمار الحديث من أصل سكان المغرب القديم:

كان من سوء حظ المغرب العربي أن تاريخه كتب أثناء الاستعمار الغربي عن طريق هواة بلا تأهيل «جغرافيون أصحاب أفكار براقة، وموظفون يدّعون العلم، وعسكريون يدّعون الثقافة، ومؤرخو فن يتجاوزون اختصاصاتهم، ومؤرخون بلا تكوين لغوي، ورجال آثار بلا تأهيل تاريخي، يحيل بعضهم على الآخر، يعتمد هؤلاء على أولئك، وتحبك خيوط مؤامرة لتفرض الافتراضات البعيدة كحقائق مقررة»[2]. وفي معظم الأحوال يعتمد

---

(1) المرجع نفسه، ص36، 37.

(2) عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج.1، ط.4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ بيروت، 1994م. ص 29

الباحثون بعضهم عن بعض عند تحرير مؤلفاتهم، وذلك كسباً للوقت، كما يفعل المؤرخ عندما يعتمد في تاريخه على عالم الآثار، وبهذا التبادل في المعلومات بين الزملاء تظهر نظريات كانت عند أصحابها السابقين مجرد فرضيات مؤقتة، وبهذه الطريقة تنتشر الأفكار الاستعمارية المغرضة، دون أن يتحمل نتائجها باحث معين. ومن خلال مراجعة بعض أعمال رائد المؤرخين الاستعماريين الفرنسيين (ستيفان كزيل)، نلاحظ أنه كان في بعض أفكاره وأحكامه حذر، ولكن تلك الأفكار والأحكام أصبحت لدى الباحثين اللاحقين حقائق ونظريات مقدسة، ولم يقع في مثل هذه الأخطاء الباحثون الفرنسيون فقط، بل وقع في هذا الشرك كُتَّاب أمريكان يدّعون المنهجية، وكُتَّاب عرب مغاربة يدّعون القومية. وهذا الكاتب الأمريكي (شارلز غالغر)، صاحب كتاب **الولايات المتحدة الأمريكية وشمال إفريقيا،** يؤكد بكل بساطة نقلاً عن (غوتيه وكامبس) وغيرهم، بأن منطقة المغرب القديم لم تكن من المناطق التي تنتج بغزارة الأفكار الأصيلة، بدليل أنها لم تنجب سوى ثلاث شخصيات فذة في القديم، وهم (أوغستين وكيبريان وتورتيليان)، وثلاث في العهد الوسيط وهم ابن بطوطة والإدريسي وابن خلدون. ويلاحظ أن هذا الكاتب يسير في ركب كتاب الاستعمار، حيث يصل إلى نتائج فرضياته بدون دراسة أو تمحيص[1]، حين يقرر أن المغرب متخلف بسبب وجود هذا العدد من الشخصيات الفذة، دون أن يسأل هل يمكن أن يجد هذا القدر من الشخصيات ذات العلم الموسوعي في مناطق أخرى من العالم؟ وهذا توفيق المدني من خلال كتابه **قرطاجنة في أربعة عصور**، ينكر أن تكون للمغرب القديم ثقافة خلال عصور ما قبل التاريخ، ويرى أنه حتى ولو وجدت هذه الثقافة فإنها أحط من الثقافات المجاورة

(1) أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة العامة للكتاب، الجزائر، 1986م.، 19، 20.

بكثير، ولكي يأتي بدليل على رأيه السابق، يشير إلى أن سكان المنطقة كانوا يسكنون الكهوف والمغاور، التي يدفنون بها موتاهم. وكانوا يعتقدون في السحر، ويقدسون الأفاعي والقردة والكباش ذات القرون الكبيرة، ويأكلون لحوم الوحوش، ونخاعها وحشرات البر والبحر، وثمار الأشجار، وبعض الجذور والأعشاب، وكانوا يربون الماشية، ولديهم دراية بالأعمال الزراعية، وقد عرفوا زراعة الفول والقمح والزيتون والكروم[1]. إن هذه التناقضات التي جاء بها المدني، تدل على أنه ليست لديه أية دراية حول عصور ما قبل التاريخ وثقافاته؛ لأن هذه الأمور التي رأى فيها توفيق المدني، تخلفاً، تدل على تقدم نوعي وصل إليه سكان منطقة المغرب القديم، لم تصله الكثير من شعوب العالم القديم، إننا لا ندرى ماذا يريد المدني من إنكاره على سكان المغرب القديم سكناهم الكهوف والمغاور ودفنهم موتاهم في هذه الأماكن؟ هل يريد منهم السكن في ناطحات سحاب؟ وهل تقديسهم لبعض الحيوانات، وأكلهم للحيوانات المفترسة والنباتات والحشرات البرية والبحرية هو تخلف كما يرى المدني؟ أعتقد أن هذا غير صحيح؛ لأن العالم منذ بداية التاريخ وحتى الآن يقوم بهذه الأعمال. ومما لا شك فيه أن تربيتهم للحيوانات وممارستهم للزراعة، تدلان على تقدم لا نظير له، وتعتبر هاتان الصفتان ثورة في عالم عصور ما قبل التاريخ، حيث نقلت إنسان ذلك العصر من مرحلة التنقل والبحث عن الطعام، إلى الاستقرار وإنتاج الطعام، وبالتالي تحول الإنسان من العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث، والجدير بالذكر أن شعوب العالم القديم تفاوتت في الوصول إلى هذه المرحلة من التقدم، حيث وصلت منطقة الشرق الأدنى القديم إلى تقنيات العصر الحجري الحديث قبل الألف السابعة قبل الميلاد، ووصلتها منطقة الصحراء الكبرى، في حدود الألف السادسة قبل الميلاد،

(1) رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ص332.

وقد انتشـرت هذه التقنيات من الصحراء الكبرى نحو الشـرق والشمال في اتجاه وادي النيل والمغرب القديم في حدود الألف الخامسـة قبل الميلاد، فـي حين بقيت أوروبا تعيش فـي العصر الحجري القديم حتى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد. ورغم كل هذا ينكر الاسـتعمار الحديث، والذين ساروا في ركابه، أن تكون للمغاربة أصالة حضارية في أية فترة من فترات التاريخ. وفـي هـذا الإطار حاولـوا الرفع من شـأن العهـد الرومانـي بالمنطقة، وفي المقابل حاولوا الإنقاص من شأن الحضارة القرطاجية، التي سبقت الرومان في تواجدها في المنطقة بقرون عديدة، وكذلك الإنقاص من شأن الحضارة العربية الإسـلامية، التي تلت حكم الرومان. وقد أوهم الاسـتعمار الحديث سكان المنطقة بأن الرومان هم الذين نشروا المدنية في ربوع مناطق المغرب القديـم. وأن هـذه المدنية كان مـن الممكن أن توصل سـكان المنطقة إلى مراتـب عالية من التقدم والازدهار، إلا أن العرب المسـلمين عند وصولهم في منتصف القرن السابع الميلادي، حولوا ذلك التقدم والازدهار إلى تأخر ودمـار، وظلـت المنطقة على تلك الحال مـن الركود والتخلف إلى أن قدم الاستعمار الحديث، الذي أشرقت على يديه شمس الحضارة الأوروبية من جديـد، والجديـر بالذكـر أن هذا الازدهار الـذي يدعيه المنـادون بالرومنة، والـذي يتمثل في تشـييد المدن وإقامة الحصون وشـق الطـرق وبناء قناطر المياه، لم تشيد لراحة ورفاهية سكان منطقة المغرب القديم، وإنما لرفاهية وخدمة جالية رومانية بسيطة تسيطر على كل مظاهر الحياة الزراعية والتجارية والصناعية. وأن الرومان لم يأتوا بجديد، حيث لم يقوموا سـوى بتطوير ما وجـدوه قائماً، والدليل على ذلـك أن النتائج التي توصل إليها علماء الآثار خلال حفرياتهم بالمدن الأثرية، التي يطلق عليها اليوم اسم المدن الرومانية، بيّنـت أن الرومـان كانوا يشـيدون مدنهم علـى نفس المواقع التي سـبق أن اختارهـا الكنعانيـون (الفينيقيون) والقرطاجيون لإنشـاء مدنهـم. ويمكن أن

نلاحظ ذلك بسهولة تامة من خلال تواجد المباني الأثرية الرومانية فوق الآثار القرطاجية والنوميدية والموريتانية. وقد استفاد الرومان ببنائهم لهذه المدن فوق مواقع المدن السابقة من خلال صلاحية المكان وتناسبه مع كافة الأغراض الاقتصادية والدفاعية؛ لأن الكنعانيين اختاروا هذه المواقع على خبرة ودراية تامة بسواحل منطقة المغرب القديم[1]. هذا من الناحية العمرانية، أما من الناحية الزراعية فإن الرومان بعد تدميرهم لقرطاجة عام (146) قبل الميلاد، والاستيلاء على منطقة المغرب القديم، أعادوا سكان المنطقة إلى الوراء قروناً عديدة، حين أجبروهم بالتحول من الزراعة والاستقرار، إلى الرعي والبداوة، بعد أن سلبهم الرومان أراضيهم الصالحة للزراعة ووزعوها على عائلات بسيطة من الرومان، ومن الموالين لهم من السكان المحليين. وفي العصر الحديث، عند احتلال المنطقة من قبل الفرنسيين والإيطاليين، تم تنفيد نفس النهج الذي سار عليه الرومان، حيث رأوا أن لا بقاء للاستعمار بدون قاعدة عقارية واسعة على النمط الذي اتبعه الرومان في القرون الأولى من الميلاد[2]. ومما لا شك فيه أن الاستعمار الحديث الذي حل بالمنطقة مع النصف الأول من القرن التاسع عشر كان يغمض عينيه على الكثير من الحقائق التاريخية والحضارية، حول ازدهار وتقدم منطقة المغرب القديم ليس في العصر الإسلامي فحسب، بل وقبل مجيء الرومان بقرون عديدة، ونعني بذلك الدور القرطاجي، والجدير بالذكر أن الحضارة القرطاجية كانت ذات تأثير فعال في الحياة الروحية، والثقافية، وقد ظل هذا التأثير متواصلاً منذ تأسيس قرطاجة، وطيلة الحكم الروماني المستبد، وحتى في العهد البيزنطي المنهار. ويرى بعض المؤرخين بأن دولة قرطاجة كانت دولة مغربية ـ قرطاجية إلى حد كبير، وقد تخلت

---

(1) عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج.3، ص165، 166.

(2) عبدالكريم غلاب، قراءة جديدة، ص52.

قرطاجة عن فينيقيتها وتأقلمت مع المغرب والمغاربة، لدرجة أنه يصعب التفريق عرقياً بين المغربي والفينيقي[1]. ولا يمكن أن يقول أي مؤرخ قديم أو حديث بأن المغاربة أصبحوا روماناً، أو الرومان أصبحوا مغاربة، نظراً للتباعد الكبير بين الشخصيتين المغربية والرومانية. فالشخصية المغربية تنزع دائماً إلى التحرر، أما الشخصية الرومانية فهي تنزع دائماً إلى الاستعمار والاستغلال، بالإضافة إلى أن الرومان دائماً يعاملون الشعوب الواقعة تحت سيطرتهم بإستعلاء[2]. ولذلك نؤيد عبدالكريم غلاب من خلال كتابه **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، عندما يقول: «بأن الشمال ظل شمالاً والجنوب ظل جنوباً، ولم يندمجا، ولو التقيا؛ لأن هذا الاندماج كانت تحول بينه طبيعة تكوّن الشماليين، وطبيعة وشخصية تميّز الجنوبيين»[3].

يتساءل الكثير من المؤرخين الاستعماريين لماذا فشلت روما في اجتذاب سكان المغرب القديم إليها، رغم أنها جاءت إلى المنطقة بحضارة راقية؟! ويجيب بعضهم على هذا السؤال، بأن تأثير قرطاجة هو السر في ميل سكان المنطقة نحو الشرق[4]، رغم جوارهم لأوروبا، ويضيف بعضهم إلى أن هذا التأثير القرطاجي هو الذي سهل عملية الفتح العربي الإسلامي للمنطقة، وإعداد السكان لاعتناق الاسلام[5]. ولكن لماذا نفر وثار سكان منطقة المغرب القديم ضد الحضارة والثقافة الرومانية، وارتاحوا للحضارة والثقافة القرطاجية؟ ولماذا تبنت مملكة نوميديا منذ عهد مسنسن (مسينيسا)،

---

(1) نفس المرجع السابق، ص199.
(2) المرجع نفسه، ص200.
(3) عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ص86.
(4) ف. غوتيه، ماضي شمال إفريقيا ـ ص101.
(5) فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر (ترجمة: عز الدين أحمد عزو)، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996م.، 93.

حتى آخر أيامها، الحضارة والثقافة القرطاجية، رغم عداوتها لقرطاجة وتحالفها مع روما؟ إن هذا النفور من الحضارة والثقافة الرومانية، سببه الاستغلال والنهب الشامل لثروات المنطقة، بالإضافة إلى الاستعلاء الذي يمارسه الرومان ضد سكان المنطقة، وهو الأمر الذي أدى بالسكان إلى معاداة الحكم الروماني والنفور منه، والذي ظل قائماً إلى أن جاء الإسلام إلى المنطقة. وإن هذا التوجه للحضارة والثقافة القرطاجية سببه وحدة الأصل العرقي، بالإضافة إلى الحكم الذاتي الذي كان يتمتع به سكان المنطقة طيلة فترة قيام الامبراطورية القرطاجية، والدليل على ذلك التمازج والانصهار ما بين الكنعانيين (القرطاجيين)، وسكان منطقة المغرب القديم، تلك الإشارة التي وردت لدى الشاعر الإغريقي (ديون كريسوستوم)، حيث يقول: «بأن شخصاً يدعى حنون هو الذي غيّر القرطاجيين من صوريين، كما كانوا، إلى ليبيين»[1]. ونستطيع أيضاً أن نلاحظ هذا التمازج بين الليبيين والقرطاجيين من خلال إشارة أخرى وردت لدى (ديودورس الصقلي) عند حديثه عن ليبيا، حيث ذكر بأن المنطقة كان يتقاسمها أربعة أقوام، أثناء غزو المغامر (أجاثوكليس) حاكم سيراكوزا، لمنطقة شمال المغرب القديم في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، حيث أشار إلى وجود الفينيقيين، والليبيين - والبدو الرعاة[2]. وفي الفقرة السابقة نفسها، أشار (ديودورس) بأن الليبيين - الفينيقيين، يمثلون سكان معظم المدن، التي يتركز بها معظم سكان المنطقة، وبناءً عليه يتبيَّن أن العلاقة بين سكان منطقة المغرب القديم، كانت وطيدة ومتأصلة منذ بداية العصور التاريخية حتى وصول المستعمر الأوروبي في العصر الحديث، ولذلك حاول هذا المستعمر، فور وصوله إلى المنطقة التفريق بين السكان بشتى الطرق، وحاول في البداية محو كل مقومات

(1) محمد مصطفى بازمة، سكان ليبيا، ص 90.

(2) عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة، ص 34.

الشخصية المحلية للمنطقة، فنجد بعضهم مثل الفرنسيين والايطاليين، يحاولون نشر ثقافتهم وتراثهم بين السكان، وذلك لتقريبهم إليهم، ولكن نظراً للرفض الشديد الذي يواجه مثل هذه الأعمال من قبل عامة السكان، حاول المستعمر بث التفرقة بينهم، ووظف كل ظاهرة عرقية أو بشرية أو تاريخية أو جغرافية، لخدمة الأهداف الاستعمارية، التي تتمثل في دمج وإلحاق المنطقة إلى أوروبا. رأى المؤرخون الاستعماريون أنه لا بد من ربط سكان المغرب القديم إلى سكان أوروبا، ولذلك إدعوا بأن سكان أوروبا هم الذين عمّروا شمال إفريقيا بالسكان، ولذلك فعودتهم إلى المنطقة من جديد تحت أسماء الفرنسيين والإسبان والإيطاليين مجرد لقاء الأصل والفرع، وعليه رأوا في البحر المتوسط مجرد بحيرة للربط وليس للفصل[1]. وعلى هذا الأساس حاول الاستعمار إيهام سكان منطقة المغرب القديم بأن شمال إفريقيا عبارة عن قطعة أوروبية مشدودة إلى إفريقيا، وأنها بلاد أوروبية احتلها العرب في فترة من فترات التاريخ الوسيط احتلالاً تعسفياً[2]. وعليه فليس للعرب فيها أي حق، بل هي أرض رومانية، وبالتالي فإن مآلها إلى الغرب مثلها مثل بقية ممتلكات الرومان في أوروبا، ولإنجاح مشروعه هذا بدأ الاستعمار في محو كل مقومات المنطقة المتمثلة في الحضارة والتاريخ العريق، الذي يستمد جذوره من منطقة الشرق الأدنى القديم؛ لأن هذا الأمر لا يتمشى مع النهج الذي رسمه لهذه المنطقة بجعل انتمائها إلى أوروبا، ولذلك لجأ المستعمر الفرنسي إلى هدم المقومات الحضارية للمنطقة، وبث الاضطراب بين السكان، والقضاء على المفاهيم

(1) محمد الميلي، الجزائر والمسألة الثقافية مدخل تاريخي، مجلة المستقبل العربي، العدد 41، 7، 1982م. ص 56، وكذلك: عبد الكريم غلاب، قراءة، ص 34.

(2) محمد الميلي، الجزائر والمسألة الثقافية التناقضات الثقافية (الجذور)، المستقبل العربي، العدد 45، 11، 1982م. ص 37، 38. وكذا:. نفس المرجع السابق، العدد 41، 7، 1982م.، ص 55.

السابقة التي يتشبتون بها، وفي هذا الإطار بدأ في نشر الثقافة الفرنسية، والاستغناء عن اللغة العربية، والدعوة إلى أن تحل العامية محل الفصحى بين السكان، بالاضافة إلى محاولة نشر المسيحية، خاصة بين المجموعات السكانية التي يسميها البربر، لأنهم يعتقدون أن البربر عندما يصبحون مسيحيين يكونون أشد معارضة للعرب، وبالتالي يمكن القضاء على العرب، وعلى الدين الإسلامي في شمال إفريقيا، وفي المقابل ترسيخ الحضارة والعرق الأوروبي بالمنطقة، وقد سخّر الاستعمار الفرنسي لتحقيق هذه الأهداف قدرات علمية من المتخصصين الأكاديميين في فروع التاريخ المختلفة، وذلك لتكييف تاريخ المنطقة وفق ما خططه المستعمر من عمليات الدمج والإلحاق، وبالاضافة إلى محاولتهم ربط تاريخ المنطقة قديماً مع تاريخ روما، وربط تاريخها الحديث مع تاريخ الغرب خاصة فرنسا، ولذلك أُريد للتاريخ أن يخضع لهم كما أُخضعت الأرض[1]. لقد تفنن الدارسون الغربيون في طرح الكثير من المشكلات المصطنعة، التي جعلتهم لا يبصرون التاريخ الحقيقي للمنطقة إلا من خلال مع ما يتمشى من المصالح الاستعمارية التي تم تسخيرهم من أجلها. يقولون بأن سكان المغرب القديم قاوموا الفاتحين العرب مقاومة شديدة، ويتناسون تلك المقاومة التي بدأت مع وصول الرومان للمنطقة، وبلغت قمتها مع عهد الوندال والبيزنطيين[2]، حين توحدوا في وجههم وحدة لا نظير لها في أي عهد من العهود التي مرت بها المنطقة، ويضيف هؤلاء الدارسون الغربيون بتعجب شديد، لماذا هذا الانتقال السريع من الرومنة إلى العروبة، ومن النصرانية إلى الإسلام؟ بهذه الطريقة يخدع المؤرخ الغربي القارئ وينخدع، عندما يصور روما دائماً في أبهى صورة، ويصور الإسلام في أسوأ مستوياته،

---

(1) عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ص130.

(2) عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ص130.

مـع أن المغاربـة لم ينتقلـوا إلا من حضارة رومانية هرمة مسـتغلة، حكمت المنطقـة في البداية تحت هيمنة إمبراطـور روماني مؤله، ثم فيما بعد تحت هيمنة كنيسـة مستبدة، إلى حضارة إسلامية فتية ساست السكان تحت مبدأ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1]، وانتقلـوا من مجتمع روماني منحط، إلى آخر يبشـرهم بكل خير[2]. وعندما فشـل الاستعمار من تمزيق وحدة سكان المغرب القديم من خلال الجانب الديني، لجأ إلى صعيد آخر وهو الصعيد العرقي، وعلى هذا الأسـاس بدأ، التقرب إلى المجموعة السكانية التي أسموها البربر، وفي هذا الإطار أسبغ علـى هـذه المجموعة الأخيرة نعوتاً، وغرس فيهم قناعات بعيدة عن الواقع التاريخـي، كالإدعاء بأن البربر أقارب الأوروبييـن القدامى، وأن بلاد البربر بلاد أوروبية[3]، وقد اسـتغل الغرب وجود مجموعة كبيرة من السـكان ذات شـعر أشقر وعيون زرقاء وبشـرة بيضاء للاستدلال على الصلة التي يزعمها الغـرب بين سـكان المغرب القديـم وأوروبا. لقد اعتمـد الأوروبيون قديماً وحديثاً الصفات الجسـدية واختلاف اللغـة للتفريق بين قوم وقوم[4]، وبهذه الطريقة ميزوا بين الليبيين القدماء قديماً، وبين سكان المغرب العربي حديثاً. فهذا أبو التاريخ (هيرودوت) يقسم سكان ليبيا من حيث الصفات الجسدية إلى ليبيين وأثيوب، وقد اعتمد على لون البشرة كطريقة للتمييز، أما اختلاف اللغـة فقـد اعتمدهـا أيضـاً للتمييز بين سـكان المنطقة، فقـال بوجود لغات للإغريـق والفينيقييـن والليبيين، ولم يذكر لغة الأثيوب، لأنـه يعلم أنها لغة ليبية قديمة، ولقد اعتمد العلماء المحدثون، رغم التقدم العلمي، على نفس

(1) سورة الشورى، آية 38.
(2) عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ص 131.
(3) نفس المرجع السابق، ص 47.
(4) محمد مصطفى بازمة، سكان ليبيا، ص 89.

الوسائل التي استعملها (هيرودوت) في القرن الخامس قبل الميلاد في التفرقة الجنسية بين قوم وقوم، فرأوا في سكان المغرب القديم، الذين يمتازون بالبشرة البيضاء والشعر الأصفر والعيون الزرقاء، بأنهم أوروبيون، رغم وجود هذه العلامات بين سكان الصحراء الكبرى ومنطقة المغرب القديم منذ عصور ما قبل التاريخ، وقبل أن يعرف الأوروبيون المنطقة بقرون عديدة، وقد اعتمد هؤلاء الباحثون أيضاً على اللغة الليبية القديمة كأساس للتفرقة بين السكان، وحاولوا بكل جهد ربط هذه اللغة بأوروبا، ولكن بدون جدوى، وقد أثبتت الدراسات الحديثة بما في ذلك الدراسات الفرنسية والإنجليزية والألمانية الصلة المؤكدة بين اللغة الليبية القديمة واللغات الآكادية والمصرية القديمة (الهيروغليفية) والكنعانية ولغات جنوب شبه الجزيرة العربية. ورغم أن الدراسات الحديثة أثبتت أن العرب، وما يسميه الغرب بالبربر، ينتمون إلى حضارة واحدة، ولكن رغم ذلك حاولوا التفريق بين الطرفين بشتى الطرق، ومن أبرز الخطط الفرنسية للتشتيت بينهما، ذلك المرسوم المعروف باسم الظهير البربري، الذي صدر عام (1930م)، الذي يمنح ما يسمى بالمغاربة البربر الحق في الاحتكام في أمور معاملاتهم الشخصية الرجوع إلى العرف السائد في المناطق التي يتواجدون بها. وينشئ محاكم تستند إلى العرف والعادات والتقاليد، بدل استنادها إلى الشريعة الإسلامية. وواضح أن هذه المزايا لم تمنح حباً لهذه المجموعة السكانية، بل القصد منها هو تقوية مجموعة من السكان ضد أخرى، وذلك اعتقاداً من الفرنسيين بأن المجموعة المدعومة سوف تدعي يوماً ما للوقوف في وجه المجموعة الأخرى، وعلى هذا الأساس حاول الفرنسيون الاستفادة من القول المأثور (فرّق تسدّ)[1]. ولكن المغاربة في

---

(1) محمد الميلي، الجزائر، المستقبل العربي، العدد 45، 11، 1982م. ص38، وكذا: عز الدين المناصرة، المسألة الأمازيغية، ص99، 100.

منطقة المغرب الأقصى لم يرضوا بهذا التدخل السافر في الشريعة الإسلامية، ورأوا فيه خطوة للقضاء على الإسلام في المنطقة، وفصل ما يسميه الغرب بالبربر نهائياً عن الشريعة الإسلامية، وعن العرب المغاربة، وذلك لإدماجهم لغوياً وفكرياً في الهوية الفرنسية. وقد أدى هذا التصرف الفرنسي إلى نقيض ما كانت ترجوه السلطات الفرنسية، حيث أدى إلى تحالف تلقائي ضد هذا الإجراء، من قبل جماعات المثقفين وتجار المدن الكبرى في كل من فاس ومكناس والدار البيضاء والرباط[1]. وبالتالي قدمت فرنسا من خلال هذا المرسوم ـ بدون قصد منها ـ خدمة جليلة في سبيل توحيد الصفوف، حيث قام البربر أنفسهم بإفشال الظهير البربري، وذلك بتمسكهم بالإسلام ووحدة العقيدة، ورفضهم للاستعمار الأجنبي[2]. ويبدو واضحاً أنه قبل دخول الفرنسيين إلى الجزائر عام (1830م)، لم يكن بمنطقة المغرب العربي من يقر بأن ما يعرف باسم البربر ليسوا عرباً، وأنهم من جنس أوروبي[3]. ويبدو واضحاً أن الذي أدخل هذه السموم إلى المنطقة هم فلاسفة ومستشرقون ومؤرخون مجندون لبث التفرقة بين سكان المنطقة، وذلك لتسهيل السيطرة عليها، وخير دليل على ذلك أن النسابة البربر قبل القرن التاسع عشر الميلادي، كانوا يصفون قبائلهم بأنها تنتمي إلى أصول عربية، أما من شبه الجزيرة العربية، أو من منطقة الشام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد معظم الكتاب العرب المسلمين يؤكدون الأصل العربي لسكان منطقة المغرب القديم[4]. ولذلك فإن إدخال مثل هذه السموم كان (لغرض في نفس يعقوب). يقول أحد الباحثين المحدثين

---

(1) المرجع السابق، ص101، 102.
(2) المرجع نفسه، ص108.
(3) عثمان سعدي، عروبة الجزائر، ص32.
(4) المرجع نفسه، ص32.

الجزائريين إن موضوع ما يسمى بالهوية البربرية صناعة فرنسية[1]. والدليل على أن هذه القضية صنعت في فرنسا، أن القاموس الفرنسي، هو القاموس الوحيد في العالم، الذي أضاف إلى مادته العلمية كلمة (بيربير BERBERES) ويعنون بها جنس البربر، وذلك لتمييزها عن كلمة (باربار BARBARES)، التي تعني، الهمجي والمتوحش والأعجمي. ولكي يسربوا أطروحاتهم بعمل جنس يختلف عن جيرانه، أطلقوا على ما يسمونه البربر وعلى اللغة التي يتحدثونها اسم (بيربير)، بدل (باربار)، وابتكروا نظريات عديدة حول أصل البربر: منها ما يستند على الأصل العرقي، ومنها ما يستند على أخبار أخذت من التوراة، كالسامية، والحامية، ومنها ما أُخذت من خلال علم الأنثروبولوجيا. وهي كلها تهدف إلى غرس نزعات الانقسام بين سكان المنطقة. وسوف نتطرق في الصفحات التالية إلى أهم تلك النظريات، والرد عليها، وتفنيدها، من خلال ما توفر لدينا من دراسات.

أ ـ النظرية الأولى (الأصل الأوروبي):

لقد بدأ الاهتمام الأوروبي بأصل سكان المغرب القديم منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك بعد احتلال فرنسا للجزائر عام (1830م). وقد حاول بعض الرحالة والهواة والعسكريين الفرنسيين الاستفادة من علم الآثار في تبرير غزو فرنسا للجزائر، وذلك من خلال تواجد بعض الآثار المتشابهة في كل من أوروبا ومنطقة المغرب القديم، والتي تتمثل في العديد من المعالم (الميجاليثية)، والتي تتكون من أحجار ضخمة غير مشذبة، يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث، وبداية عصر البرونز. ومن بين تلك المعالم الأثرية، المتواجدة بمنطقة المغرب القديم، التي جلبت انتباه

(1) أحمد بن نعمان وفتيحة بوورونية، وجهاً لوجه، مجلة العربي، العدد 500، وزارة الاعلام الكويتية، الكويت، 2000م. ص68.

الأوروبييـن، مصاطب (الدولمن). وهذه المصاطب هي الأخرى تنتمي إلى المعالم (الميجاليثية)، وهي تتكون من أحجار ضخمة غير مشذبة رتبت في الهواء الطلق، على شكل منضدة، لتشكل غرفة، في معظم الأحوال، تستعمل كقبـر. لقـد عثـر على مثـل هذه المصاطـب في أماكـن متفرقة مـن الجزائر الشرقية وتونس الوسطى. ولقد رأى فيها أولئك المتخيلون للعلم بأنها عبارة عـن مقابـر للغاليين الذين كانوا في خدمة الجيـوش الرومانية، بل رأى فيها البعض الآخر بأنها دليل على قدوم شـعب (سـيلتي) إلى إفريقيا، ولم يكن مجـرد قـدوم عناصر غالية بسـيطة مجندة في الجيـوش الرومانية. وقد رأى هـؤلاء المتطفلـون على العلم بأن هذه الآثـار لا تختلف عن تلك التي عثر عليها في أوروبا، وذلك للوصول إلى الأصل المشـترك بين سكان المغرب القديم وسـكان أوروبا. وقد أكد الجرّاح (قويون) بأن (الدولمن) الذي عثر عليه في بني مسـوس غـرب مدينة الجزائر، لا يختلف عـن ذلك الذي عثر عليه في (سومير) بفرنسا. وقد فسّر هؤلاء المتخيلون بأن تواجد مجموعات سـكانية فـي منطقـة المغرب القديم ذات شـعر أشـقر وعيون زرقاء وبشـرة بيضاء، كان بسـبب قدوم هذه المجموعات الأوروبية إلى المنطقة، وبالتالي فـإن هـؤلاء السـلت والغاليين هم أجـداد لسـكان المغرب القديـم. وبهذه الطريقـة حـاول الفرنسـيون الذيـن ينحـدرون من (السـلت)، تبريـر غزوهم للجزائر وبقية مناطق المغرب القديم، ورأوا فيه تكراراً للحضور (السـيلتي) السابق. لقد سبق لنا أن نوّهنا بخطأ هذه التخيلات، وأكدنا بأن تواجد بعض المجموعات السـكانية ذات الشعر الأشقر والعيون الزرقاء والبشرة البيضاء لم يكن جديداً عن المنطقة، بل هي موجودة قبل السلت والغاليين والوندال بآلاف السنين[1]. وأن ادعاء البعض بأن هؤلاء الشقر هم من سلالة الوندال أو مـن بقايـا الجنـود الغـال الذيـن اسـتخدمتهم قرطاجة وروما، هـو ادعاء

(1) محمد علي عيسى، اسم ليبيا، ص95.

مرفوض. ويرد (ستيفان قزيل) - رغم أنه كان من كبار المنادين ببث التفرقة بين سكان المغرب القديم - على هذا أنه من العبث البحث في هذه الأقوال؛ لأن الجنود الغال الذين استخدمتهم قرطاجة وروما لم يكن عددهم كبير، ولم يتركوا لنا نسلاً يذكر، ولم يثبت أن هؤلاء الغاليين كانوا من الشقر. أما عن الوندال فقد اضمحلوا نهائياً بعد طردهم من البلاد على يد السكان المحليين بمساعدة البيزنطيين[1]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكن القبول بأن مقابر (الدولمن) هي بقايا السلت والغاليين، لأن هذه المقابر سابقة تاريخياً في تواجدها في المنطقة[2]. ونظراً لوجاهة الرأي الذي يقول بأسبقية مقابر (الدولمن) عن السلت والغاليين، لذلك حاول هؤلاء المتخيلون تنسيق نظريتهم من جديد لتلائم الرغبة الاستعمارية الحديثة لاحتواء المنطقة عن طريق الدمج والإلحاق، لذلك عدّلوا نظريتهم السابقة حيث رأوا بأن مجموعات من المهاجرين انطلقوا من الهند ليصلوا إلى شمال أوروبا والجزر البريطانية، ثم انطلقوا نحو الجنوب مروراً ببلاد الغال (فرنسا) وأيبيريا (أسبانيا والبرتغال)، ومنها وصلوا إلى شمال إفريقيا بعد عبورهم لمضيق جبل طارق. لقد صاغ هؤلاء المتطفلون على العلم نظريتهم هذه من خلال أسطورة جاء بها المؤرخ الروماني (سالوست) مفادها أن أحد الآلهة الإغريق الأسطوريين، ويدعى هرقل عبر مضيق جبل طارق مع مجموعة من المهاجرين ليستقروا في شمال إفريقيا ويندمجوا مع سكان المنطقة، وذلك لا لشيء سوى إثبات أن هؤلاء المهاجرين الأسطوريين، الذين وصلوا منطقة المغرب القديم، وتركوا لنا حسب تخيلهم مصاطب (الدولمن)، هم بكل بساطة أجداد لليبيين القدماء، وقد برر هؤلاء نظريتهم

(1) أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة العامة للكتاب، الجزائر، 1986م.، ص14.

(2) G. Camps, Des Rives, P. 9, 10.

بتواجد الكثير من العناصر السكانية ذات شعر أشقر وعيون زرقاء وبشرة بيضاء، ولكن هذه الهجرة التي كانت من نسج خيال (سالوست)، حتى وإن كانت حقيقة، فلا يمكن وصول هذه المجموعات المهاجرة عن طريق مضيق جبل طارق؛ لأن الإنسان لم يبدأ في استعمال المضايق البحرية، إلا مع نهاية الألف الخامسة قبل الميلاد، ولم نحصل على هجرات وتنقلات عبر البحر بصورة مؤكدة تاريخياً إلا مع الألف الثانية قبل الميلاد[1]. ويضاف إلى كل هذا أن المنطقة لم يتغير وضعها الجغرافي منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الآن، خاصة من حيث توزيع الماء واليابسة والمعابر والمضايق.

ويستدل هؤلاء الباحثون على الأصل الأوروبي للبربر، من خلال قرائن لغوية من خلال تخيلهم وجود تشابه في بعض أسماء القبائل بمنطقة المغرب القديم مع أسماء مناطق أخرى في شمال أوروبا. ويرى هؤلاء بأن اسم الكيماريين بفينلاندا والسويد، يشبه من حيث النطق قبيلة خمير في تونس وبني غمارة في المغرب، وأن اسم هرقل بطل أسطورة (سالوست) يشبه اسم أركول وورقلة بالجزائر. وفزيانه التي سكنها الكيماريون في أرمينيا هي نفسها فازان بالمغرب الأقصى وفزّان في ليبيا، ورفايم ورفايت وهي قبائل كيمارية تشبه من حيث النطق مناطق الريف بالمغرب، ويرون بأن قمور وأقمور لها صلة بكماريا، ومن خلال هذا السرد البعيد عن المنطق يبدو أن العالم الفرنسي (رين)، الذي يتبنى هذه النظرية، يريد من خلال ذكر هذا الكم الهائل من الأسماء إقناعنا بوحدة الأصل واللغة بين الشعوب الهنداوروبية، وبين سكان المغرب القديم؛ ويبدو من خلال هذه الطريقة التي يتبعها (رين) أنها مفتعلة، ولا صلة لها

---

(1) محمد علي عيسى، اسم ليبيا، ص ص 95 - 102.

بعلم الأسماء، حيث إنه يقطّع الكلمات كما يشاء، ويستخرج منها المعاني التي تروق له، أو تخطر على باله، وهي بعيدة كل البعد عن المنطق. والجدير بالذكر أن العلم الحديث سواء من خلال الآثار والأنثروبولوجيا وعلم اللغة، أثبت بأن سكان المغرب القديم يعودون من حيث جذورهم التاريخية إلى منطقتيّ شبه الجزيرة العربية والشام، ولاصلة لهم بأوروبا، ولنا في تشابه أسماء القبائل العربية المتواجدة في شبه الجزيرة العربية، مع هذه المتواجدة بمنطقة المغرب القديم خير دليل على وحدة الأصل، حيث إن سهولة الاتصال بين الشرق والغرب ووحدة التاريخ المشترك كلها تؤيد هذا الانتساب، وإذا كان الفرنسي (رين) من خلال مقارناته المفتعلة، قد أورد لنا بشق الأنفس وجود بعض التشابه بين أسماء بعض المناطق في أوروبا مع بعض الأسماء في منطقة المغرب القديم في العصر الحديث، فإننا نستطيع الجزم بأن معظم أسماء القبائل الموجودة في شبه الجزيرة العربية متطابقة تمام التطابق مع تلك الأسماء الموجودة حالياً في منطقة المغرب القديم. وقد أثبت العلم الحديث كما سبقت الإشارة صحة ذلك وفي نفس الوقت يؤكد خطأ نظرية (رين) في انتقال الهجرات المبكرة عبر مضيق جبل طارق نحو شمال إفريقيا. وللرد على (رين) فإننا سنقدّم بعض الأمثلة التي تمثل التطابق اللغوي الكامل بين أسماء بعض القبائل في منطقة شبه الجزيرة العربية، وبين أسماء بعض المناطق في إفريقيا الشمالية بصفة عامة ومنطقة المغرب القديم بصفة خاصة، وسنحاول أن تكون هذه الأمثلة مأخوذة من العصور القديمة فقط وذلك زيادة في قوة الحجة، وسوف نبتعد بقدر الإمكان عن الأسماء التي ظهرت خلال العصور الوسطى والحديثة؛ لأن أسماء القبائل في كلا المنطقتين خلال هذين العصرين لا تحتاج إلى حجج وبراهين لإثبات الصلة والتطابق بينهما، ومن أهم تلك الأمثلة:

1 ـ وصف حرخوف حاكم وقائد القوافل في الجنوب خلال الأسرة السادسة في الدولة المصرية القديمة (حوالي نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد)، من خلال النصوص التي تركها على جدران مقبرته في الفنتين رحلاته إلى إقليم يام في النوبة، وأنه تقدم حتى وصل بلاد التمحو في الجنوب الغربي من النيل، وكان ذلك عندما ذهب في إثر رئيس يام، الذي تقدم نحو بلاد التمحو ليستولي عليها حتى الركن الغربي من السماء، وقد حاول حرخوف استرضاءه وصالح بينه وبين رئيس التمحو[1]. لقد ورد اسم يام لدى الهمذاني أيضاً في كتابه الإكليل عند حديثه عن معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها[2] وقد أشار الهمداني بأن قبائل يام كانت معروفة في الجاهلية والإسلام. وورود اسم يام حرفياً في النصوص المصرية القديمة، ولدى كتاب القرن الرابع الهجري أثناء الدولة العربية الإسلامية، إن دل على شيء فإنما يدل على التواصل البشري المؤكد خلال العصور القديمة بين سكان شبه الجزيرة العربية ومناطق شمال إفريقيا.

2 ـ قدمت لنا نقوش الكرنك التي تعود لنهاية الألف الثانية قبل الميلاد، وصفاً دقيقاً لانتصار الملك المصري مرنبتاح على الليبيين القدماء، وقد أشارت هذه النصوص بأن الليبيين كانوا تحت قيادة شخص يدعى مري بن أدد رئيس قبيلة الليبو. ولقد تعرفنا من خلال كتاب **الإكليل للهمذاني**، ومن خلال كتاب **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، لنشوان بن سعيد الحميري[3] عن شخصية أدد. فذكره الهمداني بأنه مرة بن أدد، وذلك عند

(1) فوزي فهيم جاد الله، مسائل في مصادر، ص64.
(2) الهمداني، الإكليل، الكتاب العاشر، ص ص 85 – 106.
(3) المرجع نفسه، ص19. وكذا: نشوان بن سعيد الحميري، صفحات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (اعتنى بالنسخ والتصحيح: عظيم الدين أحمد)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1986م. ص 1.

حديثه عن معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها. وذكره نشوان بن سعيد الحميري، بأنه أبو قبيلة من اليمن وهو أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. وتعرفنا أيضاً على اسم أدد أو حدد من خلال الأساطير البابلية والكنعانية والآرامية، حيث ورد اسم أدد أو حدد كرب للغيوم والعواصف في هذه الحضارات[1]. والجدير بالذكر أن إضافة أسماء الأشخاص لأسماء الآلهة أمر معتاد في حضارات الشرق الأدنى القديم، وشمال إفريقيا يقصد به ترضية هذه الآلهة والتبرك بها. وعليه فإن هذا التشابه الذي نلاحظه من خلال ورود هذا الاسم في الأساطير البابلية والكنعانية، وفي النصوص المصرية القديمة والكتابات العربية الإسلامية، لم يكن محض صدفة، بل هو دليل مؤكد على أن هجرات قدمت من الشرق وبالتحديد من شبه الجزيرة العربية واستقرت في منطقة شمال إفريقيا، منذ عصور ما قبل التاريخ، وهي السبب في تكوّن القبائل الليبية القديمة التي عاصرت دولة الفراعنة.

3 ـ من بين الأحداث التي قامت في منطقة وادي النيل في العصور القديمة، تلك الحرب المعروفة باسم الحرب الليبية الثانية، التي تتحدث عن غارة قامت بها القبائل الليبية ضد مصر في عهد الفرعون رعمسيس الثالث (1182 - 1151 قبل الميلاد). وقد كانت الزعامة في هذه القبائل لقبيلة المشواش. وكانت القيادة العامة لزعيمها كبر. وقد ورد اسم كبر على أحد جدران معبد هابو، تفيد بأن هذا الزعيم جاء فرعون مصر بعد هزيمته، يرجو الصفح من أجل ابنه الأسير[2]. وقد ورد اسم كبر في نصوص الدولة المعينية

(1) ماكس شابيرو وروداهندريكس، معجم الأساطير (ترجمة: حنا عبود)، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999م، ص111، وكذا: محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1994م.، ص338.

(2) مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات في تاريخ، ص30.

حول تشابه أسماء هذه الأسرة مع بعض أسماء ملوك الدولة الأشورية، لدرجة حملت بعضهم إلى القول بأن هذه الأسرة المعروفة في التاريخ بنشأتها الليبية تنتسب بطريقة من الطرق إلى الآشوريين. لقد خمن بعض هؤلاء الباحثين أن أحد ملوك آشور توفي في مصر وترك الحكم لابنه شيشنق، الذي أسس أُسرة حاكمة في مصر في ذلك الوقت، ودليله على ذلك التشابه الواضح بين أسماء الأشخاص في هذه الأسرة مع بعض أسماء ملوك آشور. ويبدو واضحاً أن أحداً من هؤلاء الباحثين لم يشر إلى السر الحقيقي وراء هذا التشابه والتطابق، وذلك ربما نسوا أو تناسوا أن السر يكمن في تلك الوحدة القديمة التي كانت بين مشرق الوطن العربي ومغربه منذ عصور ما قبل التاريخ، سواء كان من الناحية اللغوية أو الناحية العرقية[1].

5 ـ لقد تردد كثيراً اسم نمرث في النصوص المصرية القديمة، وهو اسم والد شيشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين الليبية في مصر خلال الفترة ما بين (945 – 715 قبل الميلاد). لقد كتب هذا الاسم علي شكل نمرث في النصوص المصرية القديمة. وورد في اللغة الآكادية والبابلية على شكل نمر، الذي يعني المرعب والمخيف. وورد الاسم في النقوش السبئية على شكل نمرن ونمرم ونمرت وورد في النقوش الليبية القديمة على شكل نمر ونمرد ونمرل ونمرس ونمرث[2]. ويكافىء هذا الاسم في اللغة العربية الفصحى كلمة نمر ونمرد ونمرذ، حيث نجده في لسان العرب في مواضع عديدة: النمر: ضرب من السباع أخبث من الأسد. نمرد: نمرود: ابن سيده نمرود اسم ملك معروف، وكان ثعلباً ذهب إلى اشتقاقه من التمرد فهو على هذا ثلاثي. وورد الاسم على شكل نمرذ: نمروذ: ملك

(1) علي فهمي خشيم، سفر العرب، ص5 – 56 ـ 5 – 63.

(2) المرجع نفسه، ص5 – 91 ـ 5 – 94.

معروف، وقد تقدم في الدال المهملة. وعلى هذا الأساس فالاسم كان متداولاً عند عرب الرافدين، كما كان متداولاً عند عرب اليمن القديم والجزيرة العربية مثلما هو موجود عند سكان منطقة وادي النيل أيام الفراعنة، بالإضافة إلى أنه كان شائعاً لدى قدماء الليبيين على طول الشمال الإفريقي[1].

6 ـ يقول المؤرخ الفرنسي (رين) بأن فزيانة التي سكنها الكيماريون بأرمينيا يمكن اعتبارها فاساً بالمغرب وفزّان بليبيا. وقد جاء (رين) بهذا الاسم ليؤكد بأن فاساً وفزّان في منطقة المغرب القديم تعودان في أصلهما إلى أوروبا. ولكن من خلال حديث الهمداني في كتابه **الإكليل**[2] نجد إشارة إلى اسم فزّان كأحد أبناء كنعان بن حام بن نوح، الذين سكنوا أرض السودان. ولذلك يمكن الرد على (رين)، لو اتبعنا نفس طريقته في تقطيعه للأسماء، فإنه من الأولى إرجاع فزيانة بأرمينيا إلى فزّان، بصفته أحد أبناء كنعان بن نوح، وهو أقدم تاريخاً من فزيانة.

7 ـ من المعروف أن دولة معين كانت إحدى الدول العربية القديمة التي قامت جنوب شبه الجزيرة العربية في الفترة ما بين (1300 - 630 ق.م.) وتوجد معين أخرى بالشام كانت عبارة عن مدينة تتبع دولة معين في الجنوب. وعلى هذا الأساس ألا يحق لنا أن نربط آت معان (أولاد معان) في يفرن بمعين بكل من اليمن والأردن. ويحق لنا بالتالي أن نربط أصل سكان هذه القبيلة الليبية بتلك المدن التي سادت بجنوب شبه الجزيرة العربية والشام منذ أكثر من ثلاث آلاف سنة مضت. وعملية ربط هذه المنطقة إلى الشرق هو أقرب إلى الصواب مما يفعله (رين) وأمثاله من ربط

(1) ابن منظور، لسان العرب، الجزء السادس، دار صادر، بيروت، 1997م. ص 259.
(2) علي فهمي خشيم، سفر العرب، ص 5 - 95.

بعض أسـماء القبائل بمنطقة المغرب القديم بأسـماء أخرى في أوروبا، عن طريـق تقطيع الكلمات واسـتخراج المعانـي منها بأية كيفيـة وذلك للتدليل على الهجرات وانتقال الثقافات.

8 ـ لقـد ورد لـدى الهمدانـي في الجزء الثاني من كتابـه **الإكليل** أيضاً، إشارة لأحد أبناء علاق بن عمرو بن ذي أبين، وهو صيعان[1]، الذي تنسب إليـه قريـة صيعـان من مخـلاف أقيـان، وكذلك شـاحد مما تنازعتـه حمير وهمدان. وعلى هذا الأساس ألا يحق لنا أن نربط قبيلة الصيعان المتواجدة بالمنطقة الغربية من ليبيا، بأولئك الأشـخاص الذين أشـار إليهم الهمذاني، وبتلك القرية اليمنية القديمة التي عاصرت دولتيّ حمير وهمذان القديمتين. ويحق لنا بالتالي أن نربط أصل سكان هذه القبيلة الليبية بأولئك الأشخاص وبتلك القرية، التي سـادت بجنوب شـبه الجزيرة العربية منذ أكثر من ألفيّ سنة مضت.

وعندما باءت نظرية (رين) بالفشل الذريع، بسبب عدم منهجيتها، حاول الباحثـون الفرنسـيون تبريـر الأصـل الأوروبي لسـكان المغـرب القديم من خـلال تواجد بعـض المجموعات السـكانية بالمنطقة تتصف ببشـرة بيضاء وعيون زرقاء وشـعر أصفر. ولذلك جعلوا هذه المجموعات تارة من نسـل الغال «سكان فرنسا خلال العصور القديمة»، وتارة أخرى من نسل الجرمان «سـكان ألمانيا قديماً»، وفي بعض الأحيان من أصل قوقازي[2]. وقد تناسى هـؤلاء الباحثـون بأن هذه المجموعة من السـكان التي يدّعي بعض الكُتّاب الأوروبيـون صلتهـا بأوروبا هي موجـودة بالمنطقة قبل وصـول الأوروبيين بـآلاف السـنين. وللتدليـل علـى صحـة مـا نقـول يمكـن تتبع تواجـد هذه

---

(1) الهمداني، الاكليل، الجزء الأول، ص65.

(2) الهمداني، الإكليل، الجزء الثاني، ص98، 121.

المجموعة السكانية بالمنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى بداية الاحتلال الروماني، وهي الفترة التي يرى فيها هؤلاء الكُتَّاب وصول هذه المجموعة السكانية إلى المنطقة.

1 ـ لقد توصلنا من خلال دراسة الأشكال البشرية المنقوشة والمرسومة على المنحدرات وجدران الكهوف بالصحراء الكبرى، خلال العصر الحجري الحديث، بأنها تمتاز بتقاطيع الوجه المتناسق ولون البشرة البيضاء والشعر الأصفر، وقد رأى كل من (فابريتشيو موري) و(هنري لوث) من خلال حفرياتهما، بأنها تنتمي إلى جنس البحر المتوسط. ولكننا نؤكد[1] بأن هذه الرسومات التي تعود في تاريخها للعصر الحجري الحديث ابتداءً من الألف السادسة قبل الميلاد، لاصلة لها بالجنس الأوروبي، بل هي عناصر موجودة بالمنطقة قبل أن يستعمل الإنسان البحر في تنقلاته بزمن طويل.

2 ـ إن المجموعات التي تتصف بالبشرة البيضاء والشعر الأصفر والعيون الزرقاء لم تكن ملامح أوروبية كما يرى (موري) و(لوث)، بل ظهرت في شمال إفريقيا في أكثر من مناسبة قبل وصول الأوروبيين إلى المنطقة، حيث استطعنا التعرف عليها من خلال الوثائق المصرية القديمة ابتداء من الألف الثالثة قبل الميلاد، عندما تحدثت عن قبيلتي التمحو والليبو. وأقدم مثال على ذلك يرجع إلى عهد الأسرة الرابعة من الدولة القديمة، إذ نجد في مقبرة الملكة «مريس عنخي الثالثة صورة للملكة «حتب حرس» الثانية وهي بنت الملك «خوفو» وهذه الصورة الأخيرة تختلف عن غيرها من الصور الموجودة معها، حيث تمتاز بلون البشرة البيضاء والشعر

(1) سليم حسن، مصر القديمة «عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية»، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2001م. ص 41، 42.، وكذلك: محمد المختار العرباوي، البربر، ص 26.

الأشقر، ويحلي جبينها خصلة قصيرة، وملابسها عبارة عن جلباب أبيض ضيق محبوك بشريطين ملفوفين على الصدر ومربوطين على الكتف بعقدة بارزة[1]. وهذه الصورة النسائية، وخاصة خصلة الشعر والملابس تذكرنا باللوحة المرسومة على الصخر والتي عثر عليها في منطقة جبارين بجبال تاسيلي، والتي نرجع لحدود الألف السادسة قبل الميلاد[2]. وتجد مثال آخر يتمثل في النقوش والرسوم التي ظهرت في نصوص مقبرتي أوني وحرخوف حاكمي الجنوب في عهد الأسرة الفرعونية السادسة (2434 - 2242 قبل الميلاد)، وتلك الرسوم التي ظهرت على مقبرة سيتي الأول (الأسرة التاسعة عشرة، وذلك في حدود عام 1300 قبل الميلاد).

3 ـ تصف المصادر الإغريقية بأن الليبيين القدماء قبل قدوم الإغريق إلى الجبل الأخضر، في القرن السابع قبل الميلاد، كانوا يتصفون بالبشرة البيضاء، وتشير هذه المصادر بأن الليبيين حول بحيرة تريتونيس كانوا يتصفون بنفس الصفات السابقة، وأنه كان يوجد من بينهم قوم من ذوي العيون التي لها زرقة البحر[3]. ولقد أشار هؤلاء الإغريق إلى وجود علاقات طيبة بينهم وبين الليبيين والليبيات ذوي البشرة البيضاء والشعر الأشقر، قبل وصول الرومان بجيوشهم الجرارة التي تضم الغاليين والسيلت والجرمان بقرون عديدة.

4 ـ ونجد الشاعر اللاتيني (ماركوس أنايوس لوكانوس) (39 - 65م) يشير إلى شقرة الليبيين القدماء أثناء حكم البطالمة لمصر من خلال جانب

---

(1) Henri L'hote, A la decouverte des fresques du Tassili, Arthaud, Paris, 1988. P. P. 67-74.

(2) مصطفى كمال عبد العليم، دراسات، ص54، 55.

(3) Le Robert, Dictionnaire Universel des nomes Propres, Le Robert, Paris, 1983, P. 1707.

وكذا: مصطفى كمال عبد العليم، دراسات، ص76. وكذا: فرانسوا شامو، في تاريخ ليبيا، ص35.

من مقطوعته الشعرية المسماة (فارساليا)، والتي تحكي مأساة الحرب الأهلية التي جرت في النصف الأخير من القرن الأول قبل الميلاد، بين (يوليوس قيصر) و(بومبي)، حيث يشير هذا الشاعر إلى ليبيين وليبيات ذوي بشرة بيضاء وشعر أشقر، كانوا في خدمة الملكة كليوبترا[1]. وقد أورد هذا الشاعر من خلال مقطوعته الشعرية بأن (يوليوس قيصر) كان شديد الاستغراب من تلك الوصيفات الليبيات اللاتي كن في خدمة كيلوبترا، حيث، لم تر عيناه شدة شقرة شعورهن حتى لدى نسوة جرمانيا الجميلات[2]. والجدير بالذكر أن هذه الإشارة من قبل الشاعر (لوكانوس) كانت تسبق فترة احتلال الرومان لمصر ومنطقتيّ قورينائية (الجبل الأخضر) والمدن الثلاث (لبدة وأويا وصبراته) بزمن ليس بالقصير.

يستدل بعض العلماء الغربيين على الأصل الأوروبي لسكان المغرب القديم من خلال وجود شبه بين بعض الكلمات في اللغة الليبية القديمة مع كلمات أخرى في لغات أوروبية قديمة كاليونانية واللاتينية والأترسيكية ولغة الباسك، ولكن هذا التخمين بعيد كل البعد عن الواقع لأنه لا توجد أية صلة بين الليبية القديمة واللغات الأوروبية القديمة، ولكن على العكس من ذلك فالعديد من الاختصاصيين الأوروبيين في مجال اللغات يؤكدون بأن اللغة الليبية القديمة ترجع في أصولها إلى الشرق، يقول عالم اللغات الفرنسي (باسيه) بأن اللهجات الليبية القديمة كثيرة ومتفرعة، حيث يقدر عددها بنحو خمسة آلاف لهجة وهي كلّها ذات جذور عربية قديمة. وتشير موسوعة (يونيفرسالس) بأن اللغة الليبية القديمة هي امتداد للغات السامية - الحامية ويشير المؤرخ الأمريكي (وليام لانغر) بأن اللغة الليبية القديمة

(1) فرانسوا شامو، في تاريخ ليبيا، ص35.
(2) عثمان سعدي، عروبة الجزائر، ص41.

والمصرية القديمة (الهيروغليفية) واللغات السامية ترجع كلّها إلى أصل واحد. ويرى (غوستاف لبون) بأن اللغة الليبية القديمة العريقة في القدم من المحتمل أنها مشتقة من اللغة الفينيقية، ونحن نؤيد (غوستاف لبون) في رأيه، ومما يؤكد ذلك أن لغة الطوارق التي يطلق عليها تيفيناغ تعني الفينيقية لأننا لو جعلنا كلمة فينيقي في صيغة المؤنث باللغة الليبية القديمة سوف نقول تافينيقت؛ أي: فينيقية. وبالفعل فإن الرأي السائد لدى الكثير من الباحثين أن الأبجدية التي يستعملها الطوارق وهي التيفيناغ استعاروها من الأبجدية الفينيقية[1]. ويرى بعض الباحثين أن الأبجديتين الطارقية (الليبية القديمة) والفينيقية انحدرتا عن الكتابة السومرية[2]. ويرى العالم الألماني (روسلر) بأن اللغة النوميدية (اللغة الليبية القديمة) انفصلت عن اللغات السامية في الشرق في عصور مؤغلة في القدم، ويشير بأن العربية الفصحى هي فرع مما يعرف بالسامية، وتمتاز هذه اللغات بما في ذلك اللغة الليبية القديمة بوجود الحروف الحلقية. ويشير (غرينبرغ) عالم اللغات القديمة في جامعة أنديانا الأمريكية بأن اللغة الليبية القديمة، واللغة العربية الفصحى تضمان الكثير من الصفات المشتركة في البنية اللغوية والنحوية. ويشير السعيد الزاهري بأن اللغة الليبية القديمة هي لغة ضاد مثلها مثل العربية الفصحى، وذلك لوجود حرف الضاد بين حروف أبجديتها[3].

لقد رأى بعض الباحثين المنادين بنظرية الأصل الأوروبي لمنطقة المغرب القديم، بأن الهجرات الأوروبية وصلت إلى المنطقة عن طريق معبرين بريين يصلان بين أوروبا وشمال إفريقيا وهما: منطقة مضيق جبل

---

(1) المرجع نفسه، ص433.

(2) المرجع السابق، ص114، 115.

(3) محمد المختار العرباوي، البربر، ص27. وكذا: أحمد توفيق المدني، قرطاجنة، ص15.

طـارق، والمنطقـة الواقعة بين تونـس الحالية وصقليـة وإيطاليا. لقد راجت فكـرة اتصال جنـوب أوروبا بشـمال إفريقيا فترة من الزمـن وكان المنادون بهذه الفكرة يرون أن هذا الاتصال حدث أثناء الفترات الجليدية التي غطت النصـف الشـمالي من الكـرة الأرضية، والتي كان آخرهـا قبل 18000 ألف سـنة مضـت[1]. ولكن الأبحـاث الجيولوجيـة المتعلقة بالرسـوبات البحرية والشـطوط الواطئة والمرتفعة أكدت عدم صحة هذا الافتراض حيث أكدت عـدم وجـود أية معابر برية بيـن القارتين حتى في العصـر الجليدى الأخير. هـذا مـن جهة، ومن جهة أخرى، فإن عملية ازدياد ارتفاع كميات المياه في البحـار والمحيطـات بسـبب دوبـان الثلوج، عندمـا دخلت منطقـة النصف الشـمالي مـن الكرة الأرضية في الفترة الدافئة المطيـرة والتي بدأت منذ 18 ألف سـنة مضت ومازالت مسـتمرة حتى الوقت الحاضـر، أدت إلى ازدياد ارتفاع مستوى المياه في البحار، وبالتالي أدت إلى اختفاء النتؤات الحجرية البـارزة، التـي تكوّن ما يشـبه المعابر البريـة في البحار. ولذلـك فلا مجال لمثـل هـذه المجموعات القادمة من أوروبا الوصول إلى شـمال إفريقيا عن طريـق المعابـر البريـة. هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى لا تتوفـر لديها الإمكانيات لاقتحام البحار كما سـبقت الإشـارة إلى ذلك عند الحديث عن الهجرات التي قامت خلال عصور ما قبل التاريخ، حيث توصلنا من خلال نظريـات لعلماء مرموقيـن، إلى أن أقدم اتصال بين أوروبا وشـمال إفريقيا، بغـرض الاسـتيطان كان فـي النصف الثاني مـن الألف الثانية قبـل الميلاد، عندما حاولت بعض المجموعات الأوروبية المعروفة باسـم شعوب البحر، الاسـتيلاء علـى منطقة وادي النيل، ولكنها فشـلت وعـادت إلى أوروبا من جديد كما سبق الإشارة إلى ذلك.

---

(1) L. Balout, Prehistoire, P.433.
وكذا: جيان ديزنج، البربر الأصليون، ص 431، 432.

ب ـ النظرية الثانية (الأصل الحامي والأصل السامي):

أطلقت التسمية سامية وحامية على مجموعات سكانية عديدة تنتشر في مناطق شبه الجزيرة العربية، وبلاد الرافدين، والشام، والمنطقتين الشمالية والشرقية والغربية من إفريقيا، وقد سميت مجموعات من هذه الشعوب بالسامية، وسميت مجموعات أخرى بالحامية، وقد استند أصحاب هذه النظرية في تسميتهم لهذه الجماعات على ما جاء في **التوراة**، من أن هذه الشعوب تعود في أصلها إلى نسل ابني نوح عليه السلام، سام وحام. والجدير بالذكر أن التوراة قد قسمت سكان العالم في ذلك الوقت إلى ثلاث مجموعات بشرية كبرى وهم: الساميون والحاميون والآريون، نسبة إلى أبناء نوح الثلاثة، سام وحام ويافت. وترى **التوراة** أن العالم قد فني بعد الطوفان، ولم ينج سوى الذين ركبوا السفينة مع نوح، وهم نوح وزوجته، وأبناؤه سام وحام ويافت وزوجاتهم، ومجموعة من الحيوانات على شكل زوج من كل نوع، وتشير **التوراة** إلى أنه من خلال نسل سيدنا نوح ظهرت القبائل، والمجموعات السكانية المختلفة، «وبالتالي ظهرت قبائل بني نوح، حسب مواليدهم بأممهم، ومن هؤلاء تفرعت الأمم في الأرض بعد الطوفان»[1]. وعلى هذا الأساس يرى كتبة **التوراة** بأن البشرية قد فنت بعد الطوفان، ولم ينج سوى نوح وأبناؤه سام وحام ويافت. ولكن هذا غير صحيح، وحتى وإن صح ذلك، فإن الناجين لا ينتسبون لذرية نوح فقط، بل ينتسبون أيضاً لذرية أولئك القلائل الذين آمنوا برسالة نوح، وبالتالي هم أيضاً ركبوا معه السفينة، وقد وردت إشارات عديدة في **القرآن الكريم** تشير إلى الذين ركبوا السفينة مع نوح، فقد ورد في سورة هود إشارة واضحة

(1) الكتاب المقدس؛ أي: كتاب العهد القديم والعهد الجديد، سفر التكوين، الإصحاح العاشر 32، 1 دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

إلى أن الذين ركبوا السفينة مع نوح عليه السلام، ليس أبناءه الثلاثة وزوجاتهم فقط، بل أيضاً عدد قليل من الذين آمنوا: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[1]. وفي نفس السورة نجد إشارة إلى الأمم الذين كانوا في السفينة بالإضافة إلى نوح وابنائه: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]. وبناء عليه فإن الذين ركبوا السفينة، ونجوا من الطوفان ليس نوحاً وأهله فقط، بل أيضاً المؤمنون الصادقون، ولذلك لا يمكن أن ينسب الجنس البشري بعد الطوفان إلى أبناء نوح فقط، ولا أن يقسم الجنس البشري فقط إلى ساميين وحاميين وآريين، نسبة لأبناء نوح الثلاثة سام وحام ويافث.

هل كان الطوفان عالمياً؟

استنبط العلماء المحدثون أن الطوفان لم يكن طوفاناً عاماً شمل الأرض جميعاً، كما يؤخذ من نصوص العهد القديم، بل إنه كان طوفاناً خاصاً مقصوراً على مناطق محددة كان يعرفها الكُتَّاب العبرانيون، الذين دونوا **التوراة** بعد هذا الحدث بأكثر من ألف سنة. ولذلك لا يجب أن نفهم من رواية الطوفان في **التوراة** أن جميع الكائنات الحية التي كانت على سطح الأرض قد أهلكها الطوفان، وإنما يجب علينا أن نفهم أن هذا الطوفان كان مقصوراً على جهة معينة من الأرض أهلك سكانها، ولم ينج في هذه البقعة سوى نوح ومن كان معه في السفينة، وقد كان هذا الطوفان عقاباً لقوم نوح وحدهم، والدليل على ذلك ما جاء في سور

(1) سورة هود، الآية 40.

(2) سورة هود، الآية 48.

كثيرة من **القرآن الكريم**، والتي تشير آياتها ـ على عكس **التوراة** ـ إلى عقوبات عديدة، نزلت على جماعات محددة جداً، ففي الآيات (9 – 46) من سورة القمر يتحدث الله تعالى عن أقوام كثيرة كذبت رسلها، وأرسل الله عليها العقاب جزاء كفرهم، فتحدث عن قوم نوح الذين كان عقابهم الطوفان، مثل ما كانت الريح الصرصر عقاباً لقوم عاد، وكانت الإبادة الكاملة عقاباً لثمود، والهلاك التام لقوم لوط، بسبب ارتكابهم الفواحش، حيث أرسل الله عليهم حاصباً لم تبق منهم أحداً. وكان الفناء لفرعون وقومه، عندما كذبوا موسى وأخاه هارون، حيث لم يبق الله من أولئك الذين تعقبوا موسى وقومه حين خروجهم من مصر، مخبراً ولا عيناً ولا أثراً[1]. أما في سورة الفرقان فتشير هي الأخرى إلى عقوبات عديدة نزلت على جماعات عديدة، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۞ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ۞ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۞ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾[2]. أما سورة الأعراف فهي الأخرى تقدم لنا العقوبات التي نزلت على أقوام شعيب ونوح وعاد وثمود ومدين كلٌ على حدة. ومما يؤكد أن الطوفان كان طوفاناً خاصاً مقصوراً على مناطق محددة ما جاء على لسان شعيب أنه لا يجب أن نكون عداوتكم وبغضي لي سبباً على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط من النقمة والعذاب، حيث يقول

---

(1) الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى 774 هـ.، تفسير القرآن العظيم (الجزء الرابع)، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، ص ص 229 – 234.

(2) سورة الفرقان، الآيات: 35 – 39.

الله تعالـى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ * وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾[1]. وعليـه فالقـرآن الكريـم يقدم كارثة الطوفان باعتبارها عقاباً نزل بشكل خاص على قوم نوح. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن **التوراة** بتقسيمها الشعوب في ذلك الوقت إلى سـاميين وحاميين وآريين فقط، لا تدل على شـيء، ولا تكتسب هذه التسـميات حقيقة ما. ولكي تصبح هذه التسـميات نقاط انطلاق تاريخية، ينبغـي أن تكـون هـذه الشـعوب قـد امتلكـت صفـات السـامية والحامية والآريـة. ولكـن هذا مجرد خيال وضعه لنا المستشـرقون، ولذلك أثارت هذه التسميات في العصر الحديث الكثير من التساؤلات:

1 ـ تورد **التوراة** من بين أبناء سام عيلام ولود، مع أن العيلاميين واللوديين أو الليديين لم يكونوا يسـتخدمون لغات أو لهجات تشبه ما كان يتكلم بها سـائر السـاميين، وإنمـا كانوا يتكلمـون لغات ولهجـات تنتمي إلى اللغات الهندأوروبية.

2 ـ لـم تذكـر **التـوراة** من بين أمـم العالم القديـم، التي تنتسـب لأبناء نوح الجنسين الأصفر والأسود، ولعل السبب في ذلك هو أن تدوين **التوراة** قد تم في عهد لم يكن فيه العبرانيون على علم تام بالجنسـين الأصفر والأسود.

3 ـ لم تذكر التوراة من بين الشـعوب التي تنتمي إلى يافت من الأوروبيين سـوى الإغريق، أهملت بقية الشـعوب، وهو بسـبب جهل كتبة **التوراة** بهـذه الشـعوب، وهذا الأمـر ينطبق على الهنود الذين لـم يرد لهم ذكر ضمن أبناء يافت.

---

(1) سورة هود الآيتان: 89 ـ 90.

4 ـ لقد تعمد كتاب **التوراة** إدراج الكنعانيين ضمن أبناء حام، مع أنهم من الشعوب السامية، لأنهم ينتمون إلى نفس العرق، ويتكلمون اللغة نفسها، ويرجع السبب الذي جعل كتاب **التوراة** يحرمون الكنعانيين من النسب السامي، ذلك العداء التاريخي الذي كان بين الكنعانيين والعبرانيين[1]. وقد أشار (بروكلمان) إلى ذلك بوضوح تام حين ذكر أن اليهود هم الذين عملوا على إقصاء الكنعانيين من جدول بني سام وإلحاقهم بجدول بني حام، وذلك بسبب حروب بينهم[2]. وقد كان الكنعانيون في **التوراة** دائماً هم ألد أعداء اليهود، لأنهم كانوا القوة التي اصطدمت بهم ورفضت قبولهم في المنطقة، عندما عبروا نهر الأردن واحتلوا بعض المناطق هناك. ولذلك كان اليهود ينعتون الكنعانيين في أسفارهم بأبشع الاتهامات السيئة في الأخلاق، والعادات الوثنية الفاسدة[3]. لذلك أرى أن اليهود في العصر الحديث هم الذين أقصوا سكان المغرب القديم عن قائمة المجموعات السامية، وأدرجوهم في قائمة المجموعات الحامية، للسبب نفسه الذي أشار إليه (بروكلمان).

5 ـ لقد نشأت في العصر الحديث عند الأخذ بمبدأ التقسيم الذي جاءت به **التوراة** للأجناس البشرية، أخطاء تاريخية رهيبة، وخاصة بعد اكتشاف القارة الأمريكية، حيث لم يستطع العلماء الغربيون تصنيف الهنود الحمر لا هم بالساميين ولا هم بالحاميين، ولا يسمح لهم بالارتقاء إلى مرتبة الجنس الآري، ولذلك نسبوهم إلى الشيطان، فقالوا عنهم بأنهم أبناء الشيطان[4].

---

(1) علي فهمي خشيم، آلهة مصر، ص75.

(2) عز الدين المناصرة، المسألة الأمازيغية، ص80.

(3) محمود حسين الأمين، الكنعانيون الغربيون، في محاضرات الموسم الثقافي الأول، مركز الجهاد للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989م. ص12.

(4) علي فهمي خشيم، آلهة مصر، ص75.

6 ـ لقد نسب المفكرون المحدثون الشعوب السامية لسام بن نوح، والحامية لحام بن نوح، والآرية ليافت بن نوح. ما هذا التناقض بين اسم يافت والآريين؟ كان من المفروض إحتراماً للتراث التوراتي، الذي استقى منه هؤلاء العلماء نظرياتهم، أن يطلقوا على الآريين اسم اليافتيين، وليس الآريين، وذلك نسبة ليافت بن نوح.

وبناءً على كل ذلك لا يمكن الأخذ بكل ما جاء في **التوراة** على أنها حقائق منزّلة من عند الله، ولكن الكثير من أخبارها عبارة عن تاريخ مشوه كتبه عدد كبير من الكهان في فترات تاريخية متباعدة، وقد استقى هؤلاء معلوماتهم من أساطير منقولة عن بلاد ما بين النهرين والشام ووادي النيل كالبابليين والأشوريين والكنعانيين والفراعنة. وأن ألواح موسى المنزلة من عند الله لا تتعدى صفحات قليلة من **التوراة**[1]. والجدير بالذكر أنه في عهد سيدنا موسى لا توجد لغة تعرف باللغة العبرية؛ لأن اليهود عندما غزوا بعض أجزاء فلسطين استعملوا في البداية اللغة الآرامية المسيطرة على كل المنطقة في ذلك الوقت، ثم تخلوا عنها بعد ذلك وتبنوا بالكامل اللغة الكنعانية[2]. وقد تطورت اللغة العبرية فيما بعد عن الكنعانية بعد احتلال اليهود لبعض مناطق فلسطين وطرد مجموعات من السكان الكنعانيين خارج وطنهم، نحو الغرب، والذين استقروا في منطقة المغرب القديم كما أشارت إلى ذلك بعض الكتابات البيزنطية والعربية الإسلامية[3]. وتوجد إشارة واضحة عن هذا الإجلاء نستشفه من **التوراة**، عند الحديث عن أحد ملوك يهودا «ولم يعمل المستقيم في عيني الرب إلهه كداود أبيه، بل سار

---

(1) علي فهمي خشيم، سفر العرب الأمازيغ، ص 1 – 62.

(2) أ. دوبون ـ سُومر، الآراميون (ترجمة: ناظم الجندي)، دار أماني للطباعة والنشر والتوزيع، طرطوس، 1988م. ص 135.

(3) محمد علي عيسى، إسم ليبيا، ص ص 98 – 101.

في طريق ملوك إسرائيل، حتى إنه عَبّرَ ابنه في النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل»[1]. ولذلك أصبح من المؤكد أن اليهود قد حرّفوا **التوراة** تحريفاً كبيراً، ويتضح ذلك جلياً من خلال ما أضافوه إليها من الإضافات وما أصابها من التحولات بسبب النقل المتكرر والترجمات المختلفة، وقد نتج عن ذلك تصحيحات وإضافات استمرت أكثر من ألفي عام[2]. ويضاف إلى كل ذلك أن كتبة **التوراة** لم يستندوا في إضافاتهم إلى أدلة علمية يقينية، بل كانوا يأخذون المعلومات من أفواه الرواة والقصاصين، الذين ذهبوا في رواياتهم مذاهب شتى[3]. ولكي نأتي بالدليل على عدم معقولية بعض نصوص **التوراة**، لنناقش موضوع قائمة الأنساب التوراتية، من خلال **سفر التكوين** الإصحاح 5، الفقرات (1 - 32)، والتي نجد فيها معطيات رقمية يرى فيها كتبة **التوراة** بكل ثقة بأنها غاية في الدقة، وهي توضح لنا أعمار أسلاف سيدنا إبراهيم ابتداءً من آدم عليه السلام. والذي يهمنا من هذه الأعمار حول قضيتنا هذه، أعمار سيدنا آدم وسيدنا نوح وأبنائه الثلاث سام وحام ويافث. ترى **التوراة** بأن نوحاً ولد بعد (1056) عام من آدم عليه السلام. ومن خلال الإصحاحات 6، 7، 8 من **سفر التكوين** التي تتحدث عن الطوفان، تعرفنا بأن هذا الحدث وقع عندما كان عمر نوح (600) عام، وعليه يكون الطوفان، حسب قائمة الأنساب التوراتية قد وقع بعد (1656) عاماً من خلق آدم. ومن خلال سفر التكوين أيضاً عرفنا بأن سيدنا إبراهيم وُلد بعد الطوفان بـ (292) عاماً. وحسب المعارف العلمية الحديثة أمكننا التعرف بأن سيدنا إبراهيم كان يعيش في الفترة ما بين

---

(1) الكتاب المقدس، الملوك الثاني، الاصحاح 2/16.

(2) بيير روسي، التاريخ الحقيقي للعرب مدينة ايزيس (ترجمة: فريد جحا)، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996م. ص27، 28. وكذا: موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ص 17 - 19.

(3) حامد عبد القادر، الامم السامية، ص54.

(1850 - 1800) قبل الميلاد. وعليه يتحدد زمن الطوفان، حسب التوراة بالفترة ما بين 2200 و2100 قبل الميلاد، ويكون خلق آدم في مطلع الألف الرابع قبل الميلاد. وحسب رواية التوراة تكون البشرية قد أعادت تكوين نفسها بعد حادثة الطوفان من خلال أبناء نوح الثلاثة بسرعة كبيرة، بحيث إنه عندما يولد سيدنا إبراهيم بعد ثلاثة قرون، تكون البشرية قد تفرعت إلى أمم وإمبراطوريات، كممالك المدن التي قامت بمنطقة بلاد الرافدين، والدول المتعاقبة التي قامت بمنطقة وادي النيل، وهذا الأمر غير معقول لأنه في خلال 300 سنة لا يمكن أن تتكون حتى قبيلة من القبائل وليس قيام دول وإمبراطوريات، ولكن الصحيح أن هذه الدول والممالك والإمبراطوريات كانت بداياتها موجودة قبل الطوفان، وكانت بعيدة عنه ولم تتأثر به، وهو الأمر الذي يجعلنا نشك أيضا في التاريخ الذي وضعته التوراة لخلق آدم، والتواريخ التي وضعت لنوح ونسله. وهذا الأمر يجعل الباحث المتجرد يرفض أرقام الأعمار التي جاء بها سفر التكوين، ويرفض أيضاً أن يكون الطوفان الذي ورد في التوراة قد غمر كل بقاع الأرض، وأن البشرية تعود في نسلها إلى أبناء نوح الثلاثة فقط كما يرى كتبة التوراة، بل إن هذا الطوفان كان محصوراً في منطقة جنوب بلاد ما بين النهرين فقط، وإن البشرية كانت موجودة في مناطق متفرقة من العالم القديم قبل الطوفان بزمن طويل، ولذلك لم تتأثر به. وعلى هذا الأساس يمكننا أن نلاحظ تناقض التوراة الواضح مع المعارف العلمية الحديثة[1]. وللأسف الشديد نجد الباحثين المحدثين يتبنون ما ورد في التوراة كحقائق تاريخية. فنجد البعض يؤكد بثقة تامة بأنه اعتماداً على ما جاء في الكتاب المقدس، حدث طوفان كوني كبير في حوالي سنة (3308) قبل الميلاد. وبناء عليه يكون خلق الإنسان قد تم ما بين (3397) قبل الميلاد أو (4004) قبل الميلاد[2].

(1) موريس بوكاي، القران الكريم، ص ص 48، 49، 53، 245، 246.
(2) محمد الطاهر العدواني، الجزائر، ص 48.

ونجد البعض الآخر يطلق على شعوب هذه المنطقة تسميات اقتبست من خلال مقولة الطوفان التي وردت في **التوراة** كالسامية والحامية، وقد شاعت هذه التسميات منذ ذلك الحين وأصبحت عند علماء الغرب علماً لمجموعة كبيرة من الشعوب. وليس هذا فحسب بل إن هذه التسميات سرت إلى المؤرخين العرب، فوافقوا عليها بسهولة تامة، وعن طواعية، رغم أنها لا تستند إلى واقع تاريخي، ولا إلى أسس عنصرية أو لغوية صحيحة[1].

ولادة النظريتين السامية والحامية:

لقد أطلقت تسمية السامية على أمم وطوائف كثيرة امتازت بصفات مشتركة بين أفرادها، وتكلمت بلغات بلغت أقصى درجات التشابه، ولذلك نجد المستشرقون ـ خاصة الألمان منهم ـ يطلقون منذ القرن الثامن عشر على هذه الأمم اسم الأمم السامية، ويطلقون على مجموعة اللغات التي يتحدثون بها اسم اللغات السامية. وكان المستشرق الألماني (شلوزر) أول من أطلق هذه التسميات سنة (1781م)، وذلك من خلال مقاله بعنوان (الكلدانيين). وقد عبر (شلوزر) عن هذه النظرية بقوله: «من البحر المتوسط إلى الفرات، ومن أرض الرافدين حتى بلاد العرب جنوباً، سادت كما هو معروف لغة واحدة، ولهذا كان السوريون والبابليون والعبريون شعباً واحداً. وكان الفينيقيون (الحاميون) أيضاً يتكلمون هذه اللغة، التي أود أن اسميها اللغة السامية»[2]. وكان دليله على ذلك أن معظم الشعوب والأمم التي تتكلم هذه اللغة تنتمي إلى أولاد سام بن نوح. وبالرغم من خطأ هذه التسمية ما زال هذا الاصطلاح يطلق على هذه الجماعات والأمم. وهكذا

(1) عثمان سعدي، عروبة البربر، ص14.

(2) توفيق سليمان، نقد النظرية السامية، الجزء الأول أسطورة النظرية السامية، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، 1982م.، ص58.

أصبح هذا التعبير شائعاً رغم أنه لا يثبت للنقد التاريخي. ويستحيل اليوم على الباحث إلا أن يأخذ بهذه النظرية سواء كان موافقاً عليها أو معارضاً لها، وذلك لأنها أصبحت اصطلاحاً لا مفر من الأخذ به[1]، عند تقسيم البشر وتقسيم السلالات البشرية لشعوب العالم، قد تبنى هؤلاء الباحثون، أفكار هذه النظرية تارة لأغراض تبشيرية، وتارة لخدمة حكوماتهم في استعمار هذه المناطق، وقليلون منهم من اهتم بهذه النظرية لأسباب فقهية[2]. وللأسف الشديد نجد الكُتَّاب والمثقفين العرب يتمسكون بأفكار النظرية السامية، حيث نقلوا هذه الأفكار من خلال مؤلفاتهم إلى الأوساط المثقفة الأخرى. وقد شكل هذا التصور الخاطئ سواء في شرق الوطن العربي، أو في غربه تربة خصبة لظهور حركات سياسية إقليمية تعتمد الأنساب التوراتية فكراً له[3]. ولقد تبيَّن للعديد من علماء الغرب والعرب على السواء خطأ هذه النظرية، وذلك لعدم استنادها إلى أسس علمية صحيحة سواء كانت آثاراً أو أنثروبولوجيا أو لغة، ومن أشهر الغربيين الذين عارضوا هذه التسمية بشدة المستشرق الألماني (نولدكه) من خلال كتابه اللغات السامية، حين أشار بأن **سفر التكوين** قد رتب الأمم على اعتبارات سياسية وثقافية وجغرافية، لا على ظواهر لغوية أو تاريخية[4].

أما نظرية الأصل الحامي فقد ظهرت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وقد استندت هذه النظرية في إثبات مقولاتها على علم (الاثنوغرافيا)، وهو العلم الذي يهتم بتصنيف شعوب العالم من خلال

---

(1) المرجع نفسه، ص7.

(2) المرجع السابق، ص58.

(3) المرجع نفسه، ص10. وكذا: بيير روسي، التاريخ الحقيقي للعرب، ص20. وكذا: بيير روسي، التاريخ الحقيقي للعرب، ص18، 19، 20.

(4) حامد عبدالقادر، الأمم السامية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م، ص42.

اختلاف لغاتهم. وبناء على ذلك استنبط علماء اللسانيات الألمان النظرية الحامية، القائلة بأن الشعوب الإفريقية لا تاريخ لها، وإن تطور الحضارة في هذه المنطقة إنما تم بتأثير الشعوب الحامية القادمة من آسيا. ويبدو واضحاً أن هذه النظرية كانت تستند إلى آراء الفيلسوف الألماني (هيغل)، الذي ينادي بعدم وجود أية حضارة في إفريقيا. وفي رأيه أن المنطقة الواقعة شمال الصحراء الكبرى، ما هي إلا جزء من القارة الأوروبية، ولذلك يسميها إفريقيا الأوروبية، ويرى بأن الحضارة القرطاجية هي حضارة ليست أصيلة المنطقة، ولذلك يجب إلحاقها بآسيا. وأن مصر بحضارتها العريقة هي غريبة عن الفكر الإفريقي[1]. وكان لآراء علماء المدرسة التاريخية الثقافية الألمان الدور البارز في ظهور النظرية الحامية. وكان علماء هذه المدرسة يرفضون فكرة قبول التطور المنتظم الشامل للبشرية، ورأوا في المقابل وجود دوائر متميزة للحضارة البشرية يمكن التعرف عليها من خلال معايير ملائمة تتعلق بالثقافة المادية، التي يمكن أن تصل المناطق المختلفة عن طريق الهجرات.

لقد أعطى العالم الألماني (ستولمان) عرضا مفصلاً عن انتشار دوائر الحضارة في إفريقيا، حين ذكر أن هذه القارة كان يسكنها في البداية أقزام (البيجمي) و(السان)، الذين كانوا لا يملكون أية ثقافة تذكر. وقدم بعد ذلك الزنوج كمهاجرين من جنوب شرقي آسيا، وأدخلوا معهم بعض الزراعات البسيطة، وبعض الأسلحة الخشبية، وتبعهم بعد ذلك الحاميون الأوائل، الذين هم من أصل آسيوي أيضاً، ويبدو أنهم هم الذين علموا الأهالي بعض فنون الزراعة وتربية الحيوانات الصغيرة ذات القرون. ويرى (ستولمان) أن مجموعات أخرى من الحاميين ذوي البشرة الفاتحة اللون

---

(1) د. أولدروج، الهجرات والاختلافات السلوكية واللغوية، تاريخ إفريقيا العام، الجزء الأول، جين أفريك/ اليونيسكو، باريس، 1980م. ص282.

قدمت إما عن طريق برزخ السويس أو عن طريق مضيق باب المندب، وهم الذين يرجع لهم الفضل في إدخال المواشي الكبيرة ذات القرون إلى المنطقة، وقد أعقبت هذه الهجرات هجرة الساميين الذين أسسوا الحضارة في مصر القديمة، وأتوا بزراعة الحبوب، واستخدموا المحراث، واستعملوا البرونز في الكثير من الأغراض الحياتية.

أما العالم الألماني (ماينهوف) فكان يركز على لغات شعوب هذه القارة لكي يثبت بأن الحضارة في هذه القارة، المتمثلة في اللغة، قادمة من الخارج، حيث قلل من أهمية لغة السكان الأصليين، حين أشار بأن أجداد السان والزنوج كانوا يتكلمون لغات ذات تنغم خاص، وذات أصوات وجذور وحيدة المقطع، أشار بأن الفضل يرجع للحاميين الذين قدموا من شبه الجزيرة العربية، في ظهور لغة ذات إعراب منظم، ونتيجة لاختلاطهم مع السكان السابقين نتج جنس هجين[1].

لم تدم نظرية الجنس الحامي طويلاً، إذ انهارت، وذلك بعد اكتشاف بقايا الإنسان الجنوبي القديم سنة (1954م) وقد توالت الاكتشافات بعد ذلك لدرجة أن إفريقيا تعتبر القارة الوحيدة التي يمكن أن نحصل من خلالها على تسلسل زمني لتطور الإنسان ابتداء من الإنسان الجنوبي ثم الإنسان الشبيه بإنسان جاوة، فالشبيه بإنسان (النيندرتال)، فالإنسان العاقل، وعلى هذا الأساس يرى معظم العلماء أن القارة الإفريقية تعتبر موطن ظهور الإنسان، ولذلك لا يجب نفي وجود ثقافة في إفريقيا كما يرى المنادون بنظرية الثقافة التاريخية، والدليل على صحة ذلك، تلك الاكتشافات الرائعة التي تمثل الرسومات الصخرية المنتشرة بجبال الأطلس وجبال الأكاكوس والهوجار وجنوب إفريقيا.

(1) المرجع نفسه، ص 289.

ومن خلال كل ما تقدم يبدو واضحاً، أن التسمية بالسامية والحامية، خالية من كل معنى، وأن الكلمتين سامية وحامية، لا أثر لهما في المعاجم القديمة، خاصة في المعجمين اليوناني واللاتيني. وواضح أن النظريتين السامية والحامية ظهرتا في العصر الحديث، لأغراض تبشيرية واستعمارية في المقام الأول، فقد ظهرت السامية إلى الوجود مع نهاية القرن السابع عشر الميلادي، في حين ظهرت الحامية مع نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين. ولذلك لا بد أمام هذا الطرح الاستعماري المبيت، من رفض هذه التسميات المصطنعة، والبحث عن تسميات بديلة أكثر تطابقاً مع الواقع التاريخي. والجدير بالذكر أن كل المنطقة التي رأى فيها المستشرقون والعلماء الذين ساروا على نهجهم، بأنها سامية وحامية، هي المنطقة التي تقع في جنوب غرب آسيا وشمال، وشرق، وغرب إفريقيا، وهي المنطقة التي نطلق عليها اليوم اسم الوطن العربي. ولذلك يرى الكثير من المختصين[1] ضرورة تصحيح ما تعمد إغفاله أولئك العلماء، وذلك بإعادة النظر في التسمية التي يطلقها هؤلاء الفلاسفة والمفكرون على الجماعات السكانية بالمنطقة كالسامي والسامية، والحامي والحامية، واستبدالها بالعربي والعربية؛ لأن هذه التسمية تنطبق تمام الانطباق على كل من سكن وما زال يسكن الجزيرة العربية، أو هاجر منها، إلى المناطق المجاورة، وذلك لأن العرب شعب وجد في الواقع، وله كيان اجتماعي وثقافي ولغوي، وقد أعطى حياتاً وتوازناً لمنطقة البحر المتوسط منذ عدة آلاف من السنين، في حين أن الساميين والحاميين هم أبطال مختلقون من أصل خيالي، لا لغة لهم ولا حياة اجتماعية معروفة لهم، ولا ثقافة يمكن أن يطلق عليها سامية أو حامية[2]. ولا نقصد بالعربي جنساً بمعناه

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص ص 91 - 93.

(2) بيير روسي، التاريخ الحقيقي للعرب مدينة إيزيس، ص 24. وكذا: عثمان سعدي، عروبة الجزائر، ص 14. وكذا: محمد المختار العرباوي، البربر، ص ص 91 - 93.

الفني الدقيق، الذي يتميز به جنس بشـري عن جنس آخر؛ لأن هذا الأمر لا وجـود لـه الآن بسـبب مـا حـدث مـن هجـرات الأمـم وتمازجها من مصاهـرة وتقاليـد وعـادات ولغـة وأفـكار، ولكننـا نقصـد بهـذا التعبير المجموعة البشرية التي عاشت في شبه الجزيرة العربية منذ أقدم العصور التاريخية، حيث تشـاركت في اللغة والأفكار والتقاليد، حتى صارت عن طريق تمسـكها بهذه الأشياء جنساً واحداً. ولذلك نجد هذه المجموعات البشـرية عندما خرجت من شـبه الجزيرة العربية في موجات سـكانية إلى المناطـق المجاورة، حافظت على نفس تلـك الأفكار والمفاهيم، ولذلك حدث تشارك بين القاطنين في شبه الجزيرة العربية وأولئك النازحين منها علـى مـر العصور. وقد أكـدت علوم الآثار واللغة والاجتماع بأن سـكان هذه المناطق سـواء كانوا داخل شـبه الجزيرة العربية أو خارجها يعودون في أصولهم الأولى إلى شبه الجزيرة العربية. ورغم الاستقرار المتواصل للفـرس والإغريق والرومان والونـدال والبيزنطيين بمناطق ما بين النهرين والشـام ووادي النيـل والمغـرب القديم لقرون عديدة، اسـتطاعوا خلالها نشر لغاتهم وثقافاتهم، ولكن رغم كل ذلك لـم يستطع هؤلاء الغزاة فرض طابعهـم وصبغتهـم بيـن السـكان الأصلييـن. وفـي المقابل تقبـل هؤلاء السـكان الدين الإسـلامي ووقفوا إلى جانب الفاتحين ضد أولئك الغزاة مـن الوهلـة الأولى، وهو ما يدل على صـدق نظرية وحدة الأرومة والدم والـروح التـي كانـت تجمـع بين النازحيـن من شـبه الجزيـرة العربية في العصور السـابقة للإسلام، وبين الفاتحين الذين جاءوا بالإسلام إلى تلك المناطق[1].

---

(1) محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي، المكتبة العصرية، بيروت، 1376هـ. ص8 - 10.

الأصل الحامي لسكان المغرب القديم:

لقد تبنى الكُتَّاب الفرنسيون نظرية الأصل الحامي لسكان المغرب القديم، عندما فشلوا في ترويج نظريتهم السابقة التي ترى بأن سكان المغرب القديم ينتمون إلى الأصل الأوروبي. ورغم تخلي علماء اللسانيات الألمان عن النظرية الحامية، بسبب ظهور حقائق علمية تناقض ما جاء به هؤلاء العلماء، المتمثلة في افتقار هذه النظرية إلى وحدة داخلية بين لغاتها، فإن علماء المدرسة الفرنسية، وعلى رأسهم (دولا فوس) ظلوا يتمسكون بهذه النظرية. وقد رأى هؤلاء بأن اللغة الليبية القديمة، والمصرية القديمة (الهيروغليفية)، والكوشية، هي وحدها التي يمكن إدراجها ضمن اللغات الحامية، واعتبروا بقية لغات إفريقيا كأسرة كبيرة زنجية[1]. ويبدو واضحاً أن المفكرين الفرنسيين بإدراجهم هذه اللغات ـ خاصة اللغة الليبية القديمة ـ ضمن اللغات الحامية، كانوا يهدفون إلى تنفيذ سياسة فرنسا للتمييز عرقياً بين سكان منطقة المغرب القديم الناطقين باللغة العربية، الذين ينسبونهم إلى الساميين، والناطقين باللغة الليبية القديمة، الذين ينسبونهم إلى الحاميين، ورغم أن الجميع يعترف أن اللغة الليبية القديمة لغة سامية، بل هي من أقدم اللغات السامية، إلا أن المفكرين الفرنسيين يرفضون وجود أية صلة بين المجموعة اللغوية السامية، والمجموعة اللغوية الحامية، ولكن رغم كل ذلك فقد أثبتت الدراسات اللسانية التي أجريت مؤخراً، العلاقة الوطيدة بين ما يسمى باللغات السامية، واللغات الحامية، ويبدو هذا واضحاً من خلال التشابه الكبير بين اللغات الليبية القديمة والآكادية والعبرية ولغات جنوب شبه الجزيرة العربية. ويبدو واضحاً، أن دعاة الحامية ينسون أو يتناسون أن ما سمي بالحامية هي مثل السامية مهدها آسيوي هاجرت إلى إفريقيا على

---

(1) هـ. ج. غرينبرغ، تصنيف لغات إفريقيا، تاريخ إفريقيا العام، الجزء الأول، جين أفريك/ اليونيسكو، باريس، 1980م. ص307.

رأي معظم العلماء من شبه الجزيرة العربية. وقد تصدى عالما اللسانيات، الألماني والإنجليزي (روسلر) و(فرنسيس وليام نيومان) للرد على آراء مفكري المدرسة الفرنسية، حيث أكدا بأن الصلة بين الحامية والسامية لا تحتاج إلى براهين، لأنهما تعودان إلى أصل واحد. واتهم (روسلر) علماء المدرسة الفرنسية بأنهم يغمضون أعينهم عمداً عن القرابات بين اللغات السامية، والتي من بينها اللغة الليبية القديمة، وذلك لأغراض سياسية محضة. ورفض (نيومان) اعتبار اللغة الليبية القديمة حامية، ولذلك رأى معظم العلماء دمج المجموعتين السامية والحامية في مجموعة لغوية واحدة أطلق عليها مجموعة اللغات السامية الحامية. ولكن الفرنسي (مرسيل كوهين) يرى من الخطأ دمج السامية والحامية في مجموعة واحدة، بل يجب أن تقسم إلى أربع مجموعات، وهي الليبية القديمة والمصرية القديمة والكوشية والسامية. وكان هذا الإجراء من (كوهين) ومن سار على نهجه، ليس له مبرر سوى جعل اللغة الليبية القديمة، واللغة السامية، التي تفرعت منها اللغة العربية، فرعين متميزين، وعملية عزلهما عن بعضهما البعض، هو الأمر الذي تسعى له المدرسة الفرنسية، ويسعى له الإقليميون، الذين ما زالوا يسيرون في ركب الاستعمار[1]. وقد انهارت النظرية الحامية، خاصة بعد أن سحبت منها اللغة المصرية القديمة وأدرجت ضمن اللغات السامية. وبالتالي ظهرت نظرية جديدة على يد عالم اللسانيات الأمريكي (غرينبورغ)، والتي عرفت باسم النظرية الأفرو ـ آسيوية.

ج ـ النظرية الثالثة (جنس البحر المتوسط):

كان صاحب نظرية جنس البحر المتوسط هو (جوسيبي سيرجي)، الذي قام بالنشر عنها في كتاب له عام (1897م). وقد كانت هذه النظرية شاملة وعامة، حيث أدخلت ضمن جنس البحر المتوسط كل الشعوب التي

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص 31، 32.

تستوطن جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا وجنوب أوروبا[1]. ولا تزال هذه النظرية تجد قبولاً لدى غالبية الدارسين، وقد استندت هذه النظرية على علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وعلم التاريخ، حيث اعتمدت في تصنيف شعوب المنطقة السالفة الذكر، التي سكنت حول البحر المتوسط منذ عصور ما قبل التاريخ، وفق معايير محددة لدى علماء الانثربولوجيا الاجتماعية، كمجموع ارتفاع الجمجمة وارتفاع الأذن وطول وعرض الوجه وطول وعرض الأنف ومقياس الرأس ومقياس الوجه. وبناء على هذه المعايير ومعايير أخرى غيرها وصف أصحاب هذه النظرية جنس البحر المتوسط أحياناً بالسمرة، وأحياناً أخرى بالجنس الأوروبي الإفريقي[2]، وذلك تمييزاً له ـ في نظرهم ـ عن الجنس الأوروبي النقي، الذي يمتاز بالبشرة البيضاء والشعر الأشقر والعيون الزرقاء، ولهذا السبب اعتبر أصحاب هذه النظرية أن المجموعات الليبية التي وردت في النصوص المصرية القديمة، والتي أطلق عليها اسم التمحو، والتي تتميز بالشعر الأشقر والبشرة البيضاء والعيون الزرقاء، لا يمكن أن تكون مجموعات محلية، بل يجب أن تنسب إلى أوروبا، وهذا الأمر يتناقض مع ما أُكتشف من رسومات صخرية تم الكشف عنها من قبل (هنري لوث) و(فابريتشيو موري) في منطقة الأكاكوس، والتي وجدت بها مثل تلك السمات التي أشارت إليها المصادر المصرية القديمة. ورغم أن هذه النظرية ظهرت قبل تلك الكشوف الرائعة، فإن معتنقي هذه النظرية ما زالوا يصرون على إرجاع مجموعات التمحو إلى أوروبا، رغم اكتشاف أصولها في أعماق الصحراء قبل أكثر من 8000 سنة من الوقت الحاضر؛ أي: قبل أن يبدأ الاتصال

(1) محمد مصطفى بازمة، سكان ليبيا، ص24.

(2) شيخ أنتا ديوب، أصل المصريون القدماء، تاريخ إفريقيا العام، الجزء الأول، جين أفريك/ اليونيسكو، باريس، 1985، ص39.

البحرى بين أوروبا وشمال إفريقيا بزمن طويل. وهكذا نجد تعارضاً كبيراً بين العلماء في تصنيف أصل سكان المغرب القديم، فنجدهم أحياناً يصنفون ضمن جنس البحر المتوسط، وفي بعض الأحيان يصنفون ضمن المجموعات الزنجية، وفي أحيان أخرى ضمن مجموعات وسط بين الجنسين، ومنهم من يصنفهم ضمن الجنس الأوروبي، وهذا أيضاً ما قام به هؤلاء العلماء نحو سكان منطقة وادي النيل في العصور القديمة، ويبدو واضحاً أن مدارس علم الأنثربولوجيا الاجتماعية قد انحرفت في تصنيفها لبعض الشعوب، واتخذت جوانب المبالغة والتضارب والتعسف في الكثير من أحكامها. وقد رفض الكثير من العلماء آراء هذه المدرسة، وتحدوا أولئك العلماء بأنه لو طبق نظام قياس الجماجم على الشعب الإنجليزي، لتوصل هؤلاء العلماء بأن ما يقرب من 30 في المائة من أولئك الإنجليز الشقر سوف تظهرهم نتائج تلك المعايير زنوجاً رغم بياضهم. ولو طبق المعيار نفسه على 140 مليون زنجي يتواجدون الآن بإفريقيا السوداء، فسوف يكون لدينا 100 مليون زنجي لا يحتاجون إلا للطلاء باللون الأبيض ليصبحوا بيضاً مثلهم مثل الأوروبيين[1]. والجدير بالملاحظة أن العلماء الغربيين يتحاشون من تطبيق نظريات علم الأنثربولوجيا الاجتماعية على شعوبهم، التي ينعتونها بالترابط القومي، خوفاً من الوقوع في تلك النتائج السلبية غير متوقعة، والمثيرة للخلاف، في حين يسترسلون دون تفكير في تطبيق مناهجهم البالية على الشعوب الأخرى[2]. وبناءً على كل ذلك يبدو واضحاً أن مقولة جنس البحر المتوسط مقولة فضفاضة لا يمكن إطلاقها بشكل معمم على كل شعوب المنطقة السالفة الذكر، لأنه على الأقل لا يمكن إثبات أن الهجرات التي إنطلقت من الشرق، ابتداءً من العصر

(1) المرجع نفسه، ص39.
(2) نفس المرجع السابق، ص40، 42.

الحجري الحديث والعصر التاريخي عمت كل المنطقة التي يرى فيها أصحاب هذه النظرية أنها موطن لجنس البحر المتوسط، وبالتالي لا يمكن أيضاً ربط شرقي البحر المتوسط وجنوبه مع أوروبا. ولكننا في المقابل على علم تام بأن تلك الهجرات كانت تنطلق فقط، من مناطق شبه الجزيرة العربية والشام في اتجاه المناطق الواقعة شمال المناطق الإستوائية حتى الساحل الجنوبي للبحر المتوسط دون غيرها. ويلاحظ أن هؤلاء العلماء، من خلال مصنفاتهم حول عصور ما قبل التاريخ يكثرون عند الحديث عن جنس البحر المتوسط، اصطلاحات جغرافية كالشرق الأدنى وآسيا الغربية وجنوب غرب آسيا وشرق البحر المتوسط ومنطقة الهلال الخصيب، وفي المقابل يتجاهلون الموطن الأول للعرب، وهو شبه الجزيرة العربية، حيث لا ترد إلا نادراً. وهذا ليس من باب الصدفة، بل هو من باب الإصرار والتعمد، وذلك لإبعاد كل ما له صلة بالعرب، وذلك بقصد منع إشاعة اسم العرب والعربية في مجالات المعرفة والثقافة العالمية، وهو نفس الإجراء الذي تم اتخاذه عند ظهور النظريتين السامية والحامية.

د ـ النظريات المجردة حول أصل سكان المغرب القديم:

انقسم كُتَّاب الاستعمار الذين تناولوا النظريات المتعلقة بسكان المغرب القديم، قبل الحرب العالمية الثانية إلى مدرستين: أصحاب المدرسة الأولى هواة متطفلون على التاريخ يصرون على أن سكان المغرب القديم ينتمون إلى الأصل الأوروبي، وقد روج هذه النظرية عسكريون وموظفون ورحالة فرنسيون. أما أصحاب المدرسة الثانية فهم متخصصون يقرون بأن سكان المغرب القديم ينتمون إلى الشرق، وذلك من خلال دراسة لغتهم وحضارتهم[1]، وكان على رأس هؤلاء **(غوتيه)** من خلال كتابه **ماضي شمال**

(1) عبدالله العروي، مجمل تاريخ، ص46، 47.

إفريقيا و(ليونيل باللو) من خلال كتابه **إفريقيا الشمالية قبل التاريخ**. وواضح أن المدرسة الأوروبية التي تقول بالأصل الأوروبي لسكان هذه المنطقة لا يستندون في أطروحاتهم إلى حقائق علمية، بل كانوا مدفوعين أساساً بدوافع سياسية، يرغبون من خلالها تحقيق إدماج منطقة المغرب القديم ضمن الكيان الأوروبي، وخاصة الكيان الفرنسي، وليس من محض الصدفة أن تظهر هذه النظرية مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام (1830م)[1].

أما أصحاب مدرسة الأصول الشرقية، فإنهم تبنوا هذه النظرية بناءً على قرائن وشواهد قديمة وحديثة يصعب الطعن فيها، خاصة أن علوم الآثار والأنثروبولوجيا واللسانيات أكدت جميعها صحة هذه الشواهد والقرائن. ولذلك اتجه هؤلاء العلماء كل حسب الإختصاص نحو إجراء البحوث في مجال عصور ما قبل التاريخ في منطقة شمال إفريقيا بصفة عامة، ومنطقة المغرب القديم بصفة خاصة، وقد لاحظ هؤلاء العلماء أن هذه المنطقة كانت تمثل على الدوام حلقة الوصل ما بين المنطقة التي تمتد من جنوب الصحراء الكبرى والهضبة الاستوائية الإفريقية في الجنوب، وجنوب غرب آسيا في الشرق. وقد سهلت عملية الربط هذه، عدم وجود عوارض وحواجز طبيعية تمنع هذا الاتصال، حيث إن الصحاري التي كانت دوماً حاجزاً تمنع ذلك الاتصال، كانت معدومة؛، لأن المنطقة في ذلك الوقت كانت تعيش في عصر مطير، حيث كانت فيه الصحراء الكبرى جنة من جنات الأرض. ونظراً لأن الإنسان لم يكن مستقراً في ذلك الوقت، لذلك كانت الهجرات البشرية والانتقال الثقافي بين المناطق السالفة الذكر على أوسع نطاق، وتعتبر شبه الجزيرة العربية، خير ما يمثل هذا الاتصال، ويبدو ذلك واضحاً من خلال التأثير الجسماني، الذي يمكن ملاحظته ليس على سكان منطقة شمال إفريقيا فقط، بل إن هذا التأثير يظهر جلياً أيضاً على

(1) محمد الميلي، الجزائر المسألة الثقافية، المستقبل العربي العدد 41، 7، 1982م.، ص57.

سكان منطقة القرن الإفريقي، خاصة على الصوماليين والأثيوبيين، ولم يكن هذا التأثير مقتصراً على منطقتيّ شمال إفريقيا وشرقي إفريقيا فحسب، بل تعداه إلى غربي إفريقيا، حيث يمكن ملاحظته على التبو والفولانيين والتوكولور والسنغاي. ويمكن ملاحظة السمات السامية واضحة تمام الوضوح على سكان فولتا العليا المعروفين باسم الموكا[1]. وعند مقارنتنا للمجموعات السكانية ذات الصفات الزنجية الطفيفة (الهجين)، والمجموعات السكانية التي يطلق عليها جنس البحر المتوسط، مع تلك المجموعات المعروفة باسم القفصية، والتي تواجدت بالمنطقة الشمالية للمغرب القديم، فإننا سوف نلاحظ وجود أوجه شبه كبيرة وكثيرة بين هذه المجموعات السكانية، خاصة من حيث التركيب العام للجمجمة. ويبدو ذلك واضحاً من خلال الجزء العلوي للوجه، وحجم حاجبي العينين، والضيق النسبي لفتحات الأنف، بالإضافة إلى القامات الطويلة والهياكل العظمية القوية[2]. وبناءً على ذلك اعتبر العلماء تلك المجموعات السكانية الثلاث أعضاء لعائلة أنثروبولوجية واحدة، عاشت خلال العصر الحجري الحديث، وامتدت الحياة بنسلهم عبر مراحل فجر التاريخ والعصور التاريخية، وقد انتشرت تلك المجموعات على طول المنطقة الممتدة ما بين نهرى دجلة والفرات في الشرق، مروراً بمنطقة الشام، وشبه الجزيرة العربية، حتى المحيط الأطلسي في الغرب. وقد انتشرت أيضاً على طول الهضبة الإستوائية وجنوب الصحراء الكبرى، ولا تزال هذه المنطقة المترامية الأطراف حتى اليوم يتواجد بها تنوع سكاني من الملونين (الهجين) والسود والبيض والشقر، لدرجة أن هذا الاختلاط بين هذا التنوع في الأصناف بلغ

(1) J. Ki. Zerbo, Theories Relatives au ((races)) et Histoire de l Afrique, Histoire Generale de l Afrique, T.1. Jeune Afrique/Unesco/Paris, 1980, P. 298, 299.

(2) محمد الطاهر العدواني، الجزائر، ص124.

حداً يستحيل معه عملية التصنيف حتى في العائلة الواحدة، فنجد في عائلة واحـدة أحياناً البيـض ذوي العيون الزرقاء، وفي نفس الوقت يكون الشعر لديهم مفلفلاً، وتقاطيع الوجه سوداء، كما نجد السّمر ذوي العيون الملونة الزرقاء والخضراء[1]. وهذا الأمر إن دل على شيء، فإنما يدل على انصهار كل الأصنـاف، وبالتالـي إزالة كل الفوارق العنصريـة في هذه المنطقة، التي يرى فيها بعض العلماء بأنها الموطن الأصلي لما يسـمونه بالجنس السامي والجنس الحامي، ويبدو واضحاً أن التباين في اختلاف البشـرة لدى سكان هـذه المناطـق يرجع إلى المجموعات السـكانية السـالفة الذكر التي قدمت المنطقة منذ العصر الحجري القديم، من مناطق الشرق الأدنى القديم، وقد امتزجـت هذه المجموعة فيما بعد مـع جماعتين أخريين، تنتميان أيضاً إلى الشرق الأدنى القديم، وقد جاءتا إلى المنطقة عن طريقين مختلفين: اتخذت الأولـى طريقها عبر المناطق المطلة على البحر المتوسـط، ولذلك حافظت علـى سـماتها الأصليـة، فـي حين توغلـت الأخـرى نحو الجنـوب، حيث اجتـازت مضيـق باب المنـدب نحو شـرق إفريقيا، وبالتالـي عندما وصلت المنطقـة الواقعـة جنـوب المنطقة السـاحلية، امتزجت بالعناصـر الزنجية[2]. ولذلـك نجد سـكان مناطق الواحـات والصحراء ومناطق الهضبـة الأثيوبية ومناطـق غـرب إفريقيا، يمتازون بالتدرج في سـمات وجوههم من الشـقرة الشـديدة فـي بعض الأحيان إلى السـواد الشـديد، ولم يتأكد هـذا الاتصال والتأثر بين المنطقتين من خلال المؤثرات الجسمانية فقط، بل إن علم اللغة المقـارن، وضـح أيضاً وجود صلات وُثقى بين ما يسـمى باللغات السـامية التي تتمركز في منطقة جنوب غرب آسيا، وما يسمى باللغات الحامية، التي تتمركز في النصف الشمالي للقارة الإفريقية. ويبدو هذا واضحاً عند مقارنة

(1) المرجع نفسه، ص125، 126.

(2) عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، الجزء الأول، ص43، 44.

اللغـة الليبية القديمة، واللغة المصريـة القديمة (الهيروغليفية)، اللتان تنعتان بالحاميـة، مـع بعـض اللغـات التـي تنعـت بالسـامية كالآكاديـة والكنعانية والسبئية[1]. وهـذا التقـارب بين هذه اللغـات، أدى بالعلماء إلـى إرجاع ما يسمى باللغات السامية والحامية إلى أصل واحد بعيد في جذوره التاريخية، وبالتالي إلى عائلة لغوية كبرى واحدة، لا بد أنها نتجت من أحد المركزين المقترحين من قبل العلماء، لهذه العائلة اللغوية إما الشرق الأدنى القديم أو شـمال إفريقيـا[2]. أكد هؤلاء العلماء بأن المتكلميـن بهذه العائلة اللغوية قد تفرقـوا إلى أقوام كثيرة، عن طريق هجرات كبرى متعاقبة بدأت منذ عصور مـا قبـل التاريخ، واسـتمرت حتى منتصـف العصور الوسـطى، وكانت آخر تلك الهجرات الكبرى، هجرة بني هلال وبني سـليم، خلال القرن الحادي عشـر الميـلادي[3]. وقـد توصل أسـتاذنا الراحـل طه باقر إلـى عمل تحوير بسـيط للنظرية السابقة، بأن جعل المهد الأصلي لما يعرف بالأقوام السامية والحامية ليشـمل الرقعة الجغرافية الواسعة الممتدة من شبه الجزيرة العربية إلـى شـمال إفريقيـا[4]. وقـد كان تصنيـف الباحثيـن الألمانـي (روسـلر) والإنجليـزي (فرنسـيس وليـام نيومان) قريباً مـن الرأي السـابق، وفي نفس الوقـت لم يخضع للتوجهات الاسـتعمارية، لأنه بني أساسـاً على معطيات البحوث والدراسة المجردة، رغم أنهما استندا في تصنيفهما على اصطلاحي السـامية والحاميـة. ويضـع هذا التصنيف كل سـكان شـمال إفريقيا بما في ذلـك منطقتا وادي النيل والمغرب القديم ضمن الشـعوب السـامية، وذلك

---

(1) طه باقـر، عصـور ما قبـل التاريخ، ص4. وكذا: علي فهمي خشـيم، آلهـة مصر، جزء 1، ص84.

(2) هـ. ج. غرينبرغ، تصنيف لغات، ص307.

(3) طه باقر، ما قبل التاريخ، ص4، 5.

(4) المرجع نفسه، ص4، 5.

استناداً إلى الدراسات اللغوية المقارنة، وقد رأى هذان الباحثان من خلال علم اللسانيات، أن اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية)، لا يمكن إدراجها ضمن اللغات الحامية، وقد تم الاعتراف بها منذ وقت طويل على أنها سامية، ولكن بعد الدراسة تبين لهما أن اللغة الليبية القديمة أكثر سامية من اللغة المصرية القديمة، وقد تبين لهما أيضاً أن اللغة الليبية القديمة كانت علاقاتها بشقيقاتها الساميات أمتن وأقوى من اللغة المصرية القديمة. وواضح أن هذا التصنيف جعل لأول مرة سكان المغرب القديم أشقاء للعرب بإنتسابهم إلى أصل واحد[1]. وقد انهارت النظرية الحامية، والحامية السامية، خاصة بعد أن سحبت منها اللغة المصرية القديمة وأدرجت ضمن اللغات السامية، وبالتالي ظهرت نظرية جديدة على يد عالم اللسانيات الأمريكي (غرينبورغ)، والتي عرفت باسم النظرية الأفروآسيوية، وقد شملت هذه النظرية اللغات الليبية القديمة والمصرية القديمة والسامية الأم والكوشية والتشادية، وقد سارت هذه النظرية على نفس النهج السابق الذي نادى به المفكرون الفرنسيون، من نزع صفة ما يسمى بالسامية عن اللغة الليبية القديمة، لغرض عزلها عن اللغة العربية، وقد اقترح عالم اللسانيات الروسي (إيقور ياكوفوف) مصطلح (أفراسيان)، ويقصد بذلك النصف إفريقي والنصف آسيوي، وذلك لأن هذا الاصطلاح يشمل المناطق التي تتواجد بها هذه اللغات، في آسيا وإفريقيا، منذ فترة مؤغلة في القدم تسبق الألف الخامسة قبل الميلاد[2]. والجدير بالذكر أن كل هذه النظريات لم تلق إجماع المفكرين، وذلك لأن أصحابها، رغم أنهم بنوا نظرياتهم على الدراسات والبحوث المجردة، فإنهم ظلوا على تمسكهم بمبدأ السامية والحامية. ومما

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص 140، 141.
(2) جمال الدين الخضور، عودة التاريخ ـ الأنتروبولوجية المعرفية العربية/ دراسة في الإناسة المعرفية العربية التاريخية اللغوية ووحدتها، ج.1، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997م.

لا شك فيه أن سقوط نظريات الأصل الأوروبي، والحامي، والحامي - السامي، والأفروآسيوي، و(الأفرسيان) قد ساهم مساهمة كبيرة في وضع اللغة الليبية القديمة في إطارها اللغوي الشرقي الصحيح. وهذا الأمر يجعل سكان المغرب القديم ضمن المجموعة التي يطلق عليها السامية. ولذلك فالباحثون المتجردون مدعون إلى إعادة الأمور إلى نصابها، وذلك بإلغاء لفظ السامية وتعويضها بالتسمية الصحيحة وهي العربية القديمة، ويمكن تطبيق هذا التعديل على السكان واللغة والحضارة على السواء. ومما يؤيد ذلك أن الجذور التاريخية القديمة لحضارة ولغة هذه المنطقة ترجعان إلى ما قبل الألف الخامسة قبل الميلاد، وتنتشران في كل المساحة الجغرافية التي يطلق عليها اليوم الوطن العربي.

الفصل الثالث

سكان المغرب القديم من خلال المصادر اللغوية

نشأة اللغة وتطورها

أصل اللغة الليبية القديمة وانتشارها

اللغة الليبية القديمة لغة محادثة أكثر منها لغة تدوين

العلاقة بين اللغة الليبية القديمة، ولغات العالم القديم

أ ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة الآكادية

ب ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة المصرية القديمة

ج ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة الكنعانية

د ـ العلاقة بين كتابات اللغة الليبية القديمة وكتابات ظفار بعُمان

هـ ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة ولغات جنوب شبه الجزيرة العربية

و ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة الآرامية

ز ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة ولغات شمال شبه الجزيرة العربية

ح ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغتين الإغريقية واللاتينية

ط ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة العربية الفصحى

ـ هل اللغة الليبية القديمة لغة عربية قديمة؟

ـ الصلة الوثقى للغة الليبية القديمة، باللغات العربية القديمة، دليل على الأصل العربي القديم لسكان المغرب القديم

ـ الخاتمة

سكان المغرب القديم من خلال المصادر اللغوية

يؤكد معظم علماء الآثار والأثنوجرافيا والأنثروبولوجيا على الأصل الشرقي لسكان المغرب القديم، ويؤكد هؤلاء العلماء أيضاً بأن اللغة الليبية القديمة ترجع في أصولها هي الأخرى إلى الشرق، ولكن رغم كل ذلك فإن الإقدام على إنشاء النظريات العلمية حول أصل اللغة الليبية القديمة، وعلاقاتها باللغات العربية القديمة كالمصرية القديمة (الهيروغليفية) والآكادية والكنعانية والسبئية، من الأمور التي تحتاج إلى بذل الكثير من الجهد، ولم يتقدم هؤلاء العلماء، رغم العثور على الكثير من النقوش الليبية القديمة التي تحمل إلى جانب النص الليبي أحياناً نصاً بونيقياً (قرطاجياً) أو لاتينياً، وسبب هذا التذبذب يرجع إلى أن هؤلاء العلماء كانوا منقسمين على أنفسهم، فالبعض يرى بأن الخط الليبي القديم مأخوذ من اللغة البونيقية (القرطاجية)، ويرى البعض الآخر أنه مأخوذ من اليونانية، ويؤكد آخرون أنه كتابة سامية قديمة، في حين أن البعض يرجح بأنه اختراع محلي، ولكن منذ النصف الثاني من القرن العشرين حصر علماء اللسانيات المسألة في نطاق ضيق إذ استطاعوا إدراج اللغة الليبية القديمة ضمن أسرة ما يسمى بالألسن الحامية ـ السامية، ومنهم من يربطها مباشرة باللغة الحميرية القديمة[1]. وللوصول إلى إثبات حقيقة الأصل الشرقي للغة الليبية القديمة، سوف نتناول بالدراسة نشأة اللغة وتطورها كمدخل أساسي لموضوعنا، ثم نتناول الحديث عن أصل اللغة الليبية القديمة وانتشارها، والعلاقة بين هذه اللغة واللغات العربية القديمة كالآكادية والمصرية القديمة (الهيروغليفية)

---

(1) عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج.1، ص44.

والكنعانية والسبئية. ومن خلال هذه الدراسة سنحاول التوصل إلى مراحل تطور اللغة الليبية القديمة عبر العصور. ومن خلال هذه النتائج المتحصل عليها سنعرج للحديث عن الصلات التي تربط اللغة الليبية القديمة باللغات الإغريقية واللاتينية والعربية الفصحى، وهل اللغة الليبية القديمة لغة عربية قديمة؟ وعندما نرد على هذا التساؤل الأخير بالإيجاب، من خلال ما سوف نتوصل إليه عند دراسة الموضوعات السالفة الذكر، عندها نكون قد توصلنا إلى الدليل القاطع على الأصل العربي القديم لسكان منطقة المغرب القديم.

نشأة اللغة وتطورها:

تعرّف اللغة بأنها وسيلة للتفاهم بين البشر، يتم اكتسابها من المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، لأنها لا تولد مع ولادة الإنسان، ولا ترتبط بتلك الخصائص البيولوجية والعرقية، التي تولد معه، بل إنها تنعدم وتتلاشى إذا لم يتعهدها المجتمع بالرعاية والتوجيه، فالإنسان لن يتمكن من الكلام إذا لم يجد من يعلمه، لأنه عندما يكون بعيداً عن محيط البشر، فاللغة لا تنمو ولا تتطور، في حين أن الخصائص البيولوجية تبرز وتتطور حتى عندما يكون الإنسان بعيداً عن حياة المجتمع البشري[1].

ورغم أن علماء الآثار تعرفوا على أماكن سكنى الإنسان البدائي وبقاياه المختلفة، فإن اللغة التي كان يتحدثها ذلك الإنسان ما تزال قيد الاحتمالات والفرضيات، لأن هؤلاء العلماء لم يحصلوا حتى الآن على أية وثائق مادية توضح ماهية هذه اللغة[2]. وقد شغل هذا الموضوع المهتمين منذ فترة

(1) عماد حاتم، في فِقه اللغة وتاريخ الكتابة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1982م. ص9، 10

(2) نفس المرجع، ص131.

مبكرة من التاريخ الإنساني، حيث ظهرت منذ العصور القديمة نظريات عديدة تحاول تفسير نشأة اللغة. ولكن المهتمين بهذا الموضوع لم يتوصلوا إلى رأي موحد يرتاح إليه الجميع. لقد رأى بعض الفلاسفة اليونان أن اللغة جاءت من خلال محاكاة الإنسان لبعض الأصوات التي صادفها في الطبيعة، ورأى البعض الآخر من هؤلاء الفلاسفة أن اللغة جاءت من خلال التعجب والانفعال، ورأى بعض العلماء المحدثين أن اللغة نشأت من خلال ممارسة الأصوات الجماعية، خاصة عند الغناء. ورأى بعض المفكرين الإغريق مثل (ديمقريط) و(أفلاطون)، وبعض المفكرين المحدثين مثل (آدم سميث) و(جان جاك روسو) بأن ظهور اللغة كان من خلال التعاقد الاجتماعي، الذي يتمثل في الاتفاق على المصطلحات العلمية في المجتمعات المتطورة، ورأى البعض الآخر من العلماء بأن اللغة نشأت من الإشارات التي ينوي منها الإنسان التنبيه إلى شيء ما عن طريق إشارات توضح هذا الشيء. ومما لا شك فيه أن هذه النظريات لا تفسر كل شيء، بل تفسر كلمات محدودة من اللغة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه النظريات تأخذ اللغات بشكل منفصل عن تطور الإنسان والمجتمع، أي أنها تفصل الإنسان عن المجتمع. ويجب التأكيد هنا أن اللغة وتطورها مواكبة لظهور الإنسان وتطوره، لأن الإنسان بعقله توصل إلى أعلى المراتب العلمية، عكس الحشرات والحيوانات، التي ظلت بنفس الوضع، لم تدخل أي تحسين على عملها منذ ظهورها على الكون، وحتى الوقت الحاضر. ومما لا شك فيه أن الوعي لدى الإنسان هو الذي جعله يطور من حياته باستمرار. ومنذ عصور ما قبل التاريخ رأى الإنسان أنه في حاجة إلى أخيه الإنسان، وبالتالي ظهرت لديه الحاجة إلى التفاهم مع غيره، وهذه الحاجة هي التي دعت عقله وأجهزة فمه وحنجرته إلى أن تصدر أصواتاً معينة ولغاية معينة، وقد ازدادت هذه الأصوات، مع ازدياد حاجاته واتساع علاقاته

مع الآخرين[1]. لا يمكن دراسة موضوع ظهور اللغة منفصلة عن ظهور الإنسان وتطوره، ولذلك نجد معظم النظريات التي ظهرت حتى الآن لم تعط الحل النهائي لنشأة اللغة، ويؤكد معظم المختصين في العصر الحديث أنه لا يمكن الوصول إلى نتائج يرتاح إليها الجميع إلا من خلال تكاثف جهود اللغويين وعلماء الإثنوجرافيا والإنثروبولوجيا وعلم الآثار والتاريخ العام، ويجب التأكيد بأن اللغة ولدت مع الإنسان، وجاءت كنتيجة لحاجة ماسة وكوسيلة للتفاهم بين البشر، ولا يمكن افتراض النظريات لإنسان بلا لغة، والافتراض بأن اللغة جاءته من خلال تعجب وانفعال أو من خلال الغناء أو من خلال العقد الجماعي أو من خلال الإشارات[2]. فاللغة على هذا الأساس، وليدة الحياة الاجتماعية، ولذلك فالإنسان الذي يعيش ضمن مجموعات بشرية يحتاج إلى لغة لكي يتواصل مع بقية الجماعات الأخرى. وقد استطاع علماء الآثار والإنثروبولوجيا والتاريخ، من خلال دراسة مخلفات الحضارات القديمة التعرف على الكثير من لغات العالم القديم. وقد تفاوتت نتائج هذه الدراسات كلما تعمقنا في تاريخ الشعوب. وكما سبقت الإشارة فإن لغات الجماعات البدائية لا تزال قيد الافتراض والتخمين، أما لغات المرحلة اللاحقة التي تكونت فيها القبائل الأولى، فقد تعرف العلماء على الكثير من ملامح لغاتها، وفي المقابل كانت لغات المدنيات القديمة المبكرة جلية وواضحة[3].

هذا فيما يخص اللغة أما الكتابة فقد بدأت ـ على رأى معظم الباحثين ـ عن طريق علامات مطبوعة بالأظافر، وبعض الآلات الحادة، يقوم بها الإنسان على الطين الطري لغرض الزخرفة، أو لتمييز مصنوعاته الطينية

(1) المرجع نفسه، ص ص 131 – 134.
(2) المرجع السابق، ص134، 135.
(3) المرجع نفسه، ص139.

بعضها عن البعض الآخر، وعلى ذلك فالكتابة في هذه الحالة شأنها شأن فني التصوير والنحت، اللذان ظهرا خلال العصر الحجري الحديث، كنمط من أنماط النقش والرسم[1]. وتعتبر الكتابة أهم الإنجازات البشرية التي ساعدت الإنسان على الاتصال، خاصة عندما تنعدم الاتصالات الشفوية. وقد تمكن العلماء في العصر الحديث من عمل تصنيفات للمراحل المختلفة التي مرت بها الكتابة.

لقد كانت الكتابة التصويرية أولى هذه المراحل، وهي تتمثل في صور بسيطة تعبر عن معنى محدد للأشياء المصورة، كقصص الصيد وبعض المواقف الدينية وبعض الأحداث الهامة في الحياة القبلية، وقد ارتبط هذا النمط من الكتابة مع ظهور الفن الصخري خلال عصور ما قبل التاريخ[2]. وخير مثال على ذلك لوحة ترجع لحوالي 12 ألف سنة مضت، رسمت على جدران كهف (لاسكو) بفرنسا[3]، يمثل هذا المشهد ثوراً وحشياً ورجلًا ورمحاً قصيراً، ومن خلال هذا الرسم نستطيع التوصل إلى معلومات تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وتتضمن هذه المعلومات أن صياداً هاجم ثوراً وحشياً ضخماً فطعنه بالرمح القصير في خاصرته فخرجت أمعاءه وسالت منه الدماء، ولكن على الرغم من الجرح المميت الذي أصاب الثور، إلا أنه استطاع مهاجمة الصياد فألقاه صريعاً على الأرض[4] (شكل 20). مما لا شك فيه أن هذا الرسم يمثل شكلاً من أشكال الكتابة المبكرة، ولم

(1) ول ديرانت، قصة الحضارة (ترجمة: زكي نجيب محمود)، المجلد الأول، الإدارة العامة للثقافة في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1965م. ص ص 131، 132، 181، 182.

(2) Jan Jelinek, Encyclopedie Illustree de L'homme prehistorique, Grund, 1982. P. P.294-306.

(3) Henry de Lumley, Premiers Artistes Sernierschasseurs de l'Europe, Les dossiers D archeologies, N. 87, 1984. P.6, 7, 12.

(4) Denis Vialou, Art Parietal et Societes paleolithiques, dossiers d'Archeologies, N. 209, 1995. P.4.

يستخدم إنسان ذلك العصر هذا النوع من الكتابة كمفهوم دقيق للكتابة، لأن مثل هذه اللوحات التي رسمها الإنسان القديم لم تكن رسوماتها مترابطة، بالإضافة إلى أنها لم تكن ذات قواعد ثابتة، بل كانت ترسم حسب الظروف والأحداث[1]، وكانت محدودة، حيث لا يمكن من خلالها التعبير والإفصاح عن الرغبات والأوامر ونقل موضوعات الحياة اليومية بدقة تامة.

لقد تطورت تلك الرسوم فأصبحت تعني كلاماً، وصار الكلام يمثل رموزاً، وكل رمز منها يعني كلمة منفصلة، ولذلك أطلق على هذا النوع من الكتابة اسم الكتابة الرمزية[2]. وقد اعتمد القدماء كالسومريين والمصريين والحيثيين على تصوير الجزء بدل الكل، ليعبروا عن مفاهيم مختلفة. وقد نشأت تلك الصور الرموز من خلال ملاحظة الأشياء الحقيقية التي يلاحظها الناس كل يوم، فالصورة الرمز للملك مثلاً اتخذت لدى السومريين شكل رجل وتاج، ولدى المصريين شكل إنسان مع جميع الشارات الملكية: كالتاج والصولجان واللحية والصل المقدس، ولدى الحيثيين اتخذت التاج فقط. وقد نجح السومريون وبعض الشعوب القديمة بتحسين طريقة التعبير، وذلك بإعطاء بعض العلامات التي كانوا يتداولونها معاني عدة، فصوروا الشمس لتعبر عن النهار والضوء واللون الأبيض، وصوروا النجم ليرمز إلى السماء وإلى الإله، وفي فترات لاحقة أضافت هذه الشعوب على هذه الكتابة بعض التحويرات والاختصارات بأن جمعوا بين صورتين أو أكثر للدلالة على معان مختلفة، كرسم الخبز مع الفم ليعني الأكل، والنجم مع الماء ليعني المطر، والأذن مع الباب ليعني السمع أو الإنصات، والقلب

(1) نفس المرجع السابق، ص ص 157 - 170.
(2) عبدالعزيز سعيد الصويعي، أصول الحرف الليبي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1999م. ص 158.

مع السكين ليعني الحزن، وما زالت هذه الطريقة من الكتابة مستعملة حتى الآن في جميع أنحاء العالم، فصورة الطفل وبيده حقيبة تشير إلى وجود مدرسة، وصورة السيجارة عليها إشارة الضرب تعني منع التدخين، وصورة الهاتف يعني وجود هاتف، أو أن المكان عبارة عن مكتب بريد وهكذا...

لقد كان وجود أعداد هائلة من الصور للتعبير عن أشياء بسيطة، من أهم نقائص هذه الكتابة، خاصة وأن عامة الشعب بدأ يتجه نحو استعمال هذه الكتابة، وذلك مع تطور المجتمعات القديمة وتزايد احتياجاتها لاستعمال كتابة أكثر بساطة من السابقة، كل هذه الأمور جعلت إنسان ذلك العصر يتجه نحو الكتابة الرمزية المقطعية أو اللفظية. وهذه الكتابة يشير فيها الرمز إلى مقطع من الكلمة وليس إلى الكلمة بكاملها[1]، أي أن الرمز الواحد يعبر عن مقطع من الكلمة، وليس عن الكلمة كلها. وقد مهد هذا الاختزال إلى إمكانية استعمال الكتابة بطريقة أكثر سهولة من السابق، حيث أصبحت الصور لا تعني معانيها المجردة، بل أصبحت تعني الأصوات التي تعنيها هذه الصور. فكلمة بومة في الكتابة التصويرية المصرية القديمة، لا تعني البومة نفسها، بل تعني المقطعين الأساسيين اللذين يغلب صوتهما في هذه الكلمة وهما (مو ـ مو)، وكذلك الحال بالنسبة إلى علامة اليد، فهي لم تكن لتعني اليد أبداً، بل الصوتين الغالبين على هذه الكلمة هما (دا ـ دي)، وبطريقة المزج بين المقاطع المختلفة، يصبح بالإمكان الكتابة. وهكذا انحسرت لدي المصريين القدماء الإشارات الكتابية من (3000) رمز مقطعي إلى (600)، بل وفي فترات متأخرة وصلت إلى (300) رمز مقطعي. وقد امتازت الكتابة الرمزية المقطعية مقارنة مع الكتابات السابقة بأنها أسهل استعمالاً، خاصة عند التكلم، وذلك لقلة عدد رموزها. ولعل السبب

(1) عماد حاتم، في فِقه اللغة، ص199.

الأساسي في الانتقال من الكتابة الرمزية إلى الكتابة المقطعية هو الحاجة الماسة لتدوين أسماء الأعلام، وذلك لظهور المدونات التاريخية، التي يتطلب فيها تسجيل الحروب، والأحداث الهامة، مع ذكر لأسماء الشخصيات البارزة، والمعارك الشهيرة، والممالك والمدن المنتصرة والمهزومة، ولقد عثر على أقدم اللقى المكتوبة في مناطق متفرقة من وادي النيل وبلاد ما بين النهرين، وهي ترجع إلى مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد[1].

إن عملية تحول صور المقاطع التي ظهرت في الكتابة المقطعية إلى ألفاظ، والبدء في تهجية الحروف وتقليص عدد الرموز[2]، وتحلل الكلام إلى أصوات[3]، تعتبر البداية الأولى لظهور الأبجديات في العالم القديم. وقد كانت الأبجدية التي يعزى اختراعها إلى الكنعانيين (الفينيقيين)، نقلة نوعية عظيمة في حياة الشعوب، لأنها كانت أكثر ملاءمة بالنسبة لمعظم لغات العالم في ذلك الوقت، وذلك لأن الألفاظ في اللغة تكون أقل عدداً من المقاطع والكلمات، وبالتالي أصبحت الأبجدية قادرة على التعبير عن ألفاظ اللغة وتبدلاتها بأقل عدد من الرموز، التي أصبحت تتراوح ما بين العشرين والأربعين حرفاً، باختلاف اللغات[4]، وقد يسر اختراع الأبجدية انتشار العلم والمعرفة بين كافة أفراد الشعوب، على عكس الكتابات السابقة التي كانت مقصورة على الطبقة الارستقراطية المتمثلة في رجال الدين والساسة والتجار. ولقد ظهرت أول الأبجديات في المنطقة العربية القديمة أو ما يطلق عليها

---

(1) يوسف محمد عبدالله، خط المسند والنقوش اليمنية القديمة دراسة لكتابة يمنية قديمة منقوشة على الخشب، المؤتمر الحادي عشر للآثار في الوطن العربي، النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، تونس 1988م. ص85.

(2) عبدالعزيز سعيد الصويعي، أصول الحرف الليبي، ص160.

(3) عماد حاتم، في فقه اللغة، ص213.

(4) المرجع نفسه، ص213.

اليوم اسم منطقة الشعوب السامية الحامية، وقد كان للحروف الساكنة التي كانت تمتاز بها هذه اللغات، الدور البارز في جميع مراحل تطورها، ومما لا شك فيه أن الكنعانيين هم أول شعوب العالم القديم الذين استعملوا حروف الهجاء في الكتابة (شكل 21). وقد كانت الأبجدية الكنعانية مقتبسة من الصور والإشارات المصرية القديمة. وقد لاحظ الكنعانيون من خلال تعاملهم مع اللغة الهيروغليفية في مصر القديمة في ذلك الوقت وجود صعوبة في تعلمها، ولذلك عمد فريق منهم إلى تسهيل هذه العملية بوضع رموز تمثل حروفاً صحيحة كأساس في تهجئة الكلمة، وقد أطلقوا على هذه الحروف أسماء سامية، وأعطوها قيماً صوتية تلائم الأصوات المتوفرة في لغتهم. ومثالاً على ذلك، كان المصريون القدماء يرمزون إلى الثور برسم رأسه فقط، فأخذ الكنعانيون هذا الرمز وحولوه إلى حرف أطلقوا عليه ألف، وجعلوا صورة البيت، وهو في الكنعانية بيث رمزاً للوحدة الصوتية باء، وصورة اليد أصبحت رمزاً يمثل حرف الياء، وسموا الحرف يود، والرمز الذي كان يشير إلى الماء، وهو ميم، أصبح رمزاً للوحدة الرمزية الممثلة للحرف ميم، والرأس الذي هو عندهم ريش، أصبح يمثل حرف الراء، وبتجميع مجموعة من الصور الرموز، استطاع الكنعانيون تكوين حروفهم الهجائية المشهورة وعددها (22) حرفاً. يعود اكتشاف الأبجدية الكنعانية إلى نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن السادس عشر قبل الميلاد، وكان أول من توصل إلى هذه الأبجدية عمال كنعانيون بشبه جزيرة سيناء، حيث قاموا برسم شكل الحروف الأولى ولفظوا دلالتها بلغتهم الكنعانية، وبذلك استطاعوا من خلال تجميع تلك الألفاظ، تكوين أبجدية متكاملة. ونظراً لظهور هذه الأبجدية لأول مرة في سيناء لذلك أطلق عليها اسم الأبجدية السينائية[1] (شكل 22). وتعود لأوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أبجدية

(1) أحمد ارحيم هبو، تاريخ الشرق القديم (1) سورية، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1999م. ص 260.

عثر عليها في أوغاريت، تتكون من (22) حرفاً أيضاً، لكنها كانت على نظام الخط المسماري (شكل 23). وربما تكون مدينة جُبيل (بيبلوس) الميناء الكنعاني القديم، هي محل تطوير الأبجدية الكنعانية. ويعتبر النقش الموجود على تابوت الملك أحيرام (شكل24)، الذي عثر عليه في جُبيل، أقدم نص كنعاني كبير، يعود تاريخه إلى مطلع الألف الأولى قبل الميلاد[1]، ويبلغ عدد حروف الأبجدية المستعملة في هذا النقش اثنين وعشرين حرفاً، تمثل أصوات اللغة الكنعانية وهي:

أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت (هي حسب الترتيب المعروف: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت)[2].

تعتبر الأبجدية الكنعانية أعظم إنجاز حضاري في تاريخ الإنسانية. وقد قام التجار الكنعانيون بنقل هذا الإنجاز إلى كل الأماكن التي كانوا يصلونها ببضائعهم. فأخذها عنهم الإغريق في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، فاحتفظوا بأسماء حروفها كما هي عند الكنعانيين مع بعض التحوير، حيث ما زالوا ينطقونها على نفس الأصوات الكنعانية ألفا، بيتا، جما، دلتا... إلخ. ورغم أنهم كتبوا هذه الأبجدية من اليسار إلى اليمين، فإن تراثهم القديم من خلال النقوش يخبرنا بأنهم كانوا يكتبونها في عصورهم المبكرة من اليمين إلى اليسار، كما أخذوها لأول مرة (شكل25). وقد أخذ الرومان الكتابة الأبجدية الكنعانية عن الإغريق، بعد أن طوروا أشكالها، ومنهم انتشرت إلى لغات العالم الغربي كالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها. وفي الشرق اقتبسها الآراميون، الذين بدورهم نقلوها عن طريق السريان إلى

(1) يوسف محمد عبدالله، خط المسند والنقوش اليمنية القديمة، ص86.
(2) المرجع نفسه، ص261.

الحيرة فظهر الخط الكوفي، وعن طريق الأنباط ظهر الخط النسخي الحجازي[1]، أما جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن)، فمعظم الآراء تشير بأنهم ابتكروا أبجدية خاصة بهم تعرف باسم خط المسند، ويطلق عليه الكُتّاب العرب المسلمين الكتابة الحميرية، ورغم وجود قرابة أكيدة بين ألأبجديتين الكنعانية والمسند، خاصة من خلال تشابه بعض الحروف، فإن البعض الآخر من الحروف مختلف تمام الاختلاف، ولذلك يرى بعض الباحثين بأن الأبجديتين ظهرتا في زمن واحد، وتعودان إلى أصل مشترك، يجب البحث عنه في الشمال بمنطقتي ما بين النهرين والشام[2]. وقد انتقل القلم المسند إلى الحبشة، ونتج عنه لهجات عديدة أهمها التيجرينية، والأمهرية، والهررية. وقد كتبت كلها بحروف اشتقت من خط المسند[3].

أصل اللغة الليبية القديمة وانتشارها:

لقد تعرفنا في السابق أن بداية الكتابة في العصور القديمة كانت عن طريق الرسم، وكان السومريون والمصريون القدماء من أوائل الشعوب التي اعتمدت على الرسم في التعبير عن أفكارها، ونعتقد أن الليبيين القدماء كانت لهم نفس الغاية وراء بعض رسوماتهم التي انتشرت على واجهات الصخور بالصحراء الكبرى خلال عصور ما قبل التاريخ، وخير نموذج لتلك الرسوم لوحتان عثر عليهما في منطقة جبارين بجبال تاسيلي. أطلق (هنري لوث)[4] على اللوحة الأولى اسم الإلهات الصغيرات ذات الرؤوس الطيرية،

---

(1) نفس المرجع السابق، ص261.

(2) فرانسوا برون، نشوء وصيرورة أبجدية جنوب الجزيرة العربية، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة: بدر الدين عرودكي)، معهد العالم العربي/ الأهالي، 1999م. ص55، 56.

(3) أحمد أرحيم هبو، تاريخ الشرق، ص 93، 261.

(4) Henri Lhote, A la Decouverte des Fresques du Tassili, Arthaud, Paris, 1988. P. P. 67 - 74.

وعلى اللوحة الثانية اسم تقديم القربان (الشكلان 26، 27). وقد أشار (لوث) بأن اللوحتين رسمتا تحت تأثير الفن في منطقة وادي النيل، حيث يرى بأن الذين قاموا بمثل هذه الرسومات ربما كانوا أسرى حرب أو تجار مصريين وصلوا إلى جبال تاسيلي، أو ربما كانوا من الليبيين الذين عاشوا فترة من الزمن في مصر القديمة، سواء كانوا أحراراً أو أسرى حرب، وعندما رجعوا إلى مواطن سكناهم بجبال تاسيلي نقلوا هذه التقنيات الفنية عن المصريين القدماء[1]. ويبرر (هنري لوث) نظريته من خلال الحروب المتكررة التي استمرت بين الليبيين والمصريين لفترة طويلة من الزمن، خاصة أثناء الدولة الحديثة. وواضح من خلال حديث (هنري لوث) عن هذه اللوحات أنها كانت متطابقة تمام التطابق مع لوحات شبيهة في مصر القديمة، لدرجة أنه كان يتوقع أن ترافق رسومات هذه اللوحات نصوص كتابية مصرية تشرحها[2]، على عادة المصريين القدماء عندما يرسمون على جدران مقابرهم. لقد رفض محمد مصطفى بازامة التسميات والتعليلات التي أطلقها (هنري لوث) على اللوحتين[3]، واعتبر أن الشخصيات المرسومة على اللوحتين عبارة عن آلهة وليس بشراً، وهو الأمر الذي يذكّرنا ببعض الآلهة المصرية القديمة، التي ظهرت في فترتي ما قبل الأسرات وبداية الأسرات، حين كانوا يربطون بين آلهتهم وبعض الحيوانات التي اعتبروها مقدسة، حيث مثلوا تلك الآلهة بجسد بشر، ورأس حيوان، وتوجد الكثير من الحيوانات والطيور التي عُبدت على هذه الطريقة مثل طائر اللقلاق والضفدع والثعبان والأرنب والقط والبقرة والقرد. وقد رأى بازمة بأن الإله المصري تحوت جاء كتقليد

(1) نفس المرجع السابق، ص72.
(2) المرجع نفسه، ص71.
(3) محمد مصطفى بازمة، تاريخ ليبيا (1) عصور ما قبل التاريخ، الجزء الأول، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1973م. ص214.

من الصحراء الكبرى، وما لوحتا جبارين إلا دليل على ذلك، والجدير بالذكر أن الإله المصري تحوت هو إله الحكمة والعلم والكتابة، وهو إله القمر المتخذ هيئة طائر اللقلاق، وقد كان هذا الإله يسيطر على كل ما يتعلق بالثقافة الذهنية كاختراع الكتابة وتسجيل الأحداث التاريخية والقوانين، وكان يشرف على تقسيم الزمن[1]، وإليه يعزى تقسيم السنة في مصر القديمة إلى ثلاثة فصول، وتقسيم كل فصل إلى أربعة شهور، وكل شهر يتكون من ثلاثين يوماً، ويعزى إليه أيضاً إضافة خمسة أيام لكل سنة أُطلق عليها أيام النسيء، وذلك لتصبح السنة 365 يوماً[2]. ومن أهم أعمال الإله تحوت القيام مع زوجته مات بوزن قلوب الموتى عندما يحاكمهم الإله أوزيريس. ولذلك يرى بازمة بأن اللوحة الأولى التي يطلق عليها (هنري لوث) اسم الإلهات الصغيرات، تمثل بدون شك هذا التقسيم الزمني الذي جاء به الإله تحوت، فتمثل الإلهات الأربع الأشهر الأربع التي يتكون منها كل فصل من فصول السنة، وأن الأيدي الثلاثة المنسدلة لهذه الإلهات تمثل الفصول الثلاثة التي تتكون منها السنة، والأيدي الخمسة المرفوعة في هذه اللوحة تمثل أيام النسيء الخمسة، أما الأنامل التي كان من المفروض أن تظهر في كل يد ظاهرة في الرسم وعددها ست أيد، فيتكون من مجموعها أيام كل شهر من شهور السنة وهي ثلاثون يوماً[3]. ولذلك أطلق بازامة على اللوحة الأولى اسم التقويم الزمني، وأطلق على الأخرى اسم الإله تحوت وقاربه والحساب الزمني[4]. ومن خلال وصف الأشكال المرسومة باللوحتين، نلاحظ أن

---

(1) جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة (ترجمة أمين سلامة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م. ص65، 66.

(2) محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا، ص196.

(3) المرجع نفسه، ص199، 200.

(4) نفس المرجع السابق، ص214.

الرجال والنساء على السواء لديهم رؤوس طيور، ويرتدون ما يشبه الملابس المصرية والليبية القديمة، حيث نجد النساء يرتدين التنورات الطويلة، والرجال يرتدون المئزر وقراب العورة، وذلك لتغطية الوسط، ويوجد بالإضافة إلى ذلك كؤوس مخروطية الشكل تشبه تلك التي ظهرت في بداية عهد الأسرات في مصر، بالإضافة إلى وجود قارب عرف من خلال رسوم المقابر المصرية القديمة، بأنه كان يستعمل لنقل الموتى إلى العالم الآخر. لقد أشار (هنري لوث) بأن اللوحتين متأثرتين بالفن المصري القديم وتعودان إلى عام (1200) قبل الميلاد[1]. لكننا نعارض (لوث) تمام المعارضة، لأننا على يقين بأن العكس هو الصحيح، وهو أن الفن المصري القديم بدأ يتشكل مع بداية الأسرات، ووصل إلى قمة ازدهاره مع نهاية الدولة الحديثة (3200 - 950 قبل الميلاد)، وكان هو المتأثر بالفن في الصحراء الكبرى، وليس العكس، وأن تلك الرسومات التي ظهرت على جدران المقابر المصرية القديمة، والتي تمثل بعضها مناظر بشرية ذات رؤوس طير (الشكلان 28، 29)، عبارة عن امتداد فني لتلك الرسومات التي ظهرت بالصحراء الكبرى، ويمكن أن نتبين ذلك من خلال تطابق تلك المناظر التي ظهرت في مصر القديمة مع تلك التي ظهرت بمنطقة جبارين بجبال تاسيلي، ومن خلال مقارنة اللوحة التي يطلق عليها (هنري لوث) اسم تقديم القربان مع اللوحة الموجودة بمقبرة توت عنخ أمون بطيبة (الاقصر) والتي تمثل نقل متوفية عن طريق السفينة نحو العالم السفلي، برفقة العديد من الآلهة المصرية القديمة، ومنهم الإله تحوت، والذي من أهم مهامه نقل الموتى وتقديمهم للإله أوزيريس للمحاكمة، ويبدو واضحاً من خلال المقارنة، أن الموضوع متكرر في اللوحتين، ويظهر ذلك بوضوح من خلال وجود عناصر مشتركة في اللوحتين كالسفينة والآلهة المتعددة والموتى، ولكن رغم أن

(1) Henri Lhote, A la decouverte, P.71.

الموضـوع يكاد يكـون طبق الأصل في اللوحتين، فإنـه توجد بعض الفروق التي لا تخل بوحدة الموضوع، أحد تلك الفروق التي يمكن أن نلاحظها في اللوحتين، هو بسـاطة التكوينات الفنية في لوحة القربان في جبارين، والدقة فـي الرسـم وكثرة الزخرفة فـي لوحة توت عنخ أمـون بالاقصر، وهذا الأمر طبيعـي لأن لوحـة جباريـن أقـدم زمنياً مـن لوحة توت عنخ أمـون، ولذلك كانت البداية بسيطة ومع مرور الزمن وتقدم الحضارة وصلت هذه الرسومات إلى قمة الإتقان والتعقيد، أما الفرق الآخر وهو يتمثل في أن الأشخاص في لوحـة جباريـن موزعـون أمـام وخلف السـفينة، ولذلـك ربما يكـون هؤلاء الأشـخاص فـي طور الاسـتعداد للركـوب، أو ربما نزلوا منهـا، في حين أن الأشـخاص فـي لوحة تـوت عنخ أمون كلهـم داخل السـفينة، ومن كل هذا نسـتخلص أن هـذه المعتقـدات والتقنيـات الفنيـة انتقلت مـع أصحابها من الصحـراء الكبـرى إلى وادي النيل عندما بـدأت الصحراء تتحول إلى منطقة غيـر قابلـة للعيش بها. لا نعارض (هنري لـوث) من خلال نظريته بتأثر الفن في الصحراء الكبرى بالفن في منطقة وادي النيل فحسب، بل نعارضه أيضاً من خلال التواريخ التي يقترحها لرسومات منطقة جبارين، وهي نهاية الألف الثانيـة قبـل الميـلاد. نرفض هذه التواريـخ التي جاء بها (لـوث)، لأنه اعتبر لوحتي جبارين لا تنتسـبان إلى بقية لوحات الصحراء الكبرى، وتنتسبان إلى أسرى حرب أو لتجار مصريين وليبيين، وهو الأمر الذي جعله يحدد زمنيهما بالألف الثانية قبل الميلاد، ولكي يصل (هنري لوث)، إلى هذه النتائج رأى بأن الصراع الذي نشب بين المصريين القدماء والليبيين القدماء خلال عهود الملوك رعمسيس الثاني ومرنبتاح ورعمسيس الثالث، كان وراء هذا التأثير، ولكـن هـذا غيـر صحيـح، لأن وثائق ذلك العصـر رغم طولهـا وتفصيلاتها الدقيقـة، لـم تشـر من قريـب أو من بعيد إلى تلك العلاقـات التي كانت بين الليبييـن القدمـاء والمصرييـن القدماء في جبال تاسيلي خـلال القرن الثاني

عشر قبل الميلاد. وكان على (هنري لـوث) لكي يتوصل إلى تواريخ دقيقة أن يستند إلى علم الآثار، وخاصة التحليل بالكربون المشـع (14)، الذي تم تطبيقـه علـى العديد مـن مواقع الفن الصخـري بالصحراء الكبـرى، ولذلك نؤكد بأن الرسـومات الصخرية بمنطقة جبارين، ترجع إلى فترة تسبق بداية قيام الأسرات في مصر القديمة، وهي الفترة التي استقبلت فيها منطقة وادي النيـل هجـرات قادمـة من الصحـراء الكبـرى، عندما بدأت تتحـول من جنة خضـراء إلـى صحـراء قاحلة، وهـذا الأمـر أدى بسـكانها الليبييـن القدماء، بالاتجـاه نحـو وادي النيـل، وذلـك لتوفر المـاء والكلأ، أسـاس الحياة لهم ولمواشـيهم، وتشـير بعض القرائن الأثرية أن الليبيين القدماء سـكنوا شمال منطقـة وادي النيـل قبـل قيـام الأسـرات، أي قبـل توحيـد الدلتـا والصعيد، والجديـر بالذكـر أن معظـم الدراسـات التـي أُجريـت حول فنـون الصحراء الكبـرى خلال عصور ما قبل التاريخ أكدت بما لا يدع مجالاً للشـك، بأنها تعـود إلـى مـا قبل الألـف الرابعة قبـل الميـلاد، أي إلى ما قبل قيـام الدول والحضـارة بمنطقـة وادي النيـل[1]. وتؤكد لنـا لـوحتا جبارين هـذه الحقيقة، فرغـم تشـابه الرسم في هاتين اللوحتين مع الرسم في اللوحات التي ظهرت على المقابر المصرية القديمة، التي تحتوي على أشكال بشرية رؤوسها على هيئة الطير، فإن لوحات الصحراء الكبرى تمتاز بالبسـاطة والخلو من الزينة، في حين أن المناظر المشابهة في مصر القديمة دقيقة الرسم، وقد ركز الفنان علـى البـذخ فـي الزينـة، ويتجلـى ذلـك فـي القلائـد والأحزمـة التـي تزين شـخصيات هـذه اللوحـات. ولكـن مـع ذلك فـإن الموضوع الأساسـي في لوحـات الصحـراء الكبـرى ومصـر القديمـة لا يختلـف سـواء مـن حيث الشخصيات أو من حيث الأشياء المرافقة، ولذلك نتوصل إلى أن رسومات

(1) ف. غوتيه، ماضي شمال إفريقيا، ص 26، 27. وكذا: فابريتشيو موري، تادرارت اكاكوس، ص ص 229 – 263.، وكذا: G. Camps, Les Berberes, P.39 – 52.

وادي النيـل مـا هـي إلا امتداد لرسـومات الصحـراء الكبـرى، ولذلك يبدو واضحاً أن الذين رسـموا لوحات جبارين بجبال تاسيلي، هم أنفسهم الذين رسموا لوحات المقابر المصرية القديمة، وذلك بعد انتقالهم إلى وادي النيل أمـام زحـف التصحر علـى مناطق اسـتقرارهم السـابقة بالصحـراء الكبرى. وإسـتناداً إلـى كل هـذه الحقائـق فـإن لوحتـي جباريـن واللوحـات الكثيرة المشـابهة بالصحـراء الكبرى لم تكن مجرد إلالهـات، أو تقديم لقرابين، بل إننا أمام لوحات تمثل كتابة (هيروغليفية) مبكرة، كانت الأساس لتلك الكتابة التي ظهرت في منطقة وادي النيل مع بداية قيام عهد الأسـرات[1]. والجدير بالذكـر أن تلـك الكتابة كانت في الأصل عبارة عن مجموعات من الرسـوم تمثل العديد من الأشـياء التي وُجدت ضمن محيط الحياة في تلك الفترات الموغلة في القدم، كالرجال والنساء وما يقومون به من أعمال، بالإضافة إلى النباتـات والزهور والحيوانات والطيور والمباني والأثاث. وقد بُسـطت هذه الأشياء رغم أنها ليست في حجم واحد، وذلك لتتناسب والنصوص الكتابية التي سوف تشير إليها، ولـم تصل هذه الرسومات إلى مرحلة الكتابة المتناسقة إلا بعـد مرور قرون عديـدة، ونلاحظ على لوحة جباريـن الثانية أنه لم يُتبع فيهـا عملية التنسـيق بين الأشـياء من ناحية النسـبة بين الحجـوم والأطوال، ولذلك فهذه الأشكال تحتاج إلى تجاهل هذه النسب وتبسيطها لتصبح كتابة لا تختلف عن الكتابة (الهيروغليفية)[2]. ومما لا شـك فيه أن نقوش جبارين ما زالت تنتظر دورها لفك رموزها ليسـتطيع المختصون قراءتها كما حدث مع الكتابة (الهيروغليفية) في منطقة وادي النيل، وعليه فنحن أمام كتابة ليبية قديمة كانت أسـاس الكتابة (الهيروغليفية) في مصر القديمة، وقد تأكدنا من ذلـك مـن خـلال مقارنة رسـومات لوحـة القربـان فـي جبارين، مـع بعض

(1) محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا، ص ص 214 – 217.

(2) المرجع نفسه، ص 215، 216.

رسـومات الأبجدية المصرية القديمة، فتبين لنا وجود تشـابه كبير بين بعض حـروف هذه الأبجدية، وبعض الرسـومات في لوحة القربان بجبارين، وهذا الأمـر يؤكـد بأن الكتابة (الهيروغليفية) انتقلت مثلهـا مثل الفن من الصحراء الكبرى نحو وادي النيل. وتؤكد آراء ونظريات الكثير من العلماء بأن اللغتين الليبية القديمة والمصرية القديمة تنتميان إلى أصل واحد مشترك. وقد أشار (أوريك بيتس)[1] إلى هذه الحقيقة في كتابه القيّم (**الليبيون الشرقيون**)، حين أكـد بأن اللغة المصرية القديمـة، حتى في أقدم مراحلها تحتوي على عنصرٍ ليبيـيٍّ قديـمٍ أوليٍّ، وهو عنصر ذو طبيعة عميقة الجذور. وقد أشـار (لوفيبر) أيضـاً[2]، إلـى تأثـر اللغة المصرية القديمـة باللغة الليبيـة القديمة، خاصة في جذورهـا القديمة، حيث ذكـر بأن الطبقة التحتية في اللغـة المصرية القديمة هي طبقة ليبية، ولكن من أين جاءت هذه اللغة الليبية القديمة؟

يرجح علماء اللسـانيات من خلال دراسـاتهم للغة الليبية القديمة بأنها تعود إلى الشرق، ورغم أن هؤلاء العلماء لم يستطيعوا حتى الآن البتَّ في العديـد مـن القضايا كأصـل اللغة الليبيـة القديمة، ومدى انتشـارها ووجود لهجـات مخالفة لها في عصور ما قبل التاريخ، ونتيجة لذلك لم يسـتطيعوا معرفـة أصل الحرف الليبي القديم: هل هو مأخوذ عن الكنعانية في شـمال إفريقيـا (القرطاجيـة)، أو اليونانيـة القديمـة، أو كتابـة سـامية عتيقـة، أم هو اختـراع محلـي؟ ولكن رغم هذا الكم الهائل من الأسـئلة اسـتطاعوا حصر مسـألة هذه اللغة ضمن ما يطلق عليه أسـرة الألسن السامية ـ الحامية، وقد ربطها البعض مباشرة بالسبئية، والتي تعتبر الحميرية فرعاً من فروعها[3].

---

(1) علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، ص127.

(2) المرجع نفسه، ص132.

(3) عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ص44.

تعود البدايات الأولى للغة الليبية القديمة إلى حدود الألف الخامسة قبل الميلاد، وهي بذلك لغة أولئك الرعاة، القادمين من شبه الجزيرة العربية، والذين استقروا بالصحراء الكبرى فترة من الزمن، وبسبب التصحر الذي بدأ يحل بالمنطقة تدريجياً، انتشروا فيما بعد نحو الشمال حاملين معهم منجزاتهم الثقافية، والتي كان على رأسها اللغة[1]. ويستند معظم المختصين بأن اللغة الليبية القديمة جاءت من الشرق، من خلال إشارات وردت في المصادر المصرية القديمة، بالإضافة إلى اكتشاف نقوش كُتبت بالخط الليبي القديم عثر عليها في سيناء ودلتا وادي النيل[2]. واللغة الليبية القديمة عبارة عن لهجات كثيرة تنتمي إلى لهجات أخرى أكثر، كانت أصلاً متواجدة بشبه الجزيرة العربية، وكانت لها سمات مشتركة، وخصائص عامة تجمع بينها تجعلنا نطلق عليها اسم اللغة الليبية القديمة، وقد كانت وما زالت تنتشر في مناطق متفرقة من غرب مصر حيث واحة سيوة، إلى المحيط الأطلسي بما في ذلك الصحراء الكبرى وجزر الخالدات ومالي والنيجر وبوركينا فاسو، وهي في معظم هذه المناطق تستعمل فقط في المحادثة اليومية غير الرسمية، ونظراً لما تمتاز به هذه اللهجات من التنوع، لذلك نتج عنها لهجات كثيرة، وتنوع لغوي لا حصر له، إلى حد انعدام التفاهم اللغوي التام بين أصحاب هذه اللهجات في بعض الأحوال، ويبدو واضحاً أن هذه التطورات الداخلية في اللغة الليبية القديمة، إنما تمثل واقعاً لغوياً قديماً كان أصلاً متواجداً في شبه الجزيرة العربية، ومما لا شك فيه أن استقرار هذه اللهجات المختلفة التي تمثل اللغة الليبية القديمة في موطنها الجديد في شمال إفريقيا وانعزالها فيه،

---

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص167.

(2) اندري بريان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر (ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989م. ص60. وكذا: ب. سلامة، الصحراء في التاريخ القديم، تاريخ إفريقيا العام، الجزء الثاني، ص534، 535.

جعلها تحافظ علي خصائص لغوية قديمة، سوف تتضح بجلاء من خلال مقارناتنا لهذه اللغة مع اللغات العربية القديمة الأخرى، التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد الرافدين ووادي النيل خلال عصور ما قبل التاريخ والعصور القديمة، ومن خلال مقارنتنا لهذه اللغة مع اللغة العربية الفصحى، والتي تعتبر أكثر اللغات العربية احتفاظاً للأصول القديمة للغة العربية الأم، ومن خلال مقارنتنا للغة الليبية القديمة مع اللغات العربية الحديثة بجنوب شبه الجزيرة العربية كالمهرية والسوقطرية والشحرية يمكن تقسيم اللغة الليبية القديمة إلى ثلاث لهجات وهي الزناتية والصنهاجية والمصمودية، ويُلاحَظ وسط هذه التقسيمات الثلاثة الكبرى أعداد كثيرة من اللهجات المحلية ربما يصل عددها إلى عدة مئات. ومن خلال دراسة قام بها (أ. باسيي) في عام 1(920م). وجدها تزيد عن (1200) لهجة محلية، وقد أكدت معظم الدراسات أن هذه اللهجات يمكن إرجاعها إلى ما يطلق عليه عائلة اللغات السامية. وقد وُضعت هذه اللغة ضمن هذه العائلة مثلها مثل اللغات القبطية والنوبية والحبشية والصومالية وتلك التي تنتشر بالسودان الشرقي، ومما يؤكد هذا الانتشار الكشف عن أكثر من ألف نقش تنتشر في جهات متفرقة من منطقة الشمال الإفريقي، وامتد تواجدها حتى الأطراف الجنوبية لمنطقة المغرب القديم، وقد تبين أن ما يطلق عليه اسم الأبجدية الليبية تتمثل في شكل الكتابة الليبية القديمة والكتابة الطارقية (التيفيناغ)، التي هي فرع من الليبية القديمة، وقد وضحت لنا هذه الكتابات بأنها على صلة قرابة مع تلك النماذج من الكتابات الصخرية، التي أُكتشفت عند أطراف الصحراء العربية[1]، والمقصود بتلك الكتابات، النقوش المنتشرة في شمال ووسط وجنوب وشرق شبه الجزيرة العربية، مثل الصفوية والتمودية والمسند والظفارية.

(1) Michel Castantini, Denis Maraval, L'Histoire Generale de l'Afrique (t.1), Edition Famot, Geneve, 1979. P. P.17 - 19.

يمكـن حصـر المصادر التاريخيـة للغة الليبية القديمة فـي نوعين اثنين: المصـادر البدائية القديمـة، والمصادر اللاحقة المتطورة. وتشـمل المصادر البدائية القديمة كتابات فلسطين البدائية (الألف الثانية قبل الميلاد)، والكتابة السينائية (نهاية القرن السابع عشر قبل الميلاد)، وكتابات أوغاريت الكنعانية (القـرن الرابع عشـر قبل الميلاد). أمـا المصادر اللاحقة المتطورة فتشـمل الكنعانيـة (الفينيقيـة) والبونية (القرطاجيـة)، والآرامية والسـريانية، والعربية الجنوبيـة والشـرقية، ونقصـد بذلـك اليمنية القديمـة والتي تشـمل المعينية والقتبانيـة والسـبئية والحضرميـة[1]، والعُمانيـة، خاصـة كتابات ظفـار، التي تتطابـق تمام التطابـق مع الكتابات الليبيـة القديمة. يلاحـظ أن اللغة الليبية القديمـة أخذت عن اللغات السـابقة نظام تربيع الحـروف ونظام الحركات التـي تتمثـل في الإشـارات والتنقيـط، وقد اسـتعارت اللغة الليبيـة القديمة الكثير من حروفها الأبجدية من اللغة الكنعانية مثل حرف الجيم المعطش، وحـرف التـاء والـزاي والقـاف والشـين، ولم تسـتعر اللغـة الليبيـة القديمة حروفهـا مـن الكنعانيين فقط، بل إن العديد من الحروف تم اسـتعارتها من لغات جنوب شبه الجزيرة العربية، وهو ما يؤكد الأصل الشرقي لهذه اللغة ولكن الجديد في هذه الكتابة أنها شبه متطابقة بالكامل مع كتابات ظفار.

اللغة الليبية القديمة لغة محادثة أكثر منها لغة تدوين:

يبـدو أن اللغـة الليبيـة القديمة كانت قبـل وصول الكنعانييـن إلى منطقة المغرب القديم لغة محادثة فقط، وهذا واضح، وذلك لعدم العثور حتى الآن علـى أيـة نقوش كتابية تسـبق وصول الكنعانيين إلى المنطقـة، وعملية وجود لغـات للمحادثة فقـط، دون أن توجد لها كتابة أمر معتـاد منذ عصور ما قبل

(1) عزالدين المناصرة، مسألة الأمازيغية، ص ص 75 – 77.

التاريخ وحتى الآن، وخاصة في منطقة شبه الجزيرة العربية، والتي تؤكد معظم المصادر بأن اللغة الليبية القديمة جاءت من هناك ضمن هجرات متتالية عبر العصور، ومما يؤكد هذا، أنه ما زالت إلى حد الآن في جنوب شبه الجزيرة العربية لغات حية، يطلق عليها اللغات العربية الجنوبية الحديثة مثل: المهرية والشحرية والسوقطرية، ما زال يتحدث بها مجموعات سكانية كثيرة باليمن وعُمان، لم يثبت حتى الآن وجود حروف لكتابتها، ويؤكد معظم العلماء بأن هذه اللغات ليست مشتقة من اللغة العربية الفصحى، بل إنها مجموعة خاصة ربما لها بعض الصلة بلغات النقوش اليمنية القديمة خاصة اللغة الحضرمية القديمة[1]، وهي جميعها تنتمي إلى ما يعرف بأسرة اللغات السامية، وعليه فالحروف التي كتبت بها اللغة الليبية القديمة، والحروف التي كتب بها الطوارق هذه اللغة، لم يقصد منها وضع أبجدية لهذه اللغة لغرض استعمالها كلغة رسمية للسكان، والدليل على ذلك عدم وجود أدب وثرات مكتوب بهذه الأبجدية، وحتى النقوش التي عثر عليها بهذه الأبجدية لا تعدو أن تكون مجرد إهداءات نذرية، أو كتابات مختصرة تستعمل بين الشباب لغرض التسلية، أو تستعملها النساء في الوقت الحاضر كزينة وزخرفة، ولو كان المقصود من هذه الأبجدية استعمالها كلغة أدب وعلوم لكان أولى بها الملك مسنسن (مسينيسا) ملك نوميديا في أن يستعملها كلغة للدواوين في دولته الناشئة، ولكن نجده رغم عداوته لقرطاجة يستعمل اللغة البونية (القرطاجية) كلغة كتابة في دولته، ويستعمل اللغة الليبية القديمة كلغة محادثة، وبالفعل لم تكن اللغة الليبية القديمة في يوم من الأيام لغة ذات تراث مكتوب، بل كانت لغة محادثة في الدرجة الأولى، والذي عثر عليه مكتوب لا يتعدى بعض النقوش النذرية. وكان الأدباء والمفكرون

(1) كريستيان جوليان روبان، حضارة الكتابة (اليمن في بلاد ملكة سبأ)، معهد العالم العربي، باريس، 1999م. ص85.

يكتبون كلهم باللغة السائدة في زمانهم كالكنعانية (القرطاجية) والإغريقية واللاتينية، وذلك حسب انتماءاتهم وثقافاتهم، ونجد الكتابات القديمة تشير إلى ذلك بكل وضوح. فهذا (سالوست) يحدثنا بأنه استقى معلوماته عن الليبيين القدماء من خلال كتاب كتبه الملك النوميدي هيمبسال صاغه باللغة الكنعانية[1]. وهذا الملك يوبا الثاني (25 قبل الميلاد - 23 ميلادية) ملك موريتانيا يصنف العديد من الكتب باللغة الإغريقية. وهذا أبولليوس المدوري يتحفنا بالكثير من الروائع في المجالات الأدبية والفلسفية باللغة اللاتينية. وهذا القديس أوغسطين يكتب أيضاً كتاباته باللغة اللاتينية. وقد حدث الشيء نفسه عندما دخل الإسلام واللغة العربية الفصحى للمنطقة، حيث برز في الكتابة باللغة العربية العديد من الكتاب في مجالات العلم المختلفة. ومن خلال الوثائق الأثرية والتاريخية نتوصل بأن سكان المغرب القديم منذ تعرفهم للغة ظلوا يتكلمون اللغة الليبية القديمة بلهجاتها المختلفة حسب المناطق، في حين كانت لغة الكتابة تتغير حسب الحضارات والثقافات التي حلت بالمنطقة؛ كالكنعانية والإغريقية واللاتينية والعربية الفصحى. إننا لم نعتد على حقوق الناطقين باللغة الليبية القديمة، عندما ننادي بجعل هذه اللغة لغة محادثة لمتكلميها كما هي عليه الآن، وجعل اللغة العربية لغة العلم والمعرفة للجميع بدون استثناء، لأن اللغة الليبية القديمة لم تكن سوى لغة شفهية ظلت حيَّة منذ ظهورها في العصور القديمة حتى الآن[2]. وكما أشرنا من قبل كان مسنسن (مسينيسا) رغم أنه يتحدث اللغة الليبية القديمة فإنه استعمل اللغة البونيقية (القرطاجية) في تسيير الأمور في دولته الناشئة، وكان القديس أوغسطين قد أنجز كتاباته باللغة اللاتينية، رغم أنه يتحدث اللغة الليبية القديمة. ومن خلال التاريخ نعلم أن مسنسن لم يتخذ اللغة القرطاجية

---

(1) محمد علي عيسى، اسم ليبيا، ص98.

(2) عزالدين المناصرة، المسألة، ص72.

لغة رسمية في دولته خوفاً من قرطاجة، لأنه كان في ذلك الوقت هو الذي يخيف قرطاجة بسبب مساندة روما له. ولم يتخذ القديس أوغسطين اللغة اللاتينية في كتاباته خوفاً من الرومان، لأنه يمثل الدين المسيحي في الدولة الرومانية المهيمنة على مقاليد الأمور في منطقة المغرب القديم في ذلك الوقت. ومما لا شك فيه أن عدم استعمال مسنسن وأوغسطين للغة الليبية القديمة، واستعمالهما للغة عدويهما، يرجع إلى أن اللغة الليبية القديمة ضعيفة وليس لها القدرة في تزويد متكلميها بالمفردات اللازمة لفروع الحياة المختلفة، وبالتالي فهي ليست لغة تدوين وبحث علمي[1]. وكما سبق الحديث من قبل، يحاول الغرب أن يبث تياراً في منطقة المغرب الكبير يؤمن باختلاف الأصل بين الناطقين باللغة الليبية القديمة واللغة العربية، ويحاول إقناع أصحاب هذا التيار بأن اللغة الليبية القديمة موازية للغة العربية الفصحى، وأنها ترجع في جذورها القديمة إلى اللغة اللاتينية، ولذلك يجب أن تكتب بحروف لاتينية. ولإنجاح هذا المخطط عملت فرنسا منذ بداية القرن العشرين على نشر هذه اللغة وعملت لها مراكز بحثية ما زالت تنتشر في كبريات المدن الفرنسية حتى الآن. والحقيقة أن اللغة الليبية القديمة هي لغة عربية قديمة انفصلت عن اللغة العربية الأم منذ آلاف السنين بسبب انتقال متحدثيها من مناطق شبه الجزيرة العربية والشام ومنطقة ما بين النهرين نحو منطقة المغرب القديم، وكانت في الأصل مجرد لغة محادثة، وظلت كذلك فترة طويلة من الزمن، ومع وصول أعداد كبيرة من المهاجرين الكنعانيين إلى المنطقة اقتبسوا أبجدية لتلك اللغة ولكنها كانت محدودة الهدف، حيث لم تستخدم كما أشرنا في السابق سوى لبعض الكتابات النذرية. ولذلك يجب أن تكون اللغة الليبية القديمة، بالإضافة إلى أنها لغة محادثة لمتكلميها، لغة ثقافة في الأقسام المتخصصة في الجامعات، ويجب أن تحتفظ بشكلها

(1) المرجع نفسه، ص136.

الأصلي وهو الحرف الليبي القديم، بعيداً عن محاولات ربط هذه اللغة باللغة اللاتينية، لأنها محاولات مفتعلة من قبل فئة قليلة بتشجيع من فرنسا قصداً منها خلق صراع بين اللغة الليبية القديمة واللغة العربية الفصحى[1].

ويبدو أن تصارع لغات عدة في منطقة واحدة من أجل سيطرة لغة على أخرى ظاهرة عالمية في الوقت الحاضر. ولدينا الكثير من الأمثلة حول هذا الصراع اليوم. لقد كان في الولايات المتحدة الأمريكية منذ مدة الصراع على أشده بين الإنجليزية والإسبانية. وفي كندا ما زال هذا الصراع قائماً حتى الآن بين الإنجليزية والفرنسية. وفي إسبانيا نجد نفس الصراع بين الإسبانية والكتلانية. وفي فرنسا نجد الصراع يدور في الخفاء بين الفرنسية وبعض اللغات المحلية كالكورسيكية والبرتون والباسك والفلامان. وفي سويسرا نجد ثلاث لغات تتصارع كل واحدة تريد أن تصبح اللغة القومية الأولى. وفي بلجيكا نجد الصراع هادئاً بين الفرنسية ولغات أخرى محلية. وفي النيجر نجد ست لغات وهي الهوسا والسونغاي والزارما والفولان والتامازيغت والكانوري والتبو، وهي كلها تتصارع من أجل الوصول إلى الصدارة. ومما لا شك فيه أن هذه الشعوب حكّمت العقل واختارت اللغة الأقوى ثقافياً واتخذتها لغة قومية، وذلك لحل إشكالية تعدد القوميات في الوطن الواحد. ونحن في منطقة المغرب القديم ليس لدينا قوميات متعددة، جاءت من مناطق متفرقة كما هو الحال في أمريكا وأوروبا، لذلك فلا وجود لمثل تلك الإشكالية، حيث إن الجميع يرجع لأصل واحد قادم من الشرق، والجميع يعيش في وطن واحد، والجميع ينتسب لحضارة واحدة أقامتها مجموعات قادمة من الشرق، وذلك منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى العصور الوسطى، ولذلك فلا مجال لافتعال صراع بين اللغتين الليبية القديمة والعربية، بل ينبغي دعم اللغة العربية وحمايتها من الغزو الثقافي الغربي، حتى تتمكن من أن تتحدى اللغات

---

(1) نفس المرجع السابق، ص8، 9.

العالميـة الأخـرى، وجعلها لغـة قومية للتلقيـن، وجعل اللغة الليبيـة القديمة مثلها مثل اللغات العربية القديمة الأخرى لغة معرفية تاريخية على المستوى الأكاديمي فقط[1]. وهذا الأمر حدث منذ الفتح العربي الإسـلامي في مناطق بلاد الرافدين والشام وجنوب شبه الجزيرة العربية ووادي النيل، حيث حلت اللغـة العربيـة الفصحى محل اللغات الآكادية والبابلية والآشـورية والكنعانية والآراميـة والسـبئية والمصريـة القديمـة، وقـد حدث هـذا التحـول عن هذه اللغـات، إلى اللغة العربية الفصحـى، رغم أنها كانت قوية وآثارها في جميع مجـالات الحيـاة العامـة كالسياسـة والاقتصاد والاجتمـاع والديـن والقانون والطب والفلك والهندسة، ولكنها مع ذلك كانت مقارنتها بلغة **القرآن الكريم** ضعيفـة. وإذا كانـت تلـك اللغـات كذلـك فكيف يكـون وضع اللغـة الليبية القديمـة؟ وكيف تسـتطيع الصمـود أمام اللغـات الحية الحديثـة كالإنجليزية والفرنسية؟ إن التاريخ يحدثنا أن سكان المغرب القديم حتى في أيام ازدهار بعـض ممالكهـم القديمة لم يتبنوا اللغة الليبيـة القديمة في معاملاتهم العامة، بل اسـتعانوا فـي عمليات التدويـن والإدارة بلغات جيرانهـم حتـى وإن كانوا يناصبونهم العداء، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن سكان المغرب القديم كانوا على علم تام بلغتهم ومحدوديتها في مجال الكتابة والتدوين.

العلاقة بين اللغة الليبية القديمة ولغات العالم القديم:

لقـد كان للهجرات التي خرجت من شـبه الجزيـرة العربية الدور البارز في تكوّن الممالك والإمبراطوريات في مناطق ما بين النهرين والشام ووادي النيـل وشـمال إفريقيـا، ولم تكن هذه الهجرات السـبب المباشـر في تكوّن تلـك الجماعـات السـكانية، التـي كونـت تلـك الإمبراطوريـات والممالك

(1) المرجع نفسه، ص112، 123.

فحسب، بل كانت السبب المباشر في ظهور اللغات واللهجات الكثيرة التي اصطلح العلماء على تسـميتها فيما بعد باسـم اللغات السـامية[1] والحامية. ومن أبرز تلك اللغات التي ظهرت بتلك المناطق اللغة الأكادية التي تفرعت عنها البابلية والاشورية، واللغة الآرامية التي تفرعت عنها السريانية والنبطية والتدمريـة، واللغة الكنعانية التي تفرعت عنها الأوغاريتية والعبرية والمؤابية والأدوميـة والقرطاجيـة، واللغـة العربية الجنوبيـة التي تكوّنـت من اللغات المعينية والسبئية والحضرمية والقتبانية والتي تفرعت عنها الأثيوبية (الجعزية والتيجرينيـة والأمهرية والهررية)، ولغات شـمال شـبه الجزيـرة العربية التي تتكـون من الثمودية واللحيانية والصفوية والعربية الفصحى[2]. وقد نتج عن تلـك الهجرات أيضاً ظهور اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) في منطقة وادي النيل واللغة الليبية القديمة في منطقة المغرب القديم. وقد اتفق معظم الباحثين على إرجاع كل هذه اللغات إلى لغة أساسية أُولى أُطلق عليها اسم اللغـة السـامية الأم، وهـي بالتأكيـد اللغـة العربيـة القديمة، التـي كانت لغة المجموعات المهاجرة من شـبه الجزيرة العربيـة، والتي بدأت في الوصول إلـى تلـك المناطق منذ عصور ما قبل التاريخ. ولهذا السـبب نجد آثار هذه الوحـدة اللغويـة ظاهرة بـكل وضوح علـى كل تلك المجموعات السـالفة الذكر من خلال وحدة الثقافة والتفكير العقلي المتقارب. لم يتمكن العلماء حتـى الآن مـن التعرف علـى التاريخ الحقيقـي لبداية ظهور اللغـة والكتابة الليبيـة القديمـة، ولم يتوصلوا إلى تحديـد اللغات والكتابات السـابقة التي تأثرت بها هذه اللغة والكتابة، هل هي اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية)؟ أم الأكادية أو الكنعانية أم السـبئية؟ وكما سـبق القول فإن معظم المؤرخين

---

(1) محمد خليفة حسن أحمد، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م. ص39.

(2) أحمد أرحيم هبو، تاريخ الشرق القديم، ص65.

يتفقـون على أن شـبه الجزيرة العربيـة خاصة جنوبها، بالإضافـة إلى منطقة الشـام كانتا المصدران الرئيسـان للموجات البشـرية التي اسـتوطنت منطقة شـمال إفريقيـا، ولذلك تواجدت فـي هذه المنطقة لهجـات متعددة تنوعت حسـب تنوع تلك الهجرات. وقد شـهدت العصور اللاحقة علاقات وطيدة بيـن الليبييـن القدمـاء والمصريين القدمـاء منذ بدايـة التاريخ، حيـث كانوا يختلطون بالمصريين سواء عن طريق الحروب أو التجارة أو الإقامة الدائمة فـي مصر. ومعروف أيضاً بأن هذه العلاقـات من طرف الليبيين كانت على أوسع نطاق مع الكنعانيين وذلك عندما حل هؤلاء بمناطق المغرب القديم للتجـارة والاسـتقرار، وبالتالي فإن اللغة بالتأكيد جاءت من الشـرق، وربما أخـذ الليبيـون أبجديتهـم عـن الكنعانييـن (الشـكلان 30، 31)، خاصة وأن هؤلاء هم مخترعو الأبجدية، وهـم الذين نشروها بين مناطق العالم القديم. وهذا الأمر يتزامن مع الانتشار الواسع للكنعانيين في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأولى قبل الميلاد.

أ ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة الآكادية:

تنسـب اللغة الآكادية إلى الآكاديين الذين وصلوا منطقة ما بين النهرين عن طريق هجرات جاءت من شـمال شـبه الجزيرة العربية، وكان ذلك منذ بداية الألف الثالثة قبل الميلاد. وتشـير قائمة الملوك السـومرية بأن الملك سـرجون هو مؤسـس مدينة آكاد عاصمة الإمبراطورية الآكادية، ولقد أطلق الملـوك اللاحقـون اسـم آكاد علـى كل بقـاع وسـط بـلاد ما بيـن النهرين، وعرفت الدولة باسـم الدولة الآكادية، وبالتالي عرفت اللغة المسـتعملة في هذه الدولة باسم اللغة الآكادية، وقد كتبت اللغة الآكادية بالخط المسماري منـذ بداية هـذه الدولة، وفي مطلع الألـف الثانية قبل الميـلاد تفرعت هذه اللغـة إلـى اللغتيـن البابلية والآشـورية، والجديـر بالذكر أن اللغـة الآكادية

تصنف ضمن اللغات العربية الشرقية، لكنها في بعض الأحوال تصنف ضمن اللغات العربية الجنوبية، وفي هذه الحالة يمكن الاستنتاج بأن الآكاديين عبارة عن هجرات قدمت من جنوب شبه الجزيرة العربية[1]. ورغم أن اللغة الآكادية كتبت بالخط المسماري منذ أكثر من خمسة آلاف عام، فلا يزال العربي المعاصر قادراً على فهم العديد من كلماتها بمساعدة المعاجم التراثية بعد تحويل الحرف المسماري إلى الحرف العربي[2].

إن عملية مقارنة اللغة الآكادية باللغة الليبية القديمة يثير الكثير من الدهشة لدى المشككين في انتماء الليبيين القدماء لمناطق شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد الرافدين، بسبب التشابه الكبير بين اللغتين الليبية والآكادية، رغم وقوع الآكادية في أقصى شرق الوطن العربي، ووقوع اللغة الليبية القديمة في أقصى غرب هذا الوطن، ويبدو ذلك التشابه واضحاً من خلال اشتراكهما في مراحل تطورهما من خلال ما يطلق عليه اللغة السامية، ونجد اللغة الليبية القديمة تتشابه مع اللغة الآكادية في مجال التصريف. وقد أشار العلامة الألماني (روسلر) أن اللغة الليبية القديمة تلتقي مع اللغة الآكادية في عدد كبير من الجذور، وهو ما يؤكد وحدة الأصل، والقرابة المعجمية بين اللغتين، وقد كانت اللغة الليبية القديمة لا تميز بين التعريف والتذكير شأنها في ذلك شأن اللغة الآكادية[3]، ومن خلال كل ذلك تتضح قرابة اللغتين، وهو الأمر الذي يؤدي إلى خطإ ما جاءت به نظريات العلم الاستعماري حول الأصل الأوروبي لسكان المغرب القديم، الذي ما زال يُروج له الإقليميون وأعداء الأصل المشترك لسكان المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج.

---

(1) العرباوي، البربر، ص168.

(2) جمال الدين الخضور، عودة التاريخ، ص100.

(3) المرجع نفسه، ص171، 176.

ب ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية):

يؤكد الكثير من الباحثين اللغويين بأن اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) ذات صلة أكيدة بما يسمى اللغة السامية الأم ويستدل أولئك الباحثون على هذه الصلة من خلال احتواء اللغة المصرية القديمة لحروف الحاء والعين والقاف، وشيوع المصدر الثلاثي لألفاظها، واستخدامها صيغة المثنى، والتأنيث بإضافة التاء، واستخدام باء النسبة وكاف الخطاب ونون الجمع، وتشابه عدد الضمائر فيها مع الضمائر في ما يعرف بالسامية الغربية، واشتراكها مع اللغات السامية بعدد وافر من الألفاظ[1]. ويؤكد بعض العلماء أن أصل اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) واللغة العربية القديمة واحد، وأن بعض الاختلافات الظاهرة الآن سببها إسقاط بعض الكلمات في بلاد العرب وبقاؤها في وادي النيل أو العكس، أو بسبب الإبدال والقلب، أو بسبب التغيّر الذي يطرأ عند تعامل الأجانب مع لغة من اللغات[2] وعليه فمن الخطأ تأييد (لوفيبر)[3] في استنتاجاته بأن اللغة المصرية القديمة لغة إفريقية تأثرت بالسامية وليست سامية تأثرت بالإفريقية. وقد جاء (لوفيبر) بهذا الرأي اعتقاداً منه بأن اللغة الليبية القديمة، التي تأثرت بها اللغة المصرية القديمة ليست سامية. وربما نعطي (لوفيبر) في عهده بعض العذر في افتراضاته، وذلك لعدم توفر الأدلة التي تؤكد بأن اللغة الليبية القديمة لغة سامية، ولقد تأكدت حديثاً، لمعظم الباحثين بما لا يدع مجالاً للشك بوجود تجانس داخلي بين المجموعات اللغوية المصرية القديمة والليبية القديمة والكوشية والتشادية، وهو الأمر الذي يسمح لهؤلاء العلماء بمقابلة هذه المجموعات بالمجموعات المعروفة باسم السامية، ولذلك نجد الكثير من

(1) أحمد أرحيم هبو، تاريخ الشرق القديم سورية، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ص94.

(2) محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي، الجزء 2، المكتبة العصرية، بيروت، 1376 هـ.، ص5.

(3) علي فهمي خشيم، آلهة مصر العربية، الجزء الأول، ص132.

العلماء وعلى رأسهم (روسلر) يلحقون اللغة الليبية القديمة مباشرة بما اصطلح عليه بالمجموعة السامية، ولذلك فاللغة الليبية القديمة سامية مثلها مثل فروع السامية المتواجدة في شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد الرافدين ووادي النيل وشرق إفريقيا[1]. وبالتالي عندما نقول عن المصرية القديمة بأن جذورها القديمة ليبية، فإننا نعني بدون شك تلك الجذور التي قدمت من الصحراء الكبرى، عندما بدأ السكان يغادرونها نحو الشمال والشمال الشرقي بسبب الجفاف الذي بدأ يحل بالمنطقة. وقد تعرفنا فيما سبق أن سكان الصحراء الكبرى جاءوا بكل ثقافاتهم ومعتقداتهم من شبه الجزيرة العربية والشام، وبالتالي فإن اللغة الليبية القديمة هي الأخرى تنتمي إلى ما يطلق عليه اللغة السامية، وبالتالي فإن اللغة المصرية القديمة تأثرت بمؤثرات سامية قادمة من الشرق، سواء مباشرة، أو بعد وصول هذه المؤثرات إلى الصحراء الكبرى، وانتقالها فيما بعد نحو وادي النيل والشمال بصفة عامة.

ومما يؤكد انتماء اللغتين الليبية القديمة والمصرية القديمة إلى ما يعرف باللغة السامية (العربية القديمة)، ما يورده علي فهمي خشيم[2] نقلاً عن (أوريك بيتس) في كتابه **الليبيون الشرقيون**، بأن اللغة المصرية القديمة سامية في طبيعة أفعالها، وهي تشترك مع اللغة الليبية القديمة في العديد من الملامح، ويبدو ذلك واضحاً من حيث «إن للغتين كلتيهما جذور ضمائر ذات صلة بعضها ببعض، وهما تصوغان الجمع والضمائر المطلقة (أي: المنفصلة) بنفس الطريقة. وكلتاهما تصوغان جمع المؤنث بأسلوب متقارب، وفي الاثنتين يستعمل حرف (ن) علامة إضافة غير مباشرة، وفيهما معاً تعامل المجردات وأسماء الجمع باعتبارها جموعاً قواعدية نحوية، وإلى

(1) العرباوي، البربر، ص168. وكذا: محمد المدلاوي، مبادي المقارنة الحامية السامية على ضوء مفهوم الفصائل الصوتية الطبيعية، مجلة كلية الآداب، وجدة، العدد الأول، 1990م. ص57.

(2) علي فهمي خشيم، آلهة مصر، الجزء 1، ص127.

جانب هذا الضرب من الصلات فإن مقارنة المفردات المصرية القديمة والليبية القديمة تظهر أن في اللغتين عدداً من الكلمات الأصلية البدائية المشتركة»[1]. وقد أكد المؤرخ الإغريقي (هيرودوت) هذه الحقيقة عندما أشار بأن لغة سكان واحة سيوة هي مزيج بين اللغة المصرية والأثيوبية[2]. والجدير بالذكر أن سكان واحة سيوة ما زالوا إلى الآن يتحدثون اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية)، والتي لا تختلف عن بقية اللهجات الليبية المنتشرة بالكثير من مناطق شمال إفريقيا والصحراء الكبرى وما وراءها.

ج ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة الكنعانية:

يؤكد الكثير من المؤرخين على التأثير اللغوي الكنعاني على اللغة الليبية القديمة[3]. وهذا ليس جديداً، لأن الكنعانيين هم الذين علموا معظم شعوب العالم الأبجدية، ويرى بعض الباحثين[4] أن سكان المغرب القديم أقبلوا على اللغة الكنعانية، عندما وجدوا ما فيها من قرابة مع اللغة التي يتخاطبون بها، وذلك بسبب التواصل العرقي بينهم وبين الكنعانيين. ويؤكد هذه الحقيقة المؤرخ البيزنطي (بروكوبيوس القيصري) في القرن السادس الميلادي، حين يقول: «لقد وجد الفينيقيون الذين هاجروا بصحبة (ديدون) عليسة، بين المستوطنين القدماء جماعات من بني جنسهم، لذلك أسسوا قرطاجة بإذن منهم»[5]. ويبدو واضحاً من قول (بروكوبيوس) أن تلك القرابات التي كانت تصل السكان الأوائل بالمهاجرين الجدد، قد سهلت على الأقل في المراحل الأولى عملية وضع حجر الأساس للنواة الأولى

(1) المرجع نفسه، ص127، 128.

(2) Herodote, Histoire, II, 42.

(3) عبدالكريم غلاب، قراءة، ص195.

(4) عزالدين المناصرة، المسألة الأمازيغية، ص83.

(5) Jean Mazel, Avec les Pheniciens, P.190.

للكنعانيين في منطقة المغرب القديم. وهذا الأمر أدى فيما بعد كما يشير الكثير من الكُتَّاب الكلاسيكيين وعلى رأسهم (ديودوروس الصقلي) و(سترابون) و(بليني الأكبر)، إلى تكوّن مجموعات سكانية جديدة كانت مزيجاً بين السكان الأوائل والمهاجرين الذين قدموا صحبة عليسة، فنتج عنه ما يطلق عليه أولئك الكُتَّاب اسم «الليبيون ـ الفينيقيون»[1]. ولهذه الأسباب مجتمعة جاءت أبجديتهم تحتوي على الكثير من حروف لغات الشرق الأدنى القديم. ويُعتقد أن الملك مسنسن (ماسينيسا) هو الذي كان وراء ظهور أبجدية ليبية على نمط الحروف الهجائية الكنعانية، ولذلك فالمصدر الأساسي للغة الليبية القديمة هو الألفبائية الكنعانية[2]. ويكفي دليلًا على ذلك أن أبجدية الطوارق والمعروفة باسم التيفيناغ، والتي اشتقت عن الأبجدية الليبية القديمة، ما هي إلا تحريف لكلمة تافينيقت، وهي مؤنث فينيقي باللغة الليبية القديمة. ومما لا شك فيه أن كلمة تيفيناغ لها صلة بكلمة الفينيقية، لأن مفرد الفينيقية باللغة الليبية القديمة هو افينيقي ومؤنثها تافينيقت. وهذه الكلمة الأخيرة هي نفسها تيفيناغ مع إبدال حرف القاف إلى غين، وهو أمر عادي في الكثير من اللغات العربية القديمة خاصة لغات جنوب شبه الجزيرة العربية. ومما يؤكد الصحة في استبدال حرف القاف بالغين أن الحرفين لهما مخرج صوتي واحد وهو الحلق. وعملية وحدة الأصل بين اللغة الليبية القديمة واللغة الكنعانية ليس غريباً، لأن سكان منطقة المغرب القديم عبارة عن موجات بشرية قدمت من الشرق منذ عصور ما قبل التاريخ، وكانت آخر الموجات القوية التي وصلت المنطقة في العصور القديمة تلك الهجرات التي كانت السبب في إنشاء مدينة قرطاجة، ولذلك فمن الطبيعي أن يكتب هؤلاء لغتهم بالكنعانية، ولا يوجد أي دليل يثبت أن

(1) محمد مصطفى بازامة، سكان ليبيا، ص ص252، 256، 275.

(2) المرجع نفسه، ص77.

الكتابـة الليبيـة القديمة عرفت قبل القرن الثالـث أو الثاني قبل الميلاد. ومن المؤكـد لدى جميع العلماء أن الليبيين القدمـاء بدأوا يكتبون لغتهم التي لم تتعـد النقوش النذرية، تحت تأثيـر الكتابة الكنعانية[1]. ويرتـاح العلماء كثيراً إلـى هـذا الأصـل الكنعاني بسـبب وجود مسـتوطنات كنعانيـة مبكرة ضمن أراضـي الليبيين القدماء مثل أوتيكا وقرطاجة[2]، بالإضافة إلى وجود أبجدية مشتركة بين اللغة الليبية القديمة وحروف اللغة الكنعانية الشرقية، والكنعانية الغربيـة (البونيقيـة)[3]. وواضح جداً أن حرف الجيـم المعطش، وحرف التاء في الليبية القديمة يشبهان حرفي الجيم والتاء في الكنعانية الشرقية والكنعانية الغربية (البونيقية)، وأن حرف الزاي في الليبية القديمة يشبه حرف الزاي في الكنعانية الشرقية، وأن حرف القاف في الليبية القديمة يشبه حرف الكاف في الكنعانية الغربية (البونيقية)، وأن حرف الشين في الليبية القديمة يشبه حرف الشين في الكنعانية الشرقية.

د ـ العلاقة بين كتابات اللغة الليبية القديمة وكتابات ظفار بعُمان:

يعتقـد أ. علـي الشـحري[4] أن كتابات ظفـار هي كتابـات ذات أبجدية خاصة بالمنطقة لم يتم فك رموزها بعد، وأن اللغة المرشـحة علمياً لتكون لغـة هـذه الكتابـات حتـى الآن هي اللغـة الشـحرية، وهي لغـة قديمة قدم الإنسان العربي، ونعتقد بأنها من بقايا لغة قوم عاد، وهي لغة العرب القديمة فـي منطقـة الأقحـاف، ومنها منطقة ظفـار والمناطـق المحيطة بهـا. واللغة

(1) ب. سلامة، الصحراء في التاريخ القديم (تاريخ إفريقيا العام، جزء 2، ص535.

(2) G. Camps, les Berberes, P. 202.

(3) Abdelaziz Ferrah, L Amazigh ecrire le Berbere, Editions Marinoor, Alger, 1997. P.64.

(4) علـي أحمـد الشـحري، كيـف ابتدينا وكيـف ارتقينا بالحضارة الإنسـانية من شـبه الجزيرة العربية «ظفار» كتاباتها ونقوشها القديمة، دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، 1994م. وكذلك: علي أحمد الشحري، لغة عاد، المؤسسة الوطنية للتغليف والطباعة، أبو ظبي، 2000م.

الشحرية التي ما زالت حية حتى اليوم تنطق 33 حرف، ومن خلال الكتابات الكثيرة التي تم اكتشافها في ظفار استطاع الباحثون فرز 33 حرف غير مكررة، والتي يُعتقد أنها تشكل أبجدية هذه الكتابات، ويمكن أن نميّز في ظفار نوعين من الكتابة: كتابات كُتبت بالحبر الأسود والأحمر والبرتقالي والأخضر، وهي تمثل 90٪ من الكتابات والنقوش، وكتابات نُقشت على الصخر وهي تمثل 10٪ من الكتابات والنقوش، وهي كلها متشابهة في كل شيء وفي كل مناطق محافظة ظفار وهذا دليل على وحدة الحضارة في المنطقة، وإنها أتت من مدرسة واحدة.

إن المقارنة البسيطة التي يمكن إجراءها بين الكتابات الكثيرة التي تنتشر على العديد من هضاب ظفار مع كتابات التيفيناغ، نتوصل إلى تطابق شبه تام بين الكتابتين. ومما لا شك فيه أن التيفيناغ كتابة منتشرة بالمناطق الجنوبية من ليبيا حيث موطن الجرميين التي كانت عاصمتهم مدينة جرمة. ورغم أنه لم يثبت بعد علمياً أن هذه الكتابة هي التي كان يستعملها الجرميين، إلا أن مجريات الأحداث تشير إلى أنهم كانوا يستعملون تلك الكتابة[1].

ومما لا شك فيه أن التطابق شبه الكامل بين الحروف الليبية القديمة ومنها التيفيناغ بالجنوب الليبي التي اشتقت عنها، وحروف الكتابة الظفارية التي تنتشر بالمئات على سفوح جبال ظفار بسلطنة عُمان، يثير الكثير من التساؤلات منها: أليس منطقياً أن يأتي هؤلاء السكان من شبه الجزيرة العربية إلى منطقة المغرب القديم بكل ثقافاتهم بما فيها الكتابة التي أطلقنا عليها التيفيناغ؟ أيضاً: ماذا يُفهم من طريقة الكتابة على الصخور، التي تكاد تكون طبق الأصل في مناطق المغرب القديم ومناطق ظفار، سواءً من حيث التقنية أو من حيث

(1) Pierre Léveque, Empire et barbaries, tome III, Histoire Universelle Larousse, Paris, 1973, P.P. 294, 295, 304.

المواد المستعملة في الكتابة؟ أيضاً: ماذا يُفهم من أصداء المعلومات التاريخية الكثيرة التي نجدها في بعض المصادر الكلاسيكية؟ كالمؤرخ والجغرافي سترابون، حين يُشير إلى أن سكان المنطقة «يشبهون البدو الرعاة العرب، وأن خيولهم لها رقاب أطول مما تكون في المناطق الأخرى»[1]، والواقع يؤكد ذلك سواء من حيث الشبه بين سكان المنطقتين، أو من حيث الصفات التي كانت وما زالت يمتاز بها الحصان العربي الأصيل، وهو دليل على أن أصلهم من الجزيرة العربية، وأن خيولهم خيول عربية أصيلة. وماذا يُفهم من أصداء المعلومات التاريخية الكثيرة التي نجدها أيضاً في المصادر العربية الإسلامية التي تتحدث عن انتقال قبائل البربر من جنوب شبه الجزيرة العربية، إلى بلاد المغرب والصحراء الكبرى، على هيئة موجات كثيرة، وخلال عهود موغلة في القدم؟ أليست هذه المصادر تحتوي على الكثير من الحقائق التي لم تأتِ من خيال[2]، خاصة إذا علمنا أنها تتفق في الكثير من جوانبها مع المصادر الكلاسيكية التي سبقتها، وبالتالي لا مجال لنعتها بالأكاذيب كما يفعل بعض الباحثين الذين يغمضون أعينهم عن حقائق الآثار والتاريخ.

---

(1) سترابون، الكتاب السابع عشر من جغرافية سترافون (سترابون) (وصف ليبيا ومصر)، ترجمة محمد المبروك الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي، 2002م. 3، 17، 19.

(2) الهمداني، لسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، كتاب الأكليل (الجزء الأول والثاني والثامن والعاشر)، حققه وعلق عليه: محمد بن علي بن الحسين الحوالي، ط.3، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.، وكذلك: الهمداني، لسان اليمن، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب (تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي)، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990م.، وكذلك: الحميري، نشوان بن سعيد، صفحات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (اعتنى بالنسخ والتصحيح عظيم الدين أحمد)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.، وكذلك: الحميري، نشوان بن سعيد، ملوك حمير وأقيال اليمن (تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي)، دار الكلمة، صنعاء، 1985م.

لكن ليس الخبر كالعيان، حيث أننا الآن أمام نتائج أثرية مؤكدة جاءت دون إعداد مسبق، نستطيع من خلالها إثبات الصلة بين الكتابة الليبية القديمة مع كتابات أخرى بشبه الجزيرة العربية، سواء أكانت في الشرق أو الغرب أو الجنوب، حيث أثبتت الدراسات الأثرية أن أبجدية الكتابة الليبية القديمة (الأمازيغية) بما في ذلك التيفيناغ المشتقة عنها، قد أخذت من أبجديات شبه الجزيرة العربية، التي يطلق عليها اصطلاحاً الكتابة السامية، والدليل على ذلك، الاكتشافات المؤكدة للنقوش الليبية القديمة في منطقتي شبه جزيرة سيناء ودلتا النيل، وهما المنطقتان اللتان استعملتا كطريق هجرة للأقوام التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية نحو منطقة المغرب القديم[1]، وكانوا السبب في ظهور هذه الكتابة في هذه المنطقة.

من خلال المقارنة بين أبجدية ظفار بعُمان، التي يطلق عليها أ. علي أحمد الشحري لغة عاد، مع الأبجدية الليبية القديمة (الأمازيغية) ومنها التيفيناغ، توصلنا إلى أن معظم الحروف الظفارية هي نفسها في اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية). وقد تأكدنا من ذلك عندما أطلعنا على كتابي أ. علي الشحري حول هذا الموضوع: الأول بعنوان ظفار كتاباتها ونقوشها القديمة[2]، والثاني بعنوان لغة عاد[3]. وقد تأكدنا بما لا يدع مجالًا للشك أن الحروف التي أشار إليها علي الشحري في كتابيه وعمل معها مقارنة مع الأبجدية الليبية القديمة كانت عبارة عن كتابات قديمة تركها القدماء على سفوح ومنحدرات ظفار (الأشكال 32، 33، 34، 35، 36)، وهي تعود إلى فترات تاريخية موغلة في القدم، وهو ما يدل على أصالة هذه الحروف، التي بدون شك انتقلت مع من انتقل من

(1) G. H. Bousquet, Les Berberes, Presses Uneveritaires de Paris, Paris, 1974. p.22, 28.

(2) علي أحمد الشحري، كيف ابتدينا وكيف ارتقينا بالحضارة الإنسانية من شبه الجزيرة العربية «ظفار» كتاباتها ونقوشها القديمة، دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، 1994م.

(3) علي أحمد الشحري، لغة عاد، المؤسسة الوطنية للتغليف والطباعة، أبو ظبي، 2000م.

مناطق ظفار إلى مناطق المغرب القديم والصحراء الكبرى. لقد كانت المفاجأة كبيرة عندما تأكدنا أن الحروف الظفارية هي نفسها الحروف التي عرفت في منطقة المغرب القديم خلال العصور القديمة، خاصة خلال القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، والتي أكتشف منها حتى الآن أكثر من (1300) نقش في مناطق متفرقة من تونس والجزائر والمغرب، وخير مثال على ذلك تلك التي عثر عليها في منطقة مغراوة، مكثر بتونس (الشكلان 37، 38)، وتلك التي عثر عليها في الصحراء الكبرى من خلال النقوش التي ترافق الرسوم الصخرية في بعض الأحيان[1]، والتي يطلق عليها التيفيناغ (الأشكال 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45). قام الأستاذ علي الشحري بتجميع الحروف التي تتكون منها الكتابات التي اكتشفها، والتي وصلت إلى أكثر من عشرة آلاف حرف، ثم قام بفرز الحروف التي ليست متشابهة، فوجدها (33) حرفاً، رأى أنها ربما تكون أبجدية هذه الكتابة، والتي أطلق عليها لغة عاد[2]، وهي قريبة الشبه من بعض الأبجديات السامية القديمة (الشكلان 46، 47). لكي يؤكد أ. علي الشحري صلة الحروف التي اكتشفها في ظفار مع الحروف الليبية القديمة، عمل مقارنة بين حروف ظفار مع الحروف التي يستعملها في الوقت الحاضر بعض سكان المغرب، في تعليم اللغة الأمازيغية، حيث عمل قائمة بالحروف الليبية القديمة بما فيها التيفيناغ، وما يقابلها من الحروف الظفارية. لقد أُخذت هذه الحروف من كتاب، سلسلة لنتكلم اللغات، تحت عنوان، لنتكلم الأمازيغية (الدار البيضاء، 2004، ص ص 5 – 7). (الشكلان 48، 49). والجدير بالذكر أن هذه الحروف هي نفسها التي تنتشر في المناطق الشمالية ويطلق عليها الليبية والأمازيغية، وهي نفسها التي تنتشر في الصحراء الكبرى والتي يطلق عليها التيفيناغ.

---

(1) David. J Mattingly, The Archaeology of Fazzan, Volume 1, Synthesis, Department of Antquities, Tripoli, 2003, P.279-226.

(2) المرجع السابق، ص ص 82 – 85.

إن عدم توفر مبان تحتوي على نقوش تشرح حياة المجتمع في المنطقتين، يُضاف إلى ذلك أن هذه النقوش كانت قصيرة ومختصرة، وفي معظم الأحوال لا تخدم سوى جانب واحد فقط، وهو الجانب النذري، زد على ذلك أن فك هذه النقوش كان محدوداً جداً، وبالتالي أدى إلى عدم الحصول على نصوص واضحة تُفيد في دراسة الحياة العامة في المنطقتين.

هـ ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة ولغات جنوب شبه الجزيرة العربية:

استطعنا التعرف على لغات جنوب شبه الجزيرة العربية من خلال النقوش الكثيرة، التي عرف منها حتى الآن أكثر من عشرة الآف نقش، وهذه اللغات هي لغات عربية، ولكنها غير العربية الفصحى المعروفة لدينا الآن، وقد كُتبت تلك النقوش بخط المُسند، الذي يتألف من (29) حرفاً أبجدياً أي بزيادة حرف واحد عن الأبجدية العربية الفصحى، وحسب أشهر الآراء تنتمي هذه الأبجدية إلى الخط الكنعاني، وخط المُسند يشبه إلى حد كبير الخط الأثيوبي، الذي تفرع في الأصل عن الخط المُسند، وتنتمي لغات جنوب شبه الجزيرة العربية عامة إلى ما يطلق عليه إصطلاحاً اللغات السامية[1]. ورغم أن لغات جنوب شبه الجزيرة العربية هي في الوقت الحاضر لغات ميتة، فإنها على قدر كبير من الأهمية، فهي قد تفيدنا في معرفة ملامح التطور اللغوي لما يعرف بعائلة اللغات السامية، وربما تفيدنا أيضاً في إعادة كتابة تاريخ منطقتنا العربية خال من الأساطير والخرافات، التي استمدها من مناطق بلاد الرافدين والشام ووادي النيل[2].

(1) يوسف محمد عبدالله، عم تتحدث النقوش اليمنة القديمة، المؤتمر الحادي عشر للآثار في الوطن العربي حول النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، تونس، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، 1988م. ص66.

(2) المرجع نفسه، ص67.

لقد لعبت دول جنوب شبه الجزيرة العربية دوراً شديد الأهمية في كل المنطقة العربية بدأ منذ عصور ما قبل التاريخ واستمر حتى منتصف العصور الوسطى، ويظهر هذا التأثير أكثر وضوحاً في اتجاه شرقي إفريقيا، وفي اتجاه مجتمعات الرعاة والرّحل في وسط وشمال شبه الجزيرة العربية، وقد لعبت التجارة في هذه الدول دوراً هاماً، حيث كانت تؤلف إحدى المحطات التجارية الكبرى بين القرن الإفريقي ومنطقة الشرق الأدنى القديم، ولا ننسى أن التجارة كانت السبب المباشر في انتقال اللغة نحو هذه المناطق. وعملية العثور على العديد من النقوش المكتوبة بالخط المُسند في الكثير من مناطق العالم القديم لخير دليل على الانتشار الواسع للغات جنوب شبه الجزيرة العربية[1].

إن وجود علاقات وطيدة بين اللغة الليبية القديمة واللغات العربية القديمة كالأكادية والمصرية القديمة والكنعانية، يجعلنا نتأكد من وجود علاقة مشابهة بين الليبية القديمة ولغات جنوب شبه الجزيرة العربية، وهو أمر طبيعي لأن جنوب شبه الجزيرة العربية ينظر إليها معظم الباحثين على اعتبارها مصدراً قوياً لهجرات قديمة ومتعاقبة قدمت إلى منطقة المغرب القديم منذ عصور ما قبل التاريخ وطيلة العصور القديمة والوسطى. وقد أكد النسابون والمؤرخون العرب المسلمون وجود هذه الصلات من خلال تأكيدهم للأصول الحميرية للكثير من القبائل الليبية القديمة بمنطقة المغرب القديم. وقد اهتممت بموضوع المقارنة بين منطقة المغرب القديم وجنوب شبه الجزيرة العربية منذ أيام الدراسة الجامعية. وفي سبيل الوصول إلى معلومات حول هذا الموضوع قمت بزيارتين علميتين إلى اليمن خلال عامي (1997) و(2001). وقد توصلت من خلال هاتين الزيارتين إلى وجود

(1) بوركهاد فوكت وكريستيان جوليان روبان، الوحدة الثقافية لبلاد اليمن (اليمن في بلاد ملكة سبأ)، معهد العالم العربي، باريس، 1999م. ص 223.

تشابه كبير بين اليمن ومنطقة المغرب القديم في الكثير من مظاهر الحياة الإجتماعية والثقافية والمعمارية، ورغم أن المعلومات التي توصلت إليها خلال هاتين الزيارتين في مجال تشابه لغات جنوب شبه الجزيرة العربية واللغة الليبية القديمة كانت محدودة، فإنها كانت ذات أهمية كبيرة لإثبات تلك الأواصر العريقة في القدم بين سكان المنطقتين، ولإثبات ذلك سنتابع بعض القواعد النحوية والمقارنات اللغوية بين اللغتين.

1 ـ تتميز اللغة السبئية وملحقاتها بأداة عبارة عن حرف النون يلحق عادة بآخر الكلمات، تسمى النون الحميرية، وهي بمثابة أداة التعريف في اللغة العربية الفصحى، والنقوش اليمنية القديمة مليئة بمثل هذه التعبيرات [عمرم/ يغنم / وأخيهو/ عبيدم/ ويسرم/ بني/ درحن/ مقتت/ دومن/ يأزم/ دغيمن/ هقنيو/ المقه/ ثهون/بعل/ أوم/ صلمن/ ذذهبن][1]. ومحتوى النص باللغة العربية الفصحى على النحو الآتي: هؤلاء هم القادة عمر يغنم وأخواه عبيد وياسر الدرحانيون من القادة التابعين للقيل دومان الغيماني، وقد تقربوا للإله المقه، تهوان، سيد اوام بصنم من البونز الذهبي. وواضح جداً أن النون التي وردت في كلمات درحن ودومن ودغيمن وذذهبن، هي كأداة للتعريف. وفي اللغة الليبية القديمة أسماء قبائل تنتهي بحروف النون وهي بمثابة (ال) التعريف مثل: إيمازيغن (الأمازيغيون) إيقلعاوين (القلعاويون) إيلالوتين (اللالوتيون) إيفرنين (اليفرنيون) وغيرهم. وواضح أن النون التي وردت في آخر هذه الأسماء، ليست النون التي تظهر في جمع المذكر السالم، بل أن وجودها هو أقرب إلى أن يكون (ال) التعريف التي كانت في

(1) مطهر علي الإرياني، نقوش مسندية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990م. ص 207، 208.

لغات جنوب شبه الجزيرة العربية، ولكنها عند انتقالها إلى منطقة المغرب القديم، هُجرت مع مرور الزمن رغم بقاءها في العديد من الكلمات[1] التي ما زالت حية حتى اليوم.

2 ـ توجد في لغات شبه الجزيرة العربية أسماء كثيرة صيغت على وزن الأفعول مثل: الأيفوع والأيزون والأوسون والأحروث والأهيون[2]. وهذه الاسماء أصيلة في جنوب شبه الجزيرة العربية. ومما لا شك فيه أن وجود صيغ مشابهة كأمقون وأزمور وأصفود وأمرود وأعروس وأرفود وأمروث وأفروخ، في منطقة المغرب القديم، وشرق إفريقيا كان نتيجة لانتقال مؤثرات ثقافية إلى تلك المناطق.

3 ـ تتشابه اللغة الليبية القديمة مع لغات جنوب شبه الجزيرة العربية في تأنيث بعض الكلمات. ونجد أمثلة كثيرة تؤيد ذلك في لغة النقوش بجنوب شبه الجزيرة العربية، فيكتبون تهامت بدل تهامة وربيعت بدل ربيعة وحبشت بدل حبشة ويمنت بدل يمن وهكذا. وفي الليبية القديمة إلى الآن يصوغون الكلمات المؤنثة بتاء مفتوحة بدل تاء مربوطة مثل تيارت وهو اسم مكان ويطوفت وتوات وهما اسما قبيلة وتاهرت وهي اسم مدينة. ويبدو واضحاً من خلال مقارنة هذه الأسماء وجود تشابه في الصورة اللفظية العامة في اللغتين.

4 ـ ومما يؤيد العلاقة الوطيدة بين اللغة الليبية القديمة ولغات جنوب شبه الجزيرة العربية، التقارب الشديد بين اللغة الليبية القديمة وما يطلق عليه اليوم اسم لغات جنوب شبه الجزيرة الحديثة مثل: اللغة المهرية واللغة الشحرية واللغة السوقطرية، ويبدو هذا التقارب واضحاً من خلال أن

---

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص 212.

(2) الهمداني، كتاب الإكليل، الجزء الثاني، ص 391، 392.

المجموعتيـن الليبيـة واليمنية قديمة قدم التاريخ وما زالت حية إلى الآن، وأن المجموعتيـن ليس لهما ثرات مكتوب في مجالات العلم المختلفة، وحتـى وإن وجـدت بعض النقوش الكتابية فلا تعـدو أن تكون لأغراض نذريـة بسـيطة. ونجد هذا التقارب بين المجموعتيـن اللغويتين من خلال التعـرف عليهمـا من قبـل الكُتَّاب العرب المسـلمين أثناء ازدهـار الدولة العربيـة الإسـلامية. لقد وصف الهمذاني لغـات الكثير من مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية بالغثم رغم أنها عربية أصيلة، وقال عن المهرة الذين يقيمون في شرق اليمن الحالية بأنهم غثم يشبهون العجم[1]. وإذا كان هذا شأن الهمذاني مع المهرة الذين ظلوا مقيمين بجنوب شبه الجزيرة العربية، ولم يخرجوا منها، ولذلك فلا غرابة أن توصف لغة سكان منطقة المغرب القديـم بالبربرة للسـبب نفسـه ففيها لكنـة وعجمة مثلها مثـل العديد من لغـات جنوب شـبه الجزيرة العربية. وكان ابن خلـدون واضحاً في تبريره بـأن التسـمية التي أطلقت على اللغـة الليبية القديمة كانت بسـبب معاني لغويـة فقـط «ولغتهم مـن الرطانة والأعجميـة متميزة بنوعهـا، وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم»[2]. ومؤكد بأن الهمذاني لم يوصف المهرة بالغثم والأعجمية لأنهم ليسـوا عرباً، بل لأن لغتهم غير مفهومة لديه في ذلك الوقت. وعليه فإن الكُتَّاب العرب المسـلمين لم يصفوا لغة سـكان منطقـة المغرب القديم بالبربرة والعجمة لأن هؤلاء السـكان لا ينتسـبون إلـى العرب، ولكن القصد اختلاف اللغة فقط. وواضح من خلال إجماع وصف الكُتَّاب العرب المسـلمين للمهرة، وسكان منطقة المغرب القديم بالغثم والبربرة دليل على وجود شـيء من التشابه بين المجموعتين. وفي هذا السياق يروي سكان المهرة في الوقت الحاضر أن مجموعات سكانية

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 284.

(2) ابن خلدون، كتاب العبر، جزء 6، ص 176.

كثيرة خرجت من مناطق المهرة منذ القدم نحو منطقة المغرب القديم، واستقروا هناك. وبالفعل رغم اختلاف المجموعتين اللغويتين في شكلهما العام، فإننا استطعنا من خلال مقابلة بعض السكان السقطريين والمهرة، التعرف على وجود بعض التشارك في بعض القواعد اللغوية، وبعض المفردات، ففي مجال القواعد النحوية تستعمل لغات جنوب شبه الجزيرة العربية قديماً، وسكان المهرة في العصر الحديث، للتمييز بين المذكر والمؤنت التاء في آخر الكلمة، وهي الميزة الغالبة للغة الليبية القديمة، أما فيما يخص تشابه المفردات اللغوية بين المنطقتين، فاستطعنا التعرف على بعض هذه المفردات من خلال مقابلات مع بعض الأشخاص لفترة وجيزة، توصلنا إلى تشابه تام في بعض المفردات. فكلمة يكّس تعني في الشحرية وجد أو أخذ، وكلمة يكّس نفسها في اللغة الليبية القديمة تعني أخذ أو انتزع، وكلمة سكف تعني في الشحرية شرب، وكلمة سكف نفسها تعني في اللغة الليبة القديمة رشف، وهي من مرادفات كلمة سوا (شرب). ومن خلال هذه المقارنات المحدودة العدد، بسبب عدم توفر الوقت اللازم لعمل دراسة متكاملة، نتوصل إلى وجود تشارك لغوي بين الذين خرجوا من شبه الجزيرة العربية، والذين ظلوا بها، وهو ما يؤكد الأصل المشترك للمجموعتين اللتين تتواجد إحداها في جنوب شبه الجزيرة العربية، والأخرى بمنطقة المغرب القديم.

5 ـ وأخيراً مما يؤيد وجود علاقة وطيدة بين اللغة الليبية القديمة ولغات جنوب شبه الجزيرة العربية، اقتباس الأبجدية الليبية الكثير من حروفها من خلال أبجدية لغات شبه الجزيرة العربية، ولقد كان ذلك يتم أحياناً باقتباس الحرف بشكله وقيمته الصوتية، مثل: حروف التاء والشين والجيم والسين، وهي طبق الأصل في اللغتين، وأحياناً أخرى يتم الاقتباس بإعطاء الحرف قيمة صوتية مخالفة للحرف المُقتبس، مثل:

حرف البـاء الذي أخذ شـكل حرف العيـن، وحرف الـدال الذي أخذ شكل الباء، وحرف الحاء الذي أخذ شكل الهاء[1].

و ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة الآرامية:

اللغـة الآراميـة هي إحـدى اللغـات العربيـة القديمة، التـي اصطلح على تسـميتها بالسـامية، ومن حيـث المصطلحـات اللغوية، هي قريبة مـن اللغتين الكنعانية والعبرية، ولكنها أكثر قرباً للغة العربية الفصحى، حيث تشـترك معها في مصطلحات لغوية وألفاظ مشتركة، ويرى البعض بأن اللغة العربية الفصحى ورثت نفس الحروف الصوتية، التي تستعملها اللغة الآرامية[2]، لقد كانت اللغة الآرامية منتشـرة انتشـاراً واسـعاً في كافة أقاليم المنطقة العربية في غرب آسيا وفي مصر، حيث استخدمت لغة رسمية من قبل الأشوريين والبابليين والفرس وسكان منطقة وادي النيل، ممهدة في ذلك إلى انتشار اللغة العربية. لا يجوز لنا أن نعزي انتشـار اللغة الآرامية إلى اعتماد الدولة الفارسـية لها لغة رسـمية فـي إمبراطوريتهـا المتراميـة الأطراف، بل فـي المقام الأول إلـى أنها فرع من اللغـات العربيـة القديمة الأخـرى. والجدير بالذكـر أن اعتماد الـدول الغازية للمنطقـة العربيـة لغـات غير عربية لا تـدوم فقط إلا مع فترة الاسـتعمار. فقد اعتمـد الإسـكندر المقدونـي عند غزوه للشـرق اللغـة الإغريقية لغة رسـمية، ولكنهـا زالـت بـزوال إمبراطوريتـه. وقـد اندثرت اللغـة اللاتينية أيضـاً بزوال الهيمنة الرومانية، سواء في غرب المنطقة العربية أو في شرقها[3].

---

(1) يوسف محمد، خط المُسند والنقوش اليمنية القديمة دراسة لكتابة يمنية قديمة منقوشة على الخشـب، النقائش والكتابـات القديمة في الوطن العربي، المنظمـة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988م. ص102. وكذا: Abdelaziz Ferrah, L'Amazigh Ecrire. P.64.

(2) أ. دوبون سـومر، الآراميون (ترجمة ناظم الجندي)، دار أماني للطباعة والنشـر والتوزيع، طرطوس، 1988م. ص 131.

(3) نفس المرجع السابق، ص 11، 12.

ومما لا شك فيه أن اللغة الليبية القديمة قد اقتبست من اللغة الآرامية العديد من حروف أبجديتها، فمثلاً نجد الحروف التاء والدال والشين والكاف والياء تتشابه في اللغتين الليبية القديمة والآرامية[1]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الأصل المشترك الذي انفصلت منه اللغتان في العهود القديمة وهي اللغة العربية الأم.

ز ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة ولغات شمال شبه الجزيرة العربية:

من بين اللغات العربية القديمة بشمال شبه الجزيرة العربية، التي عثر لها على نقوش كثيرة الثمودية واللحيانية والصفوية والنبطية. لقد كتبت اللغات الثلاث الأولى بالخط المسند، في حين كتبت اللغة الرابعة بالخط الآرامي، لقد ورد ذكر الثموديين في **القرآن الكريم** مراراً، وكانوا ينزلون بمدائن صالح وما حولها، وقد ورد ذكرهم لدى الأشوريين والإغريق والرومان، ووجدت لهم نقوش موزعة في مناطق عديدة خارج موطنهم الأصلي، حيث عثر عليها في الطائف وطور سيناء ووادي الحمامات بمصر. أما عن اللحيانيين فالمؤرخون مختلفون في أصلهم، فيرى البعض أنهم فرع من ثمود، ويرى البعض الآخر أنهم من جنوب شبه الجزيرة العربية. وقد كانت العلا (دادان)، التي تقع في وادي القرى، على بعد حوالي (15) كيلومتر إلى الجنوب من مدائن صالح، ولقد عثر في العلا على مئات من النقوش اللحيانية، غير أن الكثرة المطلقة من هذه النقوش عبارة عن مخربشات صغيرة، وبعضها عبارة عن أجزاء صغيرة من نقوش وُجدت في غير أماكنها الأصلية. أما الصفويون فينتسبون إلى جبل الصفاة بشرق حوران ببادية الشام، وقد عثر على النقوش الصفوية في مواقع متفرقة في جنوب دمشق والصالحية على الفرات. أما دولة الأنباط فقد امتدت ما بين فلسطين

---

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص 214.

شمالاً، إلى شمال الحجاز جنوباً، ومن بادية الشام شرقاً إلى شبه جزيرة سيناء غرباً، ودولة الأنباط دولة عربية لم يرد ذكرها في الكتابات العربية الإسلامية، وانما عرفنا أخبارها عن طريق الإغريق والرومان، وعن طريق ما اكتشفه علماء الآثار من معالم أثرية. ومدينة البتراء هي عاصمة دولة الأنباط، وهي تقع في الشمال الشرقي من خليج العقبة بوادي موسى، الذي يبدأ من جنوب البحر الميت وينتهي عند خليج العقبة، ومن خلال العثور على مجموعة كثيرة من النقوش موزعة على مناطق كثيرة متفرقة، تعرفنا على المناطق التي سيطر عليها الأنباط كالحجر ووادي موسى وتيماء وسيناء وحوران وبصرى ودمشق.

ومما يؤيد وجود علاقة وطيدة بين اللغة الليبية القديمة ولغات شمال شبه الجزيرة العربية، اقتباس الأبجدية الليبية الكثير من حروفها من خلال أبجدية اللغات الثمودية واللحيانية والصفوية والنبطية، فمثلاً نجد حرفيّ الكاف والسين يتشابهان في اللغتين الليبية القديمة ولغة النقوش النبطية، ونجد حروف السين والشين والتاء والطاء تتشابه أيضاً في اللغتين الليبية القديمة ولغة النقوش الصفوية، ونجد نفس الحروف السابقة تتشابه أيضاً في اللغة الليبية القديمة ولغة النقوش اللحيانية، ونجد حروف التاء والشين والطاء تتشابه أيضاً في اللغة الليبية القديمة ولغة النقوش الثمودية[1].

ح - العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغتين الإغريقية واللاتينية:

يرى البعض بأن العلاقة بين الإغريق ومناطق الشرق الأدنى القديم وشمال إفريقيا تبدأ مع العصر العباسي، الذي شهد نهضة علمية عظيمة كان أحد جوانبها النقل والترجمة للأعمال الإغريقية القديمة إلى اللغة العربية.

---

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص214.

ولكن هذا غير صحيح، لأن العلاقة بين المنطقتين أبعد من ذلك العصر بعشرات القرون، وقد تحدث الكثير من كُتَّاب المسرح والفلاسفة والمؤرخين اليونان عن التأثيرات الكثيرة التي كانت من جانب المراكز الحضارية العربية القديمة نحو بلاد الإغريق وليس العكس. وقد ذكر هؤلاء المفكرون بشكل متكرر أن المصريين القدماء والكنعانيين وفدوا إلى بلاد الإغريق وعلّموا أهلها الحروف الأبجدية والفنون المختلفة كالعمارة والنحت والتصوير، والكثير من الفنون التطبيقية، بالإضافة إلى الهندسة والطب والرياضيات والدين. وكما يقول أحد المؤرخين المحدثين ـ وهو محق في رأيه ـ بأن العلم اليوناني مرتبط بالشرق حضارياً ارتباط الأبناء بالآباء. فقد يختلف الابن بصفاته وروحه، ولكن لا بد لهذا الابن بأن يحتفظ بالكثير من صفات الأب[1]. ولذلك فمن الخطإ أن يتخذ بعض الكُتَّاب الغربيين من الاستعمار الإغريقي لمنطقة الجبل الأخضر بليبيا ذريعة لإثبات وجود تأثيرت للغة الإغريقة على اللغة الليبية القديمة[2]. وهذا الأمر غير معقول لسببين اثنين: الأول لم تكن ليبيا في العصور القديمة يقصد بها المنطقة التي احتلها الإغريق وكونوا عليها مدنهم الخمس فقط، بل يقصد بها كل المنطقة الممتدة من غرب مجرى وادي النيل، وحتى المحيط الأطلسي، وبالتالي فاللغة الليبية القديمة لم تكن مقتصرة على منطقة الجبل الأخضر، حيث يوجد الإغريق، بل إن مركزها الأساسي كان مملكة نوميديا (تونس والجزائر الحاليتين). هذا من جهة، ومن جهة أخرى نعلم أن الكنعانيين لم يتركوا مجالاً للإغريق لأي تحرك نحو الغرب، بل ظلوا محصورين في منطقة

---

(1) محمد علي عيسى، الغزاة والمراكز الحضارية العربية القديمة، مجلة آثار العرب العدد الأول، مصلحة الآثار، طرابلس، 1990م. ص66 - 70.

(2) عبدالعزيز سعيد الصويعي، أصول الحرف الليبي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1999م. ص358.

مدنهم الخمس دون غيرها من المواقع على منطقة المغرب القديم. أما الثاني فيتمثل في أن اللغة الليبية القديمة ذات أصل شرقي ومنه الأصل الكنعاني ولا صلة لها بالإغريق من قريب أو من بعيد، بل إن الإغريق أنفسهم اقتبسوا من الكنعانيين معظم حروفهم الهجائية، ولم يضيفوا إلى أبجديتهم سوى بعض الحروف التي تمثل بعض الأصوات في لغتهم.

أما فيما يخص العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة اللاتينية، فقد حاول بعض الباحثين الغربيين، خاصة الفرنسيين منهم إيجاد هذه العلاقة لإثبات فرضيتهم حول الأصل الأوروبي لسكان منطقة المغرب القديم. ولكن مجهوداتهم هذه باءت بالفشل، سواء من خلال محاولتهم إيجاد صلة بين اللغة الليبية القديمة ولغة الباسك، أو من خلال إيجاد علاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة الأتروسكية. لقد كان سكان منطقة المغرب القديم قبل الاحتلال الروماني يستعملون في تعاملاتهم المختلفة اللغتين الليبية القديمة والكنعانية، حيث كان سكان الريف يتحدثون اللغة الليبية القديمة، بينما يستعمل سكان المدن اللغة الكنعانية، التي استمر تداولها بين السكان حتى أثناء الاحتلال الروماني[1]. وفور وصول الغزاة الرومان إلى المنطقة، سعوا بكل جهد إلى نشر اللغة اللاتينية بين السكان. وفي هذا الإطار يشير القديس (أوغسطين)، بأن الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب، لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها السياسية فحسب، بل لغتها أيضاً[2]. وهذا الأمر أدى ببعض الإقطاعيين والتجار الليبيين الموالين للرومان إلى

(1) عبدالحفيظ الميار، ظاهرة النقوش الفينيقية الجديدة ـ اللاتينية في إقليم طرابلس، المؤتمر الثالث عشر للآثار حول النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1997م. ص 351.

(2) Charles Andre Julien, Histoire de l Afrique du Nord des Origines a la Conquete Arabe, T. 1, Payot, Paris, 1986. P.180.

تعلـم اللغة اللاتينية المفروضة فرضاً في المحاكم والمجالس البلدية، ولكن رغم كل ذلك بقي معظم السكان يتخاطبون فيما بينهم باللغة الليبية القديمة، واللغة البونيقية (القرطاجية). ومما لا شـك فيه أن الأرياف ظلت طوال فترة الاستعمار الروماني تجهل جهلاً تاماً اللغة اللاتينية[1]. ولكن مع هذا فقد أثر الرومان في سكان المغرب القديم من الناحية العسكرية، حيث كان الجيش الرومانـي يضم بين صفوفه أعداداً كبيرة من المجندين الليبيين الذين وصلوا مراتب عالية في الجيش الروماني، وقد كان المغاربة يكونون أغلبية لا بأس بها في هذا الجيش سـواء كانوا مرتزقة أو مجندين بالقوة أو طواعية[2]. وقد أدى هـذا الأمـر إلى انتشـار اللغـة اللاتينية بيـن طبقات كثيرة مـن المجتمع المغربـي القديـم، بما في ذلك الريف، وقد أدى هذا بالتالي إلى انتشـار لغة النقوش النذرية. لقد أطلق (ر. ج. جودتشايلد) على النقوش المتناثرة بمنطقة المدن الثلاث (لبدة وأويا وصبراتة) النقوش اللاتينية ـ الليبية. وقد أشار إلى أن هذه النقوش تضم عناصر لاتينية وبونية (كنعانية) وليبية قديمة، وتستخدم في هذه النقوش الحروف اللاتينية بالإضافة إلى حروف أخرى[3] ربما تكون ليبيـة وكنعانيـة، ولذلـك يعتقـد البعض مـن الباحثيـن بأن هـذه النقوش من مخلفات الليبيين ـ الفينيقيين[4] أو ربما تخص الليبيين الذين اشـتغلوا ضمن الحاميات الرومانية العاملة على مناطق الحدود[5]. واستناداً إلى هذه النقوش

---

(1) نفس المرجع السابق، ص 180.

(2) عبدالكريم غلاب، قراءة في تاريخ المغرب العربي، ص 196.

(3) ر. ج. جودتشـايلد، دراسـات ليبية (تعريب: عبدالحفيظ الميـار وأحمد اليازوري)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999م. ص ص 113، 114، 118.

(4) المرجع نفسه، ص 126.

(5) عبدالحفيظ الميار، ظاهرة النقوش الفينيقية الجديدة ـ اللاتينية في إقليم طرابلس، المؤتمر الثالث عشـر للآثار حول النقائش والرسـوم الصخرية في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1997م. ص 356، 360.

التي اعتقد البعض بأنها نقوش ليبية كُتبت بحروف لاتينية، استنتجوا أن اللغة الليبية القديمة تأثرت باللغة اللاتينية، ولكن هذا غير صحيح، ولو حدث مثل هذا التأثير فسيكون تأثر اللغة اللاتينية باللغة الليبية القديمة.

ط ـ العلاقة بين اللغة الليبية القديمة واللغة العربية الفصحى:

تشترك كما سبقت الإشارة اللغات المصرية القديمة (الهيروغليفية) والسامية الأم والليبية القديمة والكوشية والتشادية في اصطلاح يعرف باسم المجموعة الحامية ـ السامية أو المجموعة الأفرو آسيوية. وقد ثبت من خلال الدراسات المختلفة أن اللغة العربية الفصحى، هي أقرب اللغات السامية إلى الخصائص الصوتية والمعجمية لما يطلق عليه اسم السامية الأم[1]. وتحتوي معظم ما يعرف باللغات السامية على حروف الحلق، خاصة حرفي الحاء والغين، ويؤكد المختصون بأن اللغة العربية الفصحى هي أقرب هذه اللغات في نطق الهمزة والعين والغين والخاء والهاء، وهي ما زالت تحتفظ بها رغم اختفاء هذه الحروف في اللغات العربية القديمة الأخرى. إن احتفاظ اللغة العربية الفصحى بهذه الحروف، هي عملية موروثة عن اللغة العربية القديمة الأم، وهذه الحروف الحلقية تتناقص في الكثير من اللغات الأخرى التي انفصلت عن اللغة العربية الأم، مثل العبرية التي استخدمت حرفاً حلقياً واحداً وهو الحاء للدلالة على صوتين في العبرية وهما الحاء والخاء، في حين احتفظت الآكادية بحرفين فقط وهما الهمزة والخاء[2]. وعلى العكس من ذلك تحتفظ اللغة الليبية القديمة بمعظم

(1) محمد المدلاوي، مبادي المقارنة الحامية ـ السامية على ضوء مفهوم الفصائل الصوتية الطبيعية، مجلة كلية الآداب، وجدة، جزء 1، 1990م. ص53 - 56.

(2) محمد خليفة حسن أحمد، رؤية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م. ص145.

الحروف الحلقية كالحاء والخاء والعين والغاء، وهي في هذا تتشابه مع اللغة الفصحى، وهو دليل على مدى قربهما من اللغة العربية الأم. وتحتفظ اللغة العربية الفصحى أيضاً بحروف التفخيم والإطباق وهي الطاء والصاد والقاف والظاء والضاد. وهذه الحروف شائعة في معظم اللغات العربية القديمة، وهو دليل على أنها كانت تختص بها ما يعرف باللغة السامية الأم دون غيرها من لغات العالم. والدليل الواضح على القرابة الوثقى بين اللغة الليبية القديمة واللغة العربية الفصحى اشتراك هاتين اللغتين وحدهما دون غيرهما من اللغات العربية القديمة الأخرى في امتيازهما بحرف الضاد[1]، الذي كان في السابق تنعت به اللغة العربية الفصحى فقط. ويرى البعض بأن التشابه الكبير بين أعداد كثيرة من الكلمات الليبية القديمة مع كلمات أخرى في اللغة العربية الفصحى، لم يكن بسبب الأصل القديم المشترك، بل كان نتاج حدث جاء بعد الفتح العربي الإسلامي، ويبدو هذا الكلام منطقياً للوهلة الأولى لو أن هذا التشابه هو الدليل الوحيد على تلك العلاقات الوطيدة، ولكن ماذا يقول هؤلاء عندما تحدث المقارنات بين اللغة الليبية القديمة واللغة العربية الفصحى من خلال النقوش الكتابية، التي تعود إلى ما قبل الإسلام، والتي عثر عليها في العديد من مناطق المغرب القديم؟ لقد عثر العلماء على المئات من هذه النقوش، التي أُطلق عليها اسم النقوش الليبية، والتي تحتوي على كلمات ذات أُصول عربية قديمة تسبق وصول العرب المسلمين إلى المنطقة بعشرات القرون[2]. وقد كانت بعض هذه النقوش بالأبجدية الليبية القديمة فقط، ولكن البعض الآخر كان يحمل نصين مختلفين إما بالأبجدية الليبية والقرطاجية (البونيقية)، أو بالأبجدية الليبية واللاتينية، ويعتبر البعض أن اللغة الليبية القديمة شقيقة

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص168، 169.
(2) علي فهمي خشيم، سفر العرب الأمازيغ، ص4-1. وكذا: عثمان سعدي، البربر الأمازيغ، ص109.

للغة العربية الفصحى، لأن هاتين اللغتين تلتقيان في تشابه المفردات والتراكيب اللغوية، والقواعد النحوية والصرفية والاشتقاقية[1]. ومع هذا لا نستطيع القول إن اللغتين متطابقتان في كل شيء، وإلا لأصبحتا لغة واحدة. ولكن الصحيح أن اللغتين نبعتا من مصدر واحد نستطيع تسميته باللغة العربية الأم[2]، وهي التي جمعت الشقيقتين بالإضافة إلى بقية الأخوات كالآكادية والمصرية القديمة والبابلية والآشورية والكنعانية ولغات جنوب شبه الجزيرة العربية.

ومن الأدلة التي تثبت أن اللغة الليبية القديمة واللغة العربية الفصحى أخذت قواعدها النحوية من لغة عربية سابقة حالة التأنيث، التي يكون عليها الفعل الماضي والمضارع مع المفردة الغائبة، حيث تؤنث هاتان الحالتان بإضافة التاء للمفرد الغائب، فنقول في العربية سكت للمذكر وسكتت للمؤنث، ويسكت للمذكر وتسكت للمؤنث، وكذلك في اللغة الليبية القديمة نقول يسُوسَم (سكت) للمذكر وتسُوسَم (سكتت) للمؤنث، يسوسُوم (يسكت) للمذكر وتسُوسُوم (تسكت) للمؤنث. ويبدو واضحاً من خلال هذه الحالات أن الفعل سواء كان ماضياً أو مضارعاً، عندما تضاف إلى آخره التاء يتحول إلى حالة المؤنث، لأن التاء المضافة إلى الفعل تدل على علامة التأنيث. وفي هذا الصدد يوجد بين الباحثين من يرى بأن التاء ضمير مفرد مؤنث للغائبة، والياء ضمير مفرد مذكر للغائب، وفي هذا إقرار كما يرى بعض الباحثين بأن التاء للتأنيث والياء للتذكير[3]، وهو ما يشير إلى قرابة بين اللغات العربية القديمة عامة، وعلى وجه الخصوص إلى قرابة بين اللغتين الليبية القديمة والعربية الفصحى.

---

(1) عثمان سعدي، البربر الأمازيغ، ص95.
(2) علي فهمي خشيم، سفر العرب، ص1 – 54.
(3) محمد المختار العرباوي، البربر، ص201.

ومن الوسائل المستعملة في اللغات العربية القديمة بما في ذلك اللغة الليبية القديمة، واللغة العربية الفصحى التأنيث، وهي عملية التمييز بين المذكر والمؤنث باستعمال التاء أو الثاء، والجدير بالذكر أن تحويل المذكر إلى المؤنث يتم في اللغة العربية الفصحى بإضافة تاء مربوطة إلى آخر الكلمة المذكرة فتصبح مؤنثة. ولذلك عند تحويل الكلمات قط وشاب وذئب وفتى إلى مؤنث نضيف تاء مربوطة إلى آخرها، فتصبح قطة وشابة وذئبة وفتاة. وتستعمل اللغة الليبية القديمة، وبعض اللغات العربية القديمة الأخرى، نفس الطريقة للتأنيث، ولكن بإضافة تاء مفتوحة إلى آخر الكلمة. فكلمة أمنيش (قط) مؤنثها تامنيشت وكلمة بوشيل (فتى) مؤنثها تبوشيلت (فتاة) وكلمة أُوشن (ذئب) مؤنثها توشنت (ذئبة) وهكذا. واللافت للنظر أن اللغة الليبية القديمة تتشابه في تأنيث بعض الكلمات في اللغات العربية القديمة، حيث يتم إضافة تاء مفتوحة للكلمة المفردة لتصبح مؤنثة. ونجد مثالاً على ذلك كلمات كثيرة في لغات جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة، مثل كلمات تهامت وربيعت وحبشت وكندت ويمنت، وهي نفس الطريقة في عملية التأنيث التي تتبع في اللغة الليبية القديمة. والغريب في الأمر أن عملية التأنيث بإضافة حرف التاء إلى آخر الكلمة ما زالت موجودة حتى الآن في المهرة باليمن، ومن خلال كلمات أخذتها بناء على مقابلات بسيطة مع بعض سكان المهرة وضحت لنا عملية التأنيث بإضافة تاء مفتوحة في نهاية الكلمة، ورغم أن الكلمات التي أوردتها هنا ذات أصل عربي فصيح فإنها وضحت لنا هذه القاعدة الموجودة لدى المهرة منذ أقدم العصور حتى الآن، فكلمة خيمة تتحول عند المهرة إلى خيمت وكلمة لحية تتحول عند المهرة إلى لحيت وكلمة نخلة تتحول عند المهرة إلى نخلت، ونجد الأمر نفسه لو طلبنا اليوم من أحد سكان المغرب العربي الناطقين باللغة الليبية القديمة تحويل نفس الكلمات السابقة إلى الليبية القديمة، لحولها

حرفياً كما حولها سكان المهرة، ماذا يعني هذا؟ هل أخذ المهرة هذه الطريقة في التأنيث من الليبيين القدماء أم العكس هو الصحيح؟ بالطبع ليس هذا وليس ذاك، لأن هذه الطريقة من التأنيث قديمة قدم التاريخ، وهي في الأصل موجودة في كل اللغات العربية القديمة، ومعروف أن لغة المهرة واللغة الليبية القديمة من اللغات القديمة التي انحدرت من لغة عربية أُم، وقد حافظت اللغتان على أصالتهما منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر، ولم يقتصر وجود طريقة التأنيث بالتاء المفتوحة في اللغة الليبية القديمة، وفي لغات جنوب شبه الجزيرة العربية فقط، بل إنها موجودة حتى في الرسم القرآني، حيث جاءت بعض الكلمات بالتاء المفتوحة مع أنها مربوطة مثل: كلمتي امرأة ورحمة كما نجد في الآيات القرآنية الآتية:

﴿۞وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1]. ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[2]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4]، ونجد في الكتابات البردية التي كتبت باللغة العربية الفصحى في بداية الفتح العربي الإسلامي، كلمات عربية مؤنثة كان من المفروض أن تكتب بتاء مربوطة ولكنها كتبت بتاء مفتوحة، مثل كلمة سنة كتبت على شكل سنت وكلمة امرأة كتبت على

---

(1) سورة يوسف آية 30.

(2) سورة التحريم آية 10.

(3) سورة البقرة آية 218.

(4) سورة الأعراف آية 56.

شكل امرات وكلمة ابنة كتبت على شكل ابنت وكلمة المسماة كتبت على شكل المسمات، وهذا الأمر يدل على الترابط اللغوي بين اللغة الليبية القديمة والواقع اللغوي القديم للمنطقة العربية بكاملها[1].

تمتاز اللغة العربية الفصحى بظاهرة كثرة جموع المذكر السالم وجموع التكسير، وهذه الخاصية تعد من مميزات اللغات العربية القديمة كافة، ومن خلال دراسة اللغة الليبية القديمة، بما في ذلك اللهجات الحديثة اتضح أنها تمتاز هي الأخرى بمعظم هذه الجموع، ويعتبر جمع المذكر السالم في اللغة العربية الفصحى جمعاً قياسياً له صيغتان، حيث تنتهي بالواو والنون في حالة الرفع، وبالياء والنون في حالتي النصب والجر، ويكون أساساً للعاقل، ويمكن أن نلاحظ في اللغة الليبية القديمة هذه الطريقة من الجمع ولكنها لم تكن متطورة كما هي في اللغة العربية الفصحى، ولا تزال اللغة الليبية القديمة تحتفظ بها رغم قدمها، ونجد أمثلة كثيرة في هذه اللغة تأخذ نفس الطريقة السابقة فكلمة إيخف (رأس) يجمع إيخفاون، وكلمة تالغمت (ناقة) تجمع تيلغمين، ونجد في اللغة العربية الفصحى بقايا من هذه الظاهرة، حيث جمعت بعض الكلمات بطريقة جمع المذكر السالم، وأحياناً جمع تكسير، وغالبية هذه الكلمات لغير العاقل مثل: أهل تجمع أهلون وأهلين واهال، وعالم تجمع عالمين وعالمون وعوالم، وأرض تجمع أرضون وأرضين وآراض، وسنة تجمع سنون وسنين وسنوات، ويعتبر جمع التكسير من أكثر الجموع أصالة في اللغة العربية الفصحى، وقد وضحت الدراسات اللغوية أن صيغة المفرد في هذه اللغة تتحول إلى أكثر من أربعين صيغة جمع مختلفة. وفي اللغة الليبية القديمة نجد هذا الجمع يفوق في كثرته اللغة العربية الفصحى لكونه الجمع الأساسي، ويلاحظ أن جمع التكسير في

(1) محمد المختار العرباوي، البربر، ص194.

اللغة الليبية القديمة جرى على نفس النمط الذي جرى عليه في اللغة العربية الفصحى فيما بعد، حيث يتم أحياناً بتغيير الحركات، وأحياناً أخرى بتغيير الحركات مع زيادة حرف أو أكثر، أو بتغيير الحركات مع إنقاص حرف أو أكثر أو بتغيير الحركات مع الحذف والزيادة، وتتشابه اللغة الليبية القديمة مع اللغة العربية الفصحى في جموع الكثرة، التي تنتهي بألف ونون، فنجد في اللغة العربية الفصحى بعض الأسماء تجمع على هذه الطريقة فغلام يجمع غلمان وجرد يجمع جردان وحوت يجمع حيتان وتاج يجمع تيجان، واللغة الليبية القديمة ما زالت إلى الآن تتبع نفس الطريقة من الجمع فكلمة ألغم (جمل) يجمع إلغمان، وكلمة إيزي (ذبابة) تجمع إيزان، وكلمة إيتري (نجم) يجمع إيتران، وكلمة آس (يوم) يجمع أُسان، ويبدو واضحاً أن جموع التكسير في اللغة الليبية القديمة من أقدم الجموع التي عرفتها اللغات العربية القديمة، وهو في الأساس جمع غير قياسي يتماشى وجوده مع طبيعة الفترة الأولى لتكون اللغة وما فيها من اضطراب وتداخل في الظواهر اللغوية. وقد ورثت اللغة العربية الفصحى أشياء من هذه الصيغ، التي سبقتها إليها اللغة الليبية القديمة منذ زمن بعيد[1]. لقد اتضح مما سبق الصلة الوثقى بين اللغة الليبية القديمة واللغات العربية القديمة، التي انفصلت عن اللغة العربية الأم. ونظراً لأن اللغة العربية الفصحى كانت أقرب اللغات العربية القديمة التي أخذت عن اللغة العربية الأم، لذلك كانت أيضاً أكثر قرباً للغة الليبية القديمة نظراً لعراقة هذه اللغة الأخيرة، بالإضافة إلى أنها نهلت هي الأُخرى مباشرة من تلك اللغة العربية الأم.

لم تشمل تلك الصلة بين اللغة الليبية القديمة واللغة العربية الفصحى في اشتراك اللغتين في التراكيب اللغوية والقواعد النحوية والطريقة

(1) المرجع نفسه، ص190.

الاشتقاقية فقط، بل شملت بالإضافة إلى ذلك المفردات اللغوية التي كانت كثيرة لا يمكن حصرها[1]. إن المقارنة بين الكلمات في اللغة الليبية القديمة وبين الكلمات العربية القديمة غير المتداولة والمدفونة في أمهات الكتب، تعتبر ذات قيمة أساسية في موضوعنا، لأنه من خلال هذه المقارنات نستطيع إثبات أن اللغة الليبية القديمة لها علاقة متينة باللغة العربية الأم، وبالتالي باللغة العربية الفصحى، وأعرض هنا بعض الكلمات باللغة الليبية القديمة، وما يقابلها باللغة العربية الفصحى، نقلتها من خلال مقال محمد شفيق تحت عنوان **علاقات الأمازيغية بالعربية في جذورها الكبرى**، ومن خلال ما أورده علي فهمي خشيم في كتابه **القيّم سفر العرب الأمازيغ**، ومن خلال بعض المفردات التي أوردها عثمان سعدي في كتابه **البربر الأمازيغ عرب عاربة**، ومن خلال ما أورده محمد المختار العرباوي في كتابه البربر عرب قدامى، ومن خلال بعض الإضافات التي قمت بها من خلال هذه الدراسة[2]. وسوف أسعى بكل جهد على أن تكون هذه المفردات المختارة أصيلة في اللغة الليبية القديمة، ولا صلة لها بالكلمات التي جاءت عن طريق الاحتكاك باللغة العربية الفصحى بعد الفتح العربي الإسلامي، مع التطور الحضاري الذي حل بالمنطقة على يد العرب المسلمين، بل كلمات وُلدت مع بدايات اللغة، عندما كانت أصلاً في شبه الجزيرة العربية، ونحن هنا نبحث عن الكلمات الليبية القديمة، التي ترجع إلى الجذور الأولى للعربية الأم، والجدير بالذكر أن المفردات التي دخلت اللغة الليبية القديمة من خلال احتكاكها باللغة العربية الفصحى بعد الفتح العربي الإسلامي لا حصر لها، وتكاد

(1) عثمان سعدي، البربر الأمازيغ، ص95.
(2) علي فهمي خشيم، سفر العرب الأمازيغ، ص1 / 41 ـ 1 / 53. وكذا: عثمان سعدي، البربر الأمازيغ، ص95 - 109. وكذا: محمد المختار العرباوي، البربر، ص179 - 184.

تصل الكلمات التي أُخذت من اللغة العربية الفصحى والعربية الدارجة المستعملة في الوقت الحاضر في اللغة الليبية القديمة، إلى أكثر من خمسين بالمائة[1].

- يطس (نام) طس الشيء في الماء إذا غطسه، والنوم فيه معنى الغطس في اللاوعي.
- يرول (هرب): وكلمة هرول العربية قريبة جداً من كلمة إروال الليبية القديمة.
- يكّر (قام) وكر الظبي: وثب.
- يدجال (حلف) من جل جلاله، والحلف عادة يكون بالله.
- يسغى (اشترى): سوغ الشيء جعله مباحاً حلالاً، تملك الشيء.
- ألغم (الجمل): اللغام: زبد أفواه الإبل.
- إغيد (الجدي): الغيدان من الشباب أوله.
- يكّس (ينزع أو خلع): وكس الشيء: نقّصه فلاناً: وبخه، وكس ماله أنقصه.
- تامطوت (المرأة) أصلها عربي ومعناها الكائن الذي يحيض. والطمث في العربية معناها الحيض. ويقال في العربية: المرأة الطامث.
- أرقاز (الرجل) وهي عربية معناها ركز شيئاً في شيء، أقره وأثبته، والرجل هو ركيزة البيت.
- أمان (الماء) ومان = الماء في لغة قبيلة شمر بشبه الجزيرة العربية، وهي عربية واضحة.

(1) عثمان سعدي، البربر الأمازيغ، ص108.

- إيفير (طار) جاءت من العربية أفر يفر وفر يفر. وهي تعني الطيران أو العدو والوثب استعداداً للطيران.
- إيفسّر (نشر الشيء ضد طواه) جاءت من العربية فسّر وأوضح.
- أنزار (المطر) وفي العربية النصرة = المطرة التامة، نصر الغيث الأرض= سقاها، ونجد الكثير من الكلمات تنقلب فيها الصاد زاياً مثل رصين: رزين.
- أملال (الأبيض) المؤلل الناصع اللون، مؤلل الوجه حسنه.
- يُزُوم أُزوم (صام الصيام) في هذه الكلمة انقلبت الصاد زاياً، وأيضاً في العربية الأزم الحمية والإمساك عن الطعام.
- أوال (الكلام) وهو التأويل، ومن المعروف أن المصدر في فعّل (بتضعيف العين) كثيراً ما يقوم مقامه اسم المصدر: سلام في سلّم، وكلام في كلّم، وطلاق في طلّق، وزواج في زوّج، وواوال في أوّل.
- أُودم (الوجه من الإنسان ومن كل شيء) وفي العربية الأديم وجه الشيء. وهو مدلول موحد في اللغتين، إلا أنه أكثر تعميماً في اللغة الليبية القديمة.
- إيلس (اللسان). وواضح القرابة بين إيلس جمعها إيلساون واللسان.
- إيخف (الرأس) وقريبة من هذه الكلمة، كلمة عربية أخرى وهي اليافوخ وهو الرأس أيضاً، والذي يبدأ من ملتقى عظم مقدم الرأس إلى مؤخره.
- إيدامن (الدم). ويمّت وتمّت (مات وماتت)، والكلمتان عريقتان في عروبتهما، وترجعان إلى بداية ظهور اللغة العربية الأم في شبه الجزيرة العربية، وتصادفنا هاتان الكلمتان طبق الأصل في اللغات العربية القديمة الأخرى كالآكادية والمصرية القديمة.

هل اللغة الليبية القديمة لغة عربية قديمة؟

رغم أن اللغة الليبية القديمة قريبة الصلة باللغة العربية الفصحى، فإنه عند تعسر مكافأة هذه اللغة باللغة العربية الفصحى، نجد هذه المكافأة واضحة تمام الوضوح مع اللغات العربية القديمة الأخرى كالأكادية والمصرية القديمة والكنعانية والسبئية، وذلك من خلال ما خلَّفته لنا هذه اللغات من نقوش وألواح طينية مكتوبة، وهو ما يؤكد على الصلة الموغلة في القدم بين مشرق الوطن العربي ومغربه[1]. وبناءً على كل ما تقدم نستطيع أن نطرح السؤال التالي: هل اللغة الليبية القديمة لغة عربية قديمة؟ الإجابة نعم، لأن كل القرائن تدل على أن اللغة الليبية القديمة مثلها مثل اللغات العربية القديمة الأخرى تفرعت عن لغة عربية قديمة أُم، وقد ظهرت هذه اللغات العربية القديمة بشبه الجزيرة العربية منذ أقدم العصور الموغلة في القدم، حيث كانت المنطقة تزخر بالعديد من اللغات واللهجات، ويبدو واضحاً أن السبب في هذا التعدد، يرجع إلى انقسام القبائل وتوزعها إلى فروع كثيرة. وقد كان لمعيشة هذه القبائل والفروع البعيدة عن بعضها البعض، بحكم العزلة والهجرة إلى مناطق نائية السبب المباشر في اختلافات لغوية، وظهور لهجات جديدة تكون غير مفهومة لغير المتكلمين بها[2]. ومما لا شك فيه أن تلك اللغات كانت تختلف عن لغة **القرآن الكريم**، لدرجة أن أحداً لو قرأ نصاً بهذه اللغات عجز عن فهمه، وظن أنه يقرأ لغة من لغات الأعاجم، ولكن هؤلاء وإن اختلفت لغاتهم فإنهم عرب فكل لغات العرب هي عربية وإن اختلفت وتباينت، وما اللغة التي نزل بها **القرآن الكريم**، إلا إحدى تلك اللغات الكثيرة، وقد شُرفت بفضل نزول **القرآن** بها وأصبحت اللغة العربية الفصحى، ولذلك فالكتابات التي دُونت في مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها،

---

(1) علي فهمي خشيم، سفر العرب الأمازيغ، ص هـ.

(2) محمد المختار العرباوي، البربر، ص228.

وبعض المناطق الأخرى، هي كتابات عربية، وإن اختلفت عن عربيتنا. وتوجد لغات عربية أخرى مجهولة، وقد جهلها العرب لأنهم بادوا قبل الإسلام، أو لأنهم عاشوا في بقاع منعزلة نائية، ولذلك لا نستطيع أن ننكر على الأقوام العربية المنسية عروبتها، بمجرد اختلاف لسانها عن لساننا، ووصول كتابات منها مكتوبة بلغة لا نفهمها[1]. فلغتها هي لغة عربية وإن اختلفت عن اللسان العربي الفصيح، وهذا الاختلاف والتباين في اللغات العربية القديمة كان موجوداً منذ أزمان بعيدة، فقد أشار إلى هذا الاختلاف والتباين كُتّاب قدماء كثيرون، منهم من يرجع لفترة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، ومنهم من يسبق هذه الفترة بقرون عديدة. يقول الطبري في **تفسيره** بأن العرب إن جمع جميعها اسم عرب، فهم مختلفو الألسن بالبيان، متباينو، المنطق والكلام[2]. وقد كانت بعض هذه الألسن بعيدة بعداً كبيراً عن عربيتنا اليوم، وخير مثال على ذلك اللغات العربية الجنوبية. وقد أشار إلى هذا التباين والاختلاف في لغات العرب القديمة أيضاً، مؤلف يوناني عاش في القرن الأول الميلادي، له كتاب سماه **الطواف حول البحر الإريتري (البحر الأحمر)**، ذكر فيه بأن سكان ساحل الحجاز على البحر الأحمر، والذين كانوا يقيمون بين مدينة (لوك كوما Leuke Kome) وميناء (موزا Muza)، يتكلمون لهجات مختلفة ولغات متباينة لا يفهمونها عن بعضهم البعض، وأن بعض هذه اللهجات واللغات بعيدة عن بعضها بعداً كبيراً[3]. ومما يؤكد هذا التباعد أن معظم هذه اللغات المتناثرة بشبه الجزيرة العربية بما في ذلك اللغة العربية الفصحى لم تكن مكتوبة. ومن خلال آخر ما توصلنا إليه من وثائق أثرية يتضح أن اللغة العربية

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، الجزء1، ص33، 34.
(2) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجزء الأول، مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1954م. ص11، 20.
(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، الجزء الثامن، ص562، 563.

الفصحى كانت غير مكتوبة بأبجديتها المعروفة لدينا الآن، حتى القرن الرابع الميلادي. وقد وصلتنا أقدم آثار لهذه اللغة كانت من خلال الشعر الجاهلي، والذي يعود أقدمه إلى حوالي قرنين من الزمان قبل ظهور الإسلام، في حين أن أقدم نقوش لهذه اللغة تعود لحوالي القرن الرابع الميلادي. ويحتل نقش النمارة الذي عثر عليه مدوناً بقلم نبطي في منطقة النمارة إلى الجنوب الشرقي من مدينة دمشق أهمية تاريخية كبيرة، وقد وُجد هذا النقش مدوناً على قبر امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة، وهو يؤرخ بالعام (328) ميلادية. ومن خلال دراسة هذا النقش تبين أنه يحتوي على لغة عربية فصحى، رغم أنه يحتوي على بعض التأثيرات الآرامية[1]. يتساءل البعض لماذا تأخر ظهور آثار اللغة العربية الفصحى إلى ما بعد الميلاد؟ مما لا شك فيه أن هذا التأخر لا يعني أن هذه اللغة لا يرقى تاريخها إلا إلى ذلك الوقت وهو القرن الرابع الميلادي، ولكن القرائن اللغوية المتوفرة في اللغة العربية الفصحى، والتي تنسب إلى ما يطلق عليه اسم اللغة السامية الأم، مثل الأصوات الأصلية، والإعراب، والتنوين، وصيغ الاسم، وأبنية الفعل، كلها تدل دلالة واضحة على القدم السحيق لهذه اللغة، وعملية تأخر ظهور الكتابة في اللغة العربية الفصحى، أمر طبيعي، بسبب استعمال أصحاب هذه اللغة في البداية الخط المُسند، الذي اقتبسوه من أشقائهم في الجنوب، وبسبب استخذامهم فيما بعد للقلم النبطي والقلم السرياني الآرامي، وظلت الأمور على تلك الحال إلى أن تم تطوير تلك الأقلام ابتداء من القرن الرابع الميلادي، إلى القلم العربي، الذي كُتب به **القرآن الكريم**. وهذا الأمر ينطبق على اللغة الليبية القديمة، التي ظلت كلغة محادثة طيلة قرون عديدة لم تتوصل إلى الأبجدية إلا عندما احتكت مع المهاجرين الكنعانيين الذين وصلوا منطقة المغرب

---

(1) أحمد رحيم هبو، تاريخ الشرق القديم (سورية)، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1999م. ص92.

القديم مع نهاية الألف الثانية قبل الميلاد. وقد كانت الكتابة الليبية محدودة القيمة لأنها لم تستعمل إلا في الكتابات النذرية. وتوجد أيضاً لغات في جنوب شبه الجزيرة العربية ما زالت حتى اليوم بدون أبجدية، وخير مثال على ذلك اللغات المهرية والسوقطرية والشحرية، وهي لغات محادثة دون أن تكون لها كتابة رغم أنها موغلة في القدم. ولذلك فالذين ينفون العروبة على لغات كتاباتها تختلف عن أبجدية اللغة العربية الفصحى، أو أن هذه اللغات ليست لها أبجدية أصلاً، كانوا على خطإ، فقد نفى اللغويون العرب المسلمون على لغة المُسند عروبتها، لأنهم كانوا يقارنون بين الأدب الجاهلي في عصر المعلقات، وبين لغة النقوش اليمنية القديمة، التي تعود إلى ما قبل عصر المعلقات بقرون عديدة. ولكن إذا أراد هؤلاء الإنصاف عليهم مقارنة لغة النقوش اليمنية القديمة مع النقوش التي انتشرت في شمال شبه الجزيرة العربية كالنقوش الصفوية واللحيانية والثمودية، أو على الأقل بتلك النقوش المتأخرة كنقوش النمارة وحران مثلاً. ولا يجب أن ينفي هؤلاء اللغويون العروبة أيضاً عن اللغة الليبية القديمة لأن أبجديتها مختلفة عن أبجدية اللغة العربية الفصحى. إن هذا الأمر زعم واه ومردود عليه من خلال وجود لغات عربية قديمة ليس لها نفس حروف اللغة العربية الفصحى، ومع ذلك فهي لغة عربية أصيلة. ولن ينكر أحد أن تكون اللغة السبئية واللغات المتفرعة عنها غير عربية، وأن تكون الآكادية والبابلية والآشورية والكنعانية غير عربية[1]. وكما أشرنا في السابق فإن اللغة الليبية القديمة تفرعت عن اللغة العربية القديمة في وقت ما، وأبعدت عنها شيئاً فشيئاً، بعد أن ابتكرت لنفسها بعض الاختلافات مثلها في ذلك مثل لغات جنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام، ولذلك يجب علينا إرجاع العدد الهائل من الكلمات

---

(1) علي فهمي خشيم، سفر العرب الأمازيغ، ص4/ 109، 4/ 110.

المشتركة بين اللغتين الليبية القديمة والعربية الفصحى إلى اللغة العربية القديمة الأم، وليس إلى فترة الفتح العربي الإسلامي كما يرى البعض. ورغم وجاهة هذا الرأي، فإن العثور على الكثير من النقوش في مناطق متفرقة من المغرب القديم بما في ذلك مناطق الصحراء الكبرى، أكد خطأ ذلك الرأي. لقد كانت تلك النصوص المنقوشة باللغة الليبية القديمة، كان بعضها مكتوباً بالأبجدية الليبية فقط، ولكن البعض الآخر كتب بنصين مختلفين أحدهما ليبي والآخر أحياناً قرطاجي (بونيقي)، وفي أحياناً أخرى باللغة اللاتينية. ومن خلال هذه النقوش الثنائية اللغة استطعنا التعرف على حروف الأبجدية الليبية، وبالتالي استطعنا معرفة فحوى هذه النقوش باللغة الليبية القديمة. وكانت المفاجأة كبيرة عندما تعرفنا على كلمات ليبية قديمة ترجع إلى أكثر من ألفي سنة مضت، أي قبل الفتح العربي الإسلامي بزمن طويل. ورغم هذا الزمن الطويل ما زالت هذه الكلمات تأخذ نفس المدلول فيما يعرف في الوقت الحاضر باللغة الأمازيغية، التي هي امتداد للغة الليبية القديمة. والغريب في الأمر أيضاً أن الكثير من هذه الكلمات ذات جذور عربية قديمة. وهذا الأمر يثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن اللغة الليبية القديمة جاءت من الشرق ضمن الهجرات العديدة التي انطلقت منذ عصور ما قبل التاريخ من مناطق شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام. وحيث إن هذه النقوش درست من قبل علماء من الغرب، والفرنسيين على وجه الخصوص، لذلك كانت تلك الدراسات موجهة نحو فهم النص للوصول إلى تأكيد تواجد ليبي قديم في المنطقة دون تحديد الجذور القديمة لهولاء السكان، ولا الإشارة إلى أية صلة بين لغة هذه النقوش واللغة العربية الفصحى أو إحدى اللغات العربية القديمة الأخرى[1] سواء كانت في الجنوب أو الوسط أو الشمال.

---

(1) المرجع نفسه، ص4/ 4.

ولكي نصل إلى إثبات الصلة بين اللغة الليبية القديمة ولهجاتها المختلفة مـع لهجـات ولغـات أخـرى بالمنطقـة العربية سـواء أكانت في الشـرق أو الغـرب أو الجنوب نقوم بعمل بعض المقارنات البسـيطة والمحدودة حول هذه اللغات واللهجات، وكتاباتها المختلفة:

1 ـ أثبتت الدراسـات الأثرية أن أبجدية الكتابة الليبية القديمة (الأمازيغية)، قد أخذت من لغات شـبه الجزيرة العربيـة، التي يطلق عليها اصطلاحاً الكتابة السامية، والدليل على ذلك، الاكتشافات المؤكدة للنقوش الليبية القديمة في منطقتي شبه جزيرة سيناء ودلتا النيل، وهما المنطقتان اللتان اسـتعملتا كطريق هجـرة للأقوام التي انطلقت من شـبه الجزيرة العربية نحو منطقة المغرب القديم[1].

2 ـ مـن خـلال المقارنة بين الأبجدية الشـحرية التي يطلق عليهـا لغة عاد مع الأبجديـة الليبية القديمة (الأمازيغية)، توصلنـا إلى أن معظم الحروف في الشـحرية هي نفسـها في اللغة الليبية القديمة (الأمازيغية). وقد تأكدنا من ذلك عند أطلاعنا على كتابي أ. علي الشحري حول هذا الموضوع: الأول بعنـوان **ظفار كتاباتها ونقوشـها القديمة**[2]، والثاني بعنـوان **لغة عاد**[3]. وقد تأكدنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الحروف التي أشار إليها علي الشحري فـي كتابيه وعمل معها مقارنة مع الأبجدية الليبية القديمة كانت عبارة عن كتابات قديمة تركها الأجداد القدماء على سـفوح ومنحدرات ظفار، وهي تعـود إلى فتـرات تاريخية موغلة في القدم، وهو مـا يدل على أصالة هذه الحـروف، التـي بـدون شـك انتقلت مـع من انتقـل من مناطـق ظفار إلى

(1) G. H. Bousquet, Les Berberes, Presses Uneveritaires de Paris, Paris, 1974. p.22, 28.

(2) علـي أحمـد الشـحري، كيف ابتدينـا وكيف ارتقينا بالحضارة الإنسـانية من شـبه الجزيرة العربية «ظفار» كتاباتها ونقوشها القديمة، دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، 1994م.

(3) علي أحمد الشحري، لغة عاد، المؤسسة الوطنية للتغليف والطباعة، أبو ظبي، 2000م.

مناطق المغرب القديم. لكي يؤكد أ. علي الشحري صلة الحروف التي اكتشفها في ظفار مع الحروف الليبية القديمة، عمل مقارنة بين حروف ظفار مع الحروف التي يستعملها اليوم بعض سكان المغرب في تعليم اللغة الأمازيغية في الوقت الحاضر. لقد كانت المفاجأة كبيرة عندما تأكدنا أن الحروف الظفارية هي نفسها الحروف التي عرفت في منطقة المغرب القديم خلال العصور القديمة، والتي اكتشف منها حتى الآن أكثر من (1300) نقش في مناطق متفرقة من مناطق تونس والجزائر والمغرب.

3 - إن المقارنة البسيطة التي يمكن إجراءها بين الكتابات الكثيرة التي تنتشر على العديد من هضاب ظفار مع كتابات التيفيناغ، نتوصل إلى تطابق شبه تام بين الكتابتين. ومما لا شك فيه أن التيفيناغ كتابة منتشرة بالمناطق الجنوبية من ليبيا حيث موطن الجرميين التي كانت عاصمتهم مدينة جرمة. ورغم أنه لم يثبت بعد علمياً أن هذه الكتابة هي التي كان يستعملها الجرميين، إلا أن مجريات الأحداث تشير إلى أنهم كانوا يستعملون تلك الكتابة[1]، السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل توجد صلة بين جرهم وجرمة؟

في هذا الخضم من النظريات حول أصل الجرميين، أليس من حقنا أن نضيف رأي جديد، أرى أنه يحتوي على الكثير من المعقولية وربما القبول من الكثير من الباحثين، وهو أن الجرميين أصلاً جاءوا من الجزيرة العربية وبالتحديد من قبيلة جرهم العربية القحطانية وهو ما يجعلنا نعيد البحث عن أصل الجرميين، والعلاقة بين قبيلة زويلة بليبيا، وقبيلة جرهم بالجزيرة العربية، وجرمة عاصمة الجرميين بالصحراء الليبية.

(1) Pierre Léveque, Empire et barbaries, tome III, Histoire Universelle Larousse, Paris, 1973, P.P 294, 295, 304.

يقـول القلقشـندي وأبو الفـوز: «إن زويلة بطن من بطون البربر مسـماة باسـم أبيها زويلة ولم يقع تصنيفها لا في فرع البرانس ولا في فرع البتر... وهم سـكان برقة في القديم»[1]. ويضيف ابن خلدون على أن زويلة انتقلوا إلى فزان. من تتبعنا لبعض المصادر الإسلامية، لا يُعتبر نسب زويلة غامضاً، بـل تنتسـب كما يقول الحافظ ابـن عبدالبر إلى قبيلة جرهـم، وجرهم قبيلة يمنية قحطانية مشهورة في تاريخ ما قبل الإسلام، كانت تتزعم مكة في فترة من فترات تاريخها القديم، وكان ينتسـب إليها في عهد التبابعة أمراء وذلك خـلال عصـر الملـك أبي كـرب أسـعد الذي يعـزى إليه نقـل قبيلـة زويلة الجرهميـة إلـى المغرب في إطار سـلطاته في المغرب كما تشـير إلى ذلك الكثير من الكتابات العربية الإسلامية[2].

اسـتناداً على الكثير مـن الأخبار التي وردت لدى الكُتَّاب الإسـلاميين، بالإضافـة إلـى وجـود تتطابق شـبه كامل بين اسـم جرهم وجرمـة، نؤكد أن جرمة هي جرهم وأن الجرميين هم الجرهميين، عكس الآراء السـابقة، التي يعتقد بعضها أن أصل الجرميين يعود إلى شـعوب البحر الأوروبيين، الذين قدموا لغزو منطقة وادي النيل في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، ولكن بعد فشلهم توجهوا إلى بعض الواحات بالمناطق الصحراوية لاتخاذها وطناً لهم، وبالتالـي تكـون منهم الجرميين، ويرى آخرون أن شـعوب البحر الأوروبيين بعد فشلهم توجهوا إلى جزيرة جربة وساحل قابس، وهناك امتزجوا بالأهالي، إلـى أن جـاء الكنعانيـون فطردوهـم نحـو الصحـراء وكونـوا الجرمييـن

(1) محمـد حسـين الفـرج، عروبة البربر تاريـخ ودلائل انتقـال البربر من اليمـن إلى بلاد المغـرب والجـذور العربيـة اليمنيـة لقبائـل البربـر، وزارة الثقافـة والسـياحة، صنعاء، 2004م. ص 83.

(2) المرجع السابق، ص 83.

والنسامونيين[1]، والبعض الآخر يرى أن أصل الجرميين يعود إلى فلسطين، حيث أشار (بروكوبيوس القيصري) إلى أنه تولى قيادة اليهود بعد خروجهم من مصر، ووفاة موسى عليه السلام، شخص يدعى يوشع بن نون، وقد استطاع هذا الاخير أن يدخل باليهود إلى فلسطين. واستطاع احتلال البلاد بعد حرب شرسة مع السكان الأصليين، وبالتالي طُردت بعض المجموعات السكانية التي كانت متواجدة على طول ساحل البحر المتوسط الشرقي، من صيدا وحتى حدود مصر، والتي كانت تسمى فينيقيا. وقد تحركت تلك المجموعات نحو مصر، ولكنها عندما لم تجد لها مكان هناك، بسبب اكتظاظ المنطقة بالسكان، واصلوا سيرهم نحو ليبيا، ورغم أن بروكوبيوس أشار بأن هذه المجموعات اتجهت نحو مناطق الشمال من ليبيا القديمة، إلا أن بعض الباحثين يعتبرون أن هذه الهجرة هي التي تكوّن منها الجرميين، في حين يرى آخرون أن أصل الجرميين يعود إلى واحة سيوة، المنعزلة داخل الصحراء، وقد هاجر جزء من سكانها نحو الصحراء الليبية، ويبدو أن سبب هذه الهجرة يعود إلى النبوءات التي كان يُدعيها وحي الإله أمون في سيوة، والتي تشير إلى الهزيمة التي ستلحق بالفرس رغم سيطرتهم على الكثير من مناطق العالم القديم، ولهذا السبب وجه عاهل الفرس قمبيز جيشاً للقضاء على هذه الواحة، ورغم أن الجيش هلك ولم يحقق مراده بسبب عاصفة رملية، إلا أن بعض الباحثين يرى أن جزء من سكان الواحة هاجروا خوفاً من الفرس نحو الصحراء الكبرى وكوّنوا الجرميين.

مما لا شك فيه أن معظم هذه الآراء تفتقر إلى الأدلة التاريخية والأثرية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن معظم آراء الباحثين حول جرمة

---

(1) محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها من 100 - 450 ميلادية، ليبيا في التاريخ المؤتمر التاريخي، الجامعة الليبية، بنغازي، 1968م. ص ص 155 - 157.

والجرميين استندت على رأي المؤرخ الإغريقي هيرودوت[1] والمؤرخ الروماني بلينيوس الأكبر[2]، اللذان يعتبران أول من أشار إلى الجرميين على أنهم جرامنت، وإلى عاصمتهم جرمة. ومما لا شك فيه أن هيرودوت وبلينيوس وغيره من الأوروبيين معذورون في أن يبدلوا هاء جرهم إلى ألف لتصبح جرامة، لأنهم لا يستطيعون نطق حرف الهاء كما ننطقه نحن، وبالتالي تحولت جرهم إلى جرمة والجرهميين إلى الجرامنت، ليس هذا فحسب، بل أن عبارة جرامنت GARAMANTES التي وردت لدى اليونان والرومان تعتبر متطابقة تمام التطابق مع عبارة جرهميين، لأن الحروف الثلاثة الأخيرة وهي TES هي مجرد زيادة إعرابية، وبالتالي فالأصل اليوناني للكلمة هي GARAMN. ومما تجدر الإشارة إليه أن اليونان كانوا ينسبون أولئك الجرهميين إلى GARAMA وهو جرهم الجد الأعلى للجرهميين.

من خلال بعض الدراسات التي قام بها الاختصاصيون العرب حول بعض النقوش الليبية القديمة، استناداً إلى دراسات قام بها الفرنسيان (شابو) و(مارسي)، تبين وجود صلة وثيقة بين اللغة الليبية القديمة والقرطاجية، ووجود أوجه شبه كثيرة بين اللغة الليبية القديمة واللغة العربية الفصحى التي ظهرت فيما بعد[3]، وقد تبين أيضاً أن معظم مفردات هذه النقوش تعود في جذورها القديمة إلى لغة عربية قديمة أُم، وأن عدم القدرة في فهم هذه النصوص يعود إلى أنها كتبت بلغة عربية قديمة انفصلت عن لغة عربية

---

(1) Herodote, Histoire, (texte etabli et traduit par Ph. E. Legrand), societ d'edition (les Belles Lettres), Paris, 1968, IV: 174, 183;184.

(2) Pline l'Ancie Istoire Naturelle ;V, 5.

(3) علي فهمي خشيم، دراسة لنقش قرطاجي - ليبي قديم، المؤتمر الثالث عشر للآثار حول النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1997م. ص 194 - 236.

أقدم. ولهذا السبب كانت مفرداتها صعبة الفهم، وهي بالتالي لا توجد إلا في معاجم اللغة العربية الفصحى، بل إن بعضها يمكن العثور عليها في معاجم اللغات العربية القديمة كالآكادية والمصرية القديمة والكنعانية والسبئية[1]. ويسترعي الانتباه عند تصفح مجلدات **لسان العرب** لابن منظور، وجود بعض الألفاظ المشتركة بين اللغات العربية القديمة واللغة الليبية القديمة واللغة العربية الفصحى. ويعلل صاحب **لسان العرب** وجود هذه الكلمات، إلى أنها كلمات حميرية، وفي بعض الأحيان يقول عنها بأنها من اللغة القديمة، وفي أحيان أخرى يقول بأن معانيها تتصل بنمط الحياة، التي تعود إلى فترة الجمع والالتقاط، التي مرت بالإنسان قديماً[2]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وحدة الأصل بين سكان منطقة المغرب القديم والمناطق العربية السالفة الذكر.

الصلة الوثقى للغة الليبية القديمة، باللغات العربية القديمة، دليل على الأصل العربي القديم لسكان المغرب القديم:

إن النتائج التي تم التوصل إليها من خلال المعطيات الأثرية والأنثروبولوجية كانت هامة للتأكيد على أن الليبيين القدماء الذين حلّوا بمنطقة المغرب القديم منذ عصور ما قبل التاريخ كانوا عبارة عن هجرات قدمت من مناطق شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام ومنطقة ما بين النهرين، وهو الأمر الذي جعل اللغة الليبية القديمة جزءًا من ذلك الواقع اللغوي لتلك المناطق التي اصطلح العلماء على تسميتها خطأ بالسامية، وهو ما فضلنا تسميتها بالعربية القديمة، ولذلك فاللغة الليبية القديمة هي جزء من تلك المجموعة اللغوية العربية العريقة في القدم. وقد أشار إلى ذلك الكثير

(1) علي فهمي خشيم، سفر العرب، ص4 / 4.

(2) المرجع نفسه، ص1 / 42، 1 / 43.

من الباحثين المرموقين، وعلى رأسهم الألماني (روسلر). ويبدو ذلك واضحاً من خلال ما يوجد بين هذه المجموعة اللغوية من تشابه في المفردات والتراكيب اللغوية. وما دام الأمر كذلك فلا بد أن نجد في اللغة الليبية القديمة، تلك الصلة الوثقى باللغات العربية القديمة، خاصة أن القرائن المتوفرة لدينا في الوقت الحاضر تفيد بأن اللغة الليبية القديمة لم تتغير على الإطلاق منذ أكثر من ألفي سنة مضت[1]. ومعروف لدى الجميع أن الأدلة اللغوية تعد من أفضل الأساليب وأوضحها لإثبات ما بين الجماعات السكانية من علاقات ثقافية وصلات نسب. وقد أشرنا في السابق إلى أن اللغات العربية القديمة، بما في ذلك اللغة الليبية القديمة، تتشابه في الكثير من المفردات والصيغ والضمائر، تشابهاً يثبت القرابة بينها، ومن المقارنة بين هذه اللغات من خلال الصيغ والألفاظ والتصريف والإعراب والأصوات، يتضح لنا بأن هذه الظواهر قديمة، وأنها ترتقي إلى العصر الذي كانت فيه هذه اللغات لغة واحدة. ومما يؤكد قدم هذه الظواهر، وبالتالي رجوعها إلى لغة عربية قديمة أُم، عدم وجود هذه الظواهر في اللغات العربية القديمة المتجاورة فقط، بل إنها موجودة حتى في اللغات البعيدة عن بعضها البعض، مثل اللغة المصرية القديمة واللغة الحبشية واللغة الليبية القديمة، ورغم تباعد المكان بين اللغات العربية القديمة، فإنها تشترك في الكثير من الكلمات والضمائر والصيغ، التي يؤكد المختصون بأنها من الأشياء القديمة، التي كانت متواجدة في اللغة العربية الأم، وقد تداولها العرب في زمان اتحادهم القديم قبل انتشار لغاتهم وتطورها إلى لغات متعددة تختلف في بعض سماتها الصرفية وغير الصرفية. وكما سبقت الإشارة فقد ثبت من خلال الدراسات المختلفة أن اللغة

---

(1) علي فهمي خشيم، سفر العرب، ص4 - 41.

العربية الفصحى هي أقرب اللغات العربية القديمة إلى الخصائص الصوتية والمعجمية لما يطلق عليه اسم اللغة السامية الأم. ولذلك نجد اللغة العربية الفصحى تزخر بالكثير من الظواهر اللغوية التي انحدرت إليها من تلك اللغة العربية الأم، ولكن لا يعني ذلك أن تلك الظواهر تمتاز بها اللغة العربية الفصحى دون غيرها من شقيقاتها الأخريات. ولذلك سوف نتتبع بعض هذه الظواهر التي تتشارك فيها معظم اللغات العربية القديمة، ليس بسبب التأثر بعضها ببعض ولكنها أصيلة فيها. ولذلك لم تكن ظاهرتا الإعراب والمنع من الصرف خاصية للغة العربية الفصحى، أخذتها من بعض القبائل العربية البدوية المتواجدة بشبه الجزيرة العربية، كما يعتقد البعض، بل هي خاصية عربية قديمة تشترك فيها معظم اللغات العربية القديمة الأخرى كالآكادية والحبشية والليبية القديمة. ولم تكن اللغة العربية الفصحى وحدها التي تمتاز بظاهرة جموع التكسير، ووجود حرف الضاد في أبجديتها، ولكن تشترك معها في هاتين الميزتين لغات جنوب شبه الجزيرة العربية واللغة الحبشية واللغة الليبية القديمة. والجدير بالذكر أن اللغة الليبية القديمة تتفوق على الجميع في هاتين الخاصيتين، خاصة امتلاكها لجموع التكسير. ولم تكن اللغة العربية الفصحى واللغات العربية القديمة الأخرى وحدها التي نراها تدخل تاء التأنيث على الكلمة لتفرق بين المذكر والمؤنث، وتلحقها بالفعل الماضي لتحويل الفعل من المذكر إلى المؤنث، وتستعمل الذال وذه وذات كحروف إشارة، بل إن هذه الطريقة نفسها تُتّبع في اللغة الليبية القديمة على أوسع نطاق. ومما يدل على الصلة الوثقى بين اللغة الليبية القديمة واللغات ذات الأصل العربي القديم، التشابه اللغوي بين اللغة الآكادية والمصرية القديمة والقبطية والعبرية والليبية القديمة في مجال الضمائر المنفصلة. ويمكن أن نلاحظ هذا التشابه بكل وضوح في تطابق هذه اللغات في ضمير المتكلم المفرد، فنجده في الآكادية

«أناكو» وفي المصرية القديمة «إنك» وفي القبطية «أنك» وفي العبرية «أنوكي» وفـي الليبيـة القديمة «إنك» وهذا إن دل على شـيء فإنما يدل على أن هذه اللغات جميعاً ترجع في جذورها الأولى إلى لغة عربية قديمة أُم.

ولم تكن اللغة الصفوية وحدها التي يَتبع فيها اسم الإشارة المشار إليه، ولا يتقدمه مثل «جو ذ» أي: هذا الوادي. إن هذه القاعدة النحوية التي تتمثل في تبعية اسم الإشارة للمشار إليه لم تكن تختص بها اللغة الصفوية وحدها، بل إن اللغة الليبية القديمة أيضاً تسير على نفس القاعدة، وهو ما يدل على انتقالها من لغة أُم مشتركة. ومثال على ذلك لو حولنا نفس الجملة السابقة إلى اللغة الليبية القديمة فستكون على النحو التالي «سوف يده» وتعني هذا الوادي، حيث نجد سـوف تعني وادي، ويده يعني اسـم الإشـارة هذا. ولم يكن التشابه بين اللغة الليبية القديمة واللغة الصفوية من حيث بعض القواعد النحوية فحسب، بل أيضاً من حيث المفردات اللغوية. ونلاحظ هذا التشابه واضحاً من خلال النقش الصفوي التالي «ورعي هأبل سنة مرق نبط جو ذ» أي: رعـي الإبل سـنة مـرور النبط بهذا الـوادي. وتعني كلمـة مرق في هذا النقش مر. والغريب في الأمر أن كلمة مرق تستخدم بنفس المعنى في اللغة الليبية القديمة.

إن التشـابه الكبيـر بين اللغـة الليبية القديمـة واللغات العربيـة القديمة، الذي توصلنا إليه من خلال دراسـتنا السـابقة، أعطى لنا الدليل على الأصل المشـترك بين سـكان منطقـة المغرب القديم وسـكان مناطق شـبه الجزيرة العربيـة والشـام وبلاد ما بيـن النهرين، ولم تكن هذه سـوى بداية متواضعة لدراسـات ميدانية مسـتقبلية جادة بين اللغة الليبية القديمـة واللغات العربية القديمـة الأخـرى، وهي دراسـات تحتاج إلى متخصصيـن آخرين يعتمدون منهجـاً علميـاً مبنيـاً على التخصـص الدقيق سـواء أكان في مجـال اللغات

القديمة والحديثة، أو في مجال تاريخ الحضارة والآثار. ورغم الجهد الكبير الذي بذلناه لإنجاز هذه الدراسة، فإنها اعتمدت في المرتبة الأولى على مناقشة أقوال الكثير من العلماء المتخصصين في مجال الآثار وعلم اللسانيات، دون المعاينة الميدانية. ولذلك فهذه الجوانب الأخيرة ما زالت تحتاج إلى تتبع للغة الليبية القديمة ولهجاتها التي ما زالت حية، ومقارنتها مع اللغات واللهجات العربية الأخرى التي ما زالت متواجدة بمنطقة جنوب شبه الجزيرة العربية، أو بشمالها أو بمنطقتي الشام وما بين النهرين. ونظراً لعدم توفر تفرغ تام لمثل هذه الدراسات من حيث تتبع اللغات القديمة واللهجات المتفرعة عنها ومقارنتها مع اللغة الليبية القديمة، لذلك ستكون هذه الدراسة في حاجة ماسة إلى مزيد من المتابعة والملاحظة لكي نصل إلى إثبات الصلة بين اللغة الليبية القديمة ولهجاتها المختلفة مع لهجات ولغات أخرى بالمنطقة العربية سواء أكانت في الشرق أو الغرب أو الجنوب. وعلى العموم فإن المقارنات البسيطة والمحدودة التي قمنا بها حول هذه اللغات واللهجات، أوصلتنا إلى بداية الخيط، وبالتالي يستطيع غيرنا من المتخصصين تكملة ما بدأنا، ويسد ما بهذا من ثغرات، ويضيف ما جد من جديد، لكي نصل إلى عمل نموذجي يستطيع الوقوف في وجه المشككين ودعاة الإقليمية.

الخاتمة

لقد استوطنت منطقة المغرب القديم هجرات بشرية عديدة قادمة من مناطق شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين والشام، وذلك منذ عصور ما قبل التاريخ، واستمرت في تدفقها على المنطقة حتى العصور الوسطى. ولم تكن تلك الهجرات مجرد هجرة واحدة، حصلت دفعة واحدة، وإنما كانت هجرات عديدة، وفي فترات زمنية متفاوتة. وقد توصلنا في هذه الدراسة إلى أن هذه الهجرات كانت السبب المباشر في تشكل ثقافات عديدة بالمنطقة كالثقافة العاتيرية والرحمانية وثقافات الجبل الأخضر والثقافتين الوهرانية والقفصية. وقد سبقنا ابن خلدون إلى التوصل إلى هذه الحقيقة الهامة، حيث أشار عند حديثه عن منطقة المغرب القديم، بأن سكانها ينتمون إلى قبائل متباعدة عن بعضها البعض من حيث الفترة الزمنية التي خرجت فيها من شبه الجزيرة العربية. ويبدو ذلك واضحاً من خلال حديثه بأن سكان المغرب القديم (البربر) ينتمون إلى قبائل شتى من حمير والقبط والعمالقة وكنعان وقريش[1]. وخلاصة القول أن هذه المجموعات السكانية بعد وصولها إلى منطقة المغرب القديم، انعزلت فيها لآلاف السنين مما

---

(1) ابن خلدون، التاريخ، الجزء السادس، ص93.

ساعدها على الاحتفاظ بالكثير من السمات التي كانت تتميز بها في السابق بمواطنها الأولى. ويتضح لنا هذا من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية.

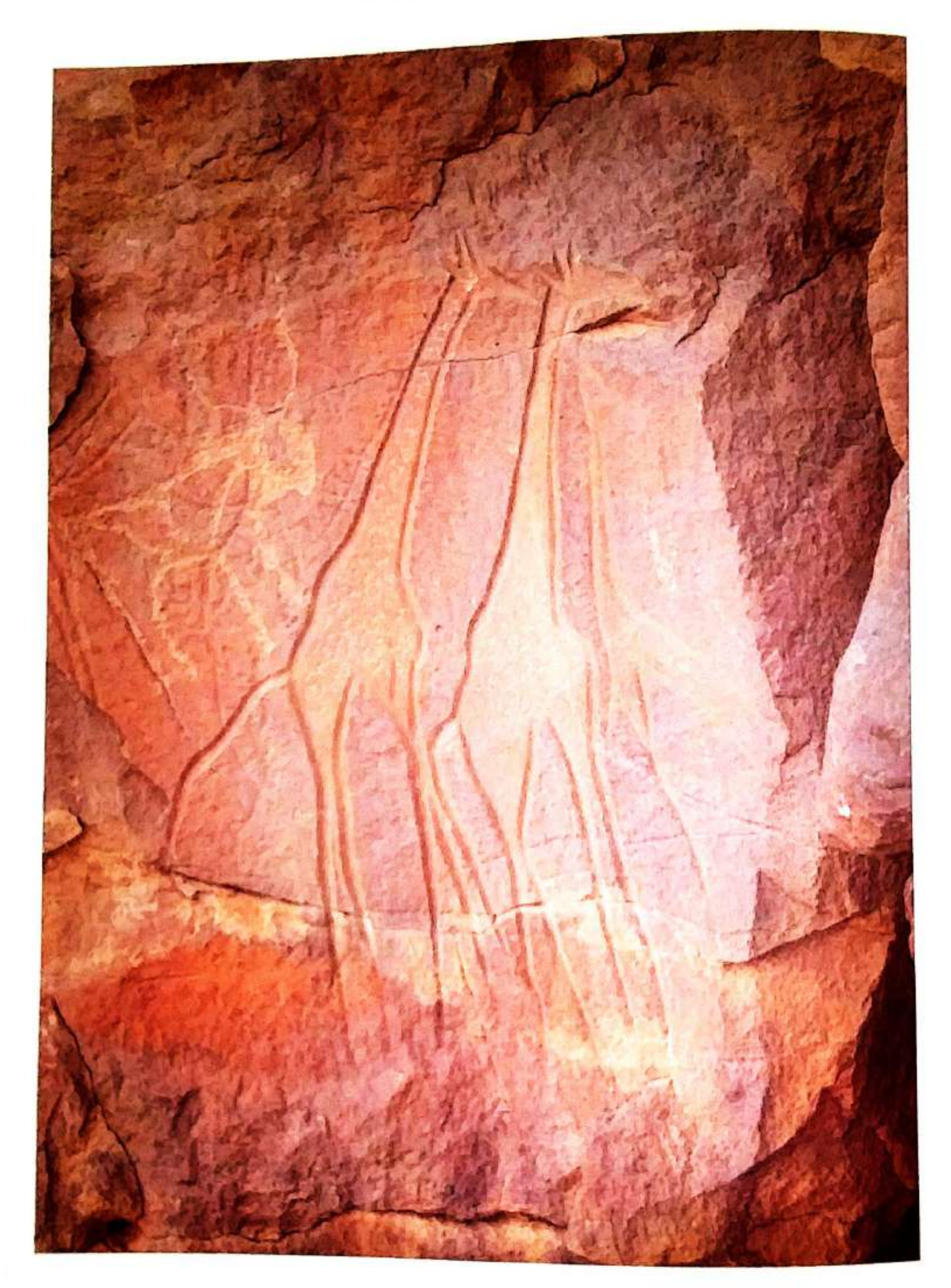
أما فيما يخص المصادر اللغوية كدليل لإثبات الأصل الشرقي لسكان المغرب القديم، فقد أدرج هذا الفصل ضمن هذه الدراسة لاستكمال الموضوع. ورغم أنني لست متخصصاً في مجال اللسانيات فإنني اعتمدت عن الاستنتاجات والمقارنات بين اللغتين الليبية القديمة (الأمازيغية) واللغات العربية القديمة والفصحى، بحكم إجادتي للغتين الليبية القديمة والفصحى، بالإضافة إلى تخصصي في مجال الحضارات القديمة والآثار. وقد توصلت إلى وجود علاقات وطيدة بين اللغة الليبية القديمة واللغات العربية القديمة كالآكادية والمصرية القديمة والكنعانية ولغات جنوب شبه الجزيرة العربية ولغات شمال شبه الجزيرة العربية. وهو ما أعطى لنا الدليل على الأصل المشترك بين سكان منطقة المغرب القديم وسكان مناطق شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد ما بين النهرين.

الملاحق

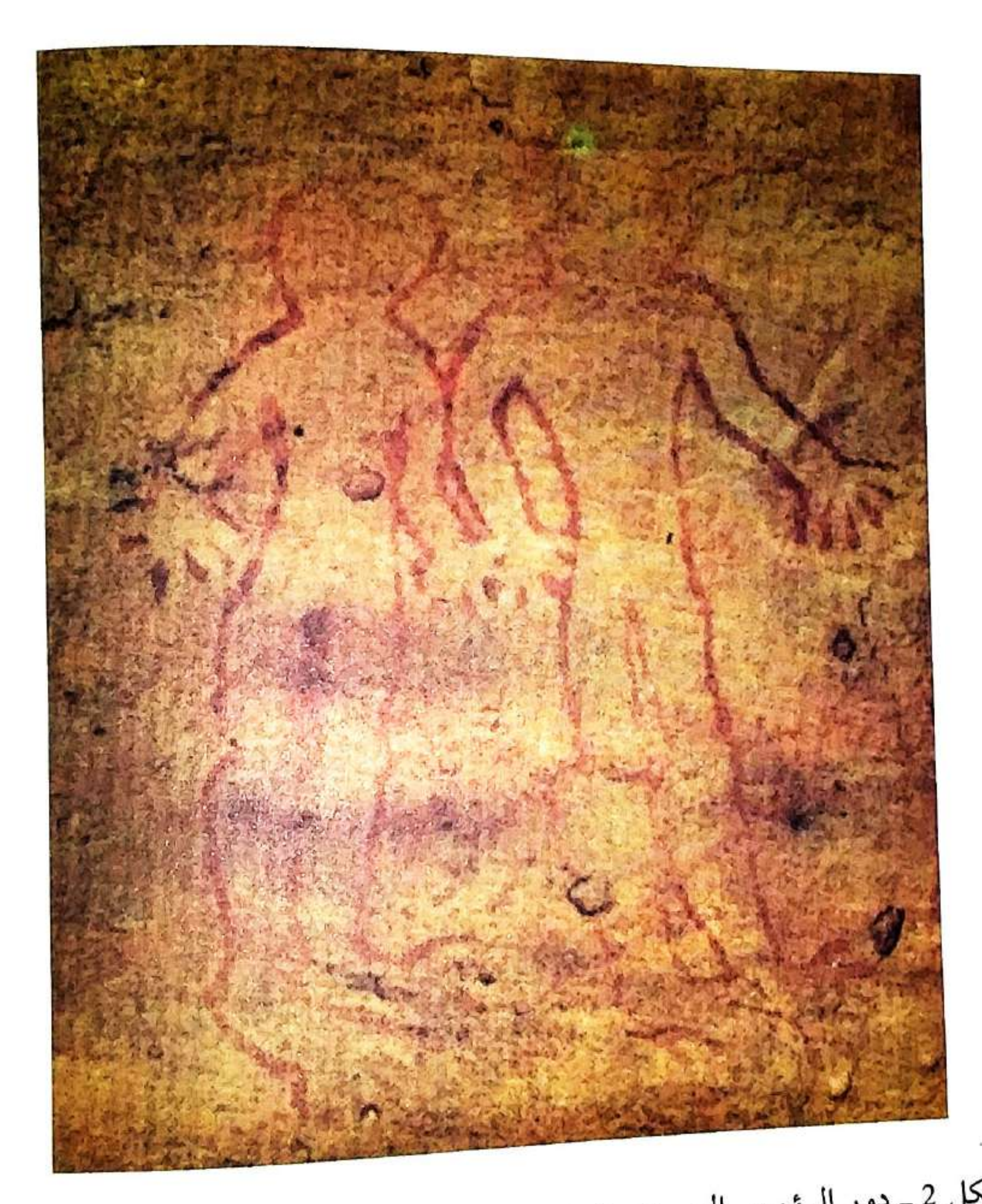
أولاً: الأشكال.

ثانياً: المصادر والمراجع.

أولاً الأشكال



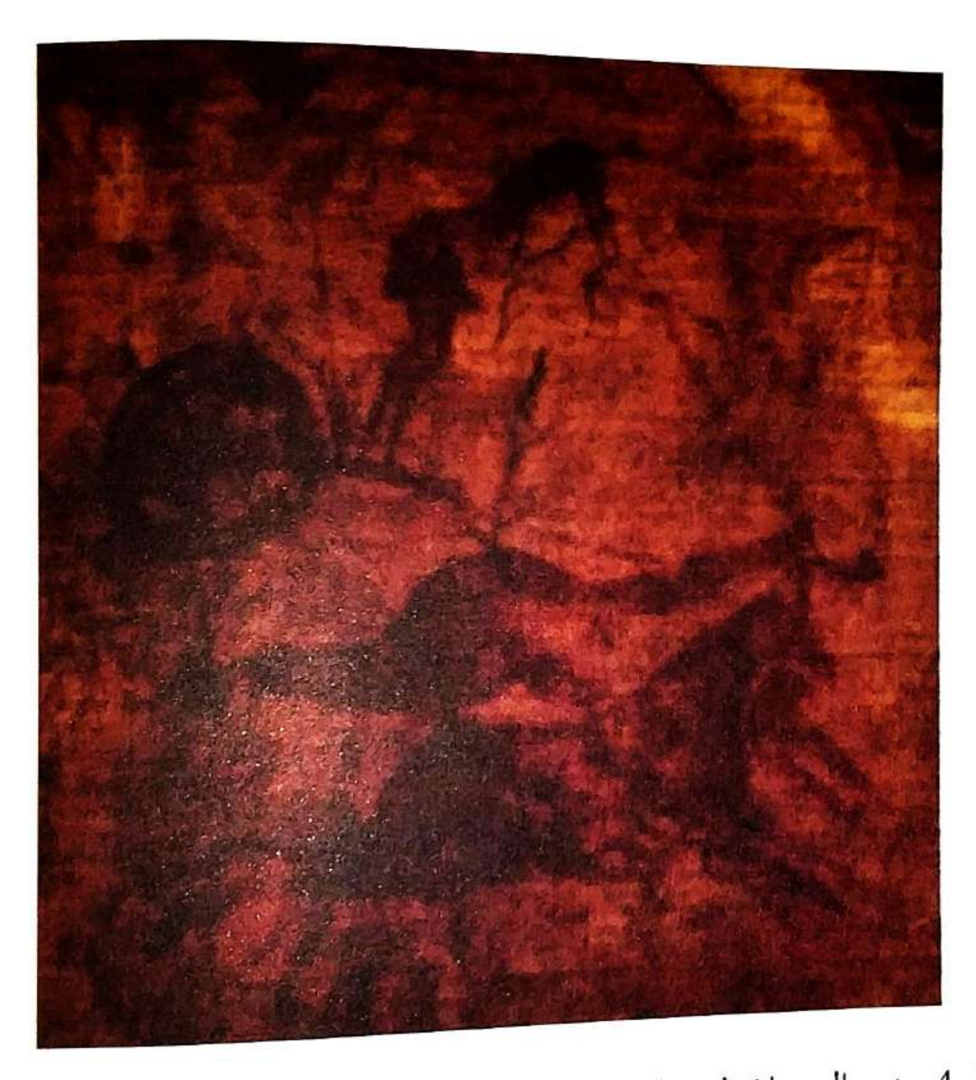
شكل 1 ـ دور الحيوانات الإستوائية: وهو يمثل حيوانات استوائية كالفيل والتمساح وفرس النهر والقردة والزراف وغيرهم، ويعتبر هذا الدور من أقدم أدوار الرسومات الصخرية بالصحراء الكبرى، وهو يرجع إلى عصر الصيادين. معظم آراء الباحثين تتفق على أنه يعود لفترة تاريخية تسبق الألف الثامنة قبل الميلاد.



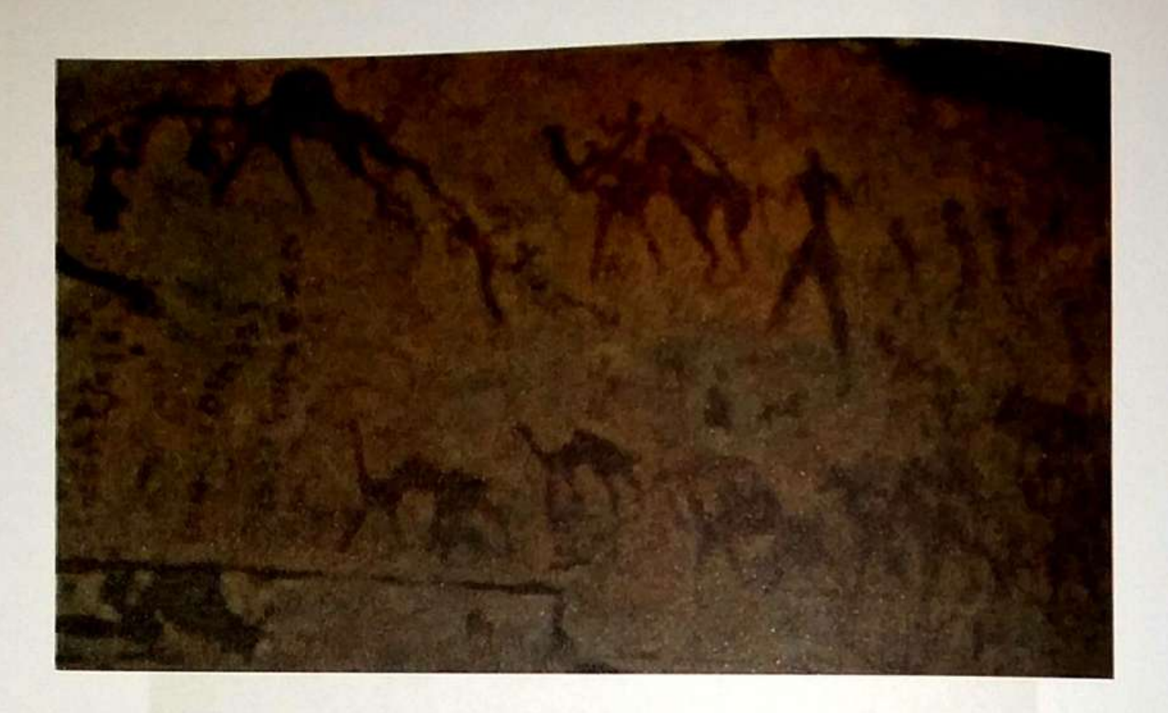
شكل 2 ـ دور الرؤوس المستديرة: تشتمل رسومات هذا الدور على أشكال بشرية صغيرة ذات رؤوس مستديرة ضخمة مبالغ في ضخامتها. يعتقد علماء الآثار أن رسومات هذا الدور ترجع لحوالي الألف الثامنة قبل الميلاد. (عن فابريتشيو موري، **تادرارت**، ص165).



شكل 3 ـ دور الرعاة: لقد ظهر خلال هذا الدور قمة الإبداع الفني متمثلاً في الرسومات الصخرية الملونة، والتي تتألف من أشكال حيوانية بأحجام صغيرة رسمت بطريقة طبيعية بديعة. يعتقد علماء الآثار أن تاريخ هذه الرسوم ترجع لفترة زمنية طويلة تبدأ مع نهاية الألف السادسة قبل الميلاد وتنتهي مع نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد. (عن فابريتشيو موري، **تادرارت**، ص 190).



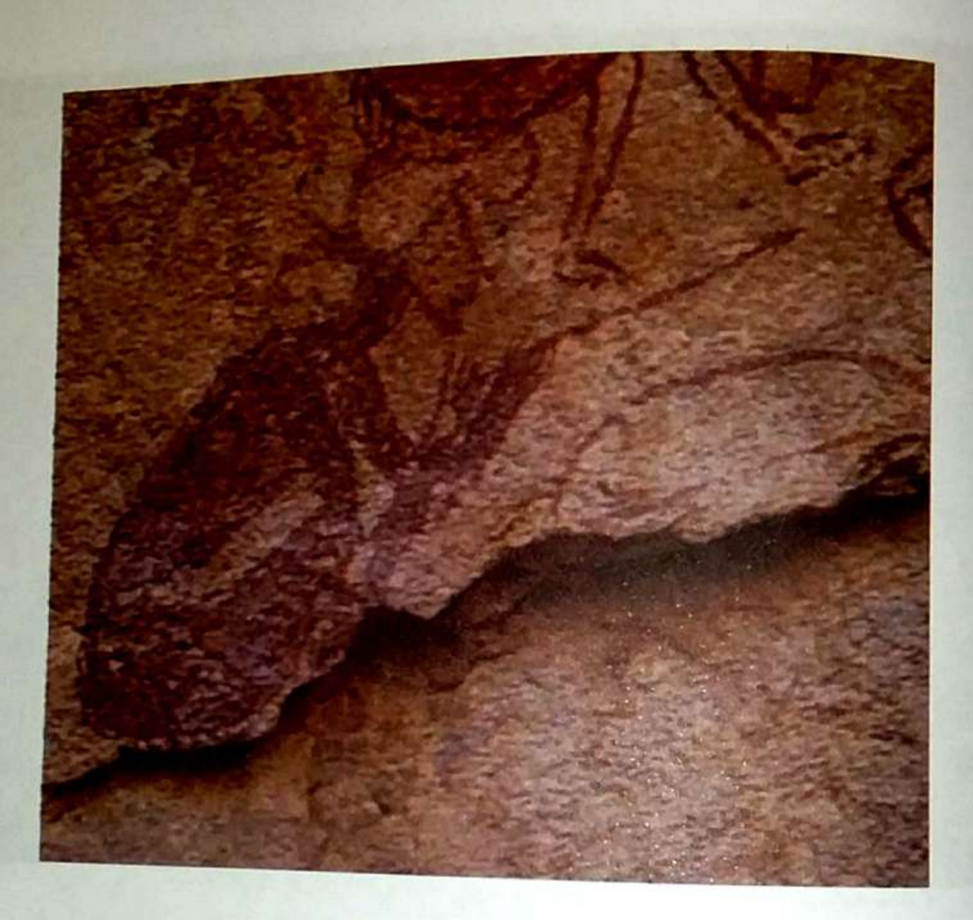
شكل 4 ـ دور الحصان: لقد ظهرت رسومات الحصان على واجهات الصخور أحياناً على شكل منفصل، وأحياناً أخرى متصل بعربة. ويرى العلماء أن بداية دخول الحصان إلى المنطقة كان في الفترة ما بين (2000 - 1500) قبل الميلاد. (عن. Jean Speuytte Attelages P. 70 fig. IV).



شكل 5 ـ دور الجمل: لقد ظهرت رسومات الجمل في هذا الدور مرسومة على الصخور باللون الأحمر على شكل قوافل. ويرى (موري) أن وصول الجمل كان مع بداية تحول المنطقة إلى صحراء قاحلة، والتي يحددها معظم علماء ما قبل التاريخ مع بداية الألف الأولى قبل الميلاد. عن (باربارا باريش، **الصحراء الكبرى**، ص135).



شكل 6 ـ لوحة صخرية عثر عليها في منطقة وان اميل بالأكاكوس وهي تمثل رجال يسرحون شعورهم، أحياناً بأنفسهم، وأحياناً أخرى بمساعدة رفقائهم. (عن فابريتشيو موري، **تادرارت**، ص 183).



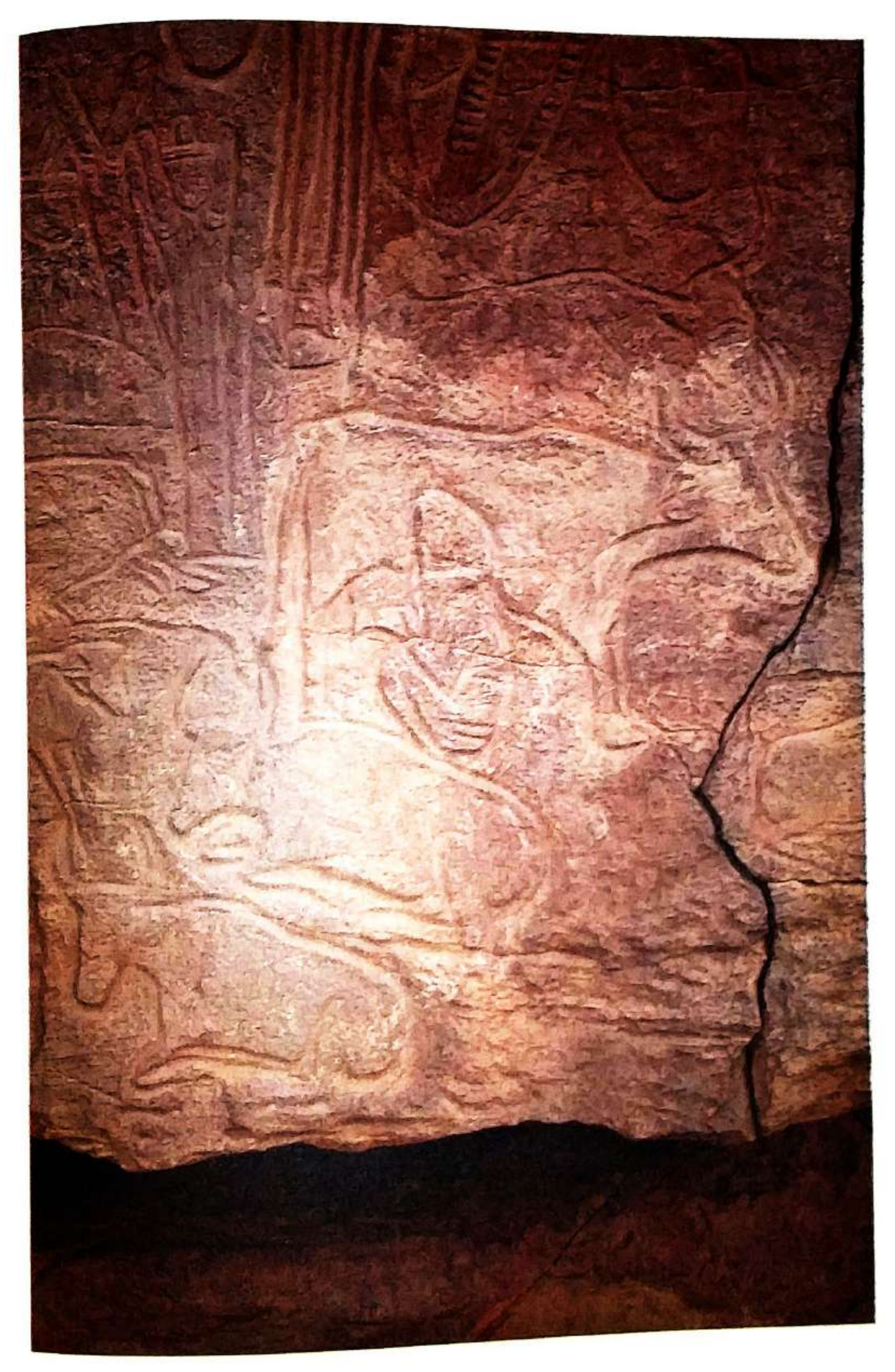
شكل 7 ـ تفصيل من اللوحة السابقة تمثل رجل وليس امرأة كما يرى موري، وهذا واضح من خلال لحية الرجل ومن خلال وجود النبل والقوس الذي يوجد بالقرب منه.



شكل 8 ـ رجال في مسابقة عامة للتزين، والفائز ستكون له جائزة ذات قيمة عالية، بدليل وجود بعض الأشخاص جاهزين في صفوف منتظمة، والبعض الآخر يحاول عمل النظرة الأخيرة على زينته قبل الدخول في الصفوف لبدء المسابقة واختيار الأفضل زينة من بين أولئك الأشخاص.



شكل 9 ـ شكلان متقابلان كل منهما يحمل عصى الرماية (العكاز)، وهي من الأدوات التي استعملت كأسلحة في عصور ما قبل التاريخ. الشكل الذي على اليسار رسم بملامح جانبية يتدثر بثوب أسود قصير. ملامحه الجانبية بلغت حد الكمال رغم أن العين لا تظهر في الرسم. لقد جاءت ملامح الوجه في غاية الدقة، حيث الجبهة العالية والأنف الدقيق والشفتان الرقيقتان والدقن الصغير. أما الشكل الذي على اليمين فهو الآخر يمتاز بنفس ملامح الشكل الأول. الشكلان لونت أجسامهما باللون الوردي الفاتح. (عن فابريتشيو موري، **تادرارت**، ص. 186).



شكل 10 ـ امرأة تحلب بقرة، وبالقرب منها مجموعة من الأبقار، وبالتالي يبدو أن المنظر يمثل حظيرة للأبقار.

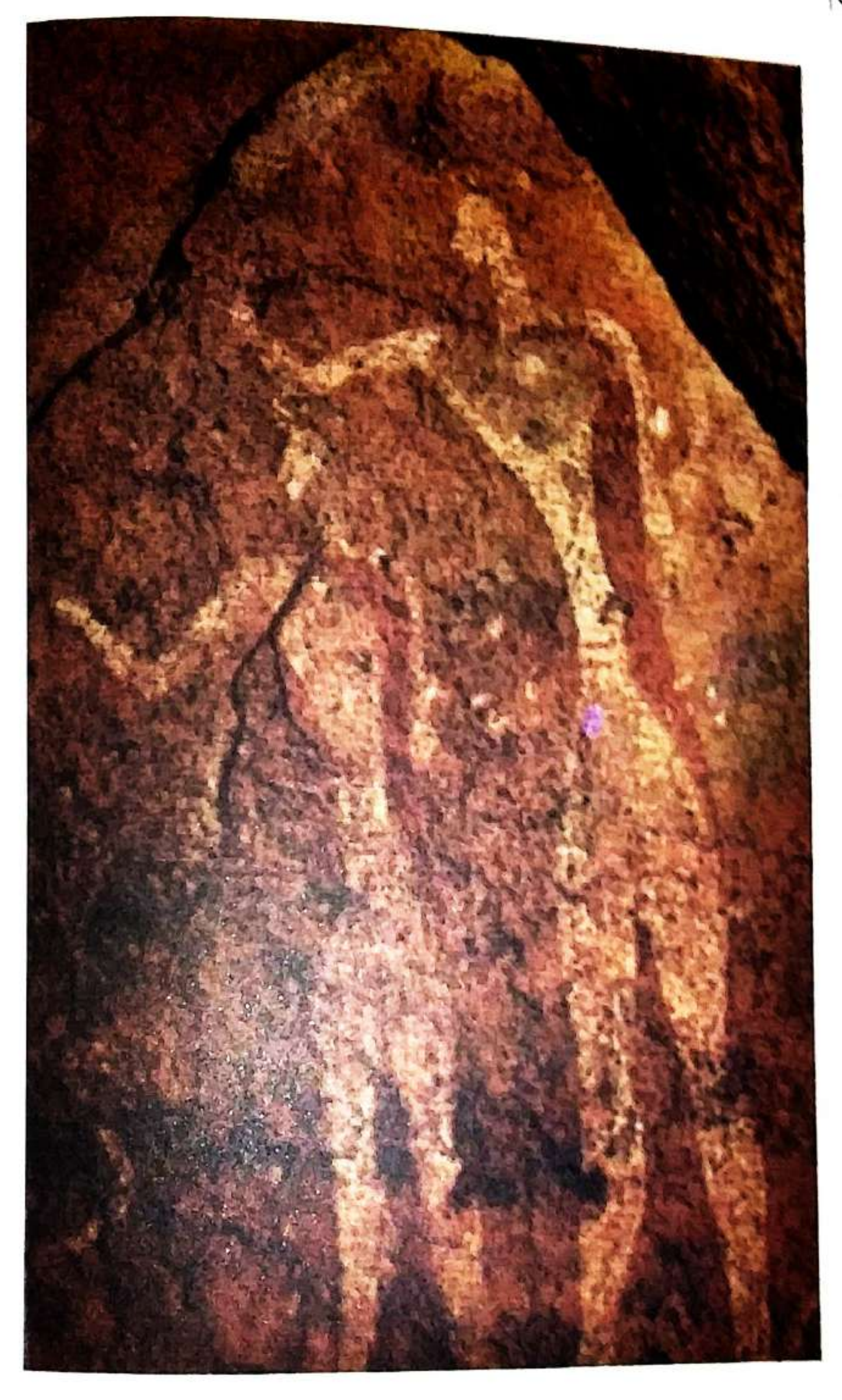


شكل 11 ـ حضارة الرعي وتربية الحيوانات في منطقة الصحراء الكبرى، حيث ظهرت الأشكال المرسومة على سفوح المرتفعات والمخابئ، المنظر يمثل أبقار معدة للرحيل تحمل أمتعة.



شكل 8 ج

شكل 12 ـ حضارة الرعي وتربية الحيوانات في منطقة الصحراء الكبرى، حيث ظهرت الأشكال المرسومة على سفوح المرتفعات والمخابىء، المنظر يمثل حظائر الأبقار المحاطة بفروع الأشجار نهاياتها من أعلى على شكل Y، معلقة بها أوان ربما تحتوي على الحليب الذي تم حلبه من الأبقار.



شكل 14 ـ لوحة عثر عليها بتين لالان بالأكاكوس، والتي تصور شخصين واقفين تظهر عليهما نفس الملامح البشرية، ونفس تسريحة الشعر التي تعلوه الريشة، ونفس الجلباب الفضفاض الذي يشبه البرنس، والذي ظهر على جدران المقابر المصرية القديمة عند تصويرهم لليبيين القدماء، بعد ذلك بزمن طويل. (عن فابريتشيو موري، تادرارت أكاكوس، ص 207).



شكل 15 ـ مقبض سكين جبل العرق: عثر على هذا المقبض تجاه نجع حمادي بالصحراء الشرقية. تمثل الرسومات التي على هذا المقبض رجال لهم خصلة من الشعر على شكل ظفيرة، ويلبسون كيس العورة، وهي صفات يتخذها الباحثون علامات مميزة لليبيين القدماء في ذلك الوقت. (عن Albert Chatelet, Histoire, p.33).



شكل 16 ـ لوحة الصيد أو ما يعرف بلوحة الأُسود: تصور هذه اللوحة عدد من الرجال يحملـون الأقـواس والحراب وعصى الرمايـة وحولهـم حيوانات كثيـرة للصيد ويزينون شـعورهم بالريـش ويرتـدون كيس العـورة ولهم ذيـول تتدلى من قمصانهـم وكل هذه الصفات اتخذها الباحثون كعلامات لليبيين القدماء. وهي من العلامات التي شاهدناها بكثرة في الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى، خلال فترة ما قبل التاريخ. ص84.



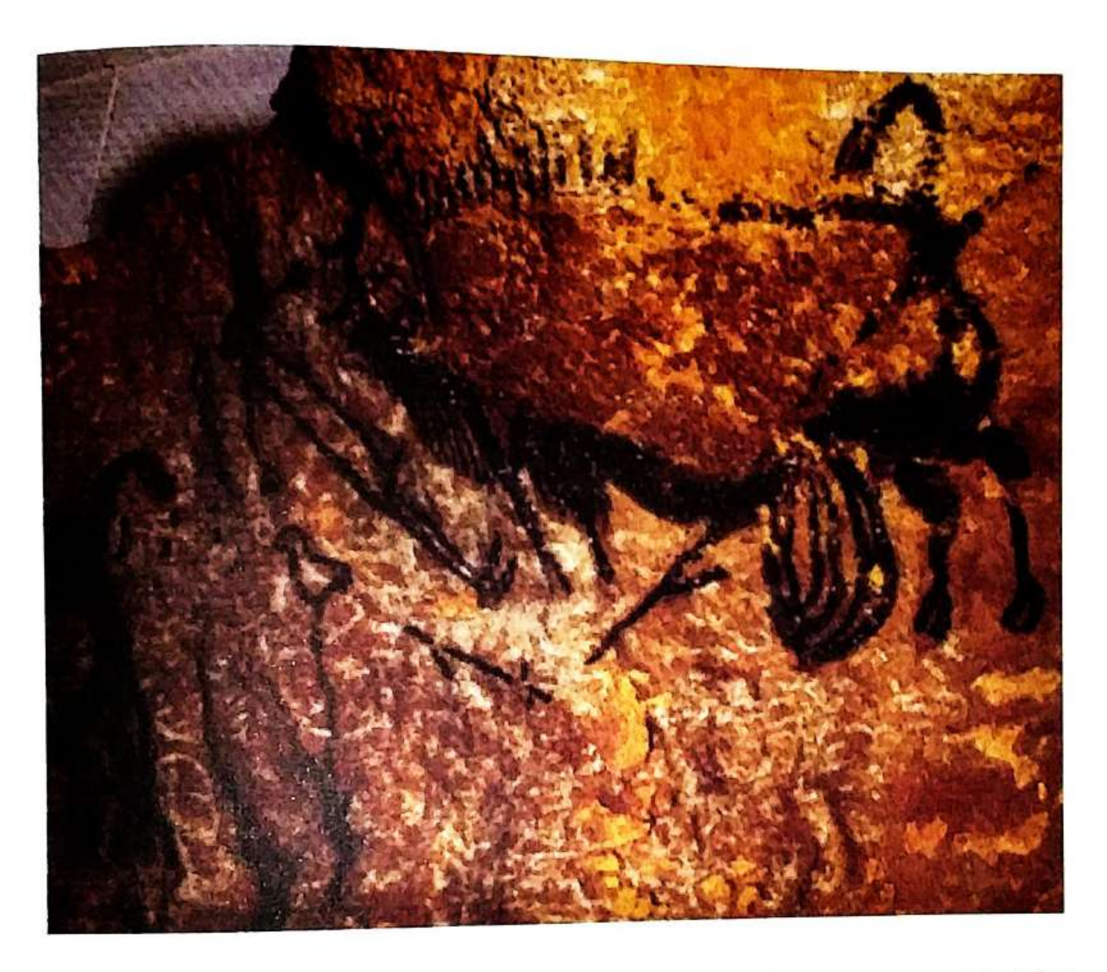
شكل 17 ـ لوحة التحنو: وتعتبر هذه اللوحة أهم الشواهد الأثرية التي تدل على الليبيين القدماء. وقد عثر عليها في أبيدوس في مصر العليا. نجد على أحد وجهي هذه اللوحة رسومات تمثل سبع مدن محصنة متحالفة استطاع أن ينتصر عليها الملك. أما على الوجه الآخر فنجد ثلاث صفوف تمثل ثيران وحمير وأغنام وأسفلها أشجار زيتون بالقرب منها العلامة الهيروغليفية التي تدل على التنحنو. ص84.



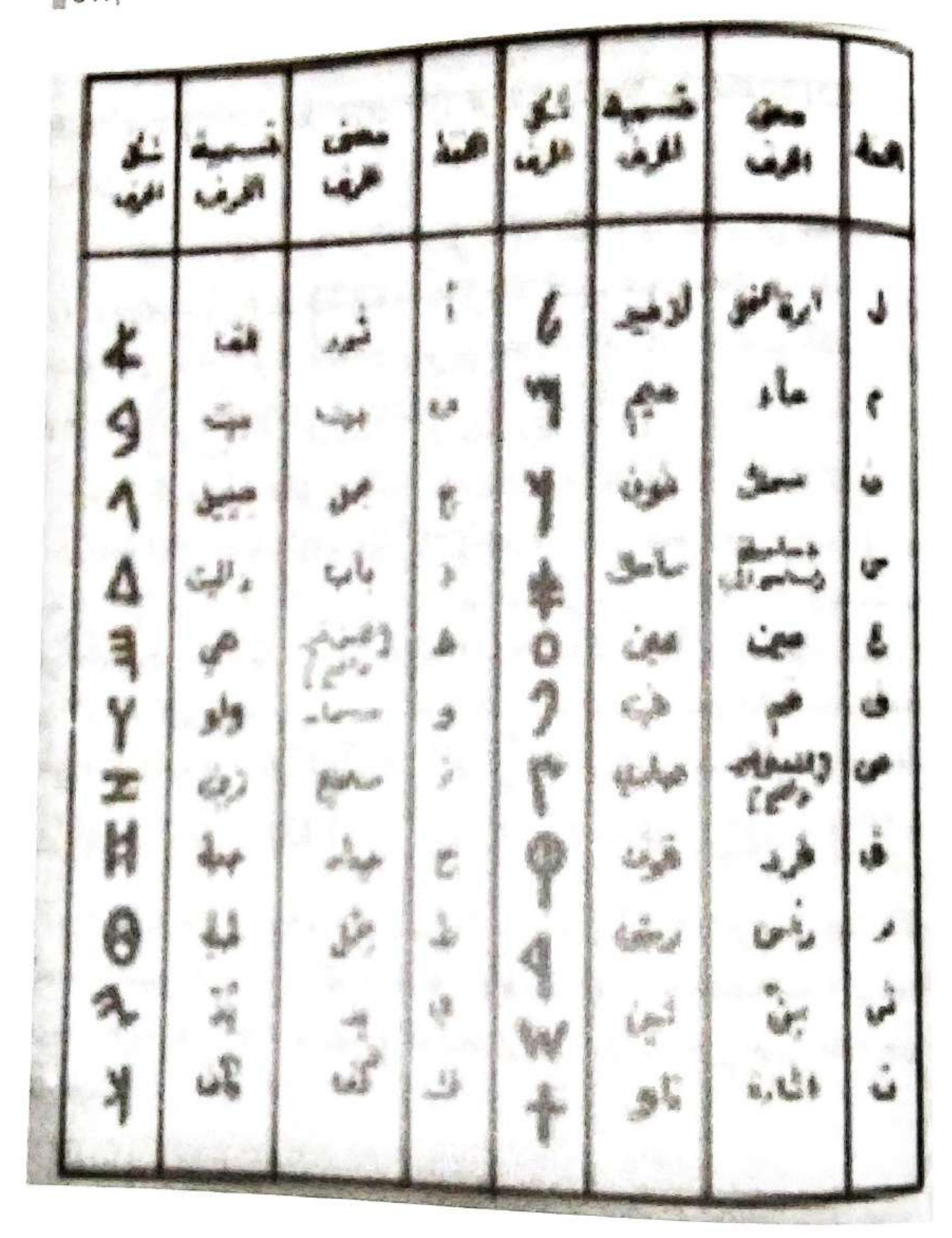
شكل 18 ـ لوحة التوحيد: يبدو الملك نعرمر في هذا النقش وهو يضرب مجموعة من الأسرى الجاثمين، نقش فوقهم عبارة تحنو باللغة الهيروغليفية. يرى البعض في هؤلاء الأسرى انهم ليبيون، ويرى البعض الآخر انهم مصريون. ص84.



شكل 19 ـ كهف هوافطيح: يعتبر هذا الكهف على درجة كبيرة من الأهمية، وهو يقع إلى الشرق من مدينة سوسة (ابولونيا)، ولا يبعد هذا الكهف كثيراً عن ساحل البحر، وربما موقعه هذا كان بجانب الطريق القديم الذي كانت الجماعات البشرية تعبره من الشرق إلى الغرب. والمنظر يوضح الكهف الذي أجرى به ماكبرني حفرياته التي من خلالها توصل إلى نتائج هامة غطت فترة زمنية تمتد من (90000) سنة منذ الوقت الحاضر، وحتى بداية الاستيطان الإغريقي بالجبل الأخضر في القرن السابع قبل الميلاد. (عن، (C. B. M. McBurney Libyan, P.28, fig. 3).

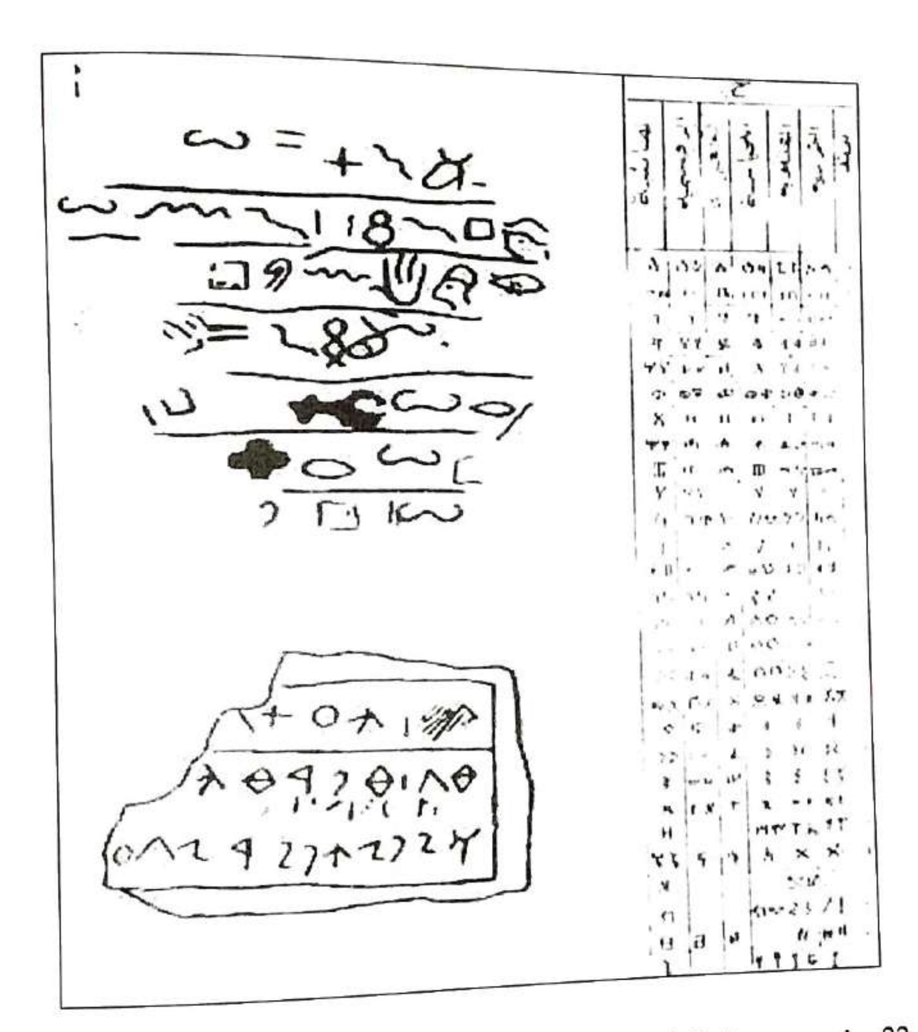


شكل 20 ـ مشهد يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، موجود حالياً بكهف لاسكو بمنطقة الدوردون بفرنسا، يمثل ثوراً وحشياً ورجلاً ورمحاً قصيراً. ومن خلال هذا الرسم نستطيع التوصل إلى أن صياداً هاجم ثوراً وحشياً ضخماً فطعنه بالرمح القصير في خاصرته فخرجت أمعاؤه وسالت منه الدماء. ولكن على الرغم من الجرح المميت الذي أصاب الثور، إلا أنه استطاع مهاجمة الصياد فألقاه صريعاً على الأرض. يرجع تاريخ هذا الرسم إلى حوالي (15000) سنة ق.م. (عن Henry de Lumley, Premiers Artistes, P. 6).



الصوت	معنى الحرف	تسمية الحرف	شكل الحرف	الصوت	معنى الحرف	تسمية الحرف	شكل الحرف
ل	أداة النخز	لامد		أ	ثور	ألف	
م	ماء	ميم		ب	بيت	بيت	
ن	سمك	نون		ج	جمل	جيميل	
س	دعامة (سنادة)	سامك		د	باب	دالت	
ع	عين	عين		هـ	[illegible]	هي	
ف	فم	في		و	مسمار	واو	
ص	(صنارة)	صادي		ز	سلاح	(زين)	
ق	قرد	قوف		ح	سياج	حيث	
ر	رأس	ريش		ط	عجل	طيت	
ش	سن	شين		ي	يد	يود	
ت	علامة	تاو		ك	كف	كف	

شكل 21 ـ لقد ظهرت أولى الأبجديات في المنطقة العربية القديمة لدى الكنعانيين وهي الأبجدية الكنعانية التي تتكون من 22 حرفاً. وقد كانت أبجدية بسيطة سهلة مما مهد لاستعمالها من قبل معظم شعوب العالم القديم، (عن عماد حاتم، في **فقه اللغة**، ص 221).



شكل 22 ـ نموذج يمثل كتابة منقوشة على مداخل بعض المناجم والمعابد، عثر عليها العلماء في سيناء خلال عامي (1904) و(1905م). ونظراً لعثور العلماء على هذه الكتابة في سيناء أُطلق عليها اسم الكتابة السينائية، (عن عماد حاتم، في **فقه اللغة**، ص 227).

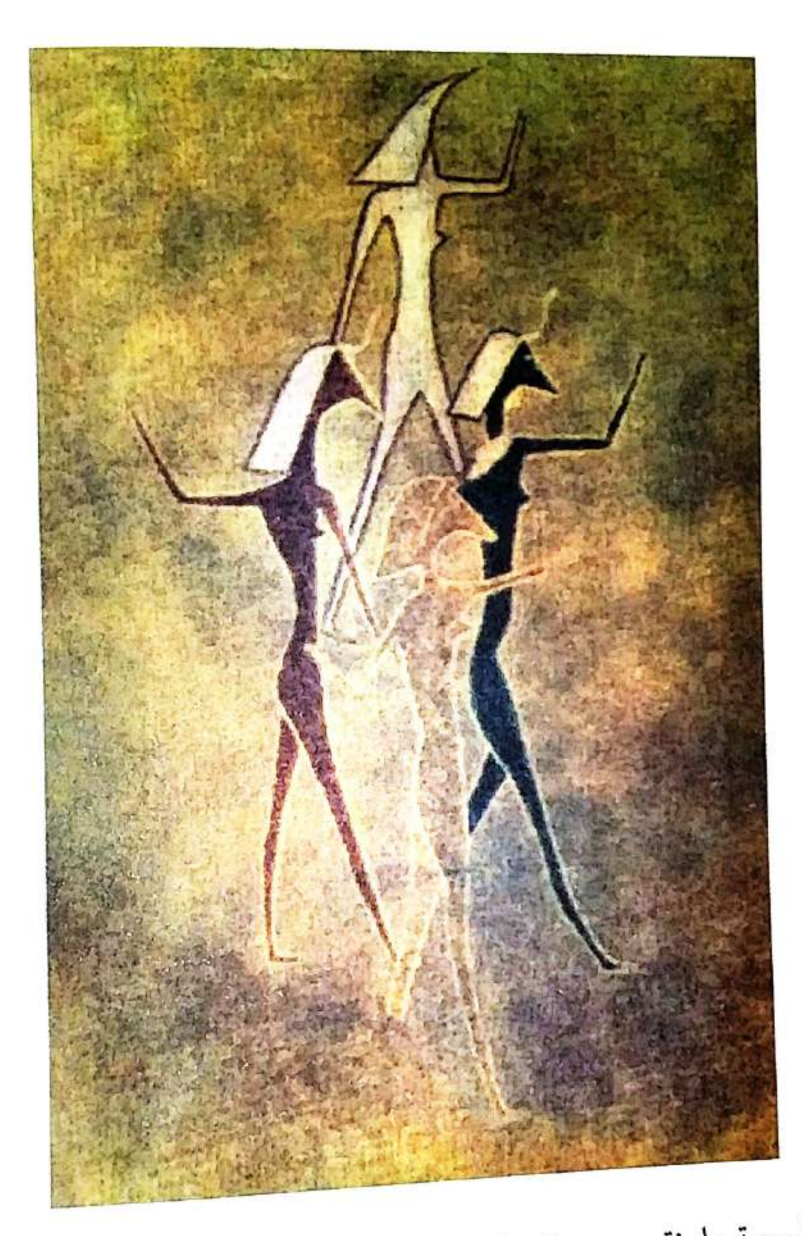
أوغاريتية	بابلية	أوغاريتية	بابلية
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

شكل 23 ـ أبجدية أوغاريت التي تعود لأوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد عثر عليها في أوغاريت، وهي تتكون من 22 حرفاً، لكنها كانت على نظام الخط المسماري، (عن عماد حاتم، في فقه اللغة، ص229).



شكل 24 ـ تابوت الملك أحيرام بمدينة بيبلوس (جُبيل). يعتبر النقش الموجود على هـذا التابـوت، أقدم نـص كنعاني كبير، يعـود تاريخه إلى مطلع الألـف الأولى قبل الميـلاد، ويبلـغ عدد حـروف الأبجدية المسـتعملة في هـذا النقش اثنين وعشـرين حرفاً، وهي: أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت (هي حسب الترتيب المعروف: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت). عن (Albert Chatlet et Bernard Philippe Croslier, Histoire, Larousse, P.3).

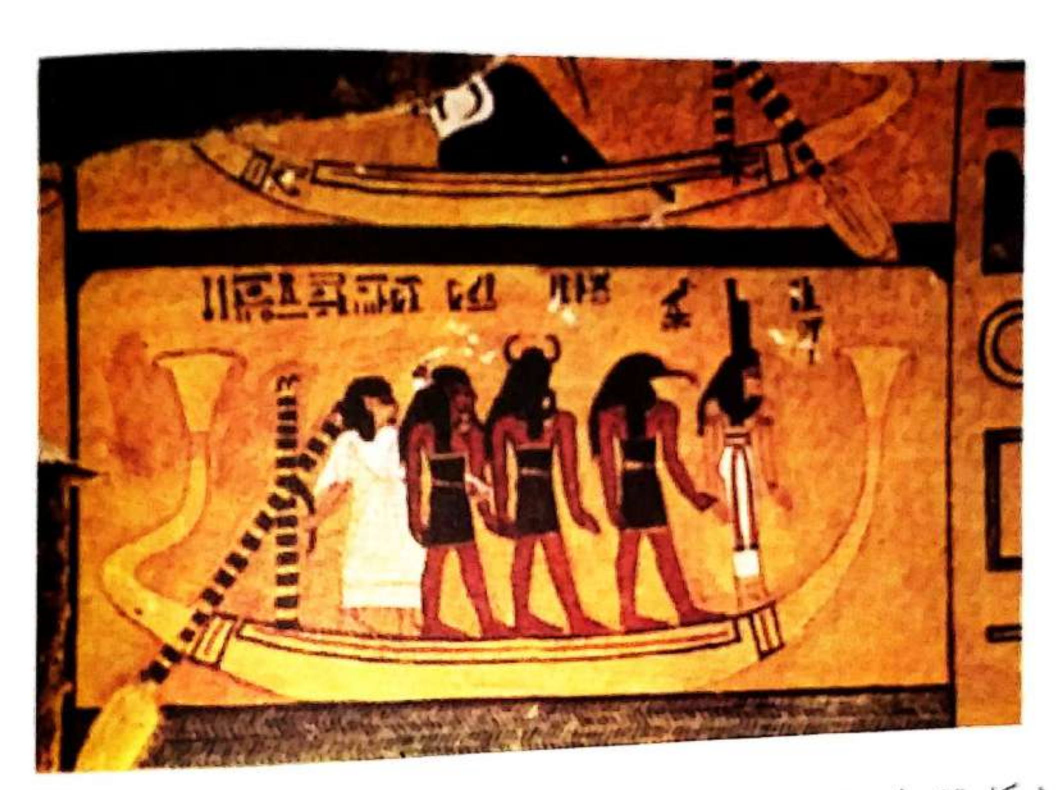
شكل 25 ـ كتابة يونانية قديمة عثر عليها بجزيرة (ثيرا ـ سانتورين الحالية) ببلاد اليونان، وتتجه حروف هذه الكتابة من اليمين إلى اليسار، كما أخذوها عن الكنعانيين لأول مرة (عن عماد حاتم، في **فقه اللغة**، ص249).



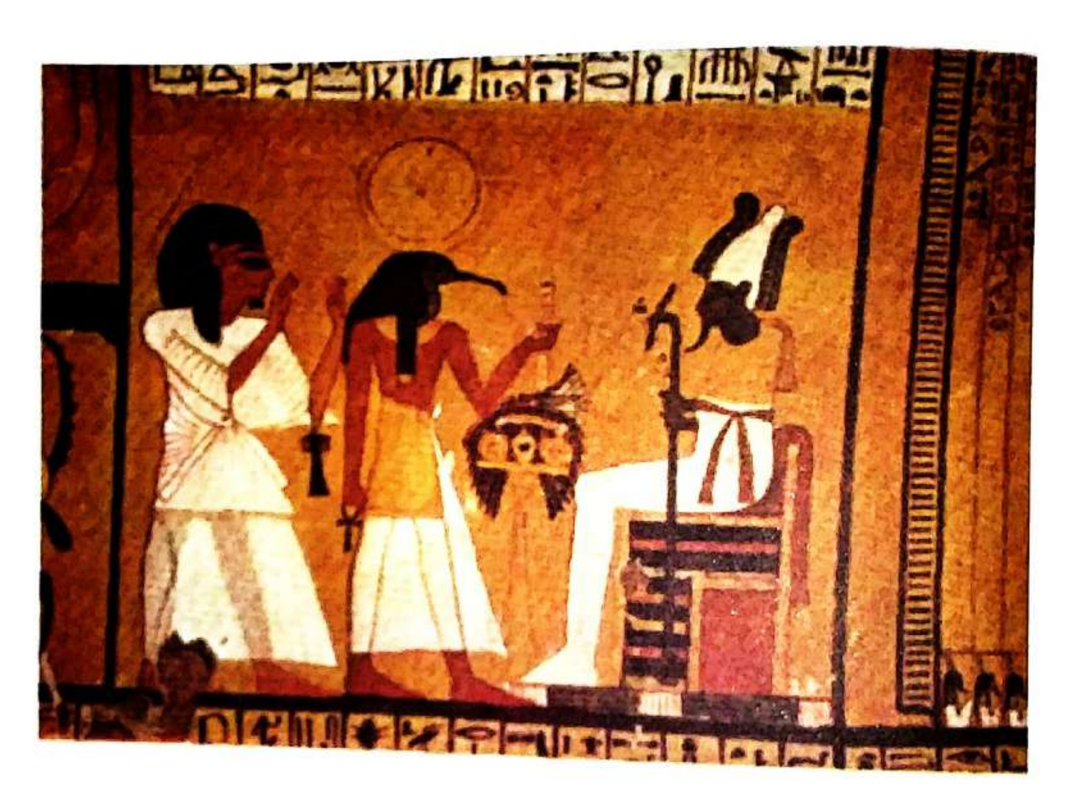
شكل 26 ـ لوحة ملونة مرسومة على الصخور عثر عليها في منطقة جبارين بجبال تاسيلي، تمثل كما يرى (هنري لوث) الإلهات الصغيرات ذات الرؤوس الطيرية. وأطلق عليها بازامة اسم التقويم الزمني. (عن هنري لوث، **لوحات تاسيلي**، ص64، شكل أ).



شكل 27 ـ لوحة مرسـومة على الصخور عثر عليها في منطقة جبارين بجبال تاسـيلي، تمثـل كمـا يرى (هنري لـوث) تقديـم القربان، وأطلـق عليها بازامة اسـم الإله تحوت وقاربه والحساب الزمني. (عن هنري لوث، **لوحات تاسيلي**، ص80، شكل 26).



شكل 28 ـ لوحة جدارية موجودة بمقبرة توت عنخ أمون بمدينة طيبة (الاقصر)، تمثل نقل متوفية عن طريق السفينة نحو العالم السفلي، برفقة العديد من الآلهة، ومنهم الإله تحوت.

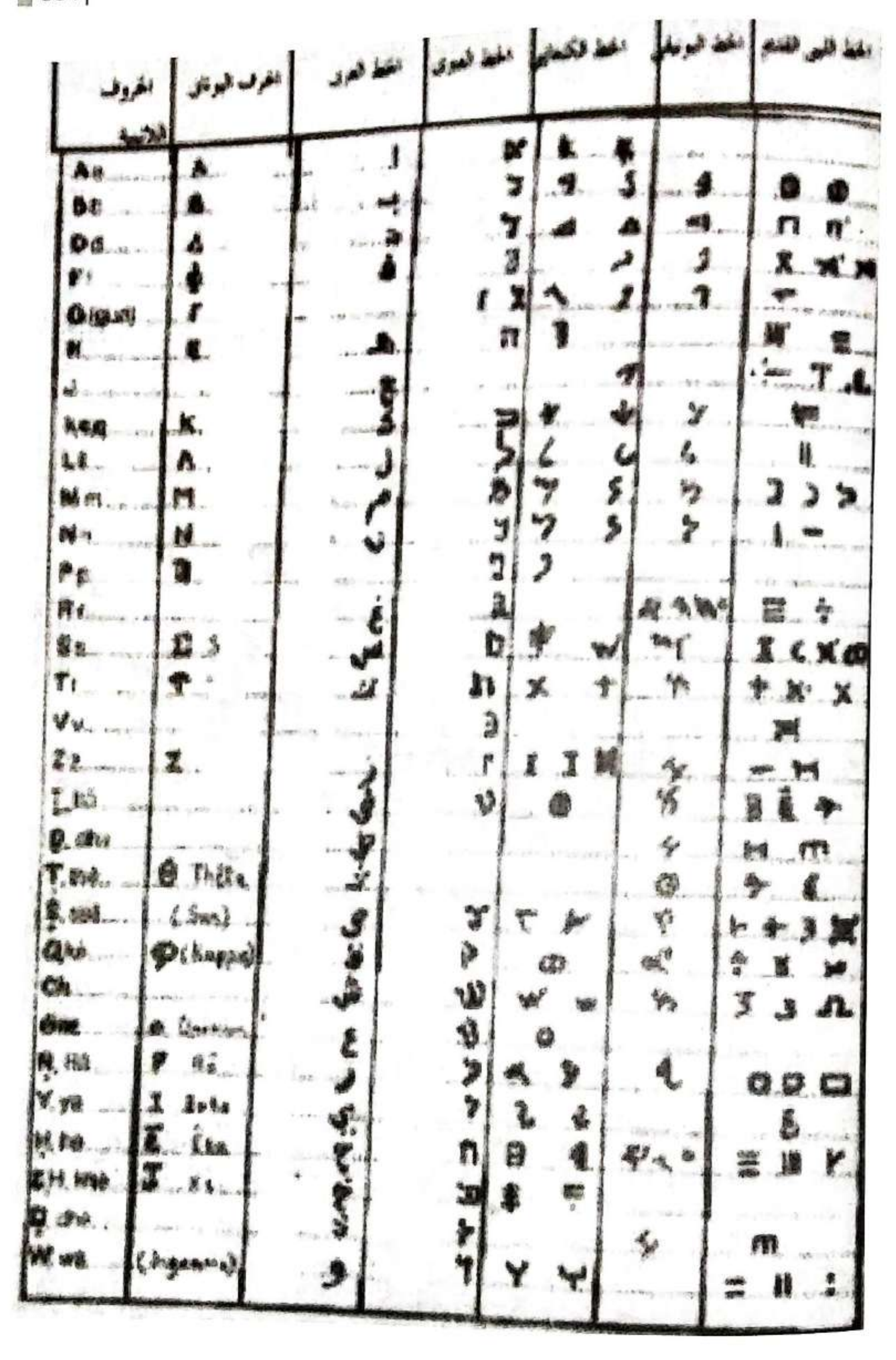


شكل 29 ـ رسم جداري من مقبرة توت عنخ أمون بمدينة طيبة (الاقصر)، يمثل الإله تحوت يقود متوفية نحو الإله أوزيريس، لتقديمها للحساب.

جدول الخطوط الأبجدية

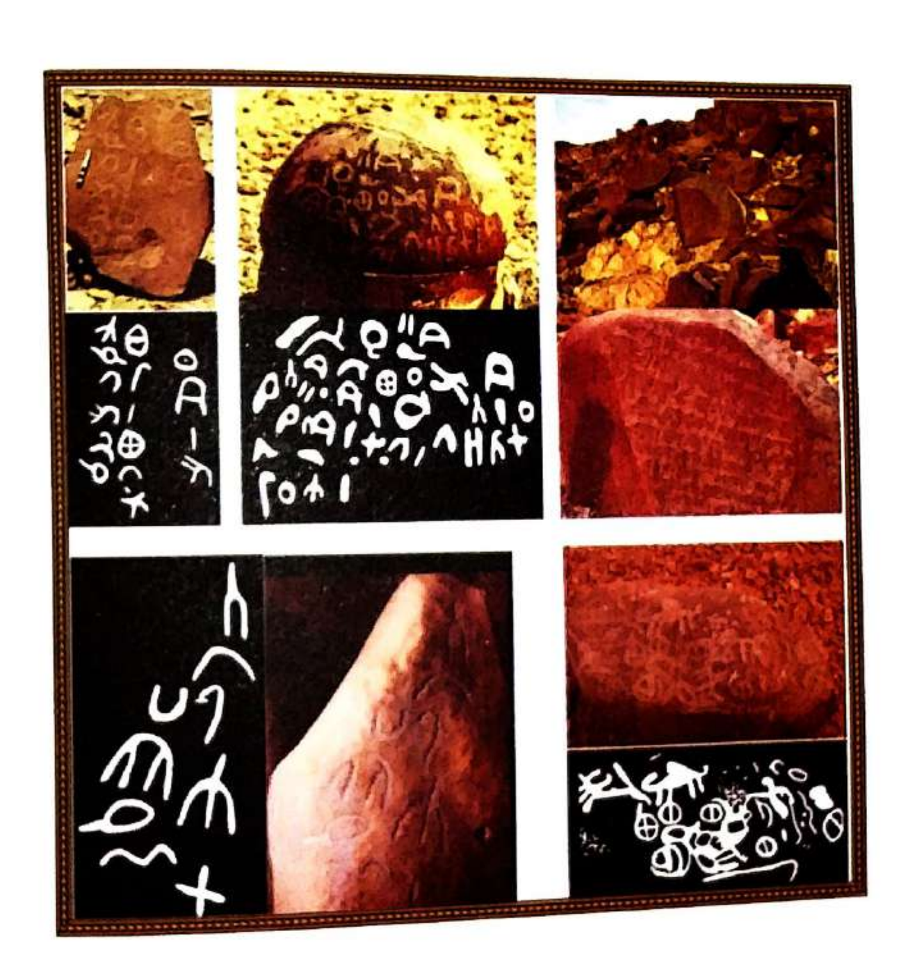
اللاتيني	اليوناني	العربي	السرياني	النبطي	الآرامي	الفينيقي	المسند	الاسم	الليبي	الهيروغليفي
A	A	ا	ا	[illegible]	א	[illegible]	[illegible]	ألف	[illegible]	[illegible]
B	B	ب	[illegible]	[illegible]	ב	[illegible]	[illegible]	بيت	[illegible]	[illegible]
CG	Γ	ج	[illegible]	[illegible]	ג	[illegible]	[illegible]	جمل	[illegible]	[illegible]
D	Δ	د	[illegible]	[illegible]	ד	[illegible]	[illegible]	دالت	[illegible]	[illegible]
E	E	ه	[illegible]	[illegible]	ה	[illegible]	[illegible]	هي	[illegible]	[illegible]
FV	Y	و	[illegible]	[illegible]	ו	[illegible]	[illegible]	واو	[illegible]	[illegible]
Z	[illegible]	ز	[illegible]	[illegible]	ז	[illegible]	[illegible]	زين	[illegible]	[illegible]
H	H	ح	[illegible]	[illegible]	ח	[illegible]	[illegible]	حيت		[illegible]
·	Θ	ط	[illegible]	[illegible]	ט	[illegible]	[illegible]	طيت	[illegible]	[illegible]
I	[illegible]	ي	[illegible]	[illegible]	י	[illegible]	[illegible]	يود	[illegible]	[illegible]
K	K	ك	[illegible]	[illegible]	כ	[illegible]	[illegible]	كف	[illegible]	[illegible]
L	L	ل	[illegible]	[illegible]	ל	[illegible]	[illegible]	لمد	[illegible]	[illegible]
M	M	م	[illegible]	[illegible]	מ	[illegible]	[illegible]	ميم	[illegible]	[illegible]
N	N	ن	[illegible]	[illegible]	נ	[illegible]	[illegible]	نون	[illegible]	[illegible]
	Ξ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ס	[illegible]	[illegible]	سمك		[illegible]
O	O	ع	[illegible]	[illegible]	ע	O	O	عين	[illegible]	[illegible]
P	Γ	ف	[illegible]	[illegible]	פ	[illegible]	[illegible]	في	[illegible]	[illegible]
		ص	[illegible]	[illegible]	צ	[illegible]	[illegible]	صادي		[illegible]
Q	[illegible]	ق	[illegible]	[illegible]	ק	[illegible]	[illegible]	قوف	[illegible]	[illegible]
R	P	ر	[illegible]	[illegible]	ר	[illegible]	[illegible]	ريش	[illegible]	[illegible]
S	Σ	ش	[illegible]	[illegible]	ש	[illegible]	[illegible]	شين	[illegible]	[illegible]
T	T	ت	[illegible]	[illegible]	ת	[illegible]	X	تاو	+	[illegible]

شكل 30 ـ جدول يمثل معظم الخطوط الأبجدية العربية القديمة، والتي يمكن من خلالهما التعرف على الصلة الوثقى بين الأبجدية الليبية القديمة وتلك الأبجديات. (عن أحمد ارحيم هبو، **تاريخ الشرق القديم**، ص 263).

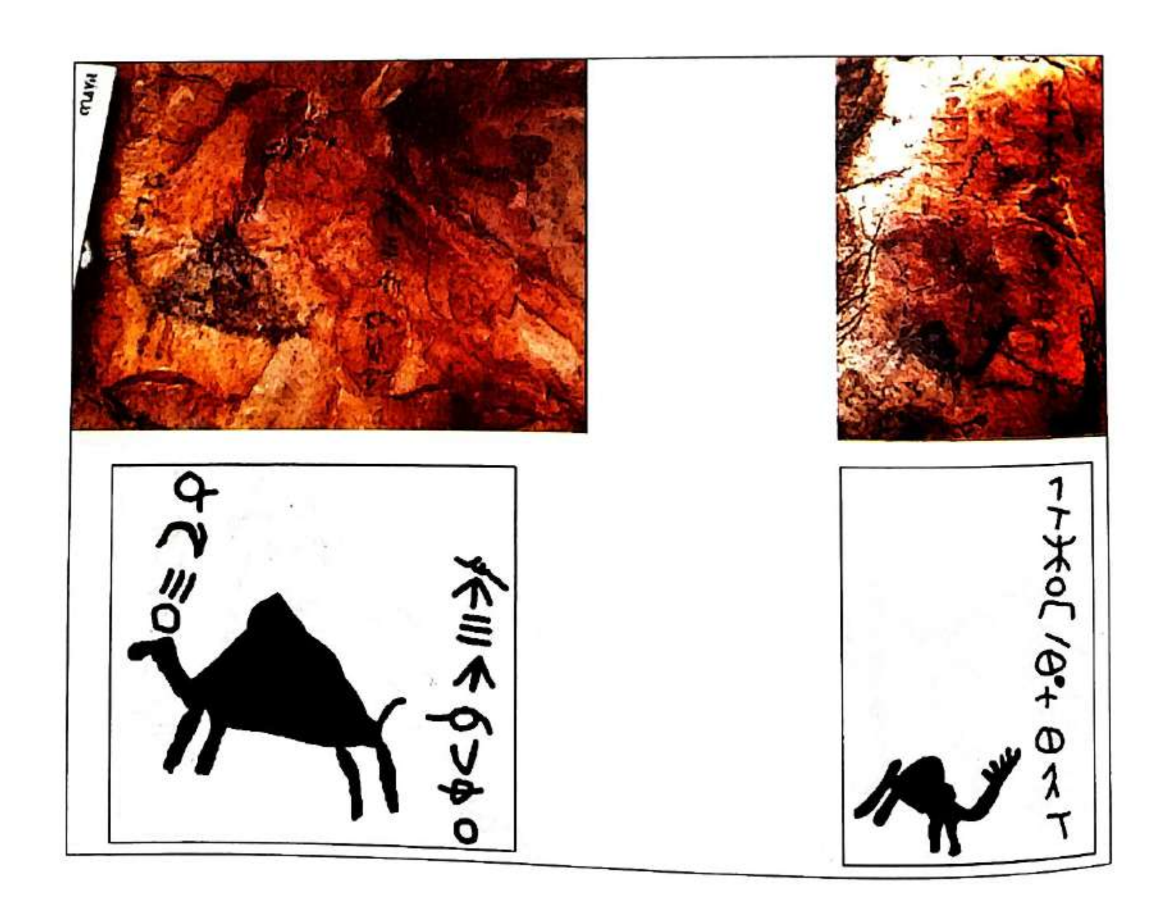


شكل 31 ـ جدول يمثل بعض الخطوط الأبجدية التي تفرعت عن الأبجدية الكنعانية، والتي يمكن من خلالهما التعرف على الصلة الوثقى بين الأبجدية الليبية القديمة وتلك الأبجديات. عن (P.64 Abdelaziz Ferrah, LAmazigh).

الأشكال (32، 33، 34، 35، 36)، تمثل كتابات منطقة ظفار بسلطنة عُمان، ومن خلال هذه الكتابات الكثيرة، استطاع الباحثون فرز 33 حرف غير مكررة، والتي يُعتقد أنها تشكل أبجدية هذه الكتابات، والتي يمكن أن نميّز فيها نوعين من الكتابة: كتابات كُتبت بالحبر الأسود والأحمر والبرتقالي والأخضر، وهي تمثل (90 ٪) من الكتابات والنقوش، ونقوش نُقشت على الصخر وهي تمثل (10 ٪) من الكتابات والنقوش. نقلاً عن أ. علي أحمد الشحري، لغة عاد، المؤسسة الوطنية للتغليف والطباعة، أبو ظبي، 2000م.

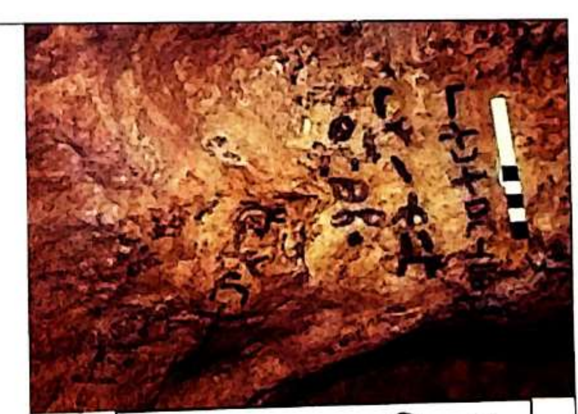






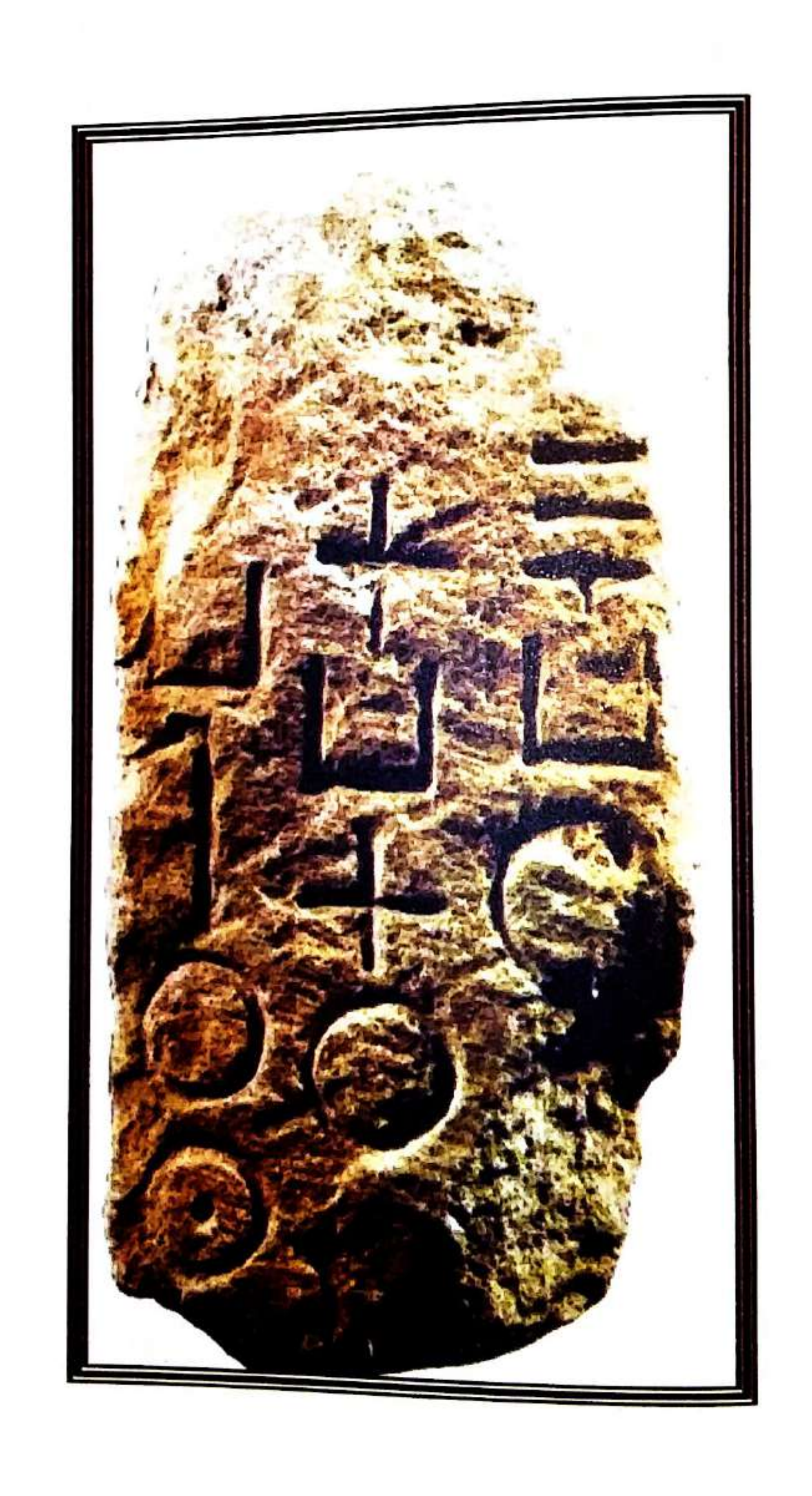


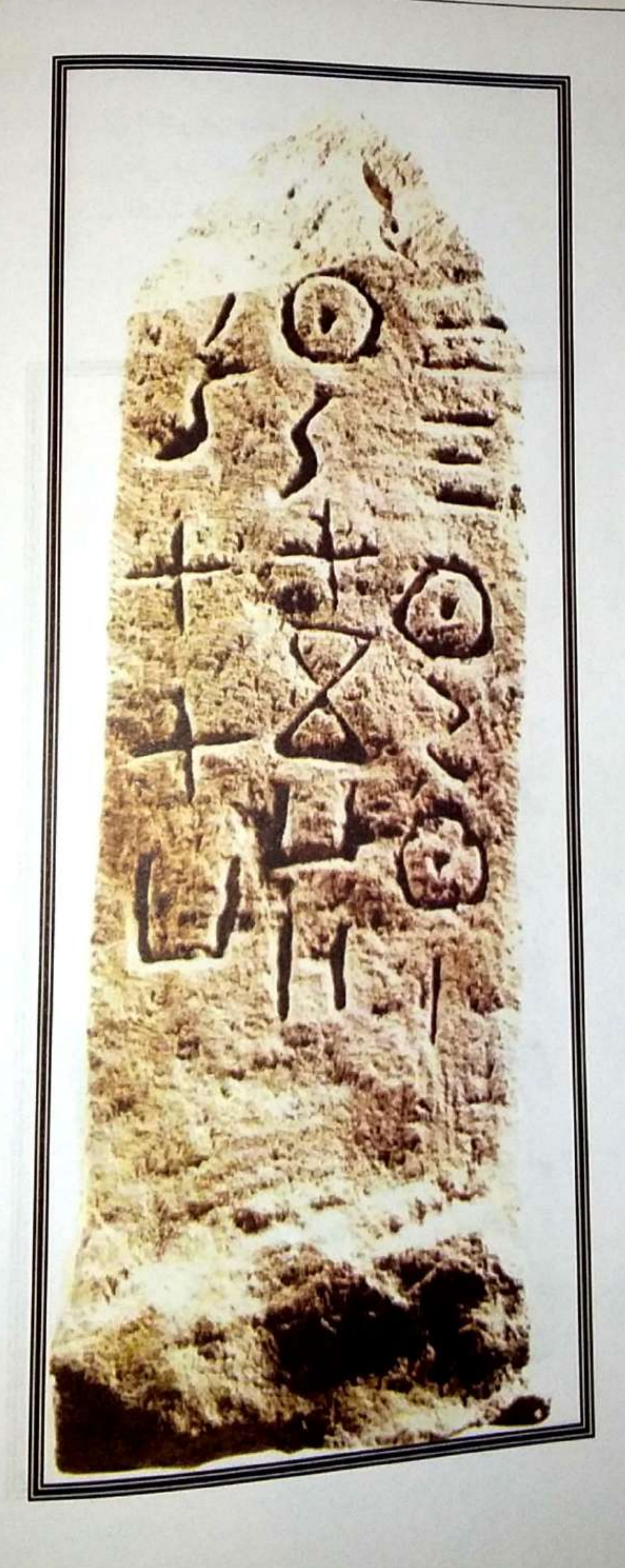




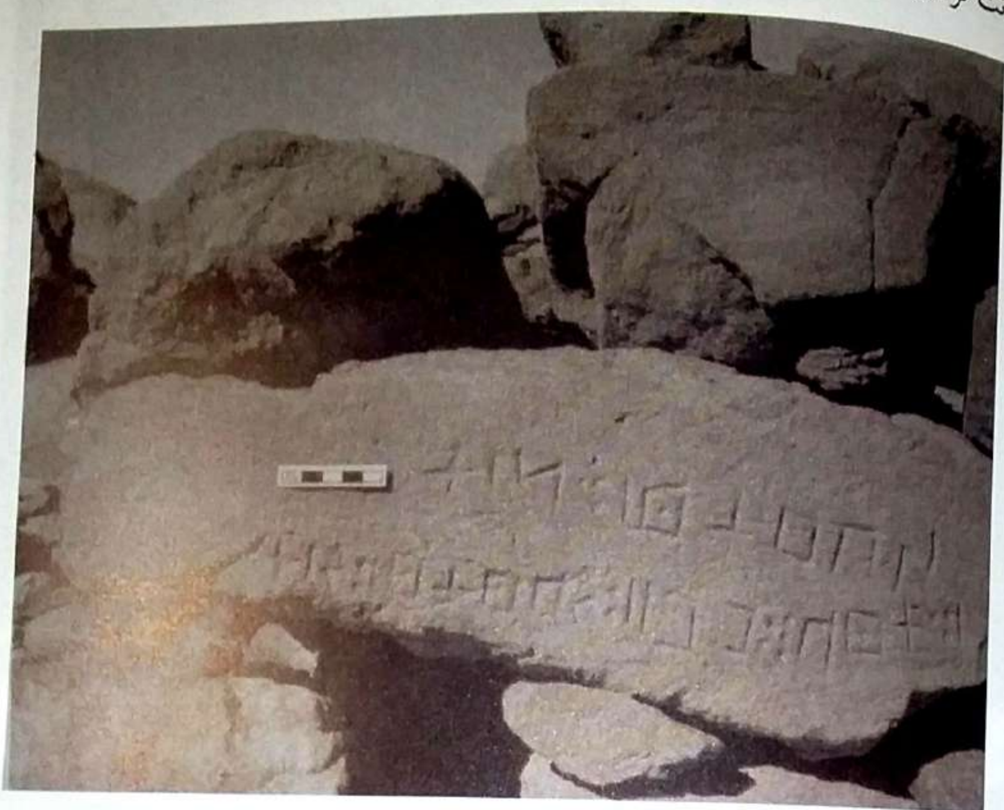


الشكلان (37 و38)، يمثلان نقوش نذرية عثر عليها في تونس بمنطقة مغراوة، مكتر، وقد عرفت هذه النقوش في الكثير من مناطق المغرب القديم خلال العصور القديمة، خاصة خلال القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، والتي اكتشف منها حتى الآن أكثر من (1300) نقش. نقلاً عن أليف، **الكتابة في البحر المتوسط**، أليف، تونس، 1988، ص36، 37.

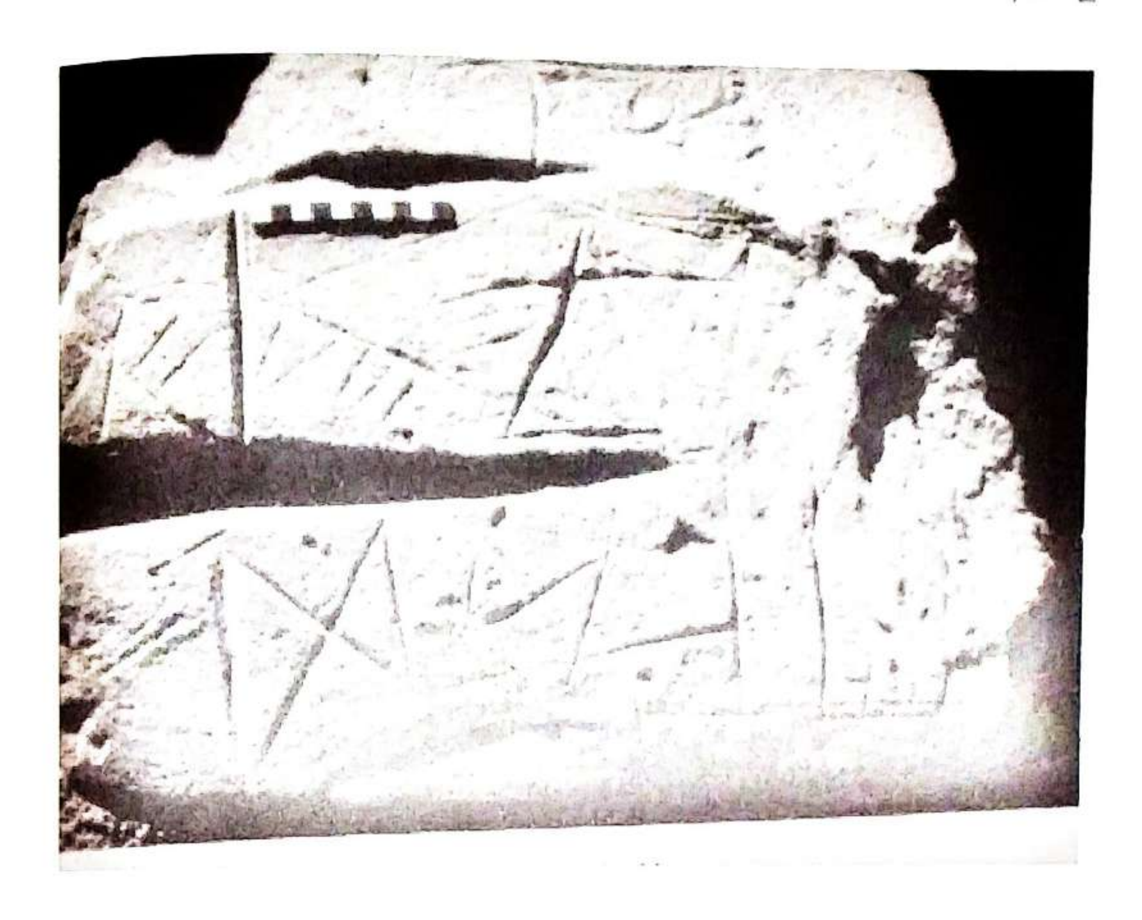




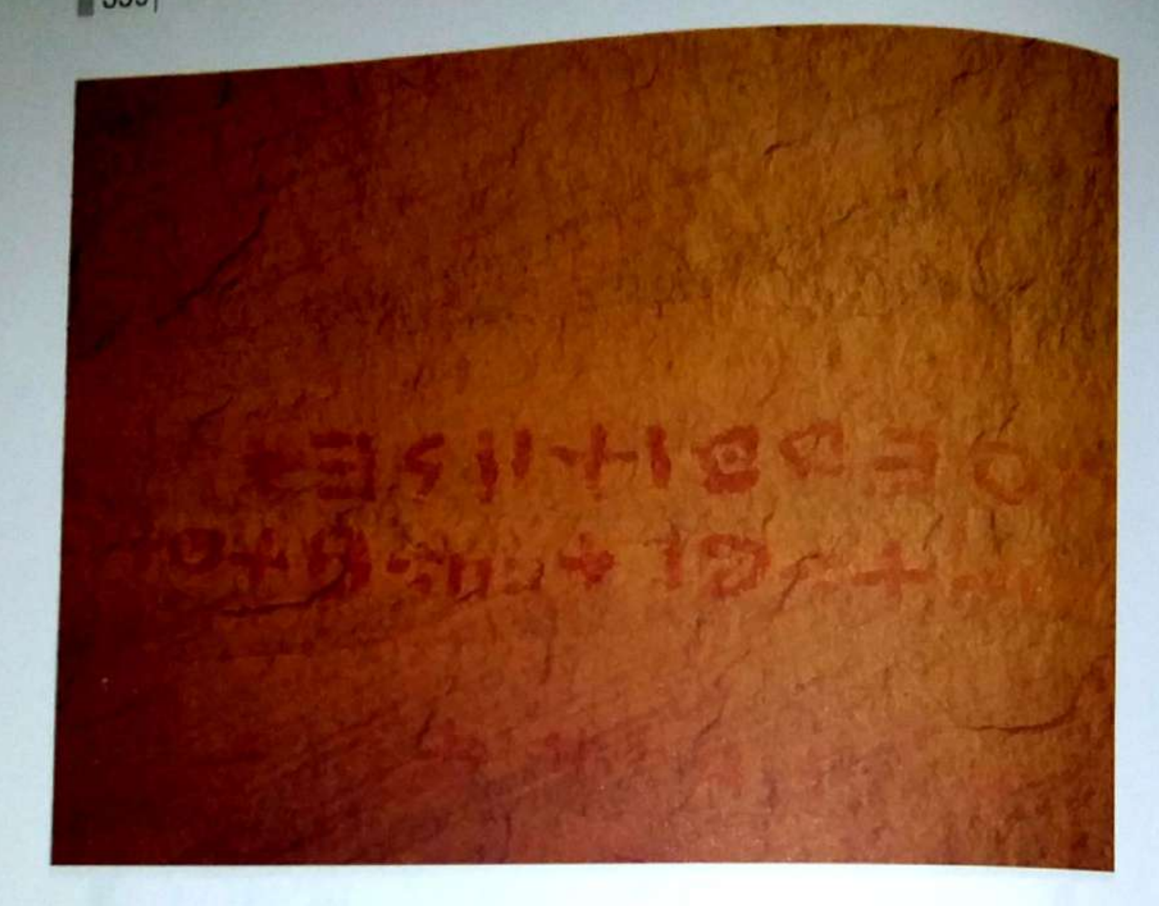
الأشكال (39، 40، 41، 42، 43، 44، 45)، نقوش عثر عليها في الصحراء الكبرى، والتي كانت ترافق الرسوم الصخرية في بعض الأحيان، ويطلق عليها التيفيناغ.

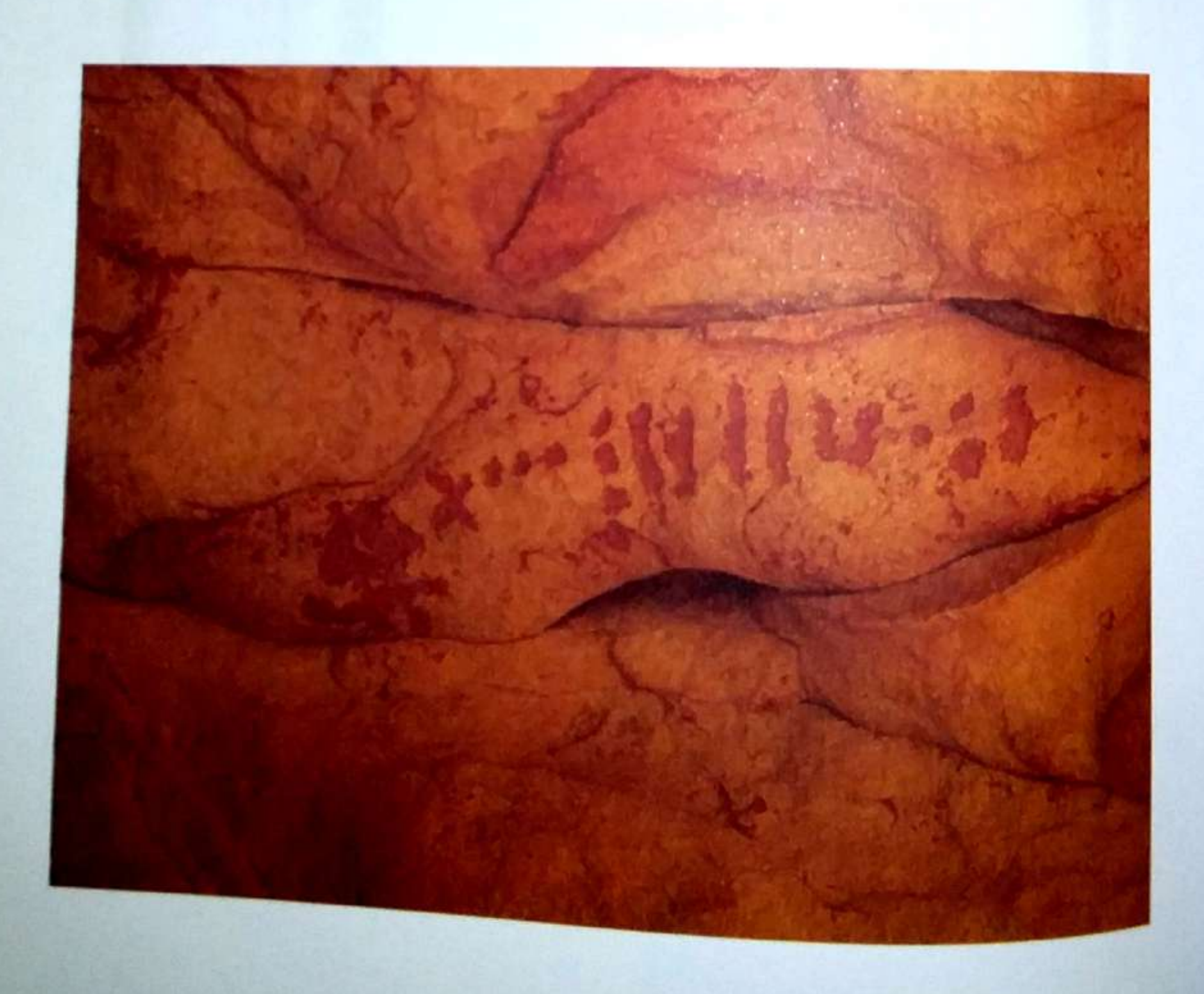














الشكلان (46، 47)، وهما يمثلان بعض الأبجديات السامية، وبالقرب منها حروف ظفارية، بالإضافة إلى الأبجدية التي تم فرزها كأبجدية من الحروف الظفارية.

الجدول ادناة عبارة عن تجميع للحروف المختلفة من الكتابات في ظفار ثم فرز واختيار الحروف التي من المحتمل بانها تشكل ابجدية تلك الكتابات.

الجدول ادناة عبارة عن بعض الابجديات السامية (العربية) وكذلك حروف الكتابات في ظفار للمقارنة فقط

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
ا	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	A
ب	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	B
ج	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Γ
د	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Δ
ذ			[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		
هـ	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	E
و	[illegible]	Y	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Y
ز	[illegible]	I	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	I	Z
ح	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	B H	H
خ			[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		
ط	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Θ
ظ			[illegible]		[illegible]			
ي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	I
ك	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	K
ل	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Λ
م	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	M
ن	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	N
س	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		Ξ
ع	[illegible]	O	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	O	O
غ			[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		
ف	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Π
ص	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
ض			[illegible]	[illegible]	[illegible]			
ق	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
ر	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	P
ش	[illegible]	W	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	Σ
ت	+	+X	×	[illegible]	[illegible]	×	T	T
ث			[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		
س٢			[illegible]		[illegible]	[illegible]		

٩
[illegible]

(٩) - حروف الكتابات في ظفار التي من المحتمل بانها أبجدية هذه الكتابات

(١) – الابجدية السينائية

(٢) – الابجدية الفينيقية

(٣) – الابجدية السبئية + الحميرية

(٤) – الابجدية الثمودية

(٥) – الابجدية الصفوية

(٦) – الابجدية اللحيانية

(٧) – الابجدية اليونانية القرن (٨ ، ٦ ق م)

(٨) – الابجدية اليونانية القرن (٤ ق م)

الشكلان (48، 49)، وهما يمثلان قائمة بالحروف الليبية القديمة، بما في ذلك الحروف الأمازيغية الحديثة المعدلة، مأخوذة من كتاب **لنتكلم الأمازيغية**، كلها وُضعت في قائمة مع ما يقابلها من الحروف الظفارية.



		الحروف الأمازيغية تيفناغ إركام	الحروف في تلغار للمقارنة .			الحروف الأمازيغية تيفناغ إركام	الحروف في تلغار للمقارنة .	ابجدية كتابات تلغار المتوقعة	
1	ا	ⴰ	O	18	ع	ⵄ	ⵄ	A	||
2	!	ⵉ	Σ	19	غ	ⵖ	ⵖ	+	V
3	ب	ⴱ	Θ	20	ف	ⴼ	H	H	|||
4	ت	ⵜ	+	21	ق	ⵇ	Ϙ	O	—
5	ج	ⵊ	I	22	ك	ⴽ	↗	●	ᕱ
6	ح	ⵃ	ⵃ	23	ك	ⴽⵯ		♀	ᚨ
7	خ	ⵅ	Ψ	24	ك	ⴳⵯ		T	ᛉ
8	د	ⴷ	Λ	25	ك	ⴳ	⧗	-o-	Ⱨ
9	ر مفخمة	ⵕ	Q	26	ل	ⵍ	И	⊙	ᒣ
10	ر مرققة	ⵔ	O	27	م	ⵎ	ⵎ	Φ	ℿ
11	ز مفخمة	ⵥ		28	ن	ⵏ	|	Θ	⅄
12	ز مرققة	ⵣ	ⵣ	29	هـ	ⵀ	ⵀ	↑	ⵞ
13	س	ⵙ	ⵙ	30	و	ⵡ	ⵡ	∩	8
14	ش	ⵛ		31	و	ⵓ	ⵓ	˥	ϭ
15	ص	ⵚ	Ø	32	ي	ⵢ	ⵢ	Γ	O~
16	ض	ⴹ	E	33	بين ساكنين	ⴻ	8	⅄	M
17	ط	ⵟ						|	

ثانياً: المصادر والمراجع

1 ـ المصادر والمراجع العربية والمترجمة

ـ القرآن الكريم.

ـ الكتـاب المقدس أي: كتاب العهد القديم والعهد الجديد، 1 دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

ـ ابن خرداذبه المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.

ـ ابن خلدون، كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (الجزء السادس)، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

- ابن عبدالحكم، فتوح مصر والمغرب (تحقيق: علي محمد عمر)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004 م

- ابن منظور، لسان العرب، سبع مجلدات، دار صادر، بيروت، 1997م.

- أحمد، محمد خليفة حسـن، رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.

- الإدريسـي، من كتـاب نزهة المشـتاق، حققه ونقله إلى الفرنسـية محمد حاج صادق، بوبليشد، باريس، 1983م.

- الإرياني، مطهر علي، نقوش مسندية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990م.

- أميـن، محمـود حسـين، الكنعانيـون الغربيـون، في محاضرات الموسـم الثقافي الأول، مركز الجهاد للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989م.

- أولدروج، د.، الهجرات والاختلافات السلوكية واللغوية، تاريخ إفريقيا العام، الجزء الأول، جين أفريك/اليونسكو، باريس، 1980م.
- بازامة، محمد مصطفى، تاريخ ليبيا (1) عصور ما قبل التاريخ، الجزء الأول، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1973م.
- بازامة، محمد مصطفى، سكان ليبيا في التاريخ عصور ما قبل الإسلام، الحوار الثقافي العربي الأوروبي، بيروت، 1994م.
- بازامة، محمد مصطفى، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب، وزارة الأنباء والإرشاد، طرابلس، 1965م.
- باقر، طه، عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة، ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1968م.
- البرغوثي، عبداللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، بيروت، 1971م.
- برون، فرانسوا، نشوء وصيرورة أبجدية جنوب الجزيرة العربية، اليمن في بلاد ملكة سبأ (ترجمة: بدرالدين عرودكي)، معهد العالم العربي/الأهالي، 1999م.
- برونوفسكي، جاكوب، التطور الحضاري للإنسان (ارتقاء الإنسان) (ترجمة: أحمد مستجير)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.
- بريان، أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر (ترجمة: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989م.
- بل، ألفرد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، (ترجمة: عبدالرحمٰن بدوي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

- ابن وهب، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (المجلد الأول)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.

- بورتير، رولان وجاك بارو، بدايات التقنيات الفلاحية وتطورها وانتشارها، تاريخ إفريقيا العام الجزء الأول، جين أفريك / ستوك/ اليونسكو، 1980.

- بوزنر، جورج وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة (ترجمة: أمين سلامة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

- بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1983م.

- تاوته، فولفغانغ، نهاية العصر الحجري القديم في شمال إفريقيا، (كتاب الصحراء الكبرى)، منشورات مركز الجهاد للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م.

- جاد الله، فوزي فهيم، مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت، ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي، 1968م.

- جودتشايلد، ر. ج.، دراسات ليبية (تعريب: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999م.

- حاتم، عماد، في فقه اللغة وتاريخ الكتابة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1982م.

- حسين، عبد العالي مراجع، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر، دار أماني، طرطوس، 1989م.

- حميد، فوزي محمد، عالم الأديان بين الأُسطورة والحقيقة، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1999م.
- الحميري، نشوان بن سعيد، صفحات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (اعتنى بالنسخ والتصحيح: عظيم الدين أحمد)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.
- الحميري، نشوان بن سعيد، ملوك حمير وأقيال اليمن (تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد وإسماعيل بن أحمد الجرافي)، دار الكلمة، صنعاء، 1985م.
- خشيم، علي فهمي، آلهة مصر العربية، (الجزء الأول والثاني)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الآفاق الجديدة، مصراتة ـ الدار البيضاء، 1990م.
- خشيم، علي فهمي، دراسة لنقش قرطاجي ـ ليبي قديم، المؤتمر الثالث عشر للآثار حول النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1997م.
- خشيم، علي فهمي، نصوص ليبية، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1967م.
- خشيم، علي فهمي، سفر العرب الأمازيغ، دار نون، طرابلس، 1995م.
- الخضور، جمال الدين، عودة التاريخ الأنثربولوجيا المعرفية العربية / دراسة في الأناسة المعرفية العربية التاريخية واللغوية ووحدتها/ ، الجزء الأول، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997م.
- دروزة، محمد عزة، تاريخ الجنس العربي، المكتبة العصرية، بيروت، 1376هـ.
- دورش، تشارلز مايكل، علماء الآثار (ترجمة: محمد عبد الفتاح إبراهيم)، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة ـ نيويورك، 1969م.

- ديزنج، جيان، البربر الأصليون، (تاريخ إفريقيا العام جزء 2)، جين أفريك ـ اليونسكو، 1985م.
- ديكريه، فرانسوا، قرطاجة أو امبراطورية البحر (ترجمة: عز الدين أحمد عزو)، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996م.
- ديوب، شيخ انتا، أصل المصريون القدماء، تاريخ إفريقيا العام، الجزء الأول، جين أفريك/ اليونسكو، باريس، 1985م.
- ديورانت، ول، قصة الحضارة (ترجمة زكي نجيب محمود)، المجلد الأول، الإدارة العامة للثقافة في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1965م.
- روبان، كريستيان جوليان، حضارة الكتابة (اليمن في بلاد ملكة سبأ)، معهد العالم العربي، باريس، 1999م.
- رودلف، كوبر، من الصيد إلى الرعي، ما هو العصر الحجري الحديث في الصحراء الكبرى؟ (كتاب الصحراء الكبرى)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م.
- روسي، أتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1911م.
- روسي، بيير، التاريخ الحقيقي للعرب مدينة إيزيس (ترجمة فريد جحا)، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996م.
- زيربو، ج كي، الفن الأفريقي في ما قبل التاريخ، تاريخ إفريقيا العام (المجلد الأول) جين أفريك / اليونسكو، 1980م.
- سعدي، عثمان، البربر الأمازيغ عرب عاربة (وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ)، دار الملتقى للطباعة والنشر، ليماسول وبيروت، 1998م.

- سعدي، عثمان، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- سعيد، رشدي، الإطار الزمني للمراحل المطرية والجمودية بإفريقيا، تاريخ إفريقيا العام الجزء، الأول، جين أفريك/ اليونسكو، 1980م.
- سلامة، بيير، الصحراء في التاريخ القديم (تاريخ إفريقيا العام، الجزء 2)، جين أفريك ـ اليونسكو، 1985م.
- سليمان، توفيق، نقد النظرية السامية، الجزء الأول أسطورة النظرية السامية، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، 1982م.
- سُومر، أ. دوبون، الآراميون (ترجمة: ناظم الجندي)، دار أماني للطباعة والنشر والتوزيع، طرطوس، 1988م.
- شامو، فرانسوا، في تاريخ ليبيا القديم، الأغريق في برقة الأسطورة والتاريخ، (ترجمة: محمد عبدالكريم الوافي)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1990م.
- شنيتي، محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور (الجزء الأول والثاني)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م.
- شيرفيشيك، بافيل، الرسوم الصخرية في مصر العليا وصحراء النوبة، (الصحراء الكبرى)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م.
- الصويعي، عبدالعزيز سعيد، أصول الحرف الليبي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1999م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجزء الأول، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1954م.

- عباس، إحسان ويوسف، محمد نجم، ليبيا في كتب التاريخ والسير، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968م.
- عبدالحميد، رجب الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، دار أماني، طرطوس، 1989م.
- عبدالقـادر، حامـد، الأمـم السـامية، دار نهضـة مصـر للطباعة والنشـر، القاهرة، 1981م.
- عبدالعليـم، مصطفـى كمال، دراسـات في تاريـخ ليبيا القديـم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م.
- عبدالله، يوسف محمد، خط المسند والنقوش اليمنية القديمة دراسة لكتابة يمنية قديمة منقوشة على الخشب، المؤتمر الحادي عشر للآثار في الوطن العربي، النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، تونس 1988م.
- عبـدالله، يوسـف محمد، عم تتحـدث النقوش اليمنيـة القديمة، المؤتمر الحادي عشـر للآثار في الوطن العربي حول النقائش والكتابات القديمة فـي الوطـن العربـي، تونس، المنظمـة العربيـة للتربية والعلـوم والثقافة، 1988م.
- العدواني، محمد الطاهر، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- العربـاوي، محمد المختار، البربر عرب قدامى، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، 1993م.
- العـروي، عبدالله، مجمل تاريخ المغرب، الجـزء الأول، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، 1994م.
- عصفور، محمد أبو المحاسن، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.

- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (10 أجزاء)، ط 3، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة، بيروت وبغداد، 1980م.
- علي، عبداللطيف أحمد، التاريخ اليوناني (العصر الهيلادي) (الجزء الثاني)، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م.
- عيسى، محمد علي، اسم ليبيا ودلالته وظهور الليبيين القدماء، على مسرح التاريخ، تراث الشعب، العددان 1، 2
- عيسى، محمد علي، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، الجديد للعلوم الإنسانية، العدد الخامس، المركز القومي للبحوث والدراسات القومية، طرابلس، 2000م.
- عيسى، محمد علي، الرسوم الصخرية الليبية في عصور ما قبل التاريخ، تراث الشعب العدد 1، اللجنة الشعبية العامة للإعلام، طرابلس، 1991م.
- عيسى، محمد علي، الغزاة والمراكز الحضارية العربية القديمة، مجلة آثار العرب العدد الأول، مصلحة الآثار، طرابلس، 1990م.
- غرينبرغ، هـ. ج.، تصنيف لغات إفريقيا، تاريخ إفريقيا العام، الجزء الأول، جين أفريك/ اليونيسكو، باريس، 1980م.
- غلاب، عبدالكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.
- غوتيه، ف.، ماضي شمال إفريقيا، (ترجمة: هاشم الحسيني)، دار الفرجاني، طرابلس، 1970م.
- فرجيل، الإنيادة (ترجمة عنبرة سلام الخالدي)، ط.2، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م.

- فوكت، بوركهاد وروبان، كريستيان جوليان، الوحدة الثقافية لبلاد اليمن (اليمن في بلاد ملكة سبأ)، معهد العالم العربي، باريس، 1999م.
- قديدة، رمضان أحمد وعيسى، محمد علي، تاريخ الوطن العربي وحضارته في العصور القديمة، الشركة العامة للورق والطباعة، طرابلس، 1990م.
- القرشي، الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى 774 هـ.، تفسير القرآن العظيم (الجزء الرابع)، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.
- كوريبوس، فلافيوس كريسكونيوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية أو مقاومة قبائل المغرب العربي للاستعمار الروماني (ترجمة: محمد الطاهر الجراري)، مركز الجهاد للدراسات التاريخية، طرابلس، 1988م.
- لوث، هنري، الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى، (كتاب الصحراء الكبرى)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م.
- لوث، هنري، الطوارق، (كتاب الصحراء الكبرى)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م.
- لوث، هنري، لوحات تاسيلي، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1967م.
- المدلاوي، محمد، مبادي المقارنة الحامية ـ السامية على ضوء مفهوم الفصائل الصوتية الطبيعية، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، وجدة، 1990م.
- المدني، أحمد توفيق، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة العامة للكتاب، الجزائر، 1986م.
- المناصرة، عز الدين، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب إشكالية التعددية اللغوية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1999م.

- مهـران، محمـد بيومي، المـدن الفينيقية تاريخ لبنان القديـم، دار النهضة العربية، بيروت، 1994م.
- مهران، محمد بيومي، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م.
- موري، فابريتشـيو، تادرارت أكاكـوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ (ترجمة: عمر الباروني وفؤاد الكعبازي)، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م.
- الميـار، عبدالحفيـظ فضيل، ظاهرة النقوش الفينيقيـة الجديدة ـ اللاتينية في إقليم طرابلس، المؤتمر الثالث عشـر للآثار حول النقائش والرسـوم الصخريـة في الوطن العربـي، المنظمة العربية للتربيـة والثقافة والعلوم، تونس، 1997م.
- الميلى، محمد، الجزائر والمسـألة الثقافية التناقضات الثقافية (الجذور)، المستقبل العربي، العدد 45، 11، 1982م.
- الميلى، محمد، الجزائر والمسألة الثقافية مدخل تاريخي، مجلة المستقبل العربي، العدد 41، 7، 1982م.
- الناضوري، رشيد، المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.
- الناضـوري، رشـيد، المدخل في التحليـل الموضوعي المقـارن للتاريخ الحضاري والسياسي، في جنوب غرب آسيا، وشمال إفريقيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1977م.
- نعمـان، أحمد بـن وبورونيـة فتيحة، وجهاً لوجـه، مجلة العربـي، العدد 500، وزارة الإعلام الكويتية، الكويت، 2000م.
- النور، أسامة عبدالرحمٰن، وأبو بكر يوسف شلابي، تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات، منشورات (إلجا). فاليتا، 1995م.

- النيهوم، الصادق، تاريخنا الكتاب الأول، ليبيا من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن السابع ق.م.، دار الثرات، 1977م.
- هبو، أحمد أرحيم، تاريخ الشرق القديم (1) سورية، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1999م.
- الهمداني، لسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، كتاب الإكليل (الجزء الأول والثاني والثامن والعاشر)، حققه وعلق عليه: محمد بن علي بن الحسين الحوالي، ط.3، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.
- الهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب (تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي)، مكتبة الارشاد، صنعاء، 1990م.
- هندريكس، ماكس شابيرو وروودا، معجم الأساطير (ترجمة حنا عبود)، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999م.
- هوغو، هـ. ج.، الصحراء في ما قبل التاريخ، تاريخ إفريقيا العام (المجلد الأول) جين أفريك / اليونيسكو، 1980م.
- هوميروس، الأوديسة، (ترجمة: عنبرة سلام الخالدي)، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م.
- وارمنجتون، ب. هـ.، العصر القرطاجي، (تاريخ إفريقيا العام) (المجلد الثاني)، جين أفريك اليونسكو، 1985.
- وبيير، مانفرد، المصريون القدماء والصحراء الكبرى (كتاب الصحراء الكبرى)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م.

2 ـ المصادر والمراجع الأجنبية

- Balout L., Prehistoire de l'Afrique du Nord, Histoire Generale de l Afrique (T.1), Jeune Afrique\ Stock\Unesco, 198o.
- Bates. O., The Eastern Libyans, Frank Cass and Co., London 1979.
- Bousquet G. H., Les Berberes, Presses Uneveritaires de Paris, Paris, 1974..
- Camps G., Berberes aux marges de l'Histoire, editions des Hiferides, Paris, 1980.
- Camps G., Des rives de la mediterranee aux marges meridionales du sahara ((Les berberes)), Edisud, Paris, 1996, .
- Camps G.. Les Berberes Memoire et edentite, Editions errance, Paris, 1995.
- Castantini Michel, Denis Maraval, L'Hhistoire Generale de l'Afrique (t.1), Edition Famot, Geneve, 1979.
- De Lumley Henry, Premiers Artistes Dernierschasseurs de l Europe, Les dossiers D archeologies, N. 87, 1984.
- Desanges J., Les Protoberberes, in Histoire Generale de L'Afriqu (T.2), Jeune afrique - Stock - Unesco, 1980..
- Ferrah, Abdelaziz, L Amazigh ecrire le berbere, Editions Marinoor, Alger, 1997.
- Lhote Henri, A la decouverte des fresques du Tassili, Arthaud, Paris, 1988.
- Herodote, Histoire 11. (texte etabli et traduit par Ph. E. legrand), sciete d edition ((Les belles Lettres)) Paris, 1985.
- Jelinek Jan, Encyclopedie illustree de L'homme Prehistorique, Grund, 1982..
- Julien ; Charles Andre, Histoire de l'Afrique du nord des origines a l conquete arabe, T 1, Payot, Paris, 1986.
- Le Robert, Dictionnaire universel des nomes propres, Le Robert, Paris, 1983..

- Mazel Jean, Avec lesPheniciens a la poursuitee du soleil sur la route de l or et de l etain Robert laffont. Paris, 1968.
- Mc Burney, C. B., Libyan role in prehistory, (Libya in History), University of Libya, 1968, .
- Porteres. R et J. Barrau, debut, devloppement et expansion des techniques agricoles, Histoire Generale de L'Afrique, T.1, Jeune Afrique / Stock / Unesco, 1980.
- Salluste, La guerre de Jugurtha, Editions grand - Alger livres, Alrer, 2005.
- Sattin F., Gusmano G., La cosiddetta "Mummia" infantile dell Acacus nel quadro delle costumanze funebri preistoriche mediterranee e sahariane, Published by the Directorate - General of Antiquities Museums and archives, Tripoli, 1964..
- Vialou ; Denis, Art parietal et societes paleolithiques, dossiers d archeologies, N. 209, 1995.
- Zerbo J. Ki.., Theories relatives au ((races)) et histoire de l'Afrique, histoire generale de l'Afrique, T.1. Jeune Afrique/Unesco/Paris, 1980.